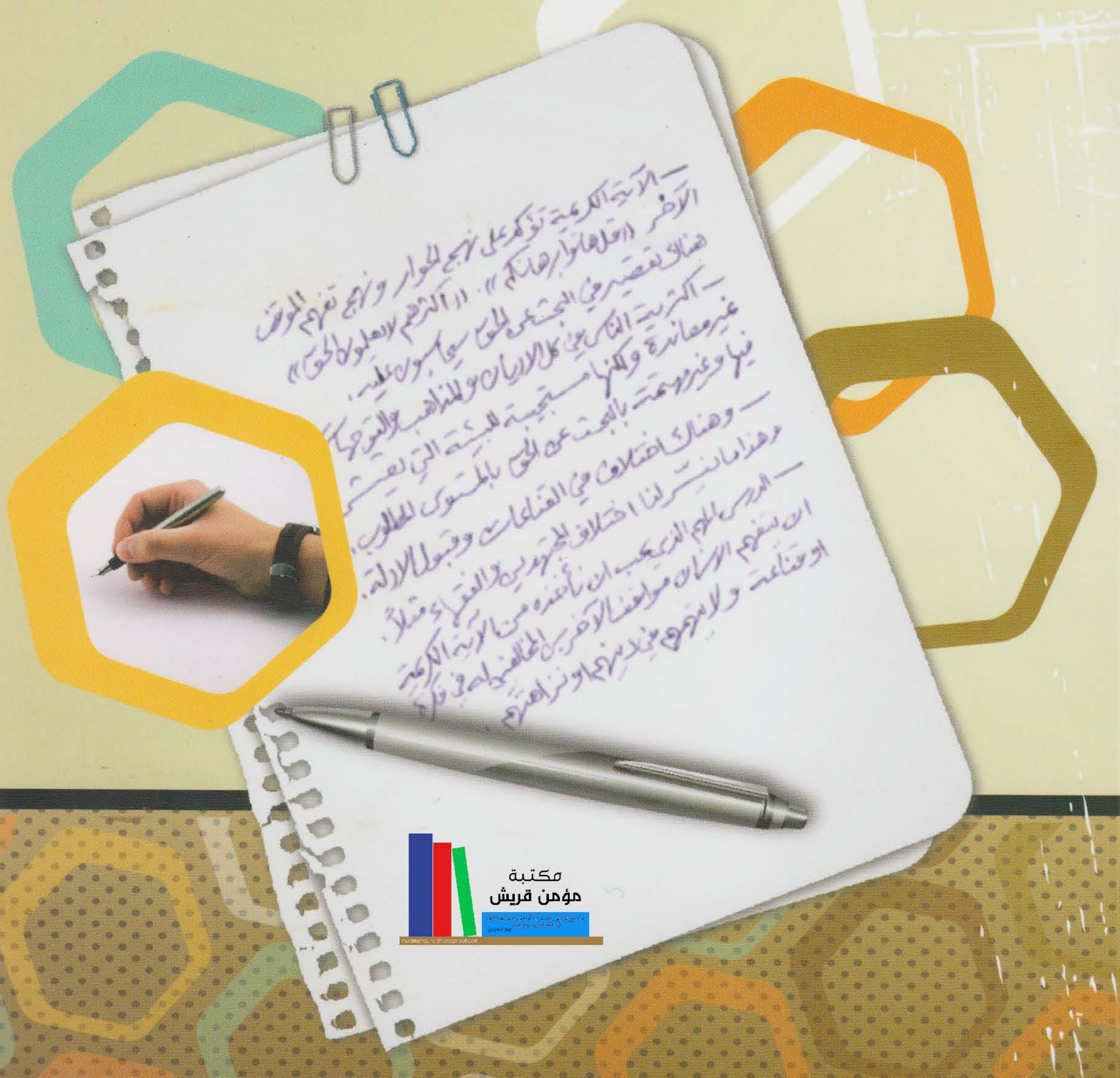
أديب عبدالقادر أبو المكارم
Adeeb Abu almakarem

ظاهرة التقريظ والتقديم في الأدب العربي

الشيخ الصفار نموذجاً



ظاهرة التقريظ والتقديم في الأدب العربي

الشيخ الصفّار نموذجًا

أديب عبد القادر أبو المكارم

ظاهرة التقريظ والتقديم في الأدب العربي

الشيخ الصفّار نموذجًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

الإخراج الفني

Mubarak
0535634252

مقدمة

التعبير عن شيء بحسنه أو بسوئه صفة عامّة عند بني البشر. فإذا رأى الإنسان منظرًا طبيعيًّا خلابًا، بدا إعجابه على محياه وقسمات وجهه، وتحرك لسانه ليعبّر عن وصف حسنه وجماله، وإذا ما رأى ما يزعجه من مناظر كريهة ومواقف سيئة، بدت قسمات وجهه بالشحوب أو الازدراء، وتبدأ مشاعره المنفعلة بتحريك لسانه ليعبر عن سخطه. وحين تعلم الكتابة، صار يدوّن بيانه، ويباري غيره في الوصف والتشبيه، ثم بدأ هذا الإنسان يعبر عن مشاعره بكلمات منمقة، ينهيها بحروف متسقة أطلق عليها فيما بعد (القوافي)، يضعها في قوالب معينة هي البحور الشعرية. ولم يقف الأمر عند الإنسان في التعبير عن مشاعره بما يراه من جمال الطبيعة أو ما يخيفه فيها، بل صار يصف ويعبر عن كل شيء: الحب والحقد، الإنسان والحيوان، النبات والجماد. ثم صار يسمع الكلام ويصفه بالحسن أو السوء، ويشاهد العادات الاجتماعية، فيحيي ما يعجبه ويذم الأخرى، ويقرأ ما يُكتب ويدوّن، فيحفظ بعضه، ويبدي للآخرين إعجابه بهذا وحنقه عن الآخر.

وهكذا، تجد للإنسان قوة البيان في كل شيء. وحين اتجه للتأليف والكتابة، صار ينسخ هذه الكتب حفظًا لها، وتسهيلًا لتداولها، ومن ثم صار يبدي إعجابه بالمؤلفات القيّمة.

هذه الظاهرة الأدبية الجميلة التي هي موضوع هذه الدراسة، وهي فنّ التقريظ، ظاهرة قديمة عند الكتّاب والعلماء والعارفين، وبدأت تنتشر وتزداد، وصارت مطلبًا عند كثير من المؤلفين، يطلبونها من أعلامهم ومفكريهم. وإن مما يدل على الاهتمام بها، هو ما نجده من تقاريظ لبعض الكتب تصل في مجموعها إلى كتاب كامل مستقل، وكذلك الاهتمام بجمع مقدمات وتقاريظ شخص ما لكتب الغير، والتي تصل بعضها إلى أكثر من مجلدين. لكن هذه الظاهرة لم تولَ عناية تليق بها من حيث تاريخ بدايتها، وتطورها، وأنماطها، وأهميتها، وإن أكثر ما كتب حولها هو تعريفها والفرق بين التقريظ والتقريض، مع أن كلاهما جائز حسب كلام اللغويين. وكل ما كُتب حول هذا الفن حسبما ما توفر من مصادر بعض المقالات والآراء التي كُتبت بشكل أو بآخر ولكنها قليلة. بالرغم من أن الدراسات المختصة بالأدب بكل فروعه كثيرة، فهناك دراسات حول الشعر، وحول النثر، سواء كان القصة، أو الرواية، أو المقالة، أو صياغة الأخبار، وما شابه، وقد حظي النقد الأدبي باهتمام بالغ من الكتّاب، والنقد لا يعني الإشارة إلى عيوب الشعر أو النص النثري وحسب، بل يشير في المقابل إلى المحاسن كالبلاغة، والشاعرية، وحسن الوصف، والعاطفة وما شابه، إضافة إلى بداية كل فن، ورجالاته، ومدارسه. لهذا فإن من المستغرب أن يغفل هذا الجانب من الأدب وهو فن التقريظ عن الكتابة عنه وتوجيهه وتطويره، لا أقلها أن تدرس من الناحية الأدبية كأي نصوص أخرى، فهناك من التقاريظ الشعرية والنثرية غاية في البلاغة والأدب، وتستحق التأمل والدراسة بشكل مستقل.

هذه الدراسة التي تجمع ما كتبه الشيخ حسن بن موسى الصفار من تقديمات أو تقريظات لمؤلفين آخرين، تتناول في فصلها الأول دراسة حول هذا الفن الأدبي من حيث البداية، والنوع، والمنهجية، والتطور الذي واكب هذا الفن، واهتمام الكتّاب به، مع تقديم بعض الأفكار والمقترحات التي قد تفيد في كتابة التقديم والتقريظ. وإذا كان بهذه الدراسة قصور أو تقصير، فالأمر راجع إلى قصور في المؤلف فالكمال لله وحده

وكذلك لشح المصادر أو عدمها، أو لعدم تداولها إذا كانت موجودة. ولا شك أن أي كتابة بكر إن لم تسبقها دراسة فهي عرضة للنقص والخلل، والذي يُكمل ويسد بجهود الباحثين إن شاء الله.

قُسم الكتاب إلى فصول خمسة:

الأول: أدب كتابة التقريظ في فن الكتابة العربية.

الثاني: الاهتمامات الفكرية والعلمية للصفار وأثرها على تقريظاته.

الثالث: منهجية الشيخ حسن الصفار في التقديم.

الرابع: صدى الأفكار.

الخامس: نصوص التقديمات.

أهمية الكتاب:

يمكن الإشارة هنا إلى نقطتين رئيستين تبيّنان هدف الكتاب:

الأولى: الكتابة حول هذا الأدب المغفول عنه، وتقديم دراسة حوله ولو كانت موجزة.

الثانية: تقديم دراسة حول منهجية الشيخ حسن الصفّار في تقريظ الكتب والكتّاب. وهي أيضًا قد تكون دراسة بكر، حيث إن الكتب حسب المتوفر من المصادر التي ألّفها مَن جَمعَ مقدماته وتقاريظه، أو جُمعت مقدماته وتقاريظه، كلها كانت عبارة عن جمع النصوص مع بعض، دون تقديم دراسة حول منهجيتهم. ربما أشار البعض إلى طريقته في التقديم والتقريظ في مقدمة كتابه، ولكن ليس بصورة مفصلة ووافية. من جهة أخرى فإن المقدمات التي كتبها الصفار كثيرة، وفيها أفكار قيّمة، وحتى يسهل الحصول عليها،

والاستفادة منها أكثر، كان لا بدّ من لم شملها في كتاب، وتبويبها حتى تكون متكاملة.

عسى أن تكون هذه الدراسة موفقة في بحث هذا الجانب المهم من الأدب، وفي إعطاء صورة عن منهجية وأفكار هذا العالم الجليل والمفكر القدير، والمؤلف المبدع الشيخ حسن الصفار، ليُفيدَ منها الباحثون.

شكرٌ وعرفان:

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان للأخ الصديق الأستاذ حسين منصور الشيخ لاهتمامه بمراجعة الكتاب، وكذلك الأستاذ محمد المحفوظ. والشكر موصول لمن فتح أبواب مكتبته لنفيد منها، والشكر والتقدير كذلك لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب.

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وسلم.

أديب أبو المكارم

٥/ ٥/ ١٤٣٤هـ

الفصل الأول

أدب كتابة التقريظ في فن الكتابة العربية

أدب كتابة التقريظ في فن الكتابة العربية

بداية

ظاهرة أدبية تنتشر في كثير من صفحات الكتب القديمة والحديثة، وهي الإشادة بالكتاب والكاتب. هذه الظاهرة تسمى تقريظًا أو تقديمًا، وهي إما أن تكون نثرًا أو شعرًا أو كليهما. وتكتب من قبل شخص أعجب بالكتاب، أو من قبل شخص طلب منه المؤلف أن يقرّظ الكتاب. هذا الأدب على أهميته ومكانته في الكتب، إلا أنه لم تُقدّم حوله الدراسات أسوة ببقية الظواهر الأدبية الشائعة.

هذا الفصل من الكتاب يقدّم دراسة موجزة حول أدب التقديم والتقريظ لكتب الآخرين. عن مسمياته ومعانيها، وتاريخه، وأنواعه، والغاية منه، والمقترحات التي من شأنها أن تسهم في تطويره، وما هو الهدف من جمع التقديمات.

تعريف التقديم (المقدمة):

التقديم خلاف التأخير. ومُقدَّمةُ الشيء (بفتح الدال وكسرها) أوله، وصدره. وهو أيضًا يعني التعريف، فتقديم الضيوف، التعريف بهم. وتقديم الدليل، عرضه. ومقدمة الكتاب: الصَّفحات الأُولى القليلة التِي تَشرح مَضمون الكِتاب ومَوضوعه. وتُعرِّفُ

به[١]. وكتّاب المقدمات للآخرين ينتهجون في الغالب هذا النهج من تعريف الكتاب الذي يقدمون له، وتعريف مؤلف الكتاب. وقد يقتصر البعض على واحدة منهما.

وقد جاء في كتاب نهج السعادة للشيخ المحمودي: يجوز في لفظة (المقدمة) كسر الدال وفتحها. فعلى كسرها، فمعناها: القوم الفطن الجلد الذين يقدمون أنفسهم أمام قومهم لجلب الخيرات. وعلى فتح الدال، معناها: الجماعة التي يقدِّمها القوم للحياطة على المصالح والدفاع عنهم، لتجلدهم وحزم آرائهم.[٢]

من هنا، فإنه بالإمكان إطلاق كلمة (المقدِّمة) بالكسر على تصدير الكتاب وتعريفه من قبل المؤلف نفسه، وكلمة (المقدَّمة) على من يصدِّر الكتاب ويعرّفه، غير المؤلف. بمعنى الشخص المُقدَّم لكتابة تعريف بالكتاب والكاتب. لكن هذا غير معمول به.

ومن يكتب التقديم يسمى مُقدِّم، كأي شخص يقدِّم شيئًا، ومن أسماء الله تعالى الحسنى (المقدِّم) وهو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها الصحيحة.

تعريف التقريظ:

هذه المفردة كما في معاجم اللغة تعني مدح الإنسان وهو حي، بخلاف التأبين الذي يكون فيه مدح الإنسان وهو ميت. والتقريظ يعني مدح الحي ووصفه أيضًا. وقرّظ الرجل تقريظًا أي مدحه وأثنى عليه[٣].

وتكتب هذه المفردة بالضاد أيضًا كما في لسان العرب: «فلان يقرّظ صاحبه تقريظًا،

---

(١) موقع المعاني: http://www.almaany.com/home.php

(٢) محمد باقر المحمودي. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج٨، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ (بيروت مؤسسة التضامن الفكري) حاشية ص٣٢٨.

(٣) محمد بن مكرم ابن منظور. لسان العرب. باب ق ر ظ. ج٥، طبعة ١٤٠٨هـ (دار الجيل ودار لسان العرب بيروت) ص٦٤.

بالظاء والضاد جميعًا»[١]. وكذلك في «الصحاح في اللغة» باب (ق ر ض): والتقرُّض مثل التقريظِ، يقال: فلان يقرِّض صاحبه، إذا مدحه أو ذمه[٢].

فهي مفردة تكتب بشكلين، وأهل اللغة يشيرون إلى أن «بعض الألفاظ التي ترسم على الوجهين لا تدل، دائمًا، على اختلاف في مسمياتها ومعانيها، وهذا يعني أن التمايز في الرسم قد لا يتبعه تنوع في الدلالة. من ذلك مثلًا أن أبا زيد قد أجاز (فاضت نفسه) بالضاد وبالظاء معًا في كتابة البيت الذي عجزه: فنفس العدو لها فائظة[٣].

ولكن هناك من يرى التقريض كلمة مضادة للتقريظ، فالأولى تعني الذم، والثانية تعني المدح. والمقارضة كما في لسان العرب مثلًا: تكون في العمل السيئ، والقول السيئ يقصدُ الإنسان به صاحبه، وهي تعني أيضًا المضاربة. وهناك من يرى بأن ما كُتبت بالظاء فهي للخير خاصة، وما كتبت بالضاد فهي للخير والشر. قال أبو زيد: «قرّضه إذا مدحه أو ذمه، فالتقارظ (بالظاء) في المدح والخير خاصة، والتقارض (بالضاد) إذا مدحه أو ذمه، وهما يتقارضان الخير والشر»[٤].

ومن المعروف لغويًا أن القريض يعني الشعر، كما في لسان العرب: والقريض الشعر، وهو الاسم كالقصيد، والتقريض صناعته[٥].

وفيما يخص بحثنا، فإن تقريظ الكتاب والكاتب أو تقريضهما يعني مدحهما أو وصفهما، ولا يستخدم أبدًا للذم. نعم، ربما يكون فيه نوع من النقد وذكر بعض العيوب وهذا لا يعني الذَّم. فهذه المفردة إذا كتبت بالوجهين أدّت نفس المعنى، ولكن المشهور كما هو واضح كتابتها بالظاء، كما أنها تفيد تفادي المعنى الثاني وهو الذم، الشيء الذي

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح في اللغة. الطبعة الرابعة ١٩٩٠م (دار العلم للملايين بيروت).

(٣) د. حسين الواد. تقريض القريظ. ص١.

(٤) نفس المصدر السابق. ص٢.

(٥) ابن منظور. لسان العرب. ص٦١.

لن يسمح به مؤلف عادة أن يدرجه في كتابه. وأعتقد أن من يكتبها بالضاد (التقريض) فإنه يشير إلى المدح والثناء الذي يكون شعرًا في الغالب، والتقريض صناعة الشعر كما أشرنا، وهي لم ترد في معاجم اللغة بالظاء.

بين التقريظ والتقديم:

التقريظ أو التقريض للكتاب أو الكاتب يعني المدح والثناء. هذا ما نلحظه في الكتب القديمة بالذات، فهي تركز على مسألة مدح المؤلِّف والمؤلَّف، وكذلك فيما يكون شعرًا. فالتقريظ عبارة عن قصائد مدح (نثر أو شعر) يتغنّى فيها المقرظ بالكتاب والكاتب، وذلك لإظهار مكانتهما في الساحة العلمية والفكرية والأدبية. أما التقديم فهو من وجهة نظري تطوير لمنهجية التقريظ، ومرحلة متقدمة عليه، جاءت لإضفاء ما هو أكثر إفادة من المدح، وفيه يتم إعطاء فكرة ورؤية حول موضوع الكتاب، قد تكون فوائد متممة لما جاء به المؤلف، وهي لا تخلو بطبيعة الحال من الإشادة بالكتاب ومحتواه والكاتب ومنهجيته.

- يأخذ التقريظ في الغالب شكلًا قصيرًا في الكتابة، ويلتزم القافية حتى في النثر. أما التقديم فهو يمثل رؤية وفكرة حول الكتاب، أو دراسة مستقلة بحد ذاتها، كما في بعض النماذج التي ينتهجها بعض المقدمين، والتي تصلح لأن تكون كتابًا مستقلًا، فبعضهم يتجاوز الثلاثين صفحة في تقديمه.
- التصور الذي يبرزه التقديم عن الكتاب يكون أكثر منه في التقريظ. لأن فكرة التقديم عادة تدور حول موضوع الكتاب.
- إن أكثر إشكال يلامس أدب التقريظ لكتب الآخرين هو المبالغة في المدح. فقد اعتاد كثير ممن يكتب التقريظ في السابق على كتابة عبارات من قبيل: علّامة زمانه، وحيد عصره، فلتة الدهر، كتاب منقطع النظير. وهكذا من العبارات التي قد تجدها في أكثر من مؤلَف ومؤلِف. ولربما كان هذا سببًا

للانتقال لمرحلة التقديم التي يعمد الكاتب فيها إلى تسليط الضوء على فكرة الكتاب أكثر من مدحه، بل إن بعضهم لا يتطرق للكتاب ولا للكاتب نهائيًا.

- لكن أهم نقطة تجمع الاثنين (التقريظ والتقديم) هو الإشارة إلى مواضع الإعجاب في الكتاب والمؤلف كعمق الفكرة وحداثتها وجهد المؤلف في البحث مثلًا.

***

في اللغة الانجليزية يستخدم مصطلح (Foreword)، وهي تعني: «تصدير» أو «كلمة أولى»، تكتب من شخص آخر له مكانة بارزة ومرموقة[١]، يكون متفاعلاً مع الكتاب أو الكاتب[٢].

والتقديم للآخرين (Foreword) عادة ما يدور حول فكرة الكتاب وهو يتشابه مع مصطلح (Preface) والذي يكتب من قبل المؤلف نفسه ويتضمن فكرة الكتاب والهدف والمنهجية وكذلك الشكر[٣]. أو هو اختصار لمقدمة الكتاب[٤]. ويعطى ترقيمًا خاصًا خلاف المقدمة أو ما نصطلح عليه في العربية: «التقديم» (Introduction) والذي يعتبر جزءًا من الكتاب ويحتوي رؤى ونظريات تعين القارئ للتكيف مع الكتاب والولوج فيه[٥]. والتقديم للآخرين (Foreword) يدور حول الكتاب أو المؤلف أو كليهما، فقد يوضح الكاتب علاقته بالمؤلف، أو تأثير الكتاب عليه أو أثره على الجهة العلمية أو الفكرية[٦].

بداية الظهور: نوعًا وتاريخًا.

(١) موقع: patmcnees.com. (http://goo.gl/7rWw0)
(٢) موقع: http://en.wikipedia.org (http://goo.gl/l19Z3)
(٣) موقع: patmcnees.com. (http://goo.gl/fWImL)
(٤) موقع: scribendi.com. (http://goo.gl/Qpwhx)
(٥) موقع: patmcnees.com (http://goo.gl/cfTJF)
(٦) موقع: scribendi.com. (http://goo.gl/SSymG)

ينحصر التقريظ في ثلاث أنواع: الشعر والنثر والجمع بينهما. والسؤال هنا في أي نوع كانت البداية؟

التقريظ كما تشير له معاجم اللغة، وكما ذكرنا سابقًا، تعني المدح والثناء. وهي بالتالي تشمل الشعر والنثر. ولكن لو تم أخذ مفردة القريض، فهي تعني الشعر. فحين يقرِّض شخصٌ كتابًا ما، فإنه يمدحه ويثني عليه شعرًا. فهل نستطيع الجزم بأن بداية هذا النوع من الأدب كانت شعرًا، ومن ثم انتقلت إلى النثر؟

هناك أمران يمكننا أن نستند عليهما في القول بذلك، وهما:

الأول: اللفظة اللغوية لمفردة القريض، والتي تعني الشعر.

الثاني: أقدم التقاريظ التي وجدناها خلال بحثنا عبر المخطوطات القديمة الموجودة على مواقع الإنترنت، وفي كتب الببليوجرافيا، والكتب القديمة المطبوعة حديثًا، كل تقاريظها كانت شعرًا. وبعدها صارت تجمع بين الاثنين الشعر والنثر في نفس الوقت.

ويأتي الآن سؤال آخر، وهو متى بدأ ظهور هذا الأدب؟

قد لا نستطيع الجزم بأول سنة ظهر فيها هذا الأدب، أو حتى بالقرن الهجري الذي ظهر فيه، لكننا نميل إلى ظهوره في القرن الرابع الهجري، حيث كانت فيه أقدم التقاريظ التي وجدناها، ولم نجد فيماسبق من القرون أي تقريظ، ومنها: تقريظ الشيخ التنوخي (٢٧٨ ٣٢٤هـ) وهو من شعراء البصرة، لكتاب وصله من صديق يقول فيه:

وافـــى كـتـــابُـك مـثـلـمـا وافـــى لـمـفـقـود بـشـيـر
وكـــأنـــه الاقـبـــال جـا ء أو الـشـفـاء أو الـنـشـور[1]

بل أكثر من ذلك، حيث قرّظ قصيدة أعجبته، فقال:

(١) د. عدنان عبيدالعلي. شعر البصرة في القرن الرابع الهجري. موقع المكتبة البصرية.

وقصيدة ألفاظُها في النظم كالدر النثير
جاءت إليّ كأنها الـ ـتوفيق في كل الأمور[١]

ومن علماء القرن الرابع الهجري أيضًا السيد النسابة أبي الحسن محمد الشاعر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الأصفهاني المولد والمسكن والمدفن (ت ٣٣٢هـ) مؤلف (نقد الشعر، و(عيار الشعر) و(سنام المعالي) وكذلك (تقريض الدفاتر)[٢]. وقد أشار ابن النديم في كتابه الفهرست إلى كتاب الدفاتر، حيث قال: وأنشدني أبو بكر الزهري لابن طباطبا في الدفاتر:

لله أخوانًا أفادوا مفخرًا فبوصلهم ووفائهم أتكثّرُ
هم ناطقون بغير ألسنة ترى هم فاحصون عن السرائر تضمر
إن أبغ من عرب ومن عجم معًا علمًا مضى فيه (الدفاتر) تخبر[٣]

ونقرأ كذلك في ترجمة الشاعر ابن لنك البصري المتوفي سنة ٣٦٠هـ أن له ديوان شعر اطلع عليه الثعالبي وأورد منه مختارات، ورآه الصاحب بن عباد (٣٢٤ أو ٣٢٦ ٣٨٥هـ) وقرّظه بيتين كتبهما على جزء منه[٤].

والحديث هنا عن التقريظ للكتاب الذي يكون في نفس القرن ولشخص آخر غير المؤلف. فهناك كتب من القرن الرابع الهجري وقرّظت بعدها بسنوات متأخرة. فكتاب الاستيعاب في صنعة الاسطرلاب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفي سنة ٤٤٠هـ [القرن الخامس]، قرظه إبراهيم بن ممدود الجلاير الموصلي سنة ٦٨٩هـ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) آقا بزرك الطهراني. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٤، ص٢١٤ ٢١٥، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ (مؤسسة اسماعليان قم).

(٣) أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم. الفهرست. ص٢٣، ط٢، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، (دار المعرفة بيروت لبنان). تحقيق إبراهيم رمضان.

(٤) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية. ص٢٢٠. إصدار إلكتروني عبر الموسوعة الشاملة.

وتاريخ كتابة النسخة سنة ٨٨٨هـ[١]. وهناك كتب قرّظها مؤلفوها أنفسهم كما نجد عند ابن فارس اللغوي، وهو أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي المتوفي بالمحمدية سنة ٣٧٥هـ، وقيل تسعين والأول أقرب[٢]. قرّظ كتابه (مجمل اللغة) بأبيات عينية، كما جاء في كتاب الحموي: قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالرحيم السلمي، وجدت بخط ابن فارس على وجه المجمل، والأبيات له، ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا عن سليمان بن أيوب عن ابن فارس:

يا دارَ سُعدى بذات الضال من إضمِ ... سقاك صوبُ حيًا من واكفِ العينِ
إنـي لأذكـرُ أيـامًـا بها ولنا ... في كل إصباحِ يومٍ قرّة العينِ
تُـدنـي معشقة مـنـا معتقة ... تشجها عذبة من نابع العين
إذا تـمـززهـا شيخ بـه طَـرقٌ ... سرتْ بقوتها في الساقِ والعين
والزق ملآن من ماء السرور فلا ... تخشى توله ما فيه من العين
وغـاب عـذالـنـا عنا فـلا كدر ... في عيشنا من رقيب السوء والعين
يُقسِّم الـود فيما بيننا قسمًا ... ميزان صدق بلا بخس ولا عين
وفائض المال يغنينا بحاضره ... فنكتفي من ثقيل الدين بالعين
والمجمل المجتبى تغني فوائده ... حفّاظه عن كتاب الجيم والعين[٣]

وهكذا استمر التقريظ حتى إن بعض الكتب حظيت بأكثر من تقريظ من المعاصرين للمؤلف. فكتاب فصول الربيع وأصول البديع، ويقال له: «نسيم الصبا» للشيخ بدر الدين حسن بن حبيب الأديب الحلبي المتوفي سنة ٧٧٩هـ، حظي الكتاب بشهرة كبيرة في الأوساط الأدبية، في عصر مؤلفه وبعد عصره، إلى يومنا هذا، حتى جعلوه

(١) آقا بزرك الطهراني. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. ج٢. ص٣٦. الطبعة الثانية، (دار الأضواء بيروت).
(٢) نفس المصدر السابق. ج٢٠، ص٥١.
(٣) ياقوت الحموي. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. ج١، ص٤١٥، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان)، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

من عجائب ابن حبيب الحلبي، وقرظه عدد من الأدباء والعلماء: كالصفدي، وشمس الدين بن جابر، وتاج الدين[١]. ونجد في العهد القريب موسوعة «اللؤلؤ المشاع في مآثر أبناء أبي السباع» ناهزت عدد تقاريظ الكتاب ٣٠٠ تقريظ بين النظم والنثر، وبين الفصيح والشعبي[٢].

وقد انتشر هذا الفن الأدبي أكثر مع ظاهرة الاهتمام بتحقيق الكتب التراثية أو تصحيحها أو إعادة طبعها ونشرها.

فكان الناشر يعمد إلى وضع كلمة إعجاب بالكتاب ومكانته العلمية وكذلك بالكاتب، وكان يصُوغ هذا الإعجاب شعرًا أو نثرًا ويصدّر بها الكتاب. ويشير الباحث محمد بن عامر العيسري إلى هذا الأمر، فيقول: «فمع اعتناء من يأتي من العلماء بمصنفات من سبقهم جمعًا وترتيبًا وتصحيحًا وشرحًا واختصارًا ونظمًا ونسخًا وغير ذلك من أشكال العناية بالتراث العلمي، لم يغفلوا تزيين تلك التآليف بجميل الكلام وبديع الثناء»[٣].

وتجدر الإشارة هنا إلى سبق الأدب العربي إلى هذا الفن على ما يبدو. فالتقديم لكتب الآخرين عند الإنجليز والتي سبق الإشارة إلى مصطلحها (Foreword) قد ظهر متأخرًا. فهذا المصطلح ظهر في منتصف القرن العاشر الميلادي[٤]. والقرن السابع عشر الميلادي يقابله تقريبًا القرن الحادي عشر الهجري، وهذا يعني أن التقريظ أو التقديم كان عند العرب سابقًا في وجوده عن نظيره في الأدب الإنجليزي.

موقع التقريظ في الكتاب:

---

(١) موقع النيل والفرات.http://goo.gl/onLG7

(٢) موقع دار السادة الأشراف.http://goo.gl/plC80

(٣) محمد بن عامر العيسري. فن التقريظ في التراث العماني. ملحق الوطن العمانية أشرعة ٢١ ربيع الآخر ١٤٣١هـ الموافق ٦ ابريل ٢٠١٠م.

(٤) http://en.wikipedia.org/wiki/Foreword

قد تكون بداية الكتب المقرظة، أو أكثرها على الأقل، قد قُرّظت بمعزل عن الكتاب. فحين يصل الكتاب إلى شاعر أو عالم ويعجب به فإنه يبادر إلى تقريظه كما هو عند الشاعر التنوخي الذي مرّ ذكره آنفًا. وقد يحظى الكتاب نفسه بأكثر من تقريظ كما حصل لكتاب نسيم الصبا. ولاهتمام المؤلف نفسه أو الباحثين بكثرة التقاريظ حول كتاب ما، فإن بعضهم قام بجمعها في كتاب مستقل، فعلى سبيل المثال: لما وصل كتاب (عبقات الأنوار) إلى الأقطار الإسلامية كالعراق وإيران... واطلع عليه كبار الفقهاء، ووقف عليه رجالات الحديث والكلام، والعلماء في مختلف العلوم الإسلامية... أكبروه غاية الإكبار، وأثنوا عليه وعلى مؤلفه الثناء البالغ والمدح العظيم، وأرسلوا إلى السيد المؤلف رسائل التقريظ والتبجيل شاكرين الله تعالى على هذه النعمة، ومعبرين عن غاية سرورهم واعتزازهم بهذه الموهبة. وقد جمعت نصوص تلك التقاريظ في كتاب سمي بـ (سواطع الأنوار في تقريظات عبقات الأنوار) حوى ٢٧ تقريظًا لكبار الفقهاء ومحدثي عصر المؤلف[١].

وبعض التقاريظ كانت عبارات ثناء ومدح في الكتب الببليوجرافيا كتلك التي في كتاب الفهرست لابن النديم أبي الفرج محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ). وكذلك كتاب «ترتيب المدارك وتنوير المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» وهو للقاضي عياض (٤٧٦ ٥٤٤هـ)، نراه يقول مثلًا عن كتاب «منتخب الأحكام» لابن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ): «ظهرت منفعته، وطار بالمشرق والمغرب ذكره»[٢]. وأيضًا ما ذكره الضبّي (ت ٥٩٩ هـ) في كتابه (بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس) في ترجمة أبو عامر البلوي مثلًا يقول: «هو محمد بن أحمد البلوي ثم السالمي فقيه أديب له كتاب جمع فيه علومًا وجدد من الدهر آثارًا ورسومًا سماه (كتاب السلك المنظوم والمسك

(١) السيد حامد النقوي. خلاصة عبقات الأنوار. ج١، ص١١٣، ط ١٤٠٥هـ (مؤسسة البعثة طهران).

(٢) القاضي عياض. ترتيب المدارك وتنوير المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. ١٩/ ٢ موقع الموسوعة الشاملة. http://islamport.com/w/trj/Web/280/519.htm

المختوم)»[١].

وقد تكون قليلة تلك التقاريظ التي كتبت على نفس الكتاب في بداية الظهور والتي هي محور الدراسة كما مرّ بنا مع الصاحب بن عباد الذي قرّظ ديوان ابن لنك ببيتين كتبها على الديوان نفسه.

ونجد في القرن السابع الهجري كتاب المستنصريات، وهي قصائد مدح في المستنصر بالله العباسي للشيخ عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدايني شارح نهج البلاغة المتوفي سنة ٦٥٥هـ، والنسخة بخطه وعليها تملك محمد بن العلقمي عند الشيخ السماوي وعليها تقريظات (١١) بيتًا لقطب الدين ابن الأقساسي[٢].

أما أين توضع تلك التقاريظ في الكتاب، فنجد في الكتب المتقدّمة قد وضعت في آخر الكتاب، وكذلك يشار إليها في التراجم. فالطهراني في الذريعة يقول حول كتاب المنتخب في تواريخ أحوال المعصومين ومصائبهم: «وعلى ظهر النسخة تقريض الميرزا محمد الهمداني «الدمعة الساكبة» نثرًا ونظمًا في ستة عشر بيتًا، قرضه في حياة المؤلف المولى الحاج باقر الدهشتي الذي توفي ١٢٨٥هـ»[٣]. ونجد في مخطوطة كتاب كشف اللبس عن حديث وضع اليد على الرأس للشيخ محمد عبدالحي عبدالكبير الكتاني (١٣٠٢ ١٣٨٢هـ) جاء فيه تقريض (بالضاد كما كتبت في المخطوطة) للشيخ محمد علي السلاوي (١٢٨٥ ١٣٦٥) والذي ورد في ص٥٥ ولم يشر له في الفهرس[٤]. وأيضًا مخطوطة كتاب الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية تأليف:

---

(١) أحمد بن يحيى بن أحمد الضّبي. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. تحقيق إبراهيم الأنباري. ص٧٧، ج١، ط ١٤١٠ ١٩٨٩ . دارالكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت.

(٢) آقا بزرك الطهراني. ذيل كشف الظنون لآغا بزرك الطهراني ص٩٠.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة للطهراني، ج٢٢، ص٤١٩.

(٤) موقع خزانة بني مالك على الإنترنت.

الشيخ أحمد بن العياشي سكيرج التجاني المغربي المالكي المتوفي سنة ١٣٦٣هـ وعليه أبيات تقريظ في آخره لعبد السلام المحب(١).

أما السنوات المتأخرة، فقد أصبح التقريظ يوضع في بداية الكتاب ويعرّف في العادة من قبل المؤلف ويكتب في تذييل التقريظ اسم المقرظ وتاريخه.

ملامح التطوير والتغيير:

كما تغيرت وتطورت مقدمات المؤلفين لكتبهم، كذلك تطورت وتغيرت طريقة تقاريظ الآخرين لمؤلفات غيرهم. ففي مقدمات المؤلفين لكتبهم في السابق، كانوا يبتدئون بالحمد والثناء لله عز وجل، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وعادة ما تكون عبارات قصيرة، وتكون مقفّاة بين مقطع وآخر. ثم يبدأ المؤلف بتعريف نفسه، أو بالعكس، ويبدأ بعدها بتعريف الكتاب ومنهجيته في تأليفه وفصوله وأقسامه. فنقرأ مثلًا في مقدمة كتاب: الرسالة في فقه الإمام مالك للقيرواني المتوفي سنة ٣٨٦هـ يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني رضي الله عنه وأرضاه. الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصوره في الأرحام بحكمته، وأبرزه إلى رفقه، وما يسّره له من رزقه... أما بعد: أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة»(٢).

أما الآن فما عاد هذا الأسلوب مستخدمًا، فلا الكلام أصبح مقفى، ولا يذكر المؤلف اسمه بهذا الشكل، بل يدخل في فكرة الموضوع مباشرة ويشرح منهجه وفصول كتابه.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) محمد بن أبي زيد القيرواني. الرسالة في فقه الإمام مالك. ص٥. ضبطه وصححه الشيخ عبدالوارث محمد علي. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

والتقاريظ أو التقديمات التي تكتب لكتب الآخرين أيضًا نالَهَا حظٌّ من التغيير في الشكل والمضمون، وفي جميع أنواع التقريظ. وهي:

أ التقريظ (التقريض) الشعري:

ثمة أمور يجدر الإشارة إليها هنا في هذا النوع من التقريظ من أهمها:

أولًا: من حيث المضمون.

١ـ الانتقال من العموم إلى الخصوص:

كان التقريض الشعري يهتم بالثناء بشكل عام دون الإشارة إلى اسم الكتاب أو مؤلفه كما مرّ في قول الشاعر: «وافى كتابك». وقوله: «وقصيدة». ولربما كان سبب هذه العمومية لأن الأبيات كتبت شخصية بين الشاعر والمؤلف، وكلاهما يعرف المعني بالإشارة والكلام، أو لعلّ المقرّظ يشير للمعني في حاشية الأبيات مثلًا. وبعد ذلك بدأت كتابة اسم الكتاب المقرَّظ كما مرّ بنا في قول الشاعر: «علمًا مضى فيه (الدفاتر) تخبر».

٢ـ ذكر اسم الكتاب والكاتب:

قد يشير بعضهم إلى اسم الكتاب أو الكاتب مباشرة أو يلمح لهما، أو يذكر أحدهما فقط. فنقرأ تقاريظ رحلة البلوي مثلًا وهو أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي (٧١٣ ٧٦٨هـ) وكتابه (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) ومنها:

تقريظ القاضي الشيخ أبو القاسم بن سلمون الكناني (٦٨٨ ٧٦٧هـ) يقول[١]:

يا روضة من جنان الخلد يانعةً   أتى بها (خالدٌ) تندى أزاهرها

---

(١) سالم رافع العرادي البلوي. إسهامات قبيلة بلي في التاريخ والرحلة والعوم الأخرى.

تحوي غرائب من شعر ومن أدب ومـن علوم بانت سرائرها[(١)]
فيا لها (رحلة) أو حلية بهرت لأهل فضل بهم جلّت مفاخرها

فنجده هنا أشار للمؤلف وألمح إلى موضوع الكتاب ولم يذكر اسم الكتاب الفعلي، وهذا طبعًا يحكمه الوزن فقد لا يستطيع الشاعر أن يكتب اسم الكتاب كاملًا في البيت الشعري فيختار كلمة من عنوان الكتاب أو مضمونه الرئيس ليشير إليه. بينما نجد الشيخ أبو جعفر أحمد بن زرقاله يقول[(٢)]:

وشيت (التاجَ) يا تج المعالي فجلّ على المفارق والـرؤوسِ
رقمت جهاته ورشـقـت فيها بمسك الخبر كافور الطروس
فلم أرَ قبله في الطرس تاجًا يُـرصـع عـاجُـه بـالأبـنـوس

أشار هنا إلى بداية عنوان الكتاب كاختصار، ولم يشر إلى اسم المؤلف.

الأمر نفسه نجده في التقاريظ المتأخرة مع محاولة التركيز على الاثنين معًا.

٣ـ الحديث حول فكرة الكتاب:

يحاول الشاعر المقرِّظ أن يكتب أبياته حول فكرة تتناول موضوع الكتاب حتى يسهل عليه الولوج في ذكر الكتاب ومؤلفه. فنجد الشيخ حسن الصفار في تقريظه لكتاب (لوعة الحزين)[(٣)]، والذي يضم بين دفتيه قصائد رثاء في الإمام الحسين ﷺ وأحداث كربلاء الأليمة، يبدأ أبياته بالحديث حول كربلاء والحسين ﷺ فيقول:

يا حسينَ الخلودِ هذي القوافي باكياتٌ ترثيك يا بن النبيِ
وتُـنـادي بنهضةٍ أحييت الدّيـ ـنَ ودكّـت عُـروشَ آلِ أميي
حيث شادوا الضلالَ في كلِّ فجٍ وأبـاحـوا لـكـلِ فـسـقٍ وغي

(١) البيت مكسور ولعلّه: «ومن معالم قد بانت سرائرها» أو «ومن علوم هدى بانت سرائرها». والله أعلم.
(٢) سالم رافع العرادي البلوي. إسهامات قبيلة بلي في التاريخ والرحلة والعوم الأخرى.
(٣) للخطيب ملا عبدالمحسن النصر. ت١٤١١هـ.

فغدا الدينُ منهمُ في انكسارِ   ليسَ إلا الحسينُ شبلُ علي

ثم يبدأ بذكر اسم الكتاب والتعريف بالشاعر وإن لم يذكر اسمه، وهذا كما أشرنا يحكمه الوزن في أغلب الأحيان.

وأتت (لوعةُ الحزينِ) تُعزّي الـ   ـمصطفى بابنه بشعرٍ شجي[1]

وهكذا نجد الشعراء يتفننون في هذا الأدب بالإشارة إلى فكرة تمكنهم من الإشارة والإشادة بالكتاب أو المؤلف أو كليهما.

ثانيًا: من حيث الشكل:

عدة أمور يمكن الإشارة إليها هنا طرأت على قصيدة التقريظ ومنها:

١ـ طول القصيدة:

نظرًا لوجود فكرة تدور حول موضوع الكتاب، فإن هذا قد يستدعي من الشاعر الإطالة في الأبيات. فنجد الشيخ سعيد أبو المكارم[2] في تقريظ كتاب أخيه[3] (الصلوات في الإسلام) يكتب تقريظه في أبيات تدور حول الصلاة ومكانتها في الإسلام، في قصيدة تصل إلى ٥٢ بيتًا، يقول فيها:

إن الـصـلاة هـي فـرضٌ لمن   فـاق بـروح طـيـبٍ أنـورِ

---

(١) عبدالمحسن النصر، لوعة الحزين في مراثي آل ياسين، ج٢، ص١١، ط١٣٩٤هـ (مطبعة الغري الحديثة النجف).

(٢) العلامة الشيخ سعيد بن العلامة الحجة الشيخ علي أبو المكارم. عالم دين، وخطيب بارع، له تميز وصيت في التجديد. درس العلوم الدينية في القطيف وفي حوزة النجف الأشرف. له مكتبة ضخمة تعد الأكبر في المنطقة، وتعكس ثقافته الواسعة واهتمامه بالعلم والمعرفة. شاعر ومؤلف له: أعلام العوامية، ورباعيات القرن العشرين وغيرهما. ولد في العوامية سنة ١٣٥١هـ.

(٣) الحاج عبدالقادر بن العلامة الحجة الشيخ علي أبو المكارم. ولد في العوامية سنة ١٣٦٢هـ. عرف بخصاله الحميدة، وطيب معشره، وخدمته للدين والمجتمع. له مكتبة كبيرة تنم عن اهتمامه بالفكر والمعرفة. ساهم في نشر الثقافة والوعي في المجتمع. له من المؤلفات الصلوات في الإسلام، وموسوعة المدائح المحمدية، وغيرهما.

يتركها الكافر، والمؤمنُ الـ ـبرِ بها في الناسِ لم يكفر
لذاك (عبدالقادرِ) المجتبى قام مُذكّرًا بها فانظر

٢ـ التأريخ:

بدأ الشعراء يستخدمون عبارات تشير إلى تاريخ تأليف الكتاب، أو سنة الطباعة. ومنها ما نجده في القصيدة التي أشرنا لها سابقًا لأبي المكارم، في تقريظ كتاب (الصلوات في الإسلام) يقول:

إن الصلاةَ لكَ أرّختُ كي (تنهى عن الفحشاء والمنكر)[1]
١٣٨٣هـ

بل إن البعض يطلب ذلك من المقرّظ كما نجد مؤلف كتاب (الأسرار الفاطمية) مثلًا وهو الشيخ محمد فاضل المسعودي يقول: تزيينًا لكتابنا وتبيينًا لعام الطبع طلبنا من الخطيب سماحة الشيخ محمد سعيد المنصوري حفظه الله ورعاه أن يتفضل علينا بتوشيح لكتابنا الأسرار الفاطمية وتأريخ يعرّف به زمان طبعه فاستجاب لنا سماحته بهذه المقطوعة... نأخذ منها:

وهذا كتابٌ في سليلةِ (أحمدٍ) ومَنْ ذِكرُها الذكرُ الجَميلُ المُشرِّفُ
بهِ قَد جَلى بالبحثِ عَن كلّ غامضٍ وعرّف عمّا فيهِ حارَ المعُرِّفُ

إلى أن يقول:

فيا نِعمَ ما دبجّت يا نجل فاضل بِمَن قد أتى فيها من الله مصحفُ
غدًا سوفَ يأتيك الجزاءُ مضاعفًا فأرخه «أن نعم التقى والتعففُ»
١٤١٩هـ

---

(١) عبدالقادر أبو المكارم. الصلوات في الإسلام، ص٣١، الطبعة العاشرة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، (مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان).

وهذا التأريخ عادة، إن لم يكن دائمًا، يكون آخر بيت في القصيدة.

٣ـ التخميس:

والتخميس في الشعر هو أن يكتب الشاعر ثلاثة أشطر لكل بيت يريد تخميسه، وتكون الأشطر الثلاثة على نفس قافية الشطر الأول من البيت المراد تخميسه، ويدور حول فكرة البيت الأصل. وهذا الفن واكب أدب التقريظ كما نجد في كتاب (مدايح المعصومين) للميرزا غافل الأديب الشهير الذرفولي، وقد قرّظه معاصره الأديب المولى كوكب الذرفولي، ثم خمّس التقريظ السيد خائف الموسوي الذرفولي وكلهم في الحائر في العشر الثاني بعد الثلاثمائة والألف[١].

ب التقريظ النثري:

وهنا أمور يجدر الإشارة إليها في هذا النوع من التقريظ من أهمها:

أولًا: من حيث المضمون.

١ـ الغاء القافية والديباجة:

كان نص التقريظ كما رأينا في بعض النماذج الآنفة الذكر يكتب مقفى، سيما في الاستهلال بالحمد والثناء لله عز وجل والصلاة على نبيه ﷺ، والبعض يستمر في تقفيته لنصه إلى آخر التقريظ، بينما لا نجد هذا النمط الآن، فتجد المقدِّم يدخل مباشرة في صلب حديثه وفكرته كما نجد في تقديم السيد الأمين[٢] لموسوعة أحاديث الصفار فيقول مباشرة: «أعترف في بداية هذه الكلمة أنني لن أتمكن من إنصاف الشيخ حسن الصفار باحثًا ومفكرًا وأديبًا محدثًا، فذلك يقتضي أضعاف المساحة المخصصة

(١) آقا بزرك الطهراني. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. ج٢٠، ص٢٤٤.

(٢) العلامة السيد محمد حسن الأمين. ولد في لبنان سنة ١٣١٦هـ، شغل منصب القضاء في صور وصيدا، ومستشار في المحكمة العليا. شاعر ومؤلف، له: الاجتماع العربي الإسلامي ونقد العلمنة والفكر الديني، وغيرهما.

لهذه الكلمة بمناسبة صدور الجزء الرابع من موسوعته (أحاديث في الدين والثقافة والاجتاع)»[١]، ونجد كذلك تقديم السيد هاني فحص[٢] لنفس الموسوعة في جزئها العاشر يبتدئ بقوله: «أنا على قناعة قد لا تكون موضوعية بأن سماحة الشيخ حسن الصفار البسيط أو المتبسط أو المتباسط جدًا ولغاية نبيلة هو رجل إشكالي جدًا.. وإشكاليته تشكّل جاذبًا لأصدقائه نحو المزيد من الصداقة، ولخصومه نحو الأقل من الخصومة»[٣].

٢ـ إعطاء رؤية حول موضوع الكتاب:

كان التقريظ يهدف إلى الإشادة والثناء على الكتاب والكاتب، لكن الأمر تغير وتطور فيما بعد إلى أكثر من كونه مجرد تقريظ شأنه شأن القريض، إلى ما يمكن أن نطلق عليه تقديم أو مقدمة، قد تغني المؤلف في بعض الأحيان عن كتابة مقدمة لكتابه، وتعطي فكرة واضحة عن موضوع الكتاب، وتعريفه للآخرين. وهذا يكثر عند كثير من المقرظين. فنجد الشيخ الصفار حين تقديمه للصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين ﵇، يعطي فكرة حول أدب التخاطب مع الله تعالى، وكيف يكون، وأنه تعالى لا يحتاج إلى بوّاب يأذن بدخول هذا لمخاطبته ويرفض ذاك، بابه مفتوح للجميع، على خلاف أصحاب الجاه والسلطة. يقول: «التخاطب مع أصحاب القوة والسلطة في المجتمع ليس أمرًا ميسورًا لكل أحد، حيث تحيط بهم فئة محدودة من ذويهم وأعوانهم وأهل القدرة والجاه لديهم، بينما يتعذر على الأشخاص العاديين الاقتراب

(١) حسن موسى الصفار. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، ج٤، ص٧، الطبعة الأولى١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤، (مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان).

(٢) العلامة السيد هاني فحص. ولد في لبنان سنة ١٩٤٦م. عضو المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، له أدوار اجتماعية وسياسية. أديب ومؤلف، له: الحوار في فضاء التوحيد والوحدة، والشيعة والدولة في لبنان، وغيرهما.

(٣) حسن موسى الصفار. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، ج١٠، ص٧، الطبعة الأولى٢٠١١، (أطياف، القطيف المملكة العربية السعودية).

منهم والتخاطب معهم. لكن أبواب الاقتراب والتخاطب مع خالق الكون، والمهيمن على كل قدرة وقوة فيه، مشرعة مفتوحة أمام جميع الخلق، كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم. حيث لا حواجز تحول بين الإنسان وربه، ولا حجب تمنعه عن التقدم إليه. بل إن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده للاقتراب منه، والتخاطب معه، ويرغّبهم في ذلك، ويشجعهم عليه»(١). وهكذا يستمر في حديثه حول الدعاء ومناجاة الله عز وجل، حتى يدخل في موضوع المادة التي بين يديه فيعرّف بأدعية الإمام زين العابدين ﷺ والتي يصفها بأنها «صحائف ثمينة، وكنز علم ومعرفة، ومدرسة تربية وإصلاح»(٢).

٣ـ دراسة معمقة:

يميل بعض المقرظين إلى توظيف فكره وجهده عند كتابة تقديم لكتاب. تقديم كما أشرنا قد يغني المؤلف عن كتابة مقدمة لكتابه، نظرًا لاستيفاء مقدم الكتاب للموضوع، بل قد تكون متممة للكتاب وجزءًا منه. فعلى سبيل المثال مقدمة عبدالله عبدالجبار(٣) لكتاب السحرتي(٤) (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث)، التي جاءت مطولة في حدود ٥٣ صفحة، كتب فيها دراسة مفصلة عن حياة المؤلف الشخصية والأدبية، وحول الفترة الأدبية التي عاش فيها المؤلف، والمدارس الأدبية في تلك الفترة، وتأثر المؤلف بها. وهي بحق دراسة عميقة تستحق أن تكون كتابًا مستقلًا لما بها من معلومات قيّمة وشواهد وتجارب. معتمدًا في دراسته كذلك على ٢٣ مصدرًا. ومن يطلع على الكتاب

---

(١) الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ، صحيفة زين العابدين، ص١١ ١٢، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، (أطياف، القطيف المملكة العربية السعودية).

(٢) المصدر السابق، ص١٧.

(٣) أديب وناقد ومسرحي سعودي، (١٩١٩ـ٢٠١١م). الأمين العام السابق لرابطة الأدب الحديث بمصر. له من المؤلفات: التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية، وغيره.

(٤) مصطفى عبدالله السحرتي، (١٩٠٢ـ ١٩٨٣م). شاعر مصري، له: أزهار الذكرى ودنيا الخيال وغيرهما.

الذي جمع مقدماته يراه يميل إلى التوسع فيما يكتب، حتى لو كانت المقدمة في خمس صفحات أو أكثر بقليل فهو يسهب في تفصيل المعلومات ويقدِّم المؤلف بالإشارة إلى مواطن القوة لديه والتأثر والفكر والجهد، ويكثر من الاستشهاد بالنصوص للكاتب سيما إذا كان شاعرًا، كما نجد له أيضًا دراسة أخرى جميلة حول إبراهيم هاشم فلالي وديوانه (طيور الأبابيل)[١].

ويميل الدكتور الفضلي[٢] إلى هذا الأسلوب أيضًا. ففي كتاب الصفار (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) التي جمع الصفار فيها خطب الجمعة وبعض مشاركاته في المؤتمرات، تناول الفضلي فيها هذه الظاهرة الأدبية من جمع الخطب والمحاضرات والتي يعبّر عنها بقوله: «ظاهرة ثقافية عربية وجدت مع بدايات التأليف العربي، ومشت تشكل لونًا من ألوانه المختلفة، وتتغير كلما اقتضت عوامل وظروف التطور ذلك، شأنها في هذا شأن الأنماط الأخرى للتأليف في بيئتنا الثقافية العربية. هذه الظاهرة هي التي كانت تعرف عند بداية النشأة بـ(الأمالي) جمع إملاء ـ» ثم بدأ بتعريف هذه الظاهرة الأدبية وكيف بدأت، وأشهر من كتب فيها، وكيف تطورت وتغير مسماها، وكيف واكبت العصر الحديث والتقنية الحديثة، معرّجًا بعد ذلك على صاحب المؤلَّف الذي يقدّم له[٣].

٤ـ الإشادة والإشارة إلى محاسن الكتاب والكاتب:

كان المدح والثناء في التقاريظ السابقة يكتب بشكل فضفاض وبدون دلالة مما

(١) محمد سعيد طيب وعبدالله فراج الشريف. المجموعة الكاملة للمفكر والأديب الناقد الأستاذ عبدالله عبدالجبار. ج٥، ط١٤٢٩هـ (دار الفرقان، الرياض المملكة العربية السعودية).

(٢) العلامة الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي. ولد سنة ١٣٥٤هـ بالبصرة، ودرس في حوزة النجف إلى مرحلة البحث الخارج. حصل على الدكتوراة في النحو والصرف من جامعة القاهرة. درّس في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة. له يد بيضاء في نشر العلم والثقافة في المنطقة، له عدة دراسات ومؤلفات ومناهج تدرّس في الحوزات العلمية. توفي سنة ١٤٣٤هـ.

(٣) حسن موسى الصفار. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع. الشيخ حسن الصفار. ج١، ص٥، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، (مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان).

يؤخذ عليه المبالغة وإن كان صحيحًا. إلا أننا نجد في العهد الحديث اكتفاء المقرظ بالإشارة إلى مزايا الكتاب أو الكاتب أو كليهما مع الدلائل. فنجد مثلًا تقديم الدكتور المظفر[١] لكتاب الصفار الآنف الذكر (أحاديث في الدين والثقافة والاجتاع ج٧) يشير إلى ميزة جمع المحاضرات والدروس والتي تسمى بـ (الأمالي والأحاديث)، وإلى «تصديها لمعالجة بعض القضايا العامة المطروحة على الساحة الإسلامية، بل الدولية، كقضية الطائفية المذهبية والعرقية» ثم يشيد بالدور العملي للصفار في هذا الجانب إضافة إلى الدور الكتابي والبياني. ويستمر المقدِّم (المظفر) على هذا النمط إلى نهاية تقديمه[٢]. وهكذا نجد الدكتور بحر العلوم[٣] يقدم لنفس الكتاب في جزئه التاسع، ويشير إلى ما تتميز به مؤلفات الشيخ الصفار وكتاباته، مستوحيًا تلك المزايا من كتبه التي بلغت «مئة وخمسة كتب»، كما يقول[٤].

إن الإشارة إلى المزايا والتدليل عليها يعطي مصداقية أكثر لأن القارئ يستطيع أن يتتبع ويتحقق من إشادة المقرظ للمؤلف.

ثانيًا: من حيث الشكل:

١ـ الإطالة والإيجاز

كان النص النثري يأخذ مجاله في الإطالة ليمعن في المدح والثناء على الكتاب والكاتب، وقد يحكي بعض ما يحتويه الكتاب ومضمونه. ولكن نظرًا لزيادة الوعي

---

(١) الدكتور الشيخ محمود المظفر. أستاذ في مادة القانون المدني والقانون المقارن بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

(٢) حسن موسى الصفار. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، الشيخ حسن الصفار، ج٧، الطبعة الأولى ١٤٣٠ ٢٠٠٩، (أطياف، القطيف المملكة العربية السعودية).

(٣) الدكتور السيد محمد بحر العلوم. زعيم سياسي وهو أول رئيس لمجلس الحكم العراقي ٢٠٠٣م. حصل على الدكتوراة من جامعة القاهرة. وله أكثر من خمسين مؤلفًا.

(٤) حسن موسى الصفار. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، الشيخ حسن الصفار، ج٩، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، (أطياف، القطيف المملكة العربية السعودية).

وزيادة الدراسات فقد أصبح المقرظ أو المقدم يعطي فكرة وافية حول موضوع الكتاب، وقد يعطي دراسة ضافية حول الموضوع كما أشرنا سابقًا. وتطول هذه المقدمة أو تقصر بناء على الفكرة التي يتناولها المقدّم، وقد تكون بناء على أهمية الكتاب، ولربما حسب رغبة المؤلف وطلبه.

من جهة أخرى فإن بعض المؤلفين يميلون إلى التقاريظ الصغيرة التي لا تتجاوز بضعة أسطر كي يتوج بها كتابه، وتكون لعدة أشخاص بدلًا من شخص واحد، وهذه عادة توضع على ظهر غلاف الكتاب. ويستخدم هذا النوع أيضًا في وسائل الاتصال الحديثة عبر مواقع الإنترنت، وهي أشبه بالتقاريظ التي كانت تكتب في كتب البيليوجرافيا وكتب تراجم الأعلام.

٢ـ لغة العصر:

قد أشرنا إلى عزوف الكتاب في هذا العصر عن الديباجات والكلام المنمق المقفى في النص النثري، والدخول مباشرة في الموضوع. كما أنهم يعزفون عن الكلمات التي تحتاج إلى قاموس لمعرفة معناها، أو تلك الكلمات التي اندثرت ولم تعد مستخدمة في لغة التخاطب. يشير الشيخ عبدالله اليوسف في حديثه عن أسلوب الدكتور الفضلي في تقديمه للكتب، فيقول: «امتازت تقاريظه باستخدام مفردات اللغة المعاصرة، وتقديم رؤية حول موضوع الكتاب، وإبراز محاسن ونقاط القوة في أي كتاب يقدم له، وعدم الإشارة إلى نقاط ضعفه، لأنه يحرص أشد الحرص على تشجيع الأقلام الواعدة، وتحفيز طاقات الإنسان نحو العطاء والإنتاج المعرفي والعلمي»[1].

ج التقريظ المزدوج:

يجمع بعض المقرظين في تقديمهم أو تقريظهم لكتاب ما بين النثر والشعر في

(١) الشيخ عبدالله أحمد اليوسف. فن صناعة التقريظ منهجية الدكتور الفضلي نموذجًا، ص١٠، ط١ (١٤٣٠ـ ٢٠٠٩).

نفس النص. وهذا النوع من التقاريظ قد لا يكون موجودًا الآن، وإن كان فإن ما يحظى به من تغيير وتطوير سيكون مشابهًا لأخويه السابقين. أسلوب التقريظ المزدوج راج عند البعض في فترة معينة، فنقرأ مثلًا تقريظ المفتى أحمد بن عمار الجزائري الذي كان قد كتبه لكتاب ألّفه الوزير حمودة بن عبدالعزيز التونسي وتاريخ التقريظ هو ١١٩٦هـ «وكان من عادة ابن عمار أن يمزج تقريظه النثري بأبيات من الشعر». وقد استخدم فيه أسلوبًا أدبيًا يقول فيه: «نحمدك اللهم يا واجب الوجود، ولا واجب لذاته إلا أنت، ونشكرك يا خالق العالم بالاختيار ومقتضي الحكمة والرحمة والجود، إذ كنت في أزلك ولا عقول ولا نفوس ولا اصطقصات وأنت الآن على ما عليه كنت... ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدًا عبدك ورسولك الذي فتقت رتق الكائنات من نوره، ورتبت ظهورها على ظهوره، وأدرت المملكة على قطبه ولها به زِنْت... أما بعد، فقد أطلعني الفاضل النحرير صاحب القلم الأعلى والقدح المعلى في التحبير والتحرير زين الوزراء والكتّاب، وروض الرائد الأنف ونجعة المنتاب، والنبيه النظار... على الرسالة المحبرة، المنقحة المحررة... وعندما خرّ طرفي لملاحتها راكعًا، وكرّ عن ملاحتها راجعًا... ورفعت عقيرتي مقرظًا لمحاسنها ومادحًا، وعلى أغصان روض اجادتها الغناء ومجادتها الغراء صادحًا، بقولي:

شمسٌ تجلت فما أسنى تجليها ... لاحت على غرة الدنيا تُحليها
أبـدت مطالعها أسنى طوالعها ... من أين للشمس تُجلي في مجاليها

وبعد أن يكمل أبياته يعود مجددًا للنثر ويقول: «إيه، أيها الساري ولا رفيق إلا التوفيق، ويا أيها الشاري خذ أحرار النفوس، فكلٌ لذاك الطبع الرقيق رقيق، هكذا هكذا، وفي عين الشاني القذا. ويختمها بذكر اسمه: أقل الخلائق أحمد بن عمار لطف الله به. بتاريخ أواسط صفر الخير من شهور سنة ستة وتسعين ومائة وألف»[1].

(١) د. أبو القاسم سعد الله. تقريظ للمفتى ابن عمار ظروفه ونصه. موقع مجمع اللغة العربية الأردنية.

وهكذا تعددت نماذج التقديم وما عادت كما هي السابق وكأنها قالب جاهز يختلف محتواه وطعمه.

من يُقدِّم الكتاب أو يقرظه؟

إن من يكتب التقريظ أو التقديم للكتب عادة يكون شخصًا له مكانته العلمية أو الفكرية أو الثقافية أو الأدبية في المجتمع. فهو شخص له باعه في الكتابة والتأليف، لأن هناك من العلماء من لا يمتهن الكتابة وبالتالي فقد لا يميل إلى كتابة تقديم، وقد لا يتوجه له مؤلف بكتابه لمعرفته بأنه غير مهتم بالكتابة. ولهذا تجد بعض الشخصيات البارزة يكثر ارتياد المؤلفين عليها لطلب التقديم لكتبهم وتعريفها للأوساط التي ينتمون إليها.

وهذه الشخصيات البارزة من مختلف التوجهات تكتب بالأشكال التي ذكرناها سابقًا، حسب الزمان والظرف التي تعيش فيه، وما تتطلبه لغة العصر.

وهناك أشاخص آخرون يكتبون تقديمًا وتقريظًا للكتب وليس مهمًا أن يكونوا من شريحة العلماء أو الشخصيات البارزة، ولكنهم أشخاص مهتمون بالتراث ومراجعة النسخ المختلفة للكتاب وتتبعها وضبطها، وهم من يطلق عليهم محققوا الكتب.

تقديم محقق الكتاب:

يقوم المحقق بجهد كبير في مراجعة الكتاب وتتبع نسخه. وقد يكون نسق التقديم هنا متشابه نوعًا ما في أكثره عند المحققين، فهو يشمل ترجمة للمؤلف وتعريف بالكتاب، ومنهجية التحقيق، وفكرة عن مخطوطات الكتاب المحقق وأماكن تواجدها والاختلاف الذي بين نسخة وأخرى، وغير ذلك. فالشيخ زهير شاويش[1] الذي عني بتحقيق التراث ونشره بحكم عمله وتأسيسه للمكتب الإسلامي للطباعة والنشر، حيث

(١) العلامة الشيخ محمد زهير الشاويش، (١٣٤٤ـ١٤٣٤هـ). صاحب ومؤسس المكتب الإسلامي للطباعة، علم من أعلام الدعوة السلفية في العصر الحديث، له قصب السبق في نشر التراث العلمي وتحقيقه ... ومن رواد العصر جمعًا للمخطوطات ونوادر الكتب، حتى كون مكتبته من أكبر المكتبات الشخصية.

قدّم للكثير من الكتب حتى جمع مقدماته هذه في ثلاثة مجلدات ضخمة يقول عن طريقته في التقديم: «وقد انتهجت مسلكًا قلّ أن قاربه غيري، مِن سبق كل كتاب بتقديم مجمل للتعريف به، وعرض لموضوعاته، وما فيه من أبحاث، وتلخيص ما فيه من علوم ومعرفة. وأحيانًا نقده عند الضرورة ببيان ما نرى فيه من مأخذ عليه.

ثم التعريف بمؤلفه بإعطاء ترجمة له، وإن لم تكن شاملة، فإنها كافية نافعة للذين ليس لهم شهرة. بل وأدخلت في بعضها ما أعرف أنا شخصيًا عنهم... وأحيانًا أضيف في الكتاب أو التعليقات عليه، أو التراجم.. أمورًا أحببت أن أذكرها وأقدمها للقارئ الكريم، عارضًا وجهة نظري من غير إلزام برأي لأحد وهذا بطبيعة الأشياء قابل للأخذ والرد. ثم يقول: وهذه المقدمات لم أسلك فيها منهجًا واحدًا لأسباب متعددة، وقد توسعت في بعضها حتى تجاوزت العشرين صفحة... وبعض هذه المقدمات كانت صغيرة جدًا، قد لا تتجاوز الصفحة الواحدة»[(١)]. أما السيد الموسوي[(٢)] فيختصر منهجه بقوله: «لما استجبت لطلب إدارة مكتبة الروضة الحيدرية في اعادة ما كتبته من مقدمات لبعض الكتب التراثية مجموعة ربما خرجت في جزئين، فهي إذن صارت كتابًا مؤلفًا وله مؤلف يقتضي التعريف به، ولابدّ في إصدارها من كتابة مقدمة، فلتكن المقدمة على نهج ما في تلك المقدمات من تعريف المؤلِّف والمؤلَّف»[(٣)].

الغاية من التقريظ والتقديم:

١ـ بيان أهمية الكتاب والكاتب:

---

(١) زهير شاويش. المقدمات لمطبوعات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. ص١١٧، ج١، ط١ سنة ١٤١٤هـ١٩٩٣م، (المكتب الإسلامي).

(٢) العلامة السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخراسان. ولد في النجف ١٣٤٧هـ. له من المؤلفات: غريب القرآن ورسالة في الشورى وغيرهما.

(٣) موقع الروضة الحيدرية على شبكة الانترنت. ترجمة العلامة السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخراسان. كتبها بنفسه.

التقديم للكتاب يعني تعريفه للآخرين، وتقريظه يعني نعته ومدحه، وهذا يبين قيمة الكتاب، وعلى الأخص إذا أشار المقدم أو المقرظ إلى نقاط القوة في الكتاب حتى يستطيع القارئ الوثوق بنعت المقرظ، ويتحفّز لقراءة الكتاب، وإذا ما أعجبه الكتاب وأسلوب المؤلف، فإنه سيجدّ في البحث عن مؤلفات أخرى له. ويرى البعض بأن تقديم الكاتب الناشئ مهم جدًا لتعريف الأوساط العلمية والأدبية والفكرية به، كما أشار إلى ذلك الكاتب المصري حسام مصطفى إبراهيم الذي قدّم له الأديب بلال فضل كتابه «يوميات مدرس في الأرياف»، فهو يرى أهمية ذلك ويقول: «إن الكاتب الشاب قد يكون مجهولًا للجمهور الأدبي، لكن بمجرد أن يعرفوا أن كاتبًا كبيرًا قدّم للكتاب يقبلون عليه»[١].

٢ـ التغني بأمجاد الماضي:

قد يذهب البعض إلى هذا الجانب، ويرون في التقريظ مدحًا مبالغًا فيه لا لمكانة الكتاب والمؤلف العلمية وإنما للتغني بأمجاد الماضي. لكن هذا نوع من الإجحاف، فكتب السابقين مهما كان فيها من النقص إلا أنها كتب تأسيسية لها دورها في هذا الجانب، وطبيعة العلوم تتطور مع تطور الحياة والناس ومدى إدراكهم. هذا فضلًا عن كتب قديمة لا تزال تحتل الصدارة على كتب حديثة لما فيها من العلوم والمعارف. ويرى العسيري بأن التقريظ «لا للإطراء ذاته كما يتوهم البعض ولا لعين الرضا وحدها عن هذا الكتاب أو ذاك المؤلف، بل للفت أنظار عشاق العلم والمعرفة إلى أهمية تلك النفائس وبيان جهود أصحابها في تصنيفها وما أفنوه من أعمار وطاقات لتصلنا بالشكل الذي هي عليه»[٢].

٣ـ العناية بالتراث العلمي:

البحث عن نفائس الكتب من بطون التراث يعتبر وعيًا متقدمًا، فهو يرمي إلى زيادة

(١) مقدمات الكتب.. مجاملات ولا؟ تحقيق جريدة عين المشاهير. (١٨/ ٣/ ٢٠١٢).

(٢) محمد بن عامر العيسري. فن التقريظ في التراث العماني. ملحق الوطن العمانية أشرعة ٢١ ربيع الآخر ١٤٣١هـ الموافق ٦ ابريل ٢٠١٠م.

الوعي والمعرفة وانتقالها جيلًا بعد جيل. ولأن هناك من لا يعرف قيمة هذا الكتاب، ولا يعرف مكانة المؤلف العلمية أو الفكرية فيأتي المقرظ ليبين المكانة العلمية للكتاب والكاتب على حدٍ سواء، ويخرجهما من عالم المقبورين إلى عالم الأحياء، ومن عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات. «فلا نبالغ إذا قلنا إن التقريظ ذاته شكل من أشكال العناية بالتراث العلمي، إذ لا ينشد المقرظ أبياته المفعمة بالثناء عِلى الكتاب ومصنفه إلا بعد أن يكون قد خبره قراءة وفهمًا»[1].

٤ـ تواصل بين الأجيال:

إذا كان الكتاب قديمًا وتم البحث عنه، وتحقيقه وتدقيقه، فإنه يحتاج إلى من يعرّفه ويقدمه لجيل آخر بينه وبين جيل المؤلف زمنٌ طويلٌ. هذا ما يشير إليه الأديب المصري مكاوي سعيد الذي يؤيد تقديم الكتب التي ترقى للمستوى المطلوب مشيرًا إلى أنها تصل أجيالًا بأجيال، مثلما كان يفعل قديمًا طه حسين ويحيى حقي وعباس عقاد[2].

٥ـ تشجيع ودعم الإبداع والأقلام الواعدة:

لا شك أن في كلمات المقدم وما يحتويه من ثناء ومواطن إعجاب بالكتاب والكاتب ما يثير همة المؤلف، ويحثه على مواصلة الدرب، وهو في نفس الوقت يستحث همم الآخرين للسير على نفس الدرب. ويذهب إلى هذه الغاية أيضًا الأديب المصري إبراهيم داوود الذي يقبل بتقديم كتب خارج تخصصه، وإن كانت متوسطة المستوى، وذلك من أجل «إشاعة المناخ الإبداعي في الوسط الثقافي، ولتوسيع دائرة الكتابة»[3]. ويشير اليوسف في كتابه عن منهجية الفضلي في التقديم: «وعندما نقرأ في تقديمات الدكتور الفضلي نكتشف بوضوح تشجيعه للكاتب أيًا كان تخصصه ومكانته

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) مقدمات الكتب.. مجاملات ولا؟ تحقيق جريدة عين المشاهير.

(٣) نفس المصدر السابق.

بما يسبغه عليه من عبارات الثناء والتقدير، وإبراز مميزات الكتاب وخصائصه، وعدم الإشارة إلى نقاط الضعف التي قد لا تخلو من أي كتاب»[١].

٦ـ تسويق الكتاب تجاريًا:

لعلّ هذه الغاية أكبر إشكالية تواجه أدب التقريظ والتقديم للكتب. فالقارئ قد يجهل المؤلف، ولا يعرف قيمة الكتاب، وحين يرى شخصًا معروفًا قد قدّم وقرظ الكتاب فإنه سيثق به، ويقرأ الكتاب، وفي النهاية قد يجد المقرظ على حق، وقد يجده مجرد كلام تسويقي للكتاب. وهذا بلا شك يعتمد على هدف المقرظ للكتاب وأمانته، وعلى غاية المؤلف من طلب التقريظ ووضعه. ويجدر بنا أن نشير إلى الأمور التالية:

أـ وضع اسم المقرظ في الغلاف.

قد يرى البعض أن وضع اسم المقرظ في الكتاب تشريفًا للكتاب وتقديرًا لشخص المقرظ، فهو في العادة يكون شخصًا ذا مكانة علمية أو أدبية أو فكرية. لكن بعضهم يشير إلى أن هذا جانبًا دعائيًا في كثير من الكتب كما يقول الدكتور رفيق يونس المصري: «وقد يظهر اسمه على غلاف الكتاب، أو على الصفحة الأولى منه، ويتخذ اسمه لجذب شريحة أخرى من القراء. وقد يكون الكتاب غير مستحق للتقريظ أصلًا. فهذا التقريظ الكاذب أشبه ما يكون بالدعاية الكاذبة أو الإعلان الكاذب الذي يراد منه التسويق والترويج ولو بالباطل»[٢]. ثم يشير إلى بعض حيل الترويج للكتاب عن طريق التقريظ فيقول: «ألف أحدهم رسالة علمية أرسل بها إلى أحد الأمراء، فأرسل إليه الأمير خطابًا يُعلمه فيه بتسلم الرسالة أو الكتاب لا أكثر، فحوّل صاحب الرسالة خطاب الأمير إلى خطاب تقريظ، لعله أراد بهذا أن يفرض

---

(١) الشيخ عبدالله أحمد اليوسف. فن صناعة التقريظ، ص٣٨.

(٢) د. رفيق يونس المصري. التقريظ هل يجوز بمقابل أو بغير مقابل؟ ص٤٣٠، مجلة حوار الأربعاء، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، (مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة).

شراءه على عدد من الجهات بدعوى أنه رجل مدعوم!»[١].

ومع هذا الزعم، إلا أن هناك نتائج عكسية قد تترتب على الكتاب والعزوف عنه فقط لوجود اسم المقرظ والذي قد يكون محل إشكال من قبل البعض. فالشخص كلما تقدم واشتهر وازداد عدد المعجبين به، في المقابل سيكون له أعداء أيضًا. كتب بعض الباحثين طلبًا في أحد مواقع الإنترنت يريد فيه موسوعة المدائح النبوية لمؤلفه عبدالقادر أبو المكارم. فأجابه البعض بأنه كتاب شيعي وفيه تقديم حسن الصفار! وقال آخر: «تقديم من يسمى بالصفار يزيد من شكوكنا في سلامتها عقائديًا»[٢]. فهم يرفضون الكتاب لوجود اسم أحد من قدّم للكتاب لأنهم لا يرتضونه.

ب عبارات ترويجية.

لعلّ أكثر عبارة تسهم في نشر الكتاب، وتغني عن كثير من كلمات التقريظ هي عبارة «الأكثر مبيعًا». لا شك أن هذه العبارة قد تكون صادقة لبعض الكتب، لكنها أيضًا استخدمت وسيلة للترويج، فهي تكتب على غلاف الكتاب وليس هناك حقائق تؤكد هذا الواقع، وفور ما يجد المتسوق في معارض الكتاب أو المكتبات هذه العبارة فإنها ترغّبه في الشراء، وكأن العبارة تريحه من عناء البحث عن الكتاب النافع. لذا فإن هناك من يرفض هذه العبارة، «فعضو الهيئة التدريسية في جامعة فيلادلفيا الدكتور يوسف ربابعة يقول: نحن نعرف أن القارئ شبه غائب، وأن الإنسان العربي قليلًا ما يقرأ أو يقتني الكتاب، حتى إن اشتراه، فعدد المشترين لا يساوي بالضرورة عدد القراء، ما يعني أن فكرة الكتب الأكثر مبيعًا لا تعبر عن الواقع الثقافي للمجتمع ولا عن عدد القراء الحقيقيين، ولا حتى عن حجم بيع الكتاب الأكثر مبيعا»[٣]. أما الكاتب الروائي المصري جمال الغيطاني فيقول: «إن تكريس ظاهرة الأكثر مبيعًا باعتبارها وسيلة للتقييم الأدبي

---

(١) المصدر السابق. ص ٤٣٢.

(٢) موقع الألوكة. http://goo.gl/kWVZ8

(٣) جريدة المشرق، العراق بغداد، ٢٥/ ٣/ ٢٠١٣م.http://goo.gl/OTYQx

أخطر ما تتعرض له الحياة الأدبية الآن»[١]. ويقول الكاتب الروائي المصري يوسف القعيد أيضًا: «لا أثق في أي أرقام توزيع معلنة من قبل المؤلف أو الناشر، لأن لكل منهما مصلحة في إعلان هذا الترويج الوهمي، خصوصًا في غياب مؤسسات تتحقق من انتشار التوزيع وتعلن أرقامًا دقيقة»[٢].

وبالمقابل فإن التصريح بمنع كتاب ما أو الإعلان عن منعه، يرغّب الناس في الإقبال على شرائه والبحث عنه أينما كان، لأنهم يرون أن سبب المنع قويًا يحكي الواقع، أو لأنه يخالف شيئًا مسكوت عنه أو محضور ويريدون أن يعرفوه، وقديمًا قيل (كل ممنوع مرغوب).

ج مواقع الإنترنت.

هناك مواقع متخصصة على الإنترنت لبيع الكتب، مثل: النيل والفرات والموقع الشهير أمازون (Amazon) وغيرهما. بعض هذه المواقع تتيح مجالًا لتقريظ الكتب، وهناك من تخصص في هذا الجانب، وحقق ارتفاعًا في نسب مبيعات بعض الكتب. الأمر الذي يعتبره كثير من القراء كذبًا عليهم وخداعًا لهم وتغريرًا بهم، مما حدا بموقع «أمازون» منع المؤلفين من تقريظ كتبهم، وشطب آلاف العروض من على الكتب، وذلك بعد جدل واسع حول الغاية من التقريظ، وهدف المقرظين. ففي الموقع نفسه كان أكثر عارضي الكتب بروزًا «هاريت كلاوزنر» التي لديها ٢٥ ألف عرض للكتب. وهم لا يعرفون أي القراء كيف تمكنت من قراءة هذا الكم من الكتب، وبتلك الطريقة السريعة، وأسباب ميل عروضها إلى التقريظ وبحماس. ولتطوير هذا الأمر فقد أتاحت أمازون للزبائن فرصة تقييم تلك العروض، والتعليق عليها[٣].

هذا الاعتراض من قبل القراء على تقريظ بعض الكتب هو الذي كان سببًا في توقف

(١) مجلة العربي، أبواب ثابتة «قالوا» العدد ٦٠٧، ٦/ ٢٠٠٩م.

(٢) المصدر السابق، العدد ٦١١، ١٠/ ٢٠٠٩م.

(٣) جريدة القبس تحت عنوان: أمازون: ممنوع على المؤلفين تقريظ أعمالهم. الأحد ١٥ ربيع الأول ١٤٣٤هـ ٢٧ يناير ٢٠١٣ السنة ٤١ العدد ١٤٢٤٦.

بعض المقرظين عن التقريظ للكتب كما نقرأ عن الدكتور المصري أحمد خالد توفيق الذي يقول: إن مكتبته كانت تتكدس بأكثر من ٣٠ كتابًا في مطلع كل عام. ويقول بأن «كتابة المقدمات أصبحت المجاملات هي عنوانها بشكل عام، مما أبعدها عن غرضها الأساسي، وأضاف: إن الكتب التي قدّم لها جلبت له الشتائم واللعن من القراء، فما إن يشتري قارئ كتابًا ولا يعجبه، وأكون قد قدّمته، إلا ويبدأوا في سبي أنا»[1]. لكن وليد فكري صاحب كتاب «تاريخ شكل تاني» الذي قدم له توفيق نفسه، يعارضه هذا الرأي ويقول: «المقدمات ليست ترويجية كما يقول البعض، فهي برأيي بمثابة التزام من صاحب التقديم إلى صاحب الكتاب، وليس إلى القراء، ثم إن المقدّم قد قرأ الكتاب، وبناء عليه يأتي رأيه نابعًا من القراءة، وليست المجاملة»[2].

أفكار حول كتابة التقريظ:

من جملة ما تم عرضه من نماذج ومن إشكالات، نشير هنا إلى بعض النقاط التي تفيد من جهة أو أخرى بتقريظ كتاب أو تقديمه، ومن أهمها:

١ـ إضاءات حول الكتاب:

نقطة مهمة يحتاجها القارئ حين يقرأ التقديم، فتعريف الكتاب وتسليط الضوء على فكرته الأساس يساعد القارئ ويشجعه على قراءة الكتاب. ولا بدّ هنا أن يتحرّى المقدم الأمانة فيما يكتب، فليس من المقبول أن يكتب في وادٍ، والكتاب في وادٍ آخر. إن إيضاح فكرة التقديم وربطها بالكتاب أو الكاتب أمر مهم للغاية. التقديم كما يرى الشيخ الندوي[3] «زيادة معلومات وإلقاء أضواء على موضوع الكتاب ومقاصده، وعلى حياة

---

(١) مقدمات الكتب.. مجاملات ولا؟ تحقيق جريدة عين المشاهير.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي. ولد بالهند سنة ١٣٣٢هـ وتوفي سنة ١٤٢٠هـ. له مؤلفات كثيرة منها: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، والمرتضى في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وغيرهما.

المؤلف ومكانته بين العلماء المعاصرين، وفي عصره ومصره، وعلى تكوينه العقلي ونشوته العلمي، والدوافع التي دفعته إلى التأليف في هذا الموضوع رغم وجود مكتبة واسعة في موضوعه أو مجموعة من الكتب التي ألّفت في هذا الموضوع»[١].

٢ـ نبذة عن المؤلف:

يحتاج المؤلف إلى من يقدِّمه للقراء، سيما إذا كان جديدًا في عالم التأليف. كما أن تقديم معلومات جديدة عن المؤلف حتى لو كان معروفًا فإنه يفيد القارئ، ويدعم المؤلف في نفس الوقت. فالكلام الحق هو بمثابة شهادة تزكية، والقلم الصادق لا يقبل أن يكتب غلوًا أو مجاملة أو كلامًا زائفًا. وأفضل من يكتب عن المؤلف من يكون على معرفة تامة به؛ لأنه يكتب عن علم لا خيال ولا شبهة، سيما إذا كان في ثنايا حديثه ما يدل على معرفته به. والأمر ذاته ينطبق على الكتاب، فإن التقديم له يحتاج إلى قراءة وتأمل فيه حتى يمكن للمقدم أن يعطي رأيه، ويشير الندوي إلى هذه النقطة فيقول: «ويجب أن يكون هذاالتقديم عن اندفاع وتجاوب، وتحقيقًا لرغبة نشأت في نفس المقدم بعد قراءة هذا الكتاب، تحثه على كتابة هذا التقديم وتحببها إليه وتيسرها له، بحيث إذا امتنع عنها اعتبر نفسه مقصرًا في أداء حق وإبداء مشاعر وانطباعات، وحاجة في نفس يعقوب ما قضاها، وذلك هو التقديم الطبيعي المنصف الذي له أثره وفائدته»[٢].

٣ـ دعم الكتاب والكاتب:

ودعم الكتاب لا يكون عن طريق الكلمات التسويقية الزائفة، لأن هذا يعتبر خداعًا للقراء، بل ينبغي أن يكون بتبيان أهمية الكتاب مع ذكر الأسباب لذلك، حتى يثق القارئ بكلام المقدِّم. ودعم الكاتب أيضًا يكون بما يناسب مستواه البياني لا أن يمجّد على أنه

---

(١) السيد أحمد زكريا الغوري الندوي. مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي، ج١، ص١٩، الطبعة الأولى١٤٣١هـ ٢٠١٠م، (دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق سوريا).

(٢) المصدر السابق.

الكاتب الأوحد والأبرز، فهذا غير لائق ولا مقبول.

٤ـ تشجيع الآخرين:

إن تسليط الضوء على النقاط المهمة عند الكاتب أو ما جاء في كتابه، هو بمثابة تحفيز الآخرين على أن يستفيدوا من هذه المزايا، ويكون ذلك دافعًا لهم للتحلي بها. ومتى ما كان هذا الكلام نابعًا من لسان الصدق فإنه ينفذ إلى القلب.

٥ـ طرح الأفكار والرؤى:

من قراءة الكتاب أو الاطلاع عليه، قد يستوحي المقدم فكرة يعرضها في تقديمه، يهدف منها إلى تركيزها في فكر قارئيه، وبثها في المجتمع. وقد تكون هذه الفكرة تحوي نقاطًا مهمة غائبة عن الكتاب، أو متممة له، أو استقصاء لما كتب حول موضوع الكتاب. وحتى في تعريف المؤلف يمكن للمقدم أن ينشر أهدافه ورؤاه عبر تسليط الضوء على ما يتحلّى به المؤلف من مزايا يرى المقدم أن من المناسب بثها ونشرها في أبناء المجتمع.

٦ـ عدم المبالغة في المدح والثناء:

المتاجرة بالألقاب التي تطلق على الكاتب أو الكتاب قد لا تكون محبذة في كثير من الأحيان، بل هي مرفوضة إذا كانت لا تنطبق البتة على الكتاب أو الكاتب. كما أن كلمات الثناء والمدح ينبغي أن تكون مناسبة لواقع الكتاب والكاتب لا مجرد عبارات منمقة يمكن اسقاطها على أي كتاب أو أي كاتب، كما يقول الندوي: «ولا يكون التقديم مجموع كلمات تقريظ ومدح يمكن أن يحلّى به جيد أي كتاب إذا غيّر اسمه واسم مؤلفه»[1]. وإذا شاء المقدم أن يبالغ في الوصف والحمد ليبين مكانة المؤلَف أو المؤلِّف فليعبر بما يشاء ولكن ليبرهن على كلامه. فلو قال هذا كتاب منقطع النظير،

---

(١) المصدر السابق.

فعليه أن يبين أسباب القوة فيه، وأسباب الضعف عند الكتب المماثلة له، حتى يستطيع القارئ أن يحكم على كلامه بالصحة فيقبله، أو المبالغة فيرفضه. ولنا في تقديم الدكتور الوائلي[١] مثالاً جيدًا حول انتقاء عبارات المدح وتحاشي عبارات الغلو وذلك في تقديمه لديوان (أعشاش الملائكة) للشاعر جاسم الصحيّح[٢]، فعلى سبيل المثال تراه يقول: «وكان منها التجربة الاجتماعية الناضجة المفرغة في قالب الحكم ليس بالضيق ولا الفضفاض، إلا نادرًا» وقوله: «وفي جميع هذه الجوانب يتألق التصوير وتلتمس له المفردة المعبرة والجملة المسبوكة المتينة، اللهم إلا القليل من المفردات التي قد يكون لموقعها في الجملة ومضة التمعت في ذهن الشاعر ولم يتنبه القارئ لكنهها فرأى فيها قلقًا من ناحية المكان وانفصامًا من ناحية المعنى، وهذا الأمر لا يكاد يسلم منه ديوان من الدواوين». وهو هنا يلتمس في نقده العذر للشاعر بأن الأمر قد يكون لقصور في القارئ لعدم وضوح الرؤية عنده التي ذهب إليها الشاعر، ولربما كان بسبب عدم تمكن الشاعر من ايضاح الفكرة التي يريدها، فالأمر واقع بين الاثنين الشاعر والقارئ. وهذا انصاف للطرفين.

وبالرغم من اعجابه بالشاعر وشعره إلا أنه يتحاشى المبالغة المحضة فيقول: «وبعد ذلك كله فالقارئ هنا يقرأ شاعرًا اجتمعت له من مقومات الشعر أكثرها، وهو في طريق استيعابها، وإن شئت قلت إن أهم المقومات توفرت له»[٣]. يشير إلى أن أكثر المقومات الشعرية أو أهمها توفرت للشاعر ولم يقل كلها، وإذا اطلق على قصيدة بأنها عصماء، وضع للقارئ شواهدًا منها حتى يترك له الحكم فيما إذا كان يتفق معه أو لا.

---

(١) الخطيب البارز العلامة الدكتور الشيخ أحمد بن الشيخ حسون الوائلي، (١٩٢٨ـ٢٠٠٣م). درس في حوزة النجف، وحصل على شهادة الدكتوراة من جامعة القاهرة. شاعر ومؤلف، له ديوان شعر ومؤلفات أخرى كهوية التشيع وتجاربي مع المنبر وغيرهما.

(٢) شاعر سعودي من الأحساء. ولد سنة ١٣٨٤هـ. نال شهرة واسعة، وحصل على العديد من الجوائز من مختلف الدول، له من الدواوين: رقصة عرفانية، ونحيب الأبجدية، وغيرهما.

(٣) جاسم الصّحيح. أعشاش الملائكة. تقديم العلامة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، ص١٧ ـ ٣٣، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، (دار الهادي، بيروت لبنان).

٧ـ التقييم وإبداء الرأي:

قد لا يخلو أحد من الحسنات، كما لا يخلو من السيئات. والكتاب كذلك قد يكون فيه نقاط بارزة تميزه عن غيره، وقد يكون فيه نقاط سلبية. وكما يشير المقدم إلى النقاط الحسنة في الكتاب، فعليه بالمقابل أن يشير إلى النقاط السلبية فيه، بالأسلوب الذي لا يزعج ولا يحرج صاحب الكتاب، بل يمكنّه من تصحيحها وتلافيها، وينبه القارئ إليها. يقول المصري: «إنني كما أكره التقريظ المحض أكره بالمقابل الذم المحض، فمن أراد النقد فعليه أن يبدأ ببيان الحسنات قبل السيئات. وعليه أن يتجنب الإفراط في المدح والذم، وأن يتحقق من أن الحسنات موجودة فعلًا، وكذلك السيئات أو نقاط الاختلاف. ولا شك أن ذكر الأخطاء والنواقص في النقد أو النقد الذاتي فيه حافز لتصحيح هذه الأخطاء وتدارك هذه النواقص في المستقبل، إما من الشخص نفسه أو من غيره»(١).

قد لا يقبل بعض المقدمين للكتب بهذا الكلام، لأن دورهم ليس المراجعة والتصحيح، وهذا حقهم. ولكنه ما دام سيقدم الكتاب فليطلع عليه بشكل مناسب وملائم لكي يقدمه، ولا شك أنه عبر هذه الاطلالة السريعة سوف يجد ما يميز الكتاب وما ينقصه، وهذا ما ينبغي أن يشير إليه. وإلا فمن غير المقبول أن يقدم شخص لكتاب وهو لم يقرأه ولم يطلع عليه حتى. وهذا أمر ينبغي أن يبينه المقدم في تقديمه، فيشير إلى أنه اطلع على الكتاب أو قرأه قراءة فاحصة، حتى يكون منصفًا فيما يكتب، فلا يخدع القارئ، ولا المؤلف.

٨ـ الإشارة إلى أسباب الإعجاب أو النقد:

حينما يريد المقدم أو المقرظ أن يشير إلى مزايا مؤلف أو كتاب، فعليه أن يفصح عن هذا الإعجاب بما هو مفيد ومقنع، أما أن تكون مجرد كلمات ثناء أو نقد دون دليل فهي غير مقبولة. ولنأخذ مثلًا على هذا الجانب من الشيخ الصفار في تقريظه لمؤلف

---

(١) د. رفيق يونس المصري. التقريظ هل يجوز بمقابل أو بغير مقابل؟ مجلة حوار الأربعاء، ص٤٣٣.

كتاب «الكساء في معارف الأمة الإسلامية» يقول: «يعجبني في المؤلف أمران»[١]، ثم بدأ بذكر هذين الأمرين، وبشرحهما. وكذلك نجده في تقريظه لكتاب «الآجام بين الأمس واليوم» يقول: «شعرت بكثير من الغبطة والسرور وأنا أتصفح هذا الكتاب الجميل (الآجام بين الأمس واليوم) وكان مبعث سروري وغبطتي أمران..»، ثم أشار إلى هذين الأمرين وتوضيحهما[٢].

هذا أمر مهم للغاية. فإذا أراد المقدم أن يعبر عن أهمية كتاب فليذكر أسباب ذلك، وإذا أراد أن يبين ميزة مؤلف فليشر إلى تلك المزايا التي تميزه عن غيره. إن الكلمات الفضفاضة التي كان يحلى بها بعض الكتب أو بعض المؤلفين كقول: هذا كتاب قيم لا يوجد له مثيل في المكتبات، ومؤلفه الأوحد في زمانه، الأورع في عصره ومصره، وهو الذي لا يشق له غبار. عبارات كهذه تحتاج إلى دليل وإلى نماذج وشواهد، أما اطلاقها هكذا فهي لم تعد مقبولة في عصرنا الحالي.

الهدف من جمع المقدمات:

هناك كثير من الأعلام البارزين في الدين أو الثقافة أو الأدب أو التحقيق، كتبوا كثيرًا من المقدمات للكتب، ومن ثم جمعوها في كتاب واحد، ومنهم على سبيل المثال:

- أبو الحسن الندوي الذي جمعت مقدماته في كتاب تحت عنوان: مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي. وهو في جزئين.
- زهير شاويش. الذي جمع مقدماته في كتاب تحت عنوان: المقدمات. وهو في ثلاثة أجزاء.

---

(١) تقديم كتاب الكساء في معارف الأمة الإسلامية. عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم. من ص١١ ١٣. الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م، (دار العلوم، بيروت لبنان).

(٢) تقديم كتاب الآجام بين الأمس واليوم. وجدي عبدالعظيم آل مبارك، من ص٥ ٦، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (مطبعة البيان العربي، القطيف السعودية).

- عبد الله عبدالجبار. حيث جمعت أعماله تحت عنوان: المجموعة الكاملة للمفكر والأديب الناقد الأستاذ عبد الله عبدالجبار، وكان الجزء الخامس من هذه المجموعة مخصص لمقدماته للآخرين.
- السيد محمد مهدي الخراسان. كما أشار هو في ترجمته عن نفسه في كتاب (مقدمات كتب تراثية)، وهو في مجلدين[١].
- السيد حسن الشيرازي[٢].

وفي هذه الدراسة نجمع مقدمات الشيخ حسن الصفار.

فما الهدف من جمع هذه المقدمات؟

١. أهم هدف يمكن أن نشير إليه هو ضم جهود المقدم نفسه في كتاب واحد يجمع شمل بنات أفكاره. فهذه الكلمات بلا شك جهد وفكر وأدب وثقافة، وجمعها في كتاب واحد يفيد القراء، سيما إذا كان المقدم له من الشهرة الكثيرة ما لا تتوفر عند من قدم لهم، فإن جمعها في كتاب واحد يتيح تداولها بين قرائه ومريديه.

٢. كما أن في ذلك تعريف بمجموعة من الكتب، وكذلك بمؤلفيها. فقد تكون هذه الكتب ذات أهمية علمية أو فكرية أو أدبية وهي غائبة عن الكثير، وجمع كاتب التقديمات لها في كتاب واحد سبيل إلى تعريف الناس بها أكثر.

٣. سوف يجد القارئ في كتب المقدمات أفكارًا وطروحات ومعلومات متنوعة، من كل بحر قطرة، ومن كل حقل زهرة، وهذا فيه متعة ومعرفة.

---

(١) http://goo.gl/F3PQF

(٢) الإمام الشهيد السيد حسن الشيرازي. ولد سنة ١٩٣٧م، واغتيل في لبنان سنة ١٩٨٠م. عالم عامل، أسس الحوزة العلمية الزينبية بدمشق، وهو شاعر ومؤلف، له: موسوعة الكلمة، والأدب والموجه وغيرهما.

الهدف من جمع تقديم الصفار لكتب الآخرين،

بالإضافة إلى ما سبق، فإننا نضيف في هذا الكتاب ميزتين أخريتين:

الأولى: تقديم دراسة حول منهجية الشيخ الصفار في التقديم وما تميز به منهجه.

الثانية: انعكاس فكر الصفار وأدواره على تقديم الكتب، وعرض الأفكار والرؤى التي بثها في كتب الآخرين.

الفصل الثاني

الاهتمامات الفكرية والعملية للصفار وأثرها على تقريظاته

الاهتمامات الفكرية والعملية للصفار وأثرها على تقريظاته

بداية:

درجت عادة كثير من المؤلفين أن يعرّفوا بالشخص الذي يقدمون دراسة حوله. لا لأنه مجهول، بل لتبيان مكانته العلمية أو الفكرية أو الأدبية، مع ذكر ما قد يكون خفيًّا على كثير من القراء. ولأن الكتاب يهدف إلى دراسة أدب التقريظ والتقديم ويقدّم الشيخ الصفّار نموذجًا لدراسة منهجيته في هذا الفن، فقد خصصنا هذا الفصل لمعرفة الأدوار والمراحل التي قام ومرّ بها الشيخ، ومدى أثرها على تقاريظه، ومن خلال ذلك أيضًا نتعرف على جوانب من سيرته. لذلك لم تشر الترجمة إلى تفاصيل دراسته الدينية من حيث المدرّسين الذين تلمذ على أيديهم، ومن حيث الطلاب الذين نهلوا من نميره. ولم تشر إلى مكانته عند العلماء والمراجع والإجازات التي تحصّل عليها منهم، ولا إلى مؤلفاته ومنجزاته الاجتماعية، فهذه الأمور وغيرها كلها متوفرة على موقعه الخاص على الإنترنت ويمكن للقارئ أن يعرف من خلال ذلك المزيد عنه.

الأدوار والأفكار

تتغير أفكار القادة وأصحاب الفكر تبعًا للمراحل العمرية، والظروف الزمنية، ونضوج الفكر، وتعدد المهام. الشيخ حسن الصفار واحد من القادة الذين تعددت

أدوارهم وتنوعت تجاربهم، فهو خطيب، وعالم دين، وناشط سياسي واجتماعي.

ولا شك أن لهذه الأدوار والمراحل أثر في طبيعة ما يكتب وما يوجه إليه. وقد اتخذ من جانب تقريظه للكتب التي يبعثها مؤلفوها إليه لتتويجها بكلمة منه، سبيلًا لنشر الأفكار التي يؤمن وينادي بها، ولحث الهمم نحو ما يحتاجه مجتمعه للنهوض به، وما تحتاجه شرائح هذا المجتمع من عناية وتوجيه.

وإذا أردنا أن نستعرض المراحل والأدوار التي مر وقام بها الشيخ الصفار سنجد انعكاسها في أغلبها جليًا في أدب التقريظ عنده.

الدور الأول: الخطابة.

في العرف الشيعي فإن على الخطيب أن يقرأ سيرة أهل البيت ﷺ حتى يستطيع أن يعطي لمستمعيه نماذج من سيرتهم العطرة، وحتى يستطيع عرض ما تعرضوا إليه من آلام ومحن، ولا شك أن الذي يحتل المكانة الأوسع في عرض سيرته ومصابه من بين أهل البيت هو الإمام الحسين ﷺ. والذي يتخذه الشيعة رمزًا للثائر والناهض من أجل الدين. وهذا ما نجد انعكاسه جليًا في تقريظه الأول لديوان ابن نصر (لوعة الحزين) الذي يقول فيه:

وتُنـادي بنهضـةٍ أحييـت الدّيـ ـنَ ودكّـت عُـروشَ آلِ أميـي
حيث شادوا الضلالَ في كلِّ فجٍ وأبـاحـوا لـكـلِ فـسـقٍ وغـي

فانعكاس دور الخطيب هنا واضح في الإشادة بنهضة الحسين(ع) وكذلك رثائه:

وإذا بالحُسـينِ يغـدو صَريعًـا بينَهـم عافـرًا كبـدرٍ مُضـيِ[1]

كما أن أثر الدور الخطابي واضح في تقديمه لكتاب (الكساء في معارف الأمة الإسلامية) فهو يدعو من خلال هذا التقديم إلى الاهتمام بالثقافة وتكوين المكتبات

(١) لوعة الحزين في مراثي آل ياسين.

المنزلية لدعم ما يدعو إليه: «في المجتمعات المتقدمة تعتبر المكتبة ضرورة من ضرورات المنزل، وجزء مهم من أثاث البيت»، مقدمًا المؤلف نموذجًا من حيث اهتمامه بالثقافة، مستنهضًا مستمعيه وقراءه لكي يهتموا بهذا الجانب: «وحبذا لو أن كل أبناء مجتمعنا يمتلكون مثل هذا الاهتمام إذًا لسادت الثقافة، وانتشر الوعي، وقضي على الفراغ الذي يسبب الانحراف والقيل والقال»[١].

كما أنه يؤكد من تجربة وتتبع أن للمنبر الحسيني دورًا في التغيير والإصلاح وتثقيف المجتمع؛ ذلك لأنه يدار بأيدي الناس وليس للحكومة دخل فيه، «ولعل أبرز وسائل التثقيف الممكنة شعبيًا هي المنابر والمجالس الدينية التي ألفتها مجتمعاتنا في المناسبات والمواسم كشهر رمضان المبارك وأيام المحرم وسائر أيام الله، حيث ذكريات أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام»[٢].

ولذلك فهو يأسف على ما ألمّ بهذه المنابر من تخلف، ويقول: «إنها لا ينبغي أن تقتصر على الدور العاطفي وتغفل جانب الإصلاح والتغيير وملائمة الواقع المعاصر فتعطيهم الوعي بما يجري حولهم وتوجههم للموقف المطلوب على هدى تعاليم الدين»[٣].

وهو لا يلغي هنا الدور العاطفي الذي يعد أحد ركائز المنبر الحسيني، حيث القدرة على مخاطبة وجدان الناس ومشاعرهم «فالشعراء وذوي المواهب الفنية المختلفة كالرواية والقصة والمسرحية والرسم والنحت وما أشبه يستطيعون القيام بدور عظيم في تكريس المبادئ وتخليد رموز الدين وشخصيات قادته في أوساط جماهير الأمة وأعماق نفوس أبنائها»[٤].

(١) تقديم كتاب الكساء في معارف الأمة الإسلامية. عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم.

(٢) تقديم كتاب المرأة وبرامج التثقيف، المجالس الحسينية نموذجًا. عالية مكي. من ص١٠٧، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، (دار الكلمة الطيبة، بيروت لبنان).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تقديم كتاب المدائح المنظومة في العترة المظلومة، السيد مرتضى السندي أبو حسنين، الجزء١١، ص٧.

إنه يرى دور المنبر في تعميق الولاء لأهل البيت ﷺ، والارتباط بهم، والتحلي بأخلاقهم، وبأنه المصدر الأساس للتوجيه. وهو لا ينسى من كان له يد فضل في صقل موهبته الخطابية بدءًا من أبيه الذي كان يلقنه قصائده الرثائية وهو ابن خمس سنين: «وقد رسخت تلك القصائد في ذاكرتي من فترة الصغر، وحينما بدأت الخطابة الحسينية، كانت رصيدًا وزادًا لي عند ذكر المصيبة والعزاء»(١). ويتحدث عن الشيخ المرهون: «وأسلوبه في الخطابة يعتمد البساطة والوضوح، ولا أزال أتذكر أحاديثه الوعظية في شهر رمضان المبارك»(٢). وكذلك حديثه عن الطويل: «أما خطابة ملا علي الطويل فقد وجدت فيها ما كنت أحبه وأعشقه من فصاحة اللغة، وسلامة أداء كلماتها، والحرص على حسن التعبير وتركيب الجمل»(٣).

ولهذا فهو يدعو إلى إعداد الخطيب، وإلى أن يصقل الخطيب مهارته بعناية ويتابع كل جديد في الساحة العلمية والاجتماعية حتى يكون على قدر من الوعي والثقافة، ويقول: «كلما كان الخطيب أكثر وعيًا ومعرفة بفكر أهل البيت وأمرهم كان أقدر على إحيائه»(٤).

وجيل اليوم كما يرى الصفار ليس كجيل الأمس من البساطة، فهو أكثر تعليمًا ووعيًا وثقافة، بحكم انفتاحه على مختلف الثقافات، وزيادة مستواه التعليمي، وإدراكه لما يعانيه المجتمع من مشاكل عديدة. وكل هذا يتطلب من الخطيب «وعيًا شاملًا،

(١) تقديم كتاب من فيض الولاء. موسى بن الشيخ رضي الصفار، ص٢٤، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، (مؤسسة أم القرى، بيروت لبنان).

(٢) تقديم كتاب لقمان الحكيم. أبو الفرج الشيخ علي بن العلامة الشيخ المرهون القطيفي. من ص١٣ ١٩، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، (دار الأولياء).

(٣) تقديم كتاب مولد أمل. علي بن أحمد القبعة.

(٤) تقديم كتاب خطباء العوامية من الماضين، عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم، ص٢٨ ٣٠، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠١٢م.

وثقافة واسعة، ومتابعة للتطورات، والتزامًا بالمسؤولية الدينية والاجتماعية»[١].

بل إنه يطالب الخطيب بأن يكون على قدر كاف من الوعي السياسي حتى يبث في أوساط الأمة الثقافة السياسية ليعرّفها على ما لها وما عليها في الوطن الذي يعيش فيه[٢]. لأن السياسة كما يرى الصفار لها دور في تثقيف الناس نحو الإصلاح والتغيير.

الدور الثاني: طلب العلوم الدينية.

هاجر الصفار للنجف لطلب العلوم الدينية من صغر سنه. وفي هذه الفترة نجد لغة الحنين للوطن القطيف والتغني به، واضحة الانعكاس في تقديمه لموسوعة (دلائل الأحكام):

إنَّـهـا (الـخَـطُّ) منبعُ الإلـهـامِ كم معالٍ أملتْ على الأيـامِ
سعفاتُ النخيلِ ترقصُ شوقًا وهـديـرُ المياهِ صـوتُ غَـرامِ

كما نجد أثر الاهتمام بالعلم الديني وبرجال العلم، والفخر بالدور العلمي والثقافي الذي يحفل به هذا الوطن وعلمائه الأجلاء.

ليسَ تُنسى (القطيفُ) عهدَ ازدهارٍ عـاصـرتـهُ بـنـشـوةٍ وانسجام
ذاكَ عصرٌ بهِ (القطيفُ) تَسامتْ في ظلالِ المراجعِ الأعـلام[٣]

وبعد أن أمضى قرابة العشرين عامًا في الحوزة العلمية بين دراسة وتدريس وتأسيس، بدأ بعدها يضع مرئياته حول تطوير مناهج التدريس في الحوزة والدور المطلوب من المراجع والعلماء. منتقدًا في تقديمه لكتاب (أضواء على مناهج التفسير) ابتعاد الحوزة

(١) تقديم كتاب مناهل الأدباء وحديقة الخطباء. السيد محمد السيد علوي آل إدريس، من ص٧ ١٢، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، (مؤسسة أم القرى، بيروت لبنان).

(٢) تقديم كتاب قراءة في الخطاب الحسيني الربيع العربي أنموذجًا، الشيخ عبدالمحسن الزواد، ص١٥ ١٩، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

(٣) تقديم كتاب دلائل الأحكام، الإمام أبو الحسن الخنيزي. ج ٦، ص..، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، (مطبعة الأدب، النجف العراق).

العلمية عن تدريس القرآن الكريم واقتصار ذلك على التحصيل الذاتي، وعلى خمسمئة آية كريمة هي آيات الأحكام والاستدلال، مع إهمال الجوانب الأخرى للقرآن كالعقدية والتاريخية والاجتماعية، مشيدًا بمن بدأ يتنبّه لهذا الأمر، وأدخل مناهج القرآن الكريم ضمن مقررات الحوزة[١].

كما كتب للشيخ السبحاني حول أهمية الاهتمام بالدراسات العقائدية المقارنة على غرار الفقه المقارن، والموسوعات التي تجمع مختلف الآراء الفقهية.

ويبدو أن ذلك يتزامن مع بداية انخراطه في الدعوة الى الوحدة الإسلامية والانفتاح على الآخر، يقول: «إذا كان التعارف والتواصل مطلوبًا بين أبناء الأمة في مختلف المجالات، فهو في المجال العقدي أكثر أهمية وفائدة».

وأيضًا على غرار الفقه المقارن لجميع المذاهب ينادي بالفقه المقارن لجميع المراجع، بمعنى أن تُذكر المسألة الفقهية ويعرض بعدها آراء المراجع حولها. كما يطالب بكتابات فقهية بلغة العصر بعيدة عن التكلف والغموض الذي لا يفهمه الإنسان العادي[٢].

كما ينادي بأهمية الارتباط بين المرجع ومقلديه وعلى المقلد أن يكون على دراية باختيار مرجع التقليد بنفسه ومن حقه أن يعرف الأدوار المطلوبة من مرجعه، وكيف يدير أموره وشئون مرجعيته، وماذا يصنع بالحقوق الشرعية، وما هو توجهه؟[٣]. مطالبًا المرجعيات وعلماء الدين بدور أكبر من الفتيا وإدارة الحوزات والتعمق في الدرس على أهميته، ذلك أن هناك أمورًا مهمة كحسن الإدارة وامتلاك مشروع لإنهاض

---

(١) تقديم كتاب أضواء على مناهج التفسير. الشيخ علي الصيود. من ص٩ ١٢، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م، (دار البيان العربي، بيروت لبنان).

(٢) تقديم كتاب شرح الشكوك. شفيق محمد المغاسلة. من ص٣ ٥، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٣) تقديم كتاب المرجع والأمة، دراسة في طبيعة العلاقات والمهمات. الشيخ صالح محمد آل إبراهيم. من ص١٦١٣، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ١٩٩٣م، (دار البيان العربي، بيروت لبنان).

الأمة[١]، وممارسة الدور الاجتماعي السياسي، والاهتمام بالمجال الفكري الثقافي، وتربية الكفاءات العلمية التي تكون امتدادًا لهم في كل منطقة وتنقل لهم معاناة مقلديهم، وكذلك التواصل المباشر مع المقلدين عبر الخطب والمحاضرات والكتب، والاهتمام بالعمل المؤسساتي الذي يجمع العقول ويستفيد من ذوي الخبرة بدلًا من الاعتماد على شخص واحد[٢]. وكذلك الكتابات المعمقة العلمية التي تواجه التحديات الحضارية المعاصرة[٣]. إذ يرى أن من أولى واجبات الفقيه هو تكوين حصانة ثقافية للمجتمع لمواجهة تأثيرات الكفر والإلحاد والجهل والانحراف العقائدي والثقافي، وذلك عن طريق مسألة التخطيط والرصد الثقافي[٤].

الدور الثالث: العمل السياسي.

يحتاج العمل السياسي إلى قناة لإيصال صوت المعارضة والمطالبة بالحقوق. ولكون الصفار خطيبًا مفوّهًا فقد استفاد من هذه القناة الإعلامية المنبر الحسيني استفادة كبيرة لنشر أفكاره، واستقطب لها الآلاف من الشباب والناشطين في المجتمع. كما وظّف قلمه لنشر آرائه، ومنها ما يكتبه من تقديم لكتب الآخرين، فنجده في كتاب (الشيخ حسن آل بدر القطيفي) يكتب بإسهاب عن دو عالم الدين وعن الدور السياسي لعالم الدين ويؤكد بأهمية تصدي عالم الدين للدور السياسي أسوة بالأنبياء والأئمة، ثم يلخص المطلوب من عالم الدين في هذا الدور، وهو: التصدي الكامل والمباشر لإدارة الحكم، أو التوجيه والإشراف على الحاكمين، أو المشاركة في الحكم ضمن حكومة إئتلافية، أو أقل الأمور وهي تقديم النصح للحاكمين. أما إذا تردت الأوضاع سياسيًا

---

(١) تقديم كتاب الكتاب في فكر الإمام الشيرازي. حسن آل حمادة. من ص١١ ٢٠، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، (دار الخليج العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان).

(٢) تقديم كتاب معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف.

(٣) تقديم كتاب على ضوء فلسفتنا. حسن الراضي.

(٤) تقديم كتاب الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي. فؤاد الأحمد. من ص٥ ٢٥، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م، (مؤسسة البقيع لإحياء التراث، بيروت لبنان).

وزادت رقعة الانحراف والظلم، فهنا يتوجب على العالم التصدي لمعارضة السلطة، إما مباشرة أو بدعم قوى المعارضة»[١].

هذه الفترة التي كتب فيها هذا النص وهو عام ١٤١٠هـ تعتبر من الفترات المتقدمة في العمل السياسي المعارض خارج البلاد، ولهذا تجده يسهب في تبيان الموقف السياسي وأهمية ذلك.

وهو لا يغفل أن يشرك المرأة المسلمة في هذا العمل الرسالي حتى ينتشلها من واقع التخلف إلى واقع العمل والفاعلية للإصلاح والتغيير. فنظيراتها في العالم الأوروبي والآسيوي لا تزيد عنها إمكانيات سوى بالسعي والمثابرة وإتاحة المجتمع لهن فرصة الوصول إلى سدة الحكم[٢]. داعيًا إلى أن يولي المنبر الحسيني عناية فائقة بالمرأة لتقوم بواجب التغيير[٣].

وفي عام ١٤١٣هـ، وهو العام الذي بدأت فيه المفاوضات مع السلطة تأخذ جدّية أكثر بين الطرفين، بدأت تتشكل عنده رؤية جديدة للعمل في الداخل مع شرائح الوطن المختلفة سيما مع شريحة تعتبر من أكثر الشرائح الدينية تشددًا وهم السلفيون. ولإنجاح العمل في الداخل لا بدَّ من التعايش مع الآخر المختلف حتى يستطيعوا سويّة أن يعمروا الوطن بالتنمية والإصلاح. والحال نفسها هذه في دولة كأفغانستان التي يقول عنها في تقديمه لكتاب الفاضلي: «أفغانستان كدولة إسلامية أضرّ بها العدو من قتل وتشريد ودمار، ابتليت هي الأخرى بالنزاعات الداخلية بين مختلف شرائحها سيما بين السنة والشيعة، هذه النزاعات الداخلية تضعفها كثيرًا، وتشتت جهودها ضد العدو الحقيق». ويؤكد الصفار أن الخلاص من ذلك هو تغير معادلة التناقض والتحالف فيقول: «ولن

(١) المصدر السابق.
(٢) تقديم كتاب الصديقة مريم العذراء.. معجزة الأجيال، جعفر الأمرد، ص١٣ ١٥، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ١٩٩٣م، (دار البيان العربي، بيروت لبنان).
(٣) تقديم كتاب المرأة وبرامج التثقيف، المجالس الحسينية نموذجًا. عالية مكي.

تتجاوز الأمة هذا الواقع الفاسد إلا إذا تغيرت معادلة التناقض والتحالف في أوساط الأمة فيصبح العدو هو النقيض وإن تظاهر بالصداقة والود والداخل هو الحليف وإن اختلف معه عرقيًا أو فكريًا أو سياسيًا»[١]. وإذا كان الصفار ينظر إلى دولة شقيقة، فالأولى أن ينظر إلى دولته التي عاش فيها ويغار عليها، وهذا ما سعى إليه فعلًا مع أولى محطات العمل في الانفتاح على الآخر وطنيًا.

وبعد تجاوز حقبة المعارضة والعودة الى الوطن، صار من الضروري أن يُحفظ تاريخ تلك الحقبة للاستفادة من مسارها الصحيح وتجاوز أخطائها لتكون منهاجًا لجيل جديد. ولهذا فإنه في تقديم كتاب (مدونات مترعة بالأخاديد) يشير إلى تلك الحقبة التي نهض فيها شريحة من أبناء المجتمع القطيفي وتحملوا الهجرة والسجون وكلفت بعضهم حياته في سبيل إصلاح واقع المجتمع، وأصبح لا بدَّ إذًا من رصد الحراك وتدوينه، حيث يرى بأن «الحراك السياسي في المنطقة يفتقد التوثيق والرصد التاريخي، بسبب ما يكتنفه من الملابسات والحساسيات. ويتحمل الرواد والناشطون السياسيون مسؤولية كبرى في تسجيل تجارب عملهم النضالي، وتوثيق حراكهم السياسي، لتستفيد منه الأجيال الصاعدة»[٢].

وحين هبّت على المجتمعات العربية والإسلامية موجة الربيع العربي ونادت الشعوب بالديمقراطية وحق المشاركة في الحكم وتداول السلطة، بدأ الصفار متفاعلًا مع هذا الواقع وصارت خطب الجمعة ومحاضراته في مجملها عن هذا الحراك وضرورة التغيير لاستقرار الأوطان ودفعها نحو التنمية والتقدم، حتى يبث فيها وعيًا جديدًا وفكرًا سياسيًا متنورًا بعيدًا عن العنف، وداعيًا الشعوب والحكومات للتغيير بالطرق السلمية وعدم الانجرار نحو مزيد من الدمار. وقد أكد على ذلك في تقديمه لكتاب (قراءة في

---

(١) تقديم كتاب أفغانستان (تاريخها، رجالها). الشيخ حسين الفاضلي. من ص١١ ١٦، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ١٩٩٣م، (دار الصفوة، بيروت لبنان).

(٢) تقديم كتاب مدونات مترعة بالأخاديد. باقر علي الشماسي. مخطوط.

الخطاب الحسيني) وقال: «إن ساحتنا الدينية تعاني كثيرًا من الفراغ والنقص في مجال الخطاب السياسي المؤصل دينيًا، والذي يستوحي مفاهيمه من نصوص الكتاب والسنة وسيرة النبي ﷺ وآله الأطهار ﷺ. بل على العكس من ذلك تمامًا، هناك خطاب يوجّه إلى الابتعاد عن الشأن السياسي، ويكرّس انحصار الوظيفة الدينية في حدود المعتقدات القلبية والعبادات، والسلوك الفردي، والاهتمام بقضايا الآخرة»(١).

مرحلة العودة للوطن وممارسة التغيير من الداخل:

لعلَّ الأدوار التي مارسها ويمارسها الصفار داخل الوطن وبعد عودته من المهجر لا تختلف عن طبيعة الأدوار السابقة من العمل الاجتماعي والثقافي والسياسي، إلا أنها هنا في الداخل تبدو أكثر جلاء، نظرًا لوجوده بين أبناء مجتمعه، ونظرًا لوجود وسائل الاتصال الحديث التي تنقل وترصد كثيرًا من نشاطاته. نعم، بالنسبة للنشاط السياسي يبدو خلافًا لغيره من أنشطة الصفار في الداخل، حيث يظن البعض تخليه عن النشاط السياسي، وما ذاك إلا أن الناس يعجبهم التصريحات المعارضة أكثر من العمل الفعلي، وإن كان الأخير أجدى. حيث إن الأول يدغدغ مشاعرهم، ويحكي ما بداخلهم، لكن الثاني، وهو العمل، قد تكون نتائجه بطيئة، أو غير محققة.

نريد أن نرى هنا انعكاس هذه الأدوار في منظومات الصفار الأدبية التي يدونها في تقديمه لكتب الآخرين. إن الخطوط العريضة لأدوار الصفار بعد عودته من المهجر والتي لها ارتباط وثيق بتعدد المناحي الفكرية والعملية لديه، هي بإيجاز كالتالي:

- التواصل مع أجهزة الدولة.
- التواصل مع أتباع المذاهب الأخرى كجزء من عمله السياسي، ونشاطه الديني أيضًا.

(١) تقديم كتاب قراءة في الخطاب الحسيني الربيع العربي أنموذجًا.

- العمل الاجتماعي، فنجده يسعى للتواصل مع كافة مكونات المجتمع الشيعي، ويرعى ويدعم ويبارك المؤسسات واللجان التطوعية والخيرية. وهو حاضر ومحاضر عن أغلب الفعاليات الاجتماعية.
- النشاط الثقافي، فله باع في احتضان الشباب، واستنهاض روح الهمم فيهم، وكذلك تفعيل دور المرأة، بل حتى الطفل وذوي الإعاقة لم يغفلهم.

كل هذه الأدوار يمكن أن نرصد انعكاسها في كتب الصفار ومحاضراته، لكن رصدها في تقريظاته قد يكون متعذرًا إثباتها كلها، فهو يكتب حسبما يقتضيه مضمون الكتاب وموضوعه. من هنا يمكن أن نرصد كثيرًا من هذه الأدوار وليست كلها.

التواصل مع أتباع المذاهب الأخرى:

يرى الشيخ بأن إصلاح الوطن ودفعه نحو التنمية لا يتم إلا بتضافر جهود أبنائه من مختلف الشرائح والمكونات، فكلهم شركاء في وطنهم. وأن أي تنافر وتصادم بينهم سوف يؤدي إلى تأخر الوطن وتخلفه. وهو يرفض ما يسميه معادلة النقيض الداخلي؛ لأنها تشغل الطرفين عن العدو الحقيقي، وتلهيهم عن تنمية وطنهم، فيقول: «إننا نشبّه قومًا انكسرت بهم سفينتهم في البحر وواجهوا جميعًا خطر الموت والغرق، فإذا ما رأوا أحدهم يتشبث بوسيلة للنجاة والخلاص ويصل بها إلى الشاطئ فإن ذلك يرفع معنوياتهم ويشجعهم على المحاولة مثله، ويؤكد في نفوسهم إرادة الحياة.. فنجاته ليست على حسابهم، وانتصاره على أمواج البحر ليس انتصارًا عليهم، بل على الخطر الذي يتهددهم جميعًا)[(١)].

إنه يعمل على إذابة الجليد وإزالة الحواجز بين الطرفين من ناحية سياسية وهي العمل على تقدم الوطن، ومن ناحية دينية، وهي التعرف على عقائد كل طرف مباشرة بدل الاعتماد على الشائعات التي تزيد من الهوَّة بينهم. ويأسف لحال الأمة في هذا

---

(١) تقديم كتاب أفغانستان (تاريخها، رجالها). الشيخ حسين الفاضلي.

الجانب: «لكن في الوقت الذي يرفض فيه علماء الإسلام صدام الحضارات، ويفخرون بأن دينهم وقرآنهم قد دعا إلى حوار الحضارات، نجد في داخل الأمة من يبشّر بصدام المذاهب، ويرفض الحوار والتقارب بين أبناء الأمة التي نص القرآن الكريم على وحدتها، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾»[١].

ويرى بأن الجدال المذهبي غير مجد في أغلبه، ويسبب تنافر أبناء الأمة ولا يستبعد العامل السياسي وراء ذلك، مؤكدًا شرعية الاختلاف وحق التزام كل فرد أو مجموعة بقناعاتهم وعقائدهم ويقول بأن «المشكلة تكمن في منهج التعامل مع الخلاف وأسلوب إدارته وهنا يأتي دور المسألة الأخلاقية ... إن الصراع والتنافر المذهبي بواقعه المرعب الخطير يكشف عن أزمة أخلاقية عميقة تعاني منها ساحة الأمة الإسلامية»[٢].

وحدة المجتمع الشيعي :

إذا كان الصفار يؤمن بالعمل والعيش المشترك مع أبناء المذاهب الأخرى، فهو مع أبناء المجتمع الشيعي أكثر إيمانًا. فلن تقوى طائفة إذا كان أهلها متفرقين. ولذى يرى بأن من أهم الأدوار المناطة بعالم الدين هي «تعزيز وحدة المجتمع وتقوية تماسكه وتضامنه، ببث قيم وتعاليم الوحدة والتعاون ومكافحة أسباب التفرقة والتمزق، بالسعي لإصلاح ذات البين»، ويرى بأن إصلاح ذات البين لا يقتصر على شخصين فقط، بل هو بين الطوائف والجماعات أكثر حاجة والتي قد تختلف لأسباب فكرية أو انتمائية أو سياسية أو ما شابه، ويأسف لعالم الدين الذي يكون سببًا لزيادة الفرقة[٣].

رعاية العمل الخيري:

يلحظ في تقديمه لتقرير (مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش) تقديره للعمل

(١) تقديم كتاب في الطريق إلى الألفة الإسلامية. عبدالفتاح بن صالح قديش اليافعي. من ص ١٣ ١٤.
(٢) تقديم كتاب أخلاقنا ومهمة توحيد الأمة. موراد غريبي.
(٣) تقديم كتاب الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي. فؤاد الأحمد.

الخيري ومعرفته بأهمية تنمية المجتمع، وإحساسه بمشاعر ومعاناة القائمين عليه. وهو يشجع ويحث على زيادة رقعة العمل الخيري لما فيه من مصلحة تعود بالنفع على المتطوع لعمل الخير وعلى المجتمع كله، حيث تحدَث بوضوح عن دوافع العمل الخيري[١]. مبينًا أسس التنمية الاجتماعية التي من شأنها أن ترتقي بالمجتمع والتي تتركز في الوعي والمأسسة والتماسك الاجتماعي وخلق الأجواء المناسبة[٢]. وهو يرى أن قوة المجتمع تبنى «بقيام المؤسسات الاجتماعية التي تعنى بشؤون التنمية وترعى التكافل الاجتماعي، وتعزّز مكانة المجتمع في محيطه العام»[٣].

تشجيع النشاط الثقافي:

ما فتئ الصفار مهتمًا بالثقافة منذ أن سلك طريق الخطابة الذي يحتاج قدرًا من الوعي والثقافة عن طريق البحث والمتابعة والكتابة، إلى أن سلك طريق العلم، وإلى يومه هذا ككاتب ومؤلف. وقد أثنى على بلدة القطيف منذ بداية طريقه في طلب العلم حيث قال:

ولَكَمْ أثـرتِ الثقافةُ والعلـ ـــمُ بـإنتـاجِ أروعِ الأقــلام

كما أن من أوائل الكتب التي قرظها وكان عام ١٣٩٧هـ تحدث فيه عن أهمية الثقافة والمعرفة والاهتمام بتكوين المكتبة المنزلية، وعن أهمية التأليف[٤]. التأليف الذي يحفظ العلوم والحقائق ويفيد الأجيال القادمة، وهو بالتالي مرآة تعكس وجه المجتمع الثقافي والعلمي[٥]. مشجعًا حملة الأقلام أن يسخّروا أقلامهم لتدوين المعارف

---

(١) تقديم لتقرير مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش.

(٢) تقديم كتاب العهد.. جاسم سيرة وعطاء ١٩٥٦ ٢٠١٢، ص٩٨.

(٣) تقديم كتاب مسيرة عطاء أحمد عبدالنبي الحلال، ص٤٣.

(٤) تقديم كتاب الكساء في معارف الأمة الإسلامية. عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم.

(٥) تقديم كتاب معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية. حبيب آل جميع. من ص١٣ ١٧، ج١، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، (دار الملاك، بيروت لبنان، ومؤسسة البقيع لإحياء التراث).

ونشرها في شتى المجالات النافعة[١]. ويؤكد على أهمية إشراك الأبناء في الاهتمامات مبينًا أن (السيد الشيرازي)[٢] اتخذ من الكتاب مشروعًا حضاريًا لإنهاض المجتمعات الإسلامية ونشر الوعي في أوساطهم[٣]. ونلحظ في كثير من تقاريظاته اهتمامه بهذا الجانب وتشجيعه الكتّاب سيما الشباب منهم على الاستمرار في هذا الدرب وإثراء الساحة العلمية والفكرية بإنتاجهم.

العناية بفئات المجتمع:

يهتم الصفار بالحديث عن فئات المجتمع باختلافها، حيث الأطفال والشباب والمرأة، وعليهم يعول في تقدم المجتمع ورقيه إذا ما تلقّوا عناية ورعاية فائقة. إضافة إلى اهتمامه بالبيئة الأولى الحاضنة لهم.

الطفل:

فالطفل سواء كان ولدًا أو بنتًا يحتاج رعاية خاصة لتنشئته تنشئة صحيحة، وإلى مخاطبة وانتباه ينميان فكره ووعيه، مؤكدًا على أهمية الاهتمام بأدب الطفل وتكوين المكتبات المتخصصة له حتى ينمو وعيه ويدرك الأدوار التي تناسب سنه وتفكيره، وتصقل شخصيته[٤].

الشباب:

أما حديثه عن الشباب فهو كثير أيضًا، ولطالما تحدث عن أهمية هذه المرحلة لافتًا

(١) تقديم كتاب تعال معي لنقرأ. عبدالقادر أبو المكارم. من ص١١ ١٤، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، (دار المكارم لإحياء التراث).

(٢) الإمام السيد محمد بن السيد مهدي الشيرازي. (١٩٢٨ـ٢٠٠١م)، عرف بالمجدد الثاني وسلطان المؤلفين، حيث له كتب تربوا على ألف كتاب. من أشهر كتبه الموسوعة الفقهية وهي أكثر من ١٥٠ مجلدًا.

(٣) تقديم كتاب الكتاب في فكر الإمام الشيرازي.

(٤) تقديم كتاب من ألحان الزهور. عقيل المسكين. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، (مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان).

نظر الشباب إلى ضرورة الاهتمام بهذه المرحلة العمرية. ويقول بأن الشباب عرضة للمغريات المادية وتعصف بهم صعوبات الحياة فهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم إلى جادة الحق ويسعى لحل مشاكلهم[١]، مؤكدًا أن الشباب إذا ما اكتشفوا ذواتهم وقدراتهم فإنهم مؤهلون لتبوء الأدوار الريادية في المجتمع[٢]. وهكذا نجد الشيخ الصفار يؤكد كثيرًا في تقديمه للكتب التي أَلّفها شباب، على أهمية هذه المرحلة واستغلالها فيما ينفعهم، ويشجعهم على مواصلة الدرب لإثراء الساحة بنتاجهم، وهو أيضًا يتلمس المشاكل التي تعصف بهم ويدعوا لمعالجتها.

المرأة :

أما عن الكتب التي ألفها نساء، فنجد حديثه ينصب كثيرًا على أهمية تفعيل دور المرأة وإشراكها في العمل الاجتماعي والثقافي بل حتى السياسي. وينتقد المجتمعات الذكورية التي تقصي دور المرأة وتعتمد على الرجل وحده، ويرى بأن هكذا مجتمعات هي مجتمعات عرجاء تمشي برجل واحدة[٣].

الأسرة:

ولا شك أن الأسرة هي البيئة الحاضنة لتلك الفئات من المجتمع، فلا بدَّ أن يوليها عنايته. فصلاح الأسرة صلاح أبنائها، وصلاح الأبناء صلاح المجتمع. وهذا واضح في تقديمه للكتب التي تخص الأسرة والبيئة العائلية.

من هنا يتضح أن الأدوار التي قام بها الصفار، والمراحل التي مرّ بها، تعكس الاهتمامات الفكرية لديه، وهي واضحة الانعكاس في أدب التقريظ عنده.

---

(١) تقديم كتاب ما يريده الشباب: الطعم البديل. عبدالمحسن علي أبو عبدالله.

(٢) تقديم كتاب رعشة الحروف الثملة. منير النمر.

(٣) تقديم كتاب على خطى الزهراء ﷺ، بتول مرزوق رجاء الشريمي، من ص١١ ١٤، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، (أطياف، القطيف السعودية).

الفصل الثالث

منهجية الشيخ الصفار في التقديم

منهجية الشيخ الصفار في التقديم

بداية:

في الفصل الأول تم ذكر بعض أساليب التقديم التي يتخذها الأعلام والمحققون. وهذا الفصل يعطي فكرة متكاملة قدر المستطاع عن منهجية الشيخ حسن الصفار في تقديماته وتقريظاته، ذلك أنه من خلال مطالعتنا لمجموع المقدمات التي كتبها للآخرين يمكننا رصد أسلوبه كما يلي:

١. الحديث عن شخص المؤلِف. ولديه ثلاث مقدمات تحت هذا المنهج.

٢. الحديث عن شخصية المؤلَف عنه. ولديه في هذا الجانب تسع مقدمات.

٣. إعطاء رؤية حول موضوع الكتاب. ولديه حوالي ٤٦ مقدمة في هذا الجانب.

٤. إعطاء رؤية مستوحاة من طبيعة المؤلف: ولديه تقريبًا مقدمتان في هذا الجانب.

٥. إعطاء رؤية مستوحاة من شخص المؤلف. ولديه في هذا الجانب ٥ مقدمات.

٦. إعطاء رؤية مستوحاة من بلد المؤلف. ولديه في هذا الجانب ٨ مقدمات تقريبًا وتقريظ شعري.

٧. كتابة تجربته الشخصية في جانب ما. ولديه قرابة ٥ مقدمات في هذا

المنهج.

٨. كتابة ترجمة أو سيرة ذاتية للمؤلف عنه. ولديه حوالي ٦ مقدمات في هذا الجانب.

٩. دعوة شخصية لأمر ما.

١٠. رسائل تقريظية. وله في هذا الجانب مقدمتان.

١١. إبداء تعليق أو رأي حول الكتاب والكاتب.

١ـ الحديث عن شخص المؤلِف:

يتناول الشيخ الصفار في هذا المنهج الحديث عن شخص مؤلف الكتاب الذي يريد تقديم كتابه، بمعنى أنه يخصص التقديم الذي يطرحه حول شخصية المؤلف. وعادة ما يختار أمرًا يمتاز به الشخص الذي يريد الحديث عنه، فيكتب حوله. وذلك ليعزز هذه الميزة أو تلك في نفس الشخص الذي يكتب عنه، ليكون له عونًا على حفظ هذه الميزة، وكذلك من أجل أن يعزز هذه الميزة في نفوس القراء، والتي يهدف أن تكون سمة من سمات الأسرة أو المجتمع بشكل أعم.

ففي تقديمه لكتاب «الكساء في معارف الأمة الإسلامية» وهو من أوائل الكتب التي قدمها يبدأ قوله بالإشارة إلى ما يلفت نظره في المؤلف، فيقول: «يعجبني في مؤلف الكتاب أمران». هذا النوع يمكننا أن نسميه تقريظًا. حيث إن التقريظ هو مدح الآخرين وذكر محاسنهم والثناء عليهم. لكن المنهج الذي يسير عليه الصفار هو بث أفكاره التي يريد تعزيزها كما قلنا في نفس الشخص أو المجتمع في ما يكتب. فهو هنا لا يمدح من أجل التبجيل والثناء فقط، وكأنه دعاية وتسويق للكتاب ومؤلفه، بل إنه يهدف لتسويق الفكرة التي يريد طرحها وبثها في المجتمع. فيذكر الشيء الأول الذي يعجبه من المؤلف وهو «اهتمامه بالثقافة والمعرفة».

والأمر الثاني: «رغبته في أن يقدم خدمة ما في حقل الثقافة الدينية والمعرفة الإسلامية».

وفي تقديمه لكتاب «الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيع» أيضًا يشير إلى ما يعجبه من المؤلف، وهذه المرة حول أساليبه التربوية.

وفي تقديمه لكتاب «رسالة في الطهارة من الذنوب»، يركز على فكرة التخصص في معالجة القضايا الاجتماعية، وأهمية تدارك الأمور الطارئة على المجتمع ورصدها ومحاصرتها حتى يتم علاجها، ويرى في المؤلف أنموذجًا لهذا الأمر.

٢. الحديث عن شخصية المؤلَف عنه:

حينما يكون الكتاب ترجمة لشخصية عالمية أو لها قداستها ومكانتها الدينية كالنبي المصطفى ﷺ، أو الصديقة مريم العذراء ﷺ مثلًا، فإن الصفار يحاول التقاط ميزة هامة لم يتطرق إليها أحد، أو لم تبرز بالشكل المطلوب، حتى يتحدث عنها، وتكون بلا شك لها ارتباط وثيق بموضوع الكتاب. فنجد مثلًا في تقديمه لكتاب «الصديقة مريم العذراء ﷺ معجزة الأجيال» حديثًا حول أهمية القدوة لإشباع الجانب الروحي، ويتساءل إذا كان للسيدة العذراء ما تقدمه للأجيال. فيعرّف بمكانة هذه المرأة العظيمة، ويبين أهمية الارتباط بها، سيما في هذا العصر المادي، وتقديمها كنموذج لإمكانيات المرأة في تغيير مجتمعها إلى الأفضل.

وفي تقديمه «موسوعة المدائح النبوية» يتحدث عن عظمة هذه الشخصية الفريدة في عالم المخلوقات، ويرى بأن الكمال في هذه الشخصية كان جاذبًا للشعراء أن يترنموا بمدح هذا النبي العظيم ﷺ، ثم يؤكد على أن هذا الشعر ينبغي أن يكون رسالة لتعميق صفات النبي في نفوس أتباعه ومحبيه، لا أن تكون لمجرد التغني والتفاخر بها.

وحينما يكون الكتاب ترجمة لشخصية ما، فإن الشيخ في هذا المنهج يتناول شيئًا من سيرة المترجم له، أو ذكرياته الشخصية معه، أو مواقف معينة للمترجم له. وفي

هذا المنهج يحاول أيضًا ويسعى أن يبث روح القيم التي يريد أن ينشرها في المجتمع، مدعومة بنماذج يمكن للإنسان أن يقتدي بها.

وأكثر ما يميز هذا المنهج عند الصفار إذا كان حديثه عن شخصية لها علاقة به. لأنه يكتب من واقع تجربة، ومن خلال معايشة، أو من خلال متابعة، فتشعر صدق الحديث ودفئه، ونباهته في التقاط مزايا الآخرين الحسنة، ونشرها بين الناس.

فهو يعتمد على معرفته بالناس. وهذا أمر جميل، فإن أعرف الناس بالناس من عاشرهم وعرف ما يتميز به هذا عن هذا.

وهو يهدف إلى إبراز ملامح الشخصية التي يكتب عنها والتي قد تكون غائبة عن جمهور المؤمنين، وهذا نوع من التكريم والاحتفاء بالشخصية. كذلك تقديم نماذج يقتدى بها مع تسليط الضوء على القيم والمبادئ والمثل التي يحملونها، والتي تعتبر مشاعل هدي للآخرين إذا ما حملوها. إضافة إلى تعزيز هذه القيم الإسلامية والاجتماعية التي هي أساس لصلاح الناس والمجتمع، ويحض الشخص الذي يكتب عنه على الثبات والصمود. وإلا فالمدح الفضفاض والذي يخلو من هدف، ويراد به الدعاية والإعلام لا يقبله كثير من الناس، والشيخ لا يسرد ويسطر ألقابًا وكلامًا منمقًا، بل يسرد قيمًا ومبادئ ورؤى ينشرها في المجتمع ليستفيد منها الجميع.

نجد هذا جليًا في تقديمه لكتاب «على ضوء فلسفتنا» الذي يتناول فيه الكاتب قبسات من فكر الشهيد الصدر[١]. وكذلك كتاب «الحب والفراق» الذي يترجم لحياة الدكتور محمد عبده يماني. وكتاب «مولد أمل» الذي يترجم لسيرة ملا علي الطويل، وتقديمه لوالده في ديوانه «من فيض الولاء» وترجمته للسيد السلمان في تقديمه كتاب «السيد علي السلمان سيرة ومسيرة»، وكذلك حديثه عن الدور الذي مارسه السيد

---

(١) الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر. (١٩٣٥ـ١٩٨٠م)، مؤسس حزب الدعوة الإسلامي بالعراق. من أشهر كتبه: اقتصادنا وفلسفتنا.

الشيرازي للتغيير والإصلاح كما في تقديمه لكتابي؛ «معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف»، و«الكتاب في فكر الإمام الشيرازي». وأخيرًا حديثه عن سر محبة الناس للمهندس قو أحمد في تقديمه لكتاب «العهد».

٣ رؤية حول موضوع الكتاب

يحتل هذا الجانب القسم الأكبر من منهجية الشيخ الصفار في التقديم، وهو الأمر الذي يهدف فيه إلى إحلاله في كل تقديم يكتبه، ولكنه هنا أكثر تجليًا ووضوحًا. فهو يستنطق فكرة الكتاب، ولعلّه اختزل فكرة الكاتب، أو أبرز نقطة مهمة لم يتناولها البحث، وأحيانًا يدعم الفكرة التي يتناولها الباحث بالحديث حول نفس الموضوع، أو يدعو لأمر ما يتعلق بموضوع الكتاب. ويمكننا تقسيم هذه الرؤية إلى ست نقاط كالتالي:

أولًا: التأكيد على موضوع الكتاب

يكتب الصفار تقديمه، في هذا الجانب، حول موضوع الكتاب نفسه، كما في النماذج التالية:

تقريظه لديوان لوعة الحزين. الذي يضم قصائد ولائية في رثاء الإمام الحسين ﴿ع﴾ وتجسيد ملحمة الطف.

وفي «موسوعة المدائح المهدوية» التي تضم بين أجزائها العشرة قصائد استنهاض ومدح الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ﴿ع﴾، وهو الإمام المهدي المنتظر ﴿عج﴾، إذ يعبر الصفار عن الشعر في الإمام المهدي ﴿عج﴾ بأنه ملفات ألم تستنهض الإمام لتحقيق روح الأمل.

وفي تقديم كتاب «عقدة الحقارة» الذي يدرس ويبحث هذا المرض الفتاك، وهو شعور الفرد والمجتمع بالنقص والانكفاء على الذات، وهدر المواهب والطاقات.

حيث يرى الصفار أن «أمراض النفوس خطرها أشد من أمراض الأجساد».

ويدعو إلى ضرورة «معالجة الأمراض النفسية الروحية لأبناء المجتمع» لضمان صلاح المجتمع.

وفي تقديمه لكتاب «دماء لا تجف» الذي هو عبارة عن قصص قصيرة عن أبطال كربلاء: حيث يرى أهمية الجانب الأدبي كوسيلة لايصال صوت الحسين وأهدافه للكثير من القراء خاصة الشباب[١].

وفي تقديم كتاب «محض الإخلاص» الذي يتحدث عن قيمة دينية أخلاقية هي الإخلاص. يرى الصفار أن سلامة القصد وإتقان العمل هما طرفان أساسيان للإخلاص الذي هو مفتاح لحل «أغلب المشكلات والنواقص في حياة الناس»[٢].

ويوضح الصفار في تقديمه «لتقرير مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش» الذي يسجل نشاطها خلال فترة معينة أهم الدوافع لخدمة المجتمع.

وفي تقديمه لكتاب «سياحة في الدعاء والمناجاة» الذي يتناول في طياته الأدعية الواردة في القرآن الكريم والتي وردت على لسان الأنبياء والأئمة ﷺ، يرى الصفار بأن الحل الأول لمشكلات الإنسان في هذه الحياة هو لجوؤه لله عزّ وجلّ وحديثه المباشر معه[٣].

وفي تقديم كتاب «تعليم الصلاة» الذي يتناول في طياته أحكام الصلاة وآدابها وكيفيتها بطريقة ميسرة ومصورة، يتحدث الصفار عن أهمية الصلاة ووجوب تعلّم أحكامها.

---

(١) تقديم كتاب دماء لا تجف (قصص قصيرة عن أبطال كربلاء). جمال حسين آل إبراهيم، من ٩ ١٢، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، (دار الكتاب العربي).

(٢) تقديم كتاب محض الإخلاص. علي الدرورة، من ص٩ ١٥، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، (دار المحجة البيضاء).

(٣) تقديم كتاب سياحة في الدعاء والمناجاة. حسن علي أبو حسين.

وفي تقديمه لكتاب «العودة إلى القرآن» الذي يتناول موضوع أسباب العزوف عن قراءة القرآن والتدبر في آياته، ومن المسؤول عن ذلك، وأهمية العودة إليه. يتحدث الصفار عن تحمل شباب الرسالة الذين حملوا مع رسول الله ﷺ القرآن وعلموه للناس، وأن رحلة العودة إلى القرآن الكريم في كل عصر سيتحملها الشباب أيضًا.

وفي تقديمه لكتاب «من خطباء المنبر الحسيني بمدينة سيهات» الذي يترجم لسيرة خطباء مدينة سيهات، يتحدث الصفار عن أهمية الترجمة لهؤلاء الذين أفنوا عمرًا في خدمة المنبر الحسيني فهي بمثابة التكريم والتخليد لذكراهم.

وفي تقديمه لديوان والده (من فيض الولاء) وهو في رثاء أهل البيت ﷺ والنهضة الحسينية، يتحدث عن أهمية إحياء مناسبات أهل البيت ﷺ ودورها في إنتاج ثقافة واسعة وأثرها في جذب الناس لسيرة الحسين ﷺ وأهل البيت ﷺ.

ثانيًا: رؤيته حول الفكرة التي يناقشها الكتاب

وهو هنا إما أن يبدي رأيه حول فكرة يناقشها الكتاب، أو يشير إلى ملامح مهمة يراها في الموضوع الذي يتناوله الكاتب في كتابه. ومن ذلك:

في تقديمه لكتاب «شاخصة الأبصار لذوي الاختيار» الذي يتناول موضوع الخيرة وأنواعها. يتحدث الصفار عن معنى الخيرة ومتى تكون؟ وكيف تكون؟ ويدعو إلى عدم الاسفاف في استخدامها لأن ذلك تجميد للعقل وتعطيل للاستفادة من أهل الرأي والخبرة.

ويرى في تقديمه لكتاب «معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف» الذي يتحدث عن دور مرجعية السيد الشيرازي في القطيف، أهمية التواصل مع جمهور المقلدين وذلك عبر عدة وسائل تنعكس كلها إيجابًا على تفاعل المقلدين مع مرجعهم.

وفي تقديم «الكتاب في فكر الإمام الشيرازي» الذي يتناول دور الشيرازي في

الكتابة والتأليف، وكثرة القراءة والاطلاع، وتشجيعه الحثيث على هذا الدور. يؤكد الصفار اهتمام الشيرازي بالكتاب «تأليفًا وطباعة ونشرًا».

ويرى الصفار بأن الكتاب «مفردة من مشروع إصلاحي متكامل يتبناه الإمام الشيرازي لإنقاذ الأمة».

ثالثًا: دعم فكرة الكتاب أو الإشادة بها

والدعم هنا يكون بالتأكيد على أهمية الموضوع والحديث حوله، وكذلك الإشادة بأهمية الموضوع الذي يتناوله الكاتب. ومن ذلك:

في كتاب «أسئلة وإجابات» الذي جمع في طياته الأسئلة الموجهة للشيخ الصفار التي ترده من عامة الناس عبر موقعه الإلكتروني، يتحدث الصفار عن أهمية السؤال ودوره في تحفيز العقل واستنارة فكر المسؤول. مشيرًا إلى استفادته من الوسائل الحديثة وفتحه المجال للسائلين عبر موقعه على الانترنت واستفادته شخصيًا من تلك الأسئلة.

ويتحدث في تقديمه لكتاب «في الطريق إلى الألفة الإسلامية»بأن هناك من يبشّر بصدام المذاهب ويرفض الحوار والتقارب بين أبناء الأمة. لهذا فإن التقريب بين أتباع المذاهب يحتاج مزيدًا من الجهد.

وفي تقديمه لكتاب «أخلاقنا ومهمة توحيد الأمة» يدعو إلى خارطة طريق تستقطب قوى الأمة الإسلامية وتفك التنافر بينهم. متفقًا مع مؤلف الكتاب أن ذلك يتمثل في «وعي أخلاقي حضاري».

ويشير في تقديمه لكتاب «في ظل التعايش» الذي يحوي مقالات حول مسألة التعايش والتقارب بين أتباع الأمة الواحدة، إلى أهمية قبول التعايش بين مكونات المجتمع فهي أساس لتنميته.

وفي تقديمه لكتاب «الشفرة الزوجية» الذي يسعى فيه كاتبه لوضع مفاتيح النجاح

لتكوين الأسرة: يرى الصفار الاهتمام بالدراسات والبحوث التي من شأنها أن تكشف سر العلاقات الزوجية والتفكر فيما يقوي أواصر العلاقة بين أفراد العائلة.

وفي تقديمه لكتاب «ما يريده الشباب: الطعم والبديل» الذي يسلط الضوء على بعض هموم الشباب والعلاج المقترح، يؤكد الصفار على أن هناك حاجة ماسة لفهم واقع الشباب واستيعاب المشاكل التي يواجهونها في هذا العصر المعقد، وذلك عبر الدراسات والنقاشات والبرامج التخصصية حتى يمكن نقل الشباب على الطريق الصحيح وإضاءة المستقبل لهم.

وفي كتاب «العبادة عند المخلوقات» الذي يدوّن فيه الكاتب كيفية عبادة سائر المخلوقات الحيّة وخضوعها لله عز وجل، يرى الشيخ في تقديمه له ضرورة «اهتمام الإنسان بالتعرف على أشقائه في الوجود من سائر المخلوقات، فذاك يحقق له: «إدراك جوانب عظمة الخالق جلا وعلا... ومعرفة إمكانية الاستفادة والتسخير» وهذا سبيل لصنع الحضارة والتقدم.

رابعًا: إضافة فكرة ورؤية للكتاب

وفي هذا القسم يبرز سماحته نقطة مهمة قد تكون غائبة عن الكتاب، وهذا أمر حسن فهو يعتبر إضافة نوعية للكتاب، وفائدة متممة لفوائده، فنجد مثلاً:

- **عالم الدين وأبوّة المجتمع.** التي يتناولها في كتاب «السيد علي السلمان سيرة ومسيرة».
- **العلاج الروحي مفتاح علاج المشاكل البشرية.** وذلك في تقديم كتاب «الأنبياء ومسارات المحن».
- **أفغانستان ومعادلة النقيض الداخلي ومعرفة الذات.** التي يتناولها في كتاب «أفغانستان: تاريخها ورجالها» حيث يرى أن معرفة الذات على مستوى الفرد

والمجتمع سبيل إلى البروز والنهوض. وإذا ما حقق المجتمع ذلك فعليه أن يصلح الأوضاع الداخلية باجتماع قوى المجتمع على الهدف وهو إصلاح المجتمع ومحاربة العدو الخارجي، وإن اختلفت في الرؤى والمنهجية.

القرآن الكريم وشرعية الاختلاف في الرأي وحق الاجتهاد. وذلك في كتاب «المدارس التفسيرية» الذي فيه «استقصاء مناهج التفسير، وتوجهات المفسرين، وتعريف مختلف التفاسير بإيجاز مفيد».

حيث يقرن الصفار في لفتة جميلة بين ما يسميه (كتاب التكوين الإلهي) وهي دراسة الكون والطبيعة التي مهما بلغ الإنسان من العلم فلن يستطيع إدراك كل أسرارها. والكتاب الآخر هو (كتاب التشريع الإلهي) القرآن الذي هو لكل زمان ومكان، وهذا ما يفتح للعلماء حق الاجتهاد في تفسيره وتطبيقه على كل زمان، فهو يقرّ لهم بشرعية الاختلاف وحق تعدد الآراء والاجتهاد. كما أقرّها لهم كتاب التكوين الإلهي، وكلاهما يثبتان عظمة الله عز وجل.

- **الصلاة على النبي بين الأثر الغيبي والنفسي والسياسي.** حيث الحظ الوفير من الحسنات من قبل الله عز وجل كأثر غيبي، واستحضار سيرة النبي وآله كأثر نفسي. أما الأثر السياسي فهو يتمثل في تغيير صيغة الصلاة من إغفال ذكر آل النبي ﷺ في الصلاة عليه، جاء ذلك في تقديمه لكتاب «الصلاة الفاخرة على النبي والعترة الطاهرة».

- **الجيل الناشئ بحاجة إلى وسائل تثقيف تناسب العصر.** وذلك في تقديم ديوان «من ألحان الزهور» الذي يحوي قصائد كتبت للنشء الصغير. يرى الصفار أن مجتمعنا بحاجة إلى الاهتمام بأدب الطفل ورعاية الجيل الناشئ باستخدام وسائل تثقيف تناسب العصر، ومنها الكتابات الأدبية التي تناسب سنهم بلغة سهلة واضحة وشيقة.

- **إدخال صلاة الجماعة في متاهات الخلافات البينية سببت ضعفها.** في تقديم «صلاة الجماعة الطموحات والمعوقات» يشير الصفار إلى الضعف الذي تشهده صلاة الجماعة في مجتمعاتنا ثم يبين أهم الأسباب في ذلك وهو «إدخال صلاة الجماعة في متاهات النزاعات والخلافات المرجعية والفئوية فيما بين الأصوليين والإخباريين والشيخية، ومقلدي هذا المرجع وذلك المرجع».

خامسًا: التعريف بالكتاب

يتناول هنا فكرته عبر تعريف الكتاب الذي يقدّم له، كما في تقديمه للصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ ويعرفها بأنها: كنز علم ومعرفة ومدرسة تربية وإصلاح، مسهبًا في حديثه عن الصحيفة ودورها.

سادسًا: الدعوة لأمر ما

ثمة أمور تكون غير مطروقة من قبل الباحثين، أو أن بعض جوانبها غير مسلط الضوء عليه، وهنا ينتهز الشيخ الفرصة للدعوة لهذه الأمور والتأكيد على أهميتها، ومن ذلك:

- **حاجة الحراك السياسي في القطيف إلى توثيق.** كما في تقديمه لكتاب «مدونات مترعة بالأخاديد» الذي يدون فيه مؤلفه تجربته وتجربة مجتمعه السياسية.
- **اكتشاف قدرة البيان واستثمارها خطوة أساس في طريق الإبداع.** في تقديم كتاب «الليل والنهار»، وهو عبارة عن مجموعة قصصية أدبية.
- **الأحكام الفقهية وتشخيص الموضوعات الخارجية.** في كتاب «المرجان في أحكام الحيتان» الذي يتناول الأحكام الفقهية لكائنات البحر، يتحدث الصفار في تقديمه أن الحوزات العلمية التي تبذل جهدًا مضنيًا لدراسة الفقه والعلوم التشريعية بحاجة ماسة إلى تشخيص الموضوعات الخارجية وألاّ

تكتفي بالجانب النظري الصرف وحسب. فكل دراسة نظرية مهما كانت قيمتها إلا أنها تحتاج إلى تطبيق، لتتبين إيجابياتها وسلبياتها.

- **الحاجة لمؤسسات متخصصة لمعالجة القضايا الاجتماعية.** كما في حديثه عن الإصدار الذي أنتجه «مركز البيت السعيد» وهو المتخصص في علاج المشاكل الأسرية والقضايا الاجتماعية.

- **حركة التأليف والكتابة مرآة تعكس وجه المجتمع.** ضمن تقديم كتاب «معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية» الذي يضم كما هو واضح من عنوانه النتاج الكتابي لشيعة الجزيرة العربية. يرى الشيخ الصفار ضرورة نشر العلم وأنه واجب شرعي على كل عالم، مؤكدًا على أن التأليف والكتابة أبرز وسائله.

ويقول بأن «حركة التأليف والكتابة في كل مجتمع هي مرآة تعكس المستوى العلمي والفكري في المجتمع بل وتكشف عن المستوى النفسي لعلماء ذلك المجتمع ومفكريه».

- **حاكمية العقل في اختيار المرجعية وتقييم دورها.** يرفض الصفار مصادرة حرية الإنسان في اختيار مرجع التقليد. فلا يقبل الاختيار نيابة عنه كما هو الحال القائم في الوضع السياسي باختيار الحاكم نيابة عنه. ويرفض أيضًا حاكمية الأعراف والتقاليد في ممانعة التدخل في الشأن المرجعي. جاء ذلك في تقديمه لكتاب «المرجع والأمة» الذي يتحدث عن المرجعية الدينية، ويوضح أدوارها وما لها وما عليها.

- **ضعف اهتمام الحوزات بتدريس القرآن سبب للتخلف والانحطاط.** يرى الشيخ أنه لا مناص من تدريس القرآن الكريم ضمن مناهج الحوزات العلمية حتى لا يكون هناك انفصام كبير بين واقع الأمة ودينها الإسلامي الحنيف،

وحتى يتمكّن طلاب الحوزة العلمية من ممارسة القيادة الدينية والإرشاد.

يأتي حديثه هذا ضمن تقديمه لكتاب «أضواء على مناهج التفسير» الذي يبحث حول تعدد مناهج تفسير القرآن الكريم وتطورها وتسليط الضوء على بعض النماذج المهمة.

- **منطقتنا بحاجة إلى دراسات تكشف عن قيمتها.** يرى الشيخ أهمية الكتابة والتوثيق حول كل جزء من أجزاء هذا الوطن (القطيف). وحيث إنه كانت هناك دراسات حول المنطقة ككل، أو بعض المدن فيها، فإنه يرى الكتابة حول كل مدينة وكل قرية أمرًا مهمًا. جاء ذلك في تقديمه لكتاب «الآجام: بين الأمس واليوم».
- **الخطيب الحسيني وتحديات الواقع المعاش.** يرى الصفار أن خطباء المنبر الحسيني في هذا العصر يواجهون تحديًا كبيرًا في إدارة المنبر الحسيني وتواصل دوره الفاعل في بناء المجتمع، إضافة إلى المحافظة على مكانة الخطيب اجتماعيًا عبر الطرح العصري. جاء ذلك في تقديمه لكتاب « مناهل الأدباء وحديقة الخطباء»، وهو كتاب يجمع بين دفتيه محاضرات ألقاها مؤلفها على المنبر كي يستفيد منها الخطباء سيما المبتدئون.
- **الحاجة إلى الكتابات الفقهية الميسّرة.** بحيث تتميز «بوضوح العبارة واستيعاب مختلف التفاصيل... واحتواؤها على الآراء والفتاوى المتعددة لمختلف المراجع». جاء ذلك في تقديمه لكتاب «شرح الشكوك» الذي يتناول بشكل مفصل قضايا الشك في الصلاة ويذكر رأي مراجع التقليد البارزين في الساحة.
- **دور الشعر في التصدي لقضايا المجتمع.** في تقديم ديوان «الغروب» والذي يحوي قصائد متعددة الأغراض. يرى الصفار أن الشاعر ينبغي أن يكون

رسولًا، ورسالته شعره الذي يحكي قضايا المجتمع ساعيًا لتغيير الواقع إلى الأفضل. فالشعر ليس بوحًا لما يختلج في نفس الشاعر وحسب، بل لسان ناطق عن المجتمع أيضًا.

- **أهمية الدراسات البحثية للمجتمع**. في كتاب «العملات المتداولة في القطيف والأحساء» الذي يكشف فيه الباحث عن تراث وآثار قديمة لعملات كانت متداولة في المنطقة بين القطيف والأحساء، يرى الشيخ في تقديمه للكتاب أهمية الدراسات البحثية لكل جانب من نواحي المجتمع والتي من شأنها أن تبرز مكانته وتعزز فيه حالة النهوض والتطلع إلى مستقبل أفضل.

- **أهمية اللغة الجماهيرية والعاطفية لعرض سيرة أهل البيت ﷺ**. يرى الشيخ أننا في الوقت الذي نحتاج فيه إلى أهل الاختصاص لدراسة فكر وعطاء أهل البيت ﷺ فإننا بحاجة إلى ذوي المواهب الفنية والكفاءات الأدبية الذين يجيدون عرض سيرة أهل البيت ﷺ. وذلك عبر لغة واضحة تخاطب الوجدان والمشاعر.

جاء ذلك عبر تقديمه لديوان «المدائح المنظومة الجزء الحادي عشر» الذي يضم قصائد مدح ورثاء في أهل بيت النبوة ﷺ وأصحابهم.

- **المنبر الحسيني وتوجيه الحراك السياسي**. في كتاب «قراءة في الخطاب الحسيني.. الربيع العربي أنموذجًا» الذي يسلط الضوء على «اسقاطات الخطاب الحسيني على واقع الحراك الذي تشهده الساحة العربية في ربيع جماهيرها الثائرة». يرى الصفار بأن المنبر الحسيني يجب أن يأخذ دوره في توجيه الفكر السياسي متجاوزًا آثار التخلف والاستبداد.

- **النهضة الحسينية تحتاج قراءة متجددة تناسب العصر**. يرى الشيخ أن النهضة الحسينية تحوي كنزًا كبيرًا من المعارف والرؤى التي من شأنها أن تكون

العامل الأساس في إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية ولن يكون ذلك إلا بقراءة متجددة «للثورة الحسينية على ضوء تطورات الحياة، وحاجات الأمة في هذا العصر».

جاء ذلك في تقديمه كتاب «بصائر من النهضة الحسينية» الذي يضم بين دفتيه «مجموعة من المقالات القيمة، التي تتناول بعض أبعاد النهضة الحسينية، برؤية جديدة، تلامس هموم الواقع، وتواكب تطورات الوعي الاجتماعي».

- **قوة المجتمع تحتاج كفاءات فاعلة ومؤسسات اجتماعية.** في كتاب «مسيرة عطاء» الذي يترجم لسيرة أحد أبرز رجالات العمل الاجتماعي التطوعي في مدينة سيهات الحاج (أحمد عبدالنبي الحلال ت٢٠١٢م).

يرى الشيخ أن قوة المجتمعات لا تبنى بالأحلام والأماني، وإنما ببروز الكفاءات التي تتصدى للشأن العام وبوجود مؤسسات اجتماعية.

- **عالم الدين والتصدي لنشر العلم.** في تقديمه كتاب «قضايا الدين والمجتمع.. رؤى وقراءات» الذي يضم بين دفتيه خطب مؤلف الكتاب التي تعالج قضايا دينية واجتماعية وتربوية.

يقول الصفار بأن الوقت الذي نعيشه في عصر العولمة والانفتاح على أفكار الغرب وانتشار ما يخالف الدين يضاعف المسؤولية على علماء الدين والخطباء لبذل أقصى جهدهم. ويأتي ذلك عبر خطب صلاة الجماعة وعبر المنبر الحسيني والالتزام الديني، وإدمان المطالعة والمعرفة.

٤. رؤية مستوحاة من طبيعة المؤلف:

من ضمن المناهج التي يتبعها الشيخ الصفار في تقديمه للكتب، أن يستوحي فكرة

من طبيعة وشخصية المؤلِف. فقد يتحدث عن المرأة بشكل عام أو ضمن جانب مهم في حياة المرأة إذا كانت المؤلفة امرأة. أو عن العلماء إذا كان المؤلف عالمًا، أو عن الشباب إذا كان المؤلف شابًا وهكذا، وفي ثنايا حديثه قد يعرج بفكرة حول الكتاب أيضًا.

وسوف نأخذ نموذجين من تقديماته حسبما رأيناه في هذا الجانب.

- **إحياء دور المرأة المعرفي والثقافي والديني.** تأتي هذه الفكرة في سياق تقديمه لكتاب «على خطى الزهراء ﷺ»، حيث مؤلفته بتول الشريمي. ويقول الصفار أن على «الأمة في هذا العصر إحياء دور المرأة في المجتمع بدءًا من دورها المعرفي والثقافي، وخاصة على صعيد المعرفة الدينية بأن تأخذ موقعيتها في الحوزات والمعاهد العلمية، وأن تشارك في الإنتاج الثقافي والحركة العلمية».
- **تهميش الشباب يئد كفاءاتهم ويقودهم لليأس.** يرى الصفار أن شباب المجتمعات في العالم الثالث يواجهون تهميشًا صارخًا على شتى الأصعدة مما يؤدي إلى وأد كفاءاتهم وهدر طاقاتهم وتسليمهم ليد اليأس والإحباط. مشيرًا إلى أوضاع الشباب في الدول المتقدمة التي تفتح لهم كل المجالات لتطوير إبداعاتهم وصقل شخصياتهم مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب الطموح عندهم، ويصل أعلاه حتى إلى التطلع لرئاسة الدولة. فيما يُحرم شباب العالم الثالث حتى مجرد التفكير في ذلك! يتظافر مع ذلك نظرة المجتمع للشباب على أنهم طائشين، وتصادر العائلة حرياتهم حتى في اختيار شريك الحياة. إضافة إلى عدم استيعابهم واستقطابهم إلى مراكز ومؤسسات من شأنها أن تنمّي مهاراتهم وتفجر طاقاتهم. وهذا ما يقودهم لليأس والإحباط.

جاءت هذه الفكرة مستوحاة من طبيعة المؤلف وهو شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره لكتابه «مقالات في الثقافة والاجتماع» والذي يضم بين دفتيه مقالات متنوعة نشرت في مواقع إلكترونية.

٥. رؤية مستوحاة من شخص المؤلف

هذا الجانب يختلف عن السابق في تخصيص الحديث عن شيء يلتمسه من شخص المؤلف أو النشاط الذي يقوم به. فيكتب عن خدمة المجتمع ومكانة الناشط الاجتماعي إذا كان المؤلف ناشطًا اجتماعيًا، وقد يتحدث عن الوجاهة وبذل الجاه لو كان المؤلف وجيهًا، والخطابة لو كان المؤلف خطيبًا وهكذا. والنماذج والرؤى التالية سبيل لإيضاح الفكرة التي تنطوي تحت هذا المنهج.

- **المظاهر الاجتماعية السلبية تحتاج رصدًا وتأملًا وسعيًا للعلاج.** وذلك في تقديمه لكتاب «رسالة في الطهارة من الذنوب» حيث إن مؤلفه معلّم مرحلة ثانوية يرصد ما يواجهه طلابه من مشاكل ويسعى لحلها.
- **حملة الأقلام وخدمة مبادئهم ومجتمعاتهم.** وهي رؤية يشير لها في تقديم كتاب «تعال معي لنقرأ» الذي يترجم لأعلام وأسرة آل أبي المكارم وآل الشيخ عبد الله. وفيها يؤكد على أهمية الكتابة والتدوين ويقول بأن كثيرًا من حملة الأقلام «لا يكادون يستخدمون أقلامهم إلا بشكل محدود ولمقتضيات حياتهم الوظيفية والمعيشية» داعيًا لتسخيرها لما يخدم العلم والمجتمع.
- **حسن التربية يثمر أولادًا صالحين**، وفي تقديم كتاب «الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيع» الذي يبحث حول شعيرة الصلاة على النبي وآله ﷺ وكيفيتها وأهميتها وثمراتها ويبحث في معنى الآل وخصوصيتهم في الصلاة على النبي ﷺ، يقدم الصفار المؤلف كنموذج يحتذى به في حسن تربيته لأبنائه. مشيرًا إلى أهم ما يميز أساليب المؤلف التربوية والتي كان نتاجها أولادًا صالحين تشاركوا معه في خدمة الثقافة والمعرفة والمجتمع[١].

---

(١) تقديم كتاب الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيع. عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم وابنه أديب عبدالقادر أبو المكارم. من ص٦ ٨. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، (دار المحجة البيضاء ودار الواحة).

- **مرحلة الشباب ليست فضلة من الوقت وفراغ من الزمن**، في تقديم ديوان «رعشة الحروف الثملة» الذي يضم بين دفتيه مجموعة من القصائد وهو لشاب في مقتبل العمر، يقدمه الشيخ كأنموذج للشباب الفاعل الذي يستثمر وقته ومرحلة شبابه فيما ينفعه. وكذلك يقدم مؤلف كتاب «الآجام بين الأمس واليوم» كشاب في مقتبل العمر أيضًا كنموذج للشباب الذي يستثمر وقته ويسعى للجد والاجتهاد وتجاوز الكسل لإثبات نفسه.

٦- رؤية مستوحاة من بلد المؤلف

في هذا المنهج فإن الصفار يكتب في تقديمه عن بلد المؤلِف أو عن المنطقة التي أُلف حولها الكتاب. وهو في هذا الجانب إما ينطلق في تقديمه بإعطاء فكرة ورؤية حول مجتمع المؤلف كأن يتحدث عن الأحساء إذا كان المؤلف من الأحساء مثلًا، أو يعطي فكرة ونبذة عن مجتمع ما له ربط بالمؤلف أو الكتاب نفسه سيما إذا كان يعالج فكرة تنطبق على بلد ما كما في تقديمه لكتاب «أفغانستان .. تاريخها ورجالها». ويتحدث أحيانًا عن الجو العام للمنطقة التي يكتب عنها، أو عن صفة ما فيها، كولاء منطقة هجر للنبي وآله ﷺ وعمق هذا الولاء، وكتابته عن الحراك السياسي في منطقة القطيف، وحركة مرجعية الشيرازي في القطيف. وأحيانًا يذكر نماذج من الشخصيات والأعلام وعن الدور العلمي والمعرفي لمنطقة ما. كما نجده أحيانًا يبدأ حديثه مباشرة عن المنطقة التي يريد الحديث عنها، وأحيانًا أخر يبدأ بفكرة ما ثم يربطها بالمنطقة التي يتحدث عنها.

وله في هذا الجانب نماذج عديدة، كان نصيب المجتمعات الأكبر في حديثه هو الحديث عن المجتمع الداخلي سيما القطيف والأحساء، أما حول المجتمعات الخارجية فقد كتب عن أفغانستان ومنطقة السيدة زينب ﷺ في الشام.

فكتب مثلًا عن أفغانستان والتأزم النفسي، في تقديمه كتاب «أفغانستان: تاريخها،

رجالها». وكتب عن بلاد الشام والأثر النفسي والسلوكي لمجاورة مراقد أهل البيت عليهم السلام في تقديمه ديوان «النفحات الولائية في العقيلة الهاشمية». وكتب عن هدر الثروة السمكية في المملكة العربية السعودية في تقديمه كتاب «المرجان في أحكام السمك والحيتان». وعن ولاء منطقة هَجَر للنبي وآله ﷺ في كتاب «المباهلة». وكتب عن القطيف والأحساء من حيث أهمية كتابة تاريخهما في كتاب «العملات المتداولة في القطيف والأحساء»، وعن حركة التأليف فيهما في كتاب «معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية». وأما حديثه الخاص عن القطيف فقد كتب عن إزدهار العلم فيها في تقديمه «موسوعة دلائل الأحكام»، وعن أثر مرجعية السيد الشيرازي عليها في كتاب «معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف»، وعن الحركة السياسية فيها في كتاب «مدونات مترعة بالأخاديد».

٧. كتابة تجربته الشخصية في جانب ما

في هذا المنهج يدون الشيخ تجربته الشخصية التي تتلاءم مع موضوع الكتاب. أحيانًا تكون هذه التجربة هي منطلق حديث التقديم، كما في تقديمه لكتاب «الحب والفراق» وكذلك كتاب «أفئدة بلا عواطف». وأحيانًا أخرى يكتب مقدمة حول موضوع يناسب الكتاب ثم يعرج بذكر تجربته في هذا الجانب، كأن يتحدث عن أهمية العقل ودوره واستشارة ذوي الرأي ثم ينتقل إلى موضوع الخيرة ويذكر تجربته في حديثه عنها وكيف كان رد فعل الناس تجاه ما طرحه من رأي، وذلك في تقديم كتاب «شاخصة الأبصار لذوي الاختيار». وكذلك حديثه عن دور المرجعية ومن ثم انتقاله إلى الحديث عن مرجعية الشيرازي وأثرها في الساحة القطيفية ومن ثم يذكر تجربته الشخصية لهذه المرجعية ومعايشته لها، وذلك في كتاب «معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف». وحديثه عن السؤال وأثره على السائل والمسؤول، ثم حديثه عن تجربته الشخصية مع أسئلة زوار موقعه على الانترنت وذلك في «كتاب أسئلة وإجابات».

٨ـ كتابة ترجمة أو سيرة ذاتية للمؤلَف عنه

ينحو الشيخ في هذا المنهج كتابة سيرة ذاتية لمؤلف الكتاب أو لمن أُلِّف حوله الكتاب، قد تكون مفصلة أو مقتضبة، مركزًا على أهم معالم الشخصية التي يكتب عنها. وعادة ما يكتب هذا المنهج لمن لهم مكانة اجتماعية سامية، أو لمن لهم مكانة في نفسه وقلبه، أو لمن تأثر بهم في صغره واستفاد منهم. ومن الشخصيات التي ترجم لها:

- والده الحاج موسى الصفار في ديوانه «من فيض الولاء».
- الشيخ علي المرهون في تقديمه لكتابه «لقمان الحكيم» .
- ترجمة السيد محمد آل إدريس في تقديمه لكتاب «مناهل الأدباء وحديقة الخطباء» .
- ترجمة الملا علي الطويل في تقديمه لكتاب «مولد أمل» الذي يترجم لسيرة الطويل.
- ترجمة المهندس جاسم قو أحمد في تقديمه لكتاب «العهد» الذي أُلف حول سيرة قو أحمد.
- ترجمة الشيخ حسن الراضي في تقديمه لكتاب «الصلاة الفاخرة على النبي وعترته الطاهرة» .

٩ـ دعوة شخصية لأمر ما

من خلال تقديمه لموسوعتي السبحاني[١] «معجم طبقات المتكلمين»، و«مفاهيم قرآنية»، نستطيع أن نلمس هذه المنهجية عند الشيخ الصفار بوضوح وهي الإشادة بشيء ما، أو الدعوة لأمر ما، موجهة لشخص معين، وهما مجتمعان في هذين التقديمين. وقد

---

(١) المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني. ولد في تبريز سنة ١٣٤٧هـ، باحث ومحقق، يدير مؤسسة الإمام الصادق، ومشارك في تدوين القانون الأساسي لإيران، له تفسير موضوعي للقرآن، وغيرها من الكتب والموسوعات.

تجد هذه المنهجية متفرقة أو بشكل غير مباشر في مقدماته الأخر بشكل عام.

يشيد هنا بالدور المعرفي الذي يلعبه السبحاني، فيقول: «لا بدّ وأن تتوجه ثلة من العلماء والمفكرين العارفين بأبعاد الصراع الحضاري، والمدركين لتطلعات الأمة، ليقوموا بدور الإمداد والدعم الفكري والعلمي، خلف جبهة الصراع العسكري والسياسي والإعلامي. وسماحتكم هو في طليعة من يطمأن ويعتمد عليه لملء هذا الفراغ الكبير وسد هذه الحاجة الماسة».

١٠. رسائل تقريظية

لا نجد هذه المنهجية عند الشيخ الصفار إلا في تقديمين، وكلاهما لنفس المؤلف وهو السبحاني في كتابيه سالفي الذكر، ويبدو أن الأخير يجلّ الصفار ويقدر دوره وحراكه ومكانته، ولذلك يطلب منه التقديم والرأي، وفي المقابل فإن الشيخ الصفار يجل هذا العالم وتأدبًا معه على ما يبدو فإنه يكتب تقريظه له على شكل رسالة وعلى شكل مقترحات تحتاجها الساحة الإسلامية منه كعالم ومحقق باحث. حتى أن المؤلف الشيخ السبحاني وضع التقديم لكتابه «معجم طبقات المتكلمين» في المجلد الرابع منه تحت عنوان «رسالة كريمة».

في كلا التقديمين يبدأ الصفار كلامه موجهًا إلى صاحب الكتاب كما هو المعتاد في الرسائل: «سماحة آية الله العلامة المحقق الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله»، ثم السلام وبداية الحديث. ثم يبدأ بعرض أفكاره ومقترحاته والتي أشرنا لها في المنهجية السابقة.

١١. إبداء تعليق أو رأي حول الكتاب والكاتب

وهو أيضًا أسلوب سائد في التقديم للآخرين، ولربما كان هذا القسم في كل المقدمات. فمن الطبيعي أن يذكر شيئًا حول الكتاب أو المؤلف. ويختلف من تقديم لآخر في الإسهاب والاقتضاب. ويمكننا أن نعطي هذا الجانب عنوان التقريظ، وهو

عنده على طريقتين: أحيانًا يبدأ مباشرة بالحديث عن المؤلف، والآخر وهو الأكثر أن يذكر الفكرة ثم يختم بالحديث عن المؤلف. كما نجده يميل إلى تقريظ المؤلف تارة والكتاب تارة أخرى، أو الجمع بينهما.

أولًا: تقريظ الكتاب:

يركز في تقريظه للكتاب على أهمية الموضوع، وعمق البحث، وتعدد المصادر وانتقائها بشكل دقيق، ومواكبة الطروحات العلمية والفكرية الجديدة، ويقول في هذا الجانب: «إن سعة الإطلاع وتنوع مصادر المعرفة قد تفتح أفق الإنسان وتثري آراءه وأفكاره»[1]، إضافة إلى أهمية استعراض مختلف الآراء والطرح العقلاني الهادئ من دون إثارة واستنقاص وتجاهل للآخرين. وهو لا يقرظ الكتاب إلا إذا لمس ميزة بارزة فيه أو أن الحديث كان مناسبًا.

ثانيًا: تقريظ الكاتب:

في هذا الجانب فإن الشيخ الصفار يشير مثلًا إلى دور الكاتب الاجتماعي أو نشاطه الثقافي، أو يعطي نبذة موجزة عنه وعن دراسته وشخصيته، وأحيانًا عن أسرته وعائلته، كما يتحدث عن معرفته الشخصية ببعض المؤلفين وانطباعه تجاههم. وهذه ميزة جميلة في هذا الجانب، فالذين يكتب لهم تقديمًا لكتبهم ليسو هم من يعرفونه فحسب لشهرته أو مكانته، بل هو شخصيًا يعرفهم فيكتب عنهم عن علم ومعرفة، ويلمس في كل منهم أبرز ما يتميز به.

---

(١) تقديم كتاب على خطى الزهراء ﷺ.

الفصل الرابع

صدى الأفكار

صدى الأفكار

بداية:

يهدف الشيخ الصفار إلى بث أفكاره ورؤاه في كل مكان يمكنه ذلك، وبكل لباقة وأدب، وحسن عرض. يتجلى ذلك في حديثه الدائم في مجلسه العامر، فهو لا يترك المجلس للأحاديث العامّة دون هدف ودون توجيه. يفتتح مجلسه العام غالبًا بفكرة أو كلمة توجيهية ثم يطلب من الحضور المناقشة، أو الخوض في حديث الشأن العام لمتابعة أوضاع البلد والناس. ولا يخفى على الجميع دوره الخطابي المتمثل في محاضرات محرم الحرام الذي يكثّف فيه جهده لعرض خلاصة فكره حول مجريات العام، وكذلك عبر منبر الجمعة، وعبر الندوات والمؤتمرات والمحاضرات المختلفة في المنتديات وفي محافل أهل البيت ﷺ والشخصيات العلمية. وكذلك عبر كتبه المتنوعة الهادفة.

وهنا ينتزهز الشيخ فرصة بث أفكاره في كتب الآخرين أثناء التقديم لها، وهو يقتبس هنا الفكرة من مضمون الكتاب أو فكرته، أو من المؤلف شخصًا ونشاطًا كما أشرنا سابقًا. هذه الأفكار قد تكون جديدة وقد يكون الصفار قد سبق وتحدث عنها في أمكان مختلفة، لكنه هنا يعيد صياغتها بما يتناسب مع موضوع الكتاب، ولهذا أسمينا هذا الفصل (صدى الأفكار).

ولأن الكتب قد تتشابه في مواضيعها فإن الأفكار قد تتكرر طرحًا، ولكن بشكل مختلف، وبنقاط إضافية. وحتى لا تتشتت هذه الأفكار القيّمة، فإن هذا القسم يسعى للملمة شملها وضمها مع بعضها وإيضاح جوانبها وأبعادها. وقد رتبت عبر مواضيع معينة حسب أهميتها، ووضع لكل موضوع رئيس، أو فرعي مقدمة بسيطة حتى يتم الولوج من خلالها لرؤى الصفار حول الموضوع.

الموضوع الأول: المرأة.

المرأة والدور المعرفي:

لا تزال المرأة محلًا للاهتمام والدراسة من حيث الوضع الاجتماعي لها. فهي بين من أخرجها عن أنوثتها وفطرتها السليمة، وبين من يريد إذلالها وتخلفها ويجعلها حبيسة الدار كعنصر لا نفع منه سوى خدمة الزوج. ورغم تعزيز الإسلام لها وتكريمها، إلا أنها لا تزال في حالة تصادم مع مجتمعها لتحقيق المستقبل الذي تطمح إليه.

في الوقت الذي نعترف للمرأة بأنها نصف المجتمع، بل أكثر من نصف المجتمع حيث يزيد نسبة الإناث على الذكور، فإننا لابد أن نعطيها مكانتها الصحيحة التي من شأنها أن تخلق مجتمعًا صاعدًا متألقًا.

إشراك المرأة في صنع الحركة الثقافية والاجتماعية:

لهذا يرى الصفار بأن المجتمعات الصاعدة التي يزداد فيها الوعي والحركة الثقافية والمعرفية، لا بدَّ لها من إشراك المرأة في هذا الجانب. ذلك أن المجتمع لا يمكن أن يكون متحضرًا واعيًا وأكثر من نصفه يغط في جهل عميق. ثم يذهب الصفار إلى مرحلة أكبر، ويقول بأن تثقيف المرأة وحده لا يكفي، بل لا بدَّ من إشراكها في إنتاج المعرفة وصنع الثقافة. ويلفت إلى أن خطابات القرآن الكريم التي فيها (يا أيها الناس)، (يا بني آدم)، (يا عبادي)، (يا أيها الإنسان) كلها تنادي الرجل والمرأة على حد سواء. وكذلك الحال بالنسبة لأحاديث النبي ﷺ، ومنها: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ولتوضيح إمكانية قيام المرأة بهذا الدور في المجتمع إلى جنب الرجل، يشير الصفار إلى أنه كان للمرأة دور في نقل روايات النبي ﷺ ومعرفة الأحكام، ويجمع علماء المسلمين على الأخذ بروايات النساء حينما تتوفر فيها شروط القبول والصحة. مشيرًا إلى وجود ١٣٤ راوية في موسوعة معجم رجال الحديث(١). وكذلك ٣٤٥ امرأة في كتاب مشهور آل سلمان: عناية النساء بالحديث النبوي(٢).

المرأة والمجتمعات الذكورية:

لكن المرأة ابتليت بمجتمعات ذكورية، لا ترى للمرأة مجالًا في صنع الواقع المعاش، وتوكل الأمر كله للرجل، كما يرى الصفار. وكأنّ العلم والمعرفة حكر على الذكور من أبناء البشر، في حين أن قدرات المرأة الذهنية لا تقل عن الرجل. ويؤكد بأن هذه النظرة للمرأة خاطئة، وأنه إذا هيمنت الثقافة الذكورية في أي مجتمع فإن مسيرة العلم والمعرفة فيه تكون عرجاء(٣).

المرأة والدور القيادي والريادي:

هل يمكن للمرأة أن تكون في مصاف الرجل من حيث المعرفة الدينية، والارتباط بالله عز وجل، وتبليغ أهداف الشريعة للناس؟ وهل يمكن لها الدخول في السلك السياسي والقيادي في المجتمع؟

يرى الصفار بأن الرجولة والأنوثة ما هي إلا إطار للمضمون الإنساني، وبمقدار ما يتوفر المضمون وترتفع درجة المحتوى تكون قيمة الإنسان وعظمته. ثم يشير إلى أنموذج عظيم في التاريخ الأنثوي وهي السيدة المقدسة مريم العذراء ﷺ، «حيث لا تزال سيرتها ثرية ومعطاءة، تؤكد لبني البشر عامة ولبنات حواء خاصة، ضرورة الارتباط

---

(١) للمرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي، (١٨٩٩-١٩٩٢)، زعيم الحوزة العلمية بالنجف الأشرف.

(٢) تقديم كتاب على خطى الزهراء ﷺ.

(٣) المصدر السابق.

بالله سبحانه وتعالى والخضوع لشريعته». كما أن الله سبحانه وتعالى اختارها لمهمة صعبة وعظيمة وهي أمومة نبيه عيسى ﷺ وأن تكون هذه الأمومة بشكل استثنائي، حيث ولدته من غير أب، وهذا ما جعلها عرضة لسهام اتهام المغرضين من قومها. لكنها واجهت التحديات، و«أصبحت الآن المرأة الأولى بين بنات حواء من حيث التقديس والإجلال، فأكثر من نصف البشر يكنون لها الاحترام والإكرام»(١).

مشاركة المرأة في الدور السياسي:

هذا في الجانب الديني، أما في الجانب السياسي، فلا مجال للتشكيك في إمكانيات المرأة في هذا الجانب، والنماذج النسوية التي سجلها التاريخ شاهدة على قدرتها وتفوقها. كبلقيس التي أسلمت على يد نبي الله سليمان ﷺ وكانت رأس القيادة في مجتمعها، وكذلك شجرة الدر، ويشير الصفار إلى «من ثنيت لها وسادة الحكم ومارست دور قيادة السلطة في أهم دول العالم لهذا القرن كبريطانيا التي حكمتها (مارغريت تاتشر) ما يزيد على عقد من الزمن، وفرنسا التي ترأس وزراءها الآن (أديت كريسوف) والفلبين التي تحكمها (كورازون أكينو) والهند التي خضعت لزعامة (أنديرا غاندي) طيلة عقدين من الزمن، فضلا عن بنغلاديش والباكستان»(٢).

*****

فإذًا بإمكان المرأة أن تشارك في نهضة مجتمعها، إذا ما سعت هي لذلك، وإذا ما ابتعد المجتمع عن فرض الهيمنة الذكورية على المرأة. وأتاح لها فرصةالتقدم.

الموضوع الثاني: الشباب.

إن مرحلة الشباب هي مرحلة تَشكّل شخصية الإنسان، التي ترسم ملامح مستقبله،

(١) تقديم كتاب الصديقة مريم العذراء.. معجزة الأجيال.

(٢) المصدر السابق.

ومكانته في المجتمع. ويرى الصفار بأن هذه المرحلة هي مرحلة القوة والنشاط، وأن على الشباب أن يستغلوا هذه المرحلة العمرية من حياتهم، وألاَّ يضيعوها سدى. ويقول متأسفًا: «كم في بلادنا من شباب يختزنون الكثير من القدرات والطاقات، لكنهم لا يسعون لاكتشاف طاقات أنفسهم»[١].

كما يرى أنها مرحلة تفجر الأحاسيس والعواطف، وأوج ظهور الغرائز والشهوات. ويقول: بأن كثيرًا من الشباب يستغرقون في الاستجابة لعواطفهم والاسترسال مع غرائزهم وشهواتهم، وهذا ما يضيع عليهم فرصة التقدم، فيكونون أفرادًا عاديين في المجتمع، ولربما عجزوا عن توفير أدنى متطلبات الحياة[٢].

ويرى أن بإمكان كل شاب أن يكون رقمًا صعبًا وعنصرًا فعالًا في مجتمعه، ولكن كثيرًا من الشباب يهدرون هذه المرحلة العمرية فيما لا نفع فيه، في اللهو والتفاهات، مبددين بذلك أغلى ساعات حياتهم، متعاملين معها على أنها فضلة من الوقت![٣]

الشباب وقدرة الإبداع:

لكل إنسان قدرة إبداعية كامنة في نفسه، ولا شكّ أن مرحلة الشباب هي المرحلة التي تمكنه من إبراز هذه القوة والقدرة الإبداعية. لكن هؤلاء الشباب يحتاجون إلى عوامل مساعدة لتفجير طاقاتهم وإثبات قدراتهم.

من هنا يقارن الشيخ بين البيئة التي تحتضن الشباب في الدول المتقدمة، وتلك التي يعيشها الشباب في الدول النامية أو مجتمعات العالم الثالث. فيرى أن شباب المجتمعات المتقدمة بإمكانهم أن يختاروا المسار الذي يريدون اقتفاءه للوصول إلى الهدف المنشود، فمجال المشاركة في الشأن العام وصناعة المستقبل مفتوحة أمامهم،

---

(١) تقديم كتاب الأجام: بين الأمس واليوم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تقديم كتاب رعشة الحروف الثملة.

حيث الجامعات، ومراكز الأبحاث. إضافة إلى الأنظمة والقوانين التي تشجع هناك وتساعد من له توجه اقتصادي، أو ميول سياسية واجتماعية. هذا كله يحفّز الشباب هناك على التطلع والطموح والسعي لتحقيق الأهداف.

لكن بيئة الشباب في العالم الثالث مغايرة تمامًا. حيث أن «طريق الشباب للحياة هناك تزدحم فيه العوائق والعقبات، بدء من تعسر فرص التعليم ... وصعوبات الحصول على مجال عمل مناسب، وانتهاء بمخاطر التدخل في الشأن السياسي». ويرى بأن الشباب مهمشين اجتماعيًا ولا يزالون في نظر الكبار المهيمنين صغارًا طائشين. اضافة إلى مصادرة العائلة إلى حرياتهم والتدخل في بعض خصوصياتهم. وهذا كله يؤدي إلى فشل الشباب وانحدارهم نحو الفساد[1].

الشباب والدور الريادي:

إننا حين نزيل تلك العوائق السابقة، ونفتح المجال للشباب لتفجير طاقتهم وقدراتهم، فإنهم سيكونون قادرين على إثبات ذواتهم وإمكاناتهم للجميع، وسيبرهنون للمجتمع أن بإمكانهم أن يقدموا كثيرًا من الخير والتقدم لأنفسهم، ولمجتمعاتهم. ولكن عليهم أيضًا أن يأخذوا في الحسبان كما يرى الشيخ الأمور التالية:

الأول: «وعيهم بأهمية هذه المرحلة من حياتهم» حتى يستثمروها بالشكل الأنسب، وكذلك معرفتهم بالتحديات التي تواجههم فيها حتى يتجاوزوها ويتغلبوا عليها.

الثاني: «توفر القدوات والنماذج التي تشجعهم على سلوك طريق العطاء واستثمار المواهب والقدرات»[2]. كالأنبياء والأئمة ﷺ، والعلماء، والمثقفين والمكتشفين والمخترعين وغيرهم.

---

(١) تقديم كتاب مقالات في الثقافة والاجتماع، صادق راضي العلي، ص١٢-١٤، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

(٢) تقديم كتاب رعشة الحروف الثملة.

الثالث: الجد والاجتهاد، وتجاوز أهواء الميوعة والكسل، فالحياة ساحة كدح وعناء»[١]. إنها مرحلة القوة، وتفتق الوعي والإدراك، وإذا لم يستغلها الشاب فإنه يسير إلى مستقبل صعب، ترهقه فيه كثير من الأمور في وقت الضعف والعجز بسبب كبر السن.

الشباب والتحديات المعاصرة:

الشباب وجه المجتمع، سيما وأن مجتمعاتنا العربية الآن تعتبر مجتمعات شابة، فنسبة الشباب هي النسبة الأكبر. هذه النسبة الكبيرة في المجتمعات لا بد وأن يكون لها الدور المناسب، فهي التي تصنع المجتمع، «وإذا ما رأينا واقع المجتمع غير سليم، فلا بد وأن ندرس واقع أفراد المجتمع لندرك مكمن الخطأ وسر الانحراف»[٢]، كما يقول الصفار.

من هنا فإنه يرى ضرورة إصلاح واقع الشباب، ويقول: «بأن الشباب يواجه تحديات خطيرة في هذا العصر على صعيد تكوين شخصياتهم وتشكيل أفكارهم وسلوكهم». مشيرًا إلى عدة أسباب:

أولًا: «أنهم ليسو متروكين لفطرتهم وعقولهم ليتبينوا عبرها الرشد من الغي». إنهم يواجهون مدًّا غربيًا يجرفهم نحو المغريات والملذات، ويبعدهم عن قيم الدين. ووسائل استقطابهم متعددة ومغرية، يصعب انفكاكهم عنها ما لم يجدوا البديل الأنسب.

ثانيًا: «آباؤهم يعيشون صدمة التغيّر والتطور الهائل الذي أصاب حياتهم، فأفقدهم القدرة على مستجدات العصر إلى جانب الحفاظ على القيم والمبادئ». وهنا لا بد من بذل الجهد في البحوث التربوية، لتغيير أنماط التربية بما يتناسب مع العصر، والقيم الدينية.

ثالثًا: «الجهات الدينية لا تملك وسائل الجذب والاستقطاب». لغة الخطاب الديني

(١) تقديم كتاب الأجام: بين الأمس واليوم.

(٢) تقديم كتاب عقدة الحقارة، رضي آل مطر، ص١٧، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، (دار البيان العربي، بيروت لبنان).

ينبغي أن تواكب العصر، وتعرف كيف تلج إلى نفسيات الشباب، حتى تغيرها للأفضل.

رابعًا: «الأجواء المحيطة بالشباب تمتلئ بأساليب الإغراء والإغواء». العالم الآن أصبح قرية صغيرة عبر وسائل الاتصال الحديث والتطور التكنولوجي، «والثقافة المادية تريد إذابة كل الشعوب في بوتقة الحضارة الغربية تحت شعار العولمة».

خامسًا: «ظروف الحياة الصعبة في مجال التعليم والعمل» تجعل من الشباب قلقين على مستقبلهم.

لهذه الأسباب السابقة، ولعدم السعي الجاد لحلها، يرى الصفار أن هذا ما يسبب صدور ظواهر غير مريحة في المجتمع من قبل الشباب، وتصرفات غير لائقة، مما يثير انزعاج الآباء وغضب المتدينين.

ثم ينادي بالسعي للبحث عن الأسلوب الأمثل، وهو «فهم واقع الشباب ومشكلاتهم ومن ثم مساعدتهم على تلمس الحلول، واكتشاف سبل الإنقاذ والخلاص. ثم يقول بأن هذه مسؤولية الجميع بأن يناقش الأمر ويدرس، ويقدم له المقترحات والبرامج[١].

الشباب والانفتاح على القرآن الكريم:

كنموذج واضح لتقبل الشباب للهدى، وكيف يؤثر أسلوب العرض الجميل بما يتناسب مع فطرتهم وعقولهم النقية، هو انجذابهم للقرآن الكريم كرسالة سماوية جاءت لتغيير واقعهم إلى الأفضل، ونقلهم من الذل إلى العز، ومن الظلام إلى النور. يشير الشيخ إلى أن قلوب الشباب هي التي احتضنت آيات الذكر الحكيم حينما هبطت على نبينا المصطفى ﷺ، وألسنتهم هي التي أوصلته إلى المسامع، وسواعدهم خاضت معارك الجهاد لتثبيت منهج القرآن في الحياة.

فأول من سمع القرآن ووعاه هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ. وأول من

(١) تقديم كتاب ما يريده الشباب: الطعم والبديل.

صدح بتلاوته في ملأ قريش كان عبدالله بن مسعود، وأول من حمل آيات القرآن الكريم إلى المدينة وعلمه أهلها مصعب بن عمير.

ويتساءل الصفار: لماذا كان الشباب هم جيل الاستجابة للقرآن أكثر من غيرهم؟ ثم يشير إلى الأسباب التالية:

١. «أنهم كانوا في مرحلة تفتح الفكر، وتشكيل الوعي». ورأوا في القرآن ما يجيب على تساؤلاتهم عن الحياة والخلق والدين والآخرة وغير ذلك.

٢. «كانوا يتحسسون مساوئ الواقع الجاهلي المعاش» فبين لهم القرآن الكريم كيفية الخلاص من هذا الواقع.

٣. قلوبهم نقية لم تتمكن منها المصالح والعصبيات.

٤. لغة القرآن التي تناسب تطلعاتهم، وكذلك الشخص الذي جاء به فبأخلاقه وحسن تعامله معهم جذبهم إليه وإلى رسالته السمحاء.

ثم يرى الشيخ بأنه «كما بدأت مسيرة القرآن الكريم على أيدي الشباب، فإن رحلة العودة إلى القرآن ستكون على أيديهم المباركة»[١].

*****

فلا بدّ إذًا من استغلال مرحلة الشباب لصنع مستقبل أفضل، ومجتمع ريادي ناهض. وذلك يحتاج من الشباب وعيًا وفهمًا للحياة، وجدًا واجتهادًا، واقتداء بسير ونهج القدوات الصالحة. كما أن الشباب يحتاجون إلى بيئة حاضنة مشجعة، وهذا يتطلب من الجميع السعي الحثيث لمعالجة التحديات المعاصرة التي تعصف بالشباب حتى نخلق لهم مستقبلًا زاهرًا، ومجتمعًا إيمانيًا متحضرًا يعود للقرآن الكريم ويصنع من هديه واقعًا ومسقبلًا أفضل.

(١) تقديم كتاب العودة إلى القرآن، فاضل البحراني، وبشير البحراني.

الموضوع الثالث: العائلة

الكيان الذي يؤسسه زوجان: رجل وامراة، برباط قوي متين، وينجبان أولادًا ليتكامل ذلك البناء ويجمل، يطلق عليه عائلة. هذا البناء ينبغي أن يكون قويًا متينًا، فسلامته يعني سلامة المجتمع، فمن مجموع العوائل تكون المجتمعات. من هنا يرى الشيخ أهمية العلاقة الزوجية، وأنها مظهر لتجلي قدرة الله عز وجل وحكمته الربانية مستندًا على قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:٢١]. ويشير إلى أمر مهم: «إن ما يلفت النظر في هذا العرض والسرد لآيات الله تعالى، تبوّؤُ العلاقات الزوجية للرتبة الثانية في الذكر بعد الحديث عن آية خلق البشر، وقبل الحديث عن خلق السماوات والأرض وسائر ظواهر الكون والحياة». ويقول بأننا مدعوون للتأمل والتفكر في هذه العلاقة بقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ مؤكدًا بأنه «كان يجب أن تدفع هذه الآية الكريمة أجيال العلماء والمفكرين لإجراء الأبحاث والدراسات حول العلاقات الزوجية، ودقة أسرارها من أجل معرفة مسارات هذه العلاقات، والعوامل المؤثرة فيها سلبًا وإيجابًا، مما يساعد المجتمع البشري على تلمس أفضل طرق النجاح في الحياة العائلية».

إن هذا الكيان العظيم لا ينبغي أن يبنى بدون هندسة وتخطيط، وإذا بُني فلا ينبغي أن يرى وكأنه مهجور، بل لا بد من تأثيثه بالأثاث المريح، ووضع لمسات فنية فيه، ليحلو ويكمل.

ويرى الشيخ أن إدارته تحتاج إلى عناية فائقة، ولا بد فيه من تكامل الأدوار، وضرورة معرفة خصائص كل فرد فيه. فذاك يوفر فيه الاستقرار والوئام[١].

---

(١) تقديم كتاب الشفرة الزوجية، المفتاح الذهبي للتناغم بينك وشريك حياتك، الدكتور تركي العجيان، ص١١٨، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، (مطابع البيان، القطيف السعودية).

العائلة والجفاف العاطفي:

هذا الكيان العائلي كما ينظر إليه الشيخ يقوم على أساس إنساني، ويعتمد لغة العواطف والمشاعر، ومعادلة البذل والعطاء والتضحية. حيث إن الله تعالى أودع في قلوب الأمهات والآباء العطف والحنان ليغدقان بهما على أولادهما، ويضحون من أجلهم[(١)].

هذه العلاقة المتبادلة في العائلة القائمة على أساس العطف والتضحية والحب، لها أهميتها البالغة بدء من الزوجين وانتهاء بالأولاد. ولهذا يؤكد الصفار على أهمية هذا الجانب، ويقول: «من خلال عملي الاجتماعي أدركت عمق هذه الحاجة». ويضيف: «ولعلي لست مبالغًا حين أقول إن معظم المشاكل الأسرية، وحالات الانحراف السلوكي ناتجة عن فراغ عاطفي، وقصور أو تقصير في إشباع هذه الحاجة». ثم يعدد آثار هذا الجفاف العاطفي والتي منها: تنافر الأرواح والأجساد، ونشوب الخلافات والتي تصل في أعنف الحالات إلى الانتقام، والوقوع في مهاوي الرذيلة والفساد[(٢)].

العائلة والطفل:

العائلة هي المكان الذي شاء الله تعالى للإنسان أن يتربى وينشأ فيها، ليس فقط لبناء جسمه فحسب، بل حتى البناء النفسي الصحيح، فهو بمثابة أرضية بناء إنسانية الإنسان، ومركز تنمية مشاعره وعواطفه، ومدرسة تربيته على القيم والمبادئ[(٣)].

إن مرحلة الطفولة هي مرحلة تشكّل الفكر والأحاسيس والبناء السليم للإنسان. فلا بدَّ من إغداقه بالعطف والحنان، ولا بدَّ من تنمية إدراكه وفكره. إنه في هذه الفترة كما

---

(١) تقديم كتاب أم البنين ﷺ رسالة إلى المرأة المسلمة. عبدالعظيم المهتدي البحراني، من ص٥ ١٢، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، (مؤسسة عاشوراء ومؤسسة الإمام محمد الجواد ﷺ.

(٢) تقديم كتاب أفئدة بلا عواطف، مريم محمد العيد، من ص٥ ٧، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، (أطياف، القطيف السعودية).

(٣) تقديم كتاب أم البنين ﷺ رسالة إلى المرأة المسلمة.

يقول الصفار «يتأمل الوجوه والأشياء، وتستثير ذهنه الأحداث والوقائع التي تجري في محيط إدراكه، ويزداد اندفاعه الذاتي للتعرف على ما حوله، ولاستكشاف الأمور التي يلاحظها. ويضيف أن من يدرك أهمية هذه المرحلة فإنه سيستغلها في تنمية مواهب هذا الطفل وتنشيط ذهنه، وتوجيه سلوكه وميوله النفسية. ثم يؤكد: «إن التخاطب مع الأطفال ومحادثتهم بالإضافة إلى دوره في تنمية كفاءاتهم فإنه يوفر لهم زخمًا معنويًا كبيرًا» (١).

ثم يشير إلى بعض الأمور التي تؤكد أهمية هذا الجانب، فيؤكد على اهتمام القرآن بأهمية التخاطب مع الأبناء عبر نقله لحديث لقمان مع ابنه. وكذلك توجيهات النبي ﷺ. وفي عالم اليوم نجد اهتمام المجتمعات المتحضرة بالطفل، فتؤسس له المكتبات الخاصة بوسائلها المتعددة الجاذبة، لتنميته فكريًا ونفسيًا(٢).

إشراك الأبناء في اهتمامات الآباء:

من نعم الله تعالى أن يرزقه أولادًا صالحين، يكونون قرة عين له. وهذا يكون بتوفيق الله تعالى، وبحسن التربية، ومن الأمور المهمة لهذا الأمر:

- إشراك الأبناء في الاهتمامات المعرفية والاجتماعية.
- تداول الآراء والأخبار والانطباعات في المجال الديني والاجتماعي.
- تأسيس مكتبة منزلية لترغيبهم إلى الكتاب.
- إشراكهم في تنضيد المؤلفات، وتبادل الآراء معهم(٣).

العائلة والحضارة المادية:

---

(١) تقديم كتاب من ألحان الزهور.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تقديم كتاب الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيع، عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم وابنه أديب أبو المكارم. .

إن إغداق الوالدين العطف والحنان على أولادهما، وتوجيههم لطريق الرشاد والصواب، وإشراكهم في توجهاتهما النافعة، والبذل لهم، يعتبر البيئة النموذجية للطفل. ويرى الصفار أن هذا الجو العائلي هو «آخر حصن وقلعة للمبادئ والقيم الإنسانية»، ويقول بأن العائلة في المجتمعات المعاصرة تواجه تحديات كبيرة من قبل الحضارة المادية. فهي تعمل كما يقول على «(تشيي) الإنسان، وتحويله إلى شيء من الأشياء، تحكمه معادلة المصالح والمكاسب، ويدور في طاحونة الأنانية والذاتية»، ولهذا نسمع عن شيوع العلاقات الجنسية خارج الإطار العائلي، وتفكك الأسرة، حيث لا رغبة للإنسان المادي الأناني في تكوين أسرة وتحمل تبعاتها، يساعدهما في ذلك التحريض الثقافي والإعلامي.

ثم يشير الصفار إلى أهمية التنبه لهذا الخطر الزاحف إلى مجتمعاتنا، ذاكرًا ما من شأنه أن يعالج الأمر ومن ذلك: تيسير الزواج، ودعم الأسر اقتصاديًا، ومعالجة المشاكل الأسرية عن طريق المؤسسات، ونشر الوعي والثقافة الاجتماعية الصحيحة. وذلك بالاستفادة من التوجيهات الدينية العظيمة[1].

*****

إن سلامة التأسيس، والإدارة القوية، وتبادل الأدوار بين الزوجين، ومعرفة خصائص كل فرد منهما، سبيل لتكوين عائلة صالحة. هذه الأسرة ينبغي أن تقوم على أساس إنساني بتبادل المشاعر والعواطف، وإن خلت من ذلك دبّت فيها المشاكل.

العائلة حضن الطفل الذي يحتاج تربية سليمة، لا تقل أهمية عن امداده بالغذاء، واللباس، والسكن. ويأتي اشراك الأبناء باهتمامات الآباء من أسمى مراتب التربية التي تشعرهم برعاية الوالدين لهم. وتوجه المجتمع لمعالجة أوضاع العائلة وتقويمها وإيجاد الحلول لمشاكلها والاستفادة من الوسائل الحديثة في ذلك، كاعطاء دورات

---

(١) تقديم كتاب أم البنين ﷺ رسالة إلى المرأة المسلمة.

تدريبية حول تأسيس العائلة، لتفادي مغريات الحضارة المادية كل ذلك سبيل لتحصين العائلة.

الموضوع الرابع: النفس.

النفس هي مكمن مشاعر الإنسان وعواطفه، وهي التي تؤثر على شخصيته وتصرفاته. فقد تسلك به طريق الحق، وقد تسلك به طريق الباطل. يقابلها في دورها العقل، فهو إما أن يتفق معها، وإما أن يخالفها. وربما غلبها وربما غلبته، سواء كان أحدهما على الحق أو على الباطل. وبين لغة العقل ولغة النفس بون شاسع، فليس كل الناس يدركون ما يمليه العقل، ولكنهم يتأثرون بتوجيهات النفس، ويندفعون نحوها. يقول الصفار في هذا الصدد: «إن العلماء يخاطبون العقول والأفكار، وليس كل الناس يقبلون على الخطاب العلمي أو يستوعبونه، لكن مخاطبة القلوب والمشاعر لغة يتجاوب معها ويتفاعل معها الجميع. كما أن بعض القضايا والجوانب تحتاج إلى إثارة العاطفة وتحفيز الضمير والوجدان، لتأخذ موقعها في فكر الإنسان، وتشق طريقها إلى التأثير في شخصيته وسلوكه»[١].

إذًا فتوجيه النفس ومخاطبتها يكون مدخلًا لمخاطبة العقول. «وهذا هو منهج الأنبياء والرسل والأئمة، حيث كرّسوا جهودهم لإصلاح النفوس وتزكيتها». فبعد تزكية النفس يأتي دور التعليم والذي يحتاج إلى العقل[٢].

أمراض النفس:

لكي يعيش الإنسان تامًا سويًا، لا بدَّ من سلامة الصحة النفسية لديه. إنها هي التي تدفعه للتقدم أو ترجعه للوراء. مرض النفس في كثير من الأحيان يلغي دور الإنسان في الحياة ويفسد كل أموره، ولهذا يرى الصفار أن «أمراض النفوس خطرها أشد

---

(١) تقديم كتاب المدائح المنظومة في العترة المظلومة.

(٢) تقديم كتاب عقدة الحقارة.

من أمراض الأجسام»، ويقول: «كما كانت مجتمعاتنا في الماضي تعاني من انتشار الأمراض مما سبب كثرة الوفيات، وبفضل الله تعالى والتطور العلمي الطبي أمكن تجاوز كثير من هذه الحالات، فإننا أيضًا نحتاج إلى وضع خطط وقائية لأمراض النفس، وإلا فستكون الخسائر كبيرة». ويرى بأن المؤسسات الدينية الثقافية والاجتماعية هي بمثابة المستشفيات، والعلماء والخطباء الواعون هم الأطباء فيها[١].

وفي هذا الجانب يشير إلى أمراض النفس والتي منها:

(١) جهل الإنسان بنفسه:

إن «أسوأ ما قد يعانيه الإنسان هو أن يجهل نفسه وفقد الثقة بذاته، فيصبح منهزمًا أمام أبسط التحديات، ضعيفًا لدى أدنى مواجهة، تبعًا للآخرين وعالة عليهم»[٢].

(٢) النزوع للدنيا وملذاتها:

قد لا يعرف الإنسان الهدف من وجوده في هذه الحياة، أو ربما عرف ولكنه يتناسى، أو تغلبه نفسه الأمارة بالسوء فينزع إلى شهواته، وملذات الدنيا الفانية، فتُرَغب إليه الشر، من سرقة، واغتصاب، وما شابه. ولهذا كان الدور الأساس للأنبياء هو علاج هذا الجانب، عن طريق تزكية النفس بالوعظ والإرشاد، والولوج إلى أعماق النفس البشرية بالكلمة الحسنة. يقول الصفار: «والغافلون عن هذه الحقيقة قد يتساءلون عن دور الأنبياء والأئمة وأنهم ماذا قدموا للناس غير النصائح والمواعظ؟ أجل. فإن أهم ما يحتاجه الناس هي تلك النصائح والمواعظ، والتي تسلط الأضواء على دخائل نفس الإنسان، وأحاسيس قلبه، فتكشف له مواقع المرض، وحالات السقم، وترشده إلى العلاج الصحيح»[٣].

(١) المصدر السابق.

(٢) تقديم كتاب أفغانستان (تاريخها، رجالها)، الشيخ حسين الفاضلي. .

(٣) تقديم كتاب عقدة الحقارة.

(٣) الضياع وعدم التوجه إلى الله تعالى:

حين يكون الإنسان في مأزق ويشعر بالهلاك فإنه يحتاج إلى أن يتوجه لمن ينقذه من هذا المأزق. وحين يتشتت فكره وتعييه الحيلة فإنه يحتاج إلى من يرشده ويهديه. وليس هناك أعظم وأجل من الخالق. إن نفوس الملحدين تعاني الكثير من الأزمات في مثل هذه المواقف؛ لأنهم لا يتوجهون إلى من ينبغي أن يتوجهوا إليه، فيتأزمون نفسيًا، ويزهقون أرواحهم. ولذا كان من أكبر النعم على الإنسان الموحّد التوجه إلى الله تعالى وطلب العون منه. وقد منّ الله على عباده المسلمين بأن فرض عليهم الصلوات الخمس. والتي يعبّر عنها الشيخ بأنها «فرصة التواصل مع الله تعالى... وأنها تمثل وقفة التأمل في محطات قطار الزمن اليومي، عند انبثاق الصباح، ووسط النهار، وبداية الليل. إنها بضع دقائق يقتطعها الإنسان من وقته، خارج سيطرة الاهتمامات المادية الضاغطة، ليتزود بالوقود الروحي الإيماني، وليستحضر في نفسه القيم والمبادئ العليا، فلا ينساها في غمرة انشغالات الحياة»(١).

(٤) الجفاف الروحي:

كما يحتاج الجسم إلى غذاء يتقوى به، فإن النفس تحتاج الغذاء كذلك، وغذاؤها القيم الروحية والأخلاقية. وكلما أُحسن اختيار الغذاء أُكتسبت المناعة الشديدة ضد أمراض الحضارة المادية الفتاكة. يشير إلى هذا الجانب الصفار قائلًا: «كلما تقدمت البشرية ماديًا اشتدت حاجتها إلى القيم الروحية والأخلاقية، ذلك أن المكاسب المادية تفرز وتنتج مضاعفات نفسية وسلوكية، والعلاج ليس بإيقاف مسيرة التقدم المادي، وإنما مواكبته بتقدم روحي وأخلاقي مناسب». ثم يرى أن الخواء الروحي والأخلاقي سبب لازدياد الأمراض العصبية، وتصاعد أرقام الجريمة والعدوان. ويرى بأن الاعتماد على العلم والتكنولوجيا وحدهما لحل مشكلة قد يقعدها بدل حلها، ويقول: «فالعلم

---

(١) تقديم كتاب تعليم الصلاة.

وحده لا يكفي لترشيد حياة الإنسان وإسعادها، بل لا بدّ من نبع روحي يرتوي منه ليطمئن قلبه بذكر ويستقيم سلوكه بتعاليم الدين. وهنا يأتي دور الأنبياء والرسل الذين يمثلون ينابيع الهداية والإرشاد المتدفقة بإذن الله تعالى في حياة البشر، لتروي ظمأهم الروحي، وتسقي نوازع الخير في نفوسهم»[١].

(٥) الجفاف العاطفي:

يعيش الإنسان في الوضع الطبيعي تحت سقف أسري، بين أب وأم وأخوة. ومنذ ولادته يحتاج إلى دفء الأم وحنانها، ورعاية الأب وعطفه. ومتى افتقدت نفسه هذا الجانب أصيبت بالعقد والخلل والانحراف. يقول الصفار: «وحين لا يتوفر القدر الكافي من الحب والعطف في الإطار العائلي، تكون أبواب التأثير الخارجي المشبوه مشرعة مفتوحة»[٢].

ولا شك أن هذا لا ينحصر في الجو العائلي وإن كان هو الأهم، ولكن البيئة التي يعيش فيها الإنسان ينبغي أن تتوفر فيها أجواء الحب والإخاء، والتآلف والرحمة. ولهذا تجد المجتمعات التي تنعم بهذه الميزة تكون نفوس أبنائها أسوى وأهدى بالًا من تلك التي تشوبها النزاعات والكراهية والتنافر والتباغض.

(٦) كبت الأهواء والمشاعر:

لقد ميزّ الله سبحانه الإنسان بنعمة البيان. فبها يبوح عما يختلج في نفسه، وبما يدور في شعوره، ويتواصل عبر ذلك مع الآخرين. وأن أي كبت لهذه المشاعر، وعدم البوح بها، يشكّل مرضًا للنفس إذا زاد عن الحد. فنحن نسمع مثلًا عن مرضى التوحد، والإكتئاب، وما شابه. هذه الأمراض من مسبباتها كبت الشعور وعدم القدرة على البوح

---

(١) تقديم كتاب الأنبياء ومسار المحن. السيد زهير العلوي. الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، (دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان).

(٢) تقديم كتاب أفئدة بلا عواطف.

بما يختلج في النفس.

إن تنمية هذه النعمة الربانية تمنح الإنسان تسخيرها في عالم الفن والأدب والخطابة. يقول الصفار: «إن التفات الإنسان إلى هذه الموهبة، وتوجهه إلى تفعيلها واستخدامها هو الخطوة الأساس في الطريق إلى ميدان العطاء والإنتاج المعرفي»(١). ويرى أن حرية التعبير عن الرأي حق عام للجميع بما لا يكون فيه تعدٍ على الآخرين بالطبع ويفيد الإنسان كفرد وكمجتمع، حيث يوفر للإنسان حيوية إنتاج الرأي ونمو المشاعر. ويعمّق عنده الإحساس بالكرامة، وتزداد ثقته بنفسه، لأنه يمارس شأنًا من شؤون إنسانيته المتميزة. ثم يبين السبب في ندرة هذا الجانب عند أبناء المجتمع ومنها: أن التعبير عن الرأي يحتاج إلى تفتق الموهبة وتنميتها كما هو الحال في موهبة الخطابة والكتابة والأدب. كما أنها تحتاج إلى ثقة بالنفس وعدم الخوف من طرح الرأي، بالإضافة إلى توفر الأجواء المناسبة والمشجعة. سواء كان هذا في الجانب العائلي أو من جهة المجتمع(٢).

*****

من هنا كان لا بدّ للإنسان من التعرف على نفسه، وأن يعرف كيف يديرها، ويكتشف مكامن القوة فيها. فيستطيع بذلك تفجير طاقاته، ويسلم من الضغوط الخارجية التي تريد كبت مشاعره وأحاسيسه. وعلى الإنسان أن يربي نفسه على تلمس طريق الحق والهدى، فهي بين الفجور والتقوى و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس:٩-١٠]، وفي كلا الحالين عليه أن يتذكر خالقه عز وجل، فاللجوء إليه هو أنجع دواء للنفس، وبه تنفتح لها كل أبواب الأمل والرجاء، وتشعر بالطمأنينة والراحة، وعلى الدعاة والعلماء أن يأخذوا بأيدي الناس إلى هذا الجانب.

(١) تقديم كتاب الليل والنهار. علي آل طالب.

(٢) تقديم كتاب ديوان الغروب، عبدالله جعفر آل إبراهيم.

سلامة النفس يعني سلامة الإنسان وسلامة عقله، فلا بد من العناية الفائقة بها. إنها تميل إلى لغة العواطف حتى يسهل عليها إدراك ما يمليه العقل الذي يعتمد لغة العلم. وأمراض النفس شديدة الخطورة على الإنسان نفسه وعلى المجتمع، فلا يصلح حال مجتمع بسقم أفراده.

الموضوع الخامس: الاجتماع

الاجتماع علم يعتمد على دراسة المجتمعات. والمجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون في مكان ما، تنظمهم أمور معينة، ويشتركون في ثقافات وعادات ومصالح. ويختلف مجتمع عن آخر بما تسوده من ثقافات وتوجه. فهناك مجتمعات تعيش الرجعية تحكمها أعراف الماضي، ولا تقبل التجدد والتطور، وهناك مجتمعات تسعى للنهوض والتفوق، ولعلها استقطبت عقولًا أجنبية لتزداد تقدمًا. وفي العصر الذي تعيش فيه المجتمعات المختلفة من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب، وكأنها في بوتقة واحدة، وقرية صغيرة، بفضل التطور التكنولوجي وطرق التواصل بشتى أنواعه، فمن الضرورة بمكان أن يسعى كل مجتمع للوصول إلى ما وصلت إليه المجتمعات المتحضرة والمتقدمة، وأن يسعى إلى تجاوزها. هذا التنافس بين المجتمعات هو ما يجعل كل مجتمع يعيش الحيوية والنشاط ويستمر في التقدم والنهوض. ولن يتأتّى لمجتمع ذلك إلا إذا اهتم برعاية أفراده على اختلاف الجنس، والسن.

المجتمع والطفل:

ينشأ الطفل في بيئة عائلية مكونة من أبوين. والمجتمع السليم هو الذي يولي هذه العائلة أهمية فائقة ويوجهها للأسلوب الأمثل نحو التربية السليمة للطفل. فكل أسرة من هذه الأسر تشكل في مجموعها المجتمع، فصلاحها ضمان لصلاح المجتمع. من جهة أخرى لا بدّ أن تسود المجتمع ككل ثقافة احترام الطفل، وحسن التعامل معه. إن تهميش الطفل وازدراءه يؤثر في نفسيته، وتجاهل أسئلته وفضوله يؤثر على تحصيله

الذهني. يقول الصفار: «إذا نشأ الطفل في أحضان عائلة واعية، تدرك أهمية هذه الفترة في تأسيس شخصية الطفل وبناء كيانه النفسي والعقلي والسلوكي، فإنها ستحرص على استثمار هذه المرحلة، الاستفادة من حالة الفضولية وحب الاستطلاع عند الطفل، باتجاه تفجير مواهبه وطاقاته، وتنشيط مواهبه الذهنية، وتوجيه سلوكه وميوله النفسية»(١).

من هنا، فإن المجتمعات المتقدمة تولي هذه المرحلة عناية فائقة، وتقدم لها الدراسات والبحوث لرعاية وتنشأة الطفل بالشكل السليم. ولهذا تهتم حتى بالأدب الذي يتلقاه والذي تتشكل من خلاله مخيلته وشعوره وأحاسيسه. يقول الصفار بأن «أدب الطفل يحتل مكانة هامة لدى المجتمعات المتحضرة. وتنشأ لهم المكتبات المتخصصة بوسائل جاذبة للأطفال». ثم يؤكد: «وكل مجتمع يهتم بتنشئة أبنائه ضمن نظامه القيمي، وأخلاقه الاجتماعية، لا بدَّ وأن يهيئ الوسائل والأساليب التربوية التي تجتذب الطفل، وتزرع في نفسه عادات الخير، وتوجهات الصلاح»(٢). وهذا ما ينبغي أن تلتفت إليه كل المجتمعات.

المجتمع والشباب:

حينما ينمو الطفل ويكبر فإنه ينتقل إلى مرحلة أكثر تعقيدًا، وهي مرحلة المراهقة ومرحلة الشباب. في هذه المرحلة تتفتق مواهب الإنسان أكثر، ويزداد إدراكه وعطاؤه، وتكون قواه في أشدها. فهي أهم مرحلة من مراحل عمر الإنسان، ولهذا ينبغي أن تولى عناية مهمة وخاصة. والمجتمع ينبغي أن ينظر إلى الشباب بعين التقدير والثقة ويوفر لهم كل ما من شأنه أن يساهم في تشكيل شخصيتهم السليمة التي تؤهلهم لقيادة المجتمع وتطويره، وأن يهتم برصد الظواهر السلبية الجديدة ويسعى لمعالجتها، يقول الصفار: «ومن أجل اتخاذ الموقف المسؤول تجاه ظواهر الانحراف السلوكي، لا بدَّ من الدراسة للأسباب والجذور، في أبعادها المختلفة، ثم الاجتهاد في تقديم أساليب

(١) تقديم كتاب من ألحان الزهور.

(٢) نفس المصدر السابق.

العلاج والمواجهة»[١].

إن أولى واجبات المجتمع تجاه أبنائه أن يجدّ في دراسة واقع الشباب وما يعانون منه، ويدرس كل ظاهرة ويوجهها التوجيه الصحيح.

المجتمع والمرأة:

المرأة شريكة الرجل، وبإمكانها أن تصنع واقعًا أفضل لمجتمعها إلى جنب الرجل. لكن المجتمعات الذكورية كما يرى الصفار هي التي تشل حركة المرأة وتعطل دورها. والمجتمع السليم هو الذي يعطي المكانة الصحيحة للمرأة ويستفيد من عطائها. لذلك يقول بأن المرأة العربية والمسلمة مستهدفة من قبل الآخرين لإفساد مجتمعاتنا المحافظة، ويضيف: «بالطبع إنهم يريدون إفساد المرأة كهدف ووسيلة، فهم يسعون لإفساد مجتمعاتنا والمرأة نصف المجتمع فهي مستهدفة بذاتها، كما أنهم يدركون أن إفساد المرأة يؤدي إلى إفساد كل المجتمع وبالتالي فهي جسر ووسيلة لتنفيذ مخططهم الافسادي الخبيث»[٢]. ثم يطرح الحل لهذه المشكلة: «تجاه هذا التحدي الخطير لا بدَّ من تحصين المجتمع النسائي بالثقافة والوعي». ويضيف: «وهذا يعني ضرورة وجود خطاب توعوي تثقيفي يعالج واقع المرأة ويساعدها على تجاوزه. كما أن من الضروري بث روح اليقظة والحذر في الوسط النسائي تجاه مخططات الأعداء، ومزالق الانحراف، وذلك يستلزم وجود برامج في مستوى التحدي المعاش»[٣].

ولا شك أن هذا كله مناط على عاتق المجتمع بشكل عام.

النشطاء الاجتماعيون وخدمة المجتمع:

حينما يولي المجتمع عناية فائقة للطفل والشاب والمرأة، ويساهم في تشكيل

---

(١) تقديم كتاب رسالة في الطهارة من الذنوب. طاهر علي الخلف.

(٢) تقديم كتاب المرأة وبرامج التثقيف، المجالس الحسينية نموذجًا، عالية مكي.

(٣) نفس المصدر السابق.

شخصية ناضجة لهم، ويعطيهم المكانة الحقيقية المناسبة، فإنه بالمقابل يريد منهم أيضًا. وهم لا شك سيبذلون المزيد له تعبيرًا عن شكرهم وعرفانهم. هؤلاء هم من يطلق عليهم النشطاء الاجتماعيون، وهم الذين يبذلون قصارى جهدهم مستقطعين أوقاتًا من راحتهم، وحصصًا من حق عوائلهم، كل ذلك إيثارًا منهم لمجتمعهم على أنفسهم وأهليهم رغبة في تقدمه ورقيه. بالرغم من أن كل واحدٍ من هؤلاء النشطاء كما يرى الصفار له وضعه الخاص به الذي كان من الممكن أن يتعذر به، فكل منهم له طموح شخصي على الصعيد العلمي أو المادي وكل منهم له أسرة وعائلة وارتباطات مختلفة(١). هذا الإيثار والتفاني هو الذي يصنع مجتمعًا متقدمًا. يقول الصفار: إن الإنسان يتمكن من ذلك «حين يتجاوز ذاته، ويوق شح نفسه، فيحمل هموم مجتمعه، ويبذل جهده لخدمة الناس وقضاء حوائجهم». والنتيجة الطبيعية «أن تنجذب إليه النفوس، وأن يحظى بالاحترام والتقدير»(٢).

هذه الثلة الطيبة من المجتمع ينبغي أن تتسلح بالصبر في تقديم هذه الخدمة العظيمة للمجتمع، وألاَّ تكسل في أداء ما نذرت نفسها إليه. رعاية للمجتمع ونهوضًا به، وكذلك تحقيقًا لذواتهم بتفجير طاقاتهم وإبراز إبداعاتهم. فالعمل الاجتماعي لا ينبغي أن يبقى ضمن مستوى محدود، كما أن النشطاء الاجتماعيين ينبغي أن يسعوا لتوسيع رقعة التفاعل مع محيطهم الاجتماعي باستقطاب المزيد من العناصر والأعضاء الجدد(٣). فكلما زاد العدد كان العطاء أكبر وأكثر، وكان الإبداع أعلى وأجلى.

دوافع خدمة المجتمع:

ولنا أن نتساءل ما الذي يدفع هذه الثلة من المجتمع أن تتصدى لخدمته وتؤثره على

(١) تقديم كتاب مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش.

(٢) تقديم كتاب العهد.. جاسم سيرة وعطاء.

(٣) تقديم كتاب مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش.

أنفسها وأهليها؟

يرى الشيخ الصفار أن ذلك يعود للدوافع التالية:

الأول: «تفعيل المشاعر الإنسانية النبيلة التي يحتضنها الإنسان بفطرته».

الثاني: «تنمية الكفاءات والقدرات الذاتية عند الفرد حيث يصبح تراكم الخبرة والتجربة عنده أكثر من الآخرين، كما تصبح معرفته التفصيلية بالشأن الاجتماعي أدق وأعمق».

الثالث: «الإسهام في تقدم المجتمع ينعكس إيجابًا على تقدم الفرد نفسه».

الرابع: «الشعور بالمسؤولية الدينية نحو الواقع والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان».

الخامس: «الظروف الصعبة التي قد يعيشها المجتمع». يحتاج إلى جهات تتصدى لمعالجة هذه المشاكل[1].

أسس التنمية الاجتماعية:

إذا ما توفرت الدوافع السابقة لأبناء المجتمع، أو لأفرادٍ منهم، فإننا يمكن لنا أن نضمن نمو المجتمع وتقدمه، وهو ما يعبّر عنه بالتنمية الاجتماعية. هذه التنمية الاجتماعية تحتاج إلى أسس ومقومات كما يرى الصفار ويعدد أهمها:

الأول: «الوعي والثقافة الدافعة نحو الفاعلية والعمل».

الثاني: «وجود المؤسسات الاجتماعية، التي تحتضن الطاقات، وتضع البرامج، وتتصدى لحاجات أبناء المجتمع».

الثالث: «التماسك الاجتماعي، والتواصل بين مختلف القوى والفاعليات الاجتماعية».

(١) تقديم كتاب مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش.

الرابع: «خلق المناخ المناسب والأجواء المساعدة»[١].

- **التخصص في معالجة القضايا الاجتماعية،**

إن كل مشكلة يمر بها المجتمع لا بدَّ من التخصص في علاجها، حتى يتم القضاء عليها. كمشكلة الفقر، والانحرافات السلوكية، وتزايد عدد المطلقات، مثلاً. لهذا لا ينبغي أن يوكل الجهد كله لجهة واحدة، بل لا بدَّ من تضافر الجهود لتقاسم الأدوار. فإن عدم التخصص في معالجة القضايا الاجتماعية يعني عدم الجدية في حل المشكلة، مما يعني عدم جدوائية الحل المقترح. يؤكد الصفار أن «وجود المؤسسات المهتمة بالقضايا الاجتماعية والمتخصصة في معالجتها هو أفضل وسيلة للارتقاء إلى مستوى التحدي، وخوض غمار مواجهة المشكلات». فعلى سبيل المثال: «في مواجهة التحديات الكبيرة التي تعصف بمجتمعاتنا، وتهدد قيمها الأخلاقية، وعلاقاتها الإنسانية، وتنذر بتغيير خطير في أنماط السلوك ومستوى التواصل بين أبناء المجتمع حتى ضمن المحيط العائلي.. في مواجهة كل ذلك لا بد من استنفار تربوي ثقافي اجتماعي يحفظ للمجتمع أصالته، ويحمي قيمه الحضارية وترابطه الإنساني، ويقلل من الآثار والانعكاسات السلبية لتطورات ظروف الحياة، والانفتاح الواسع بين الثقفات والحضارات»[٢]. فالدور الأكبر هنا يقع على المتخصصين في الجوانب التربوية. وتجاه ظواهر الانحراف السلوكي كمثال آخر، يرى الشيخ أنه «لا بدَّ من الدراسة للأسباب والجذور، في أبعادها المختلفة، ثم الاجتهاد في تقديم أساليب العلاج والمواجهة»[٣].

إن ظروف الحياة المعاشة في هذا العصر تزداد تعقيدًا، فتزداد معها المشاكل والأزمات،فما عاد يجدي لحلها إلا التخصص في معالجتها، بعمل البحوث والدراسات

---

(١) تقديم كتاب العهد.. جاسم سيرة وعطاء.

(٢) تقديم كتاب مركز البيت السعيد في عيون المجتمع، من ص٢٤ ٢٥، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ٢٠١١م، (مركز البيت السعيد، صفوى السعودية).

(٣) تقديم كتاب رسالة في الطهارة من الذنوب.

والرصد والتتبع.

المجتمع ومعرفة الذات:

حينما يعرف الإنسان قدر نفسه، ويكتشف مكامن القوة في ذاته، فإنه تتعزز ثقته بقدراته، ويبرز كفاءاته. أما إذا نظر إلى غيره فقط، فإنه سيقف منبهرًا بكفاءاتهم، محتقرًا ذاته، فيبقى يرواح مكانه أو يرجع للوراء. هذه المعادلة التي تنطبق على الفرد هي ذاتها تنطبق على المجتمع كما يرى الصفار ويقول: «إذا امتلك المجتمع المعرفة بالذات والثقة بالنفس فإنه سيواجه التحديات بإرادة ثابتة، أما إذا افتقد ذلك فسيبتلي بخور العزيمة وضعف الإرادة»(١).

ويرى أن هذه المشكلة أبتلي بها المجتمع الإسلامي الذي كان رائدًا في مختلف المجالات، وكانت له السيادة، فيقول: «ويبدو أن مجتمعاتنا الإسلامية تواجه هذه المشكلة منذ انفتاحها على الحضارة المادية الحديثة». ثم يشير إلى عدة أسباب لذلك ومن أهمها: «الانبهار بالحضارة المنتصرة» المتمثلة في الحضارة المادية. وكذلك «الغزو الثقافي والحرب النفسية والتعبئة الإعلامية»(٢).

الخوف من النقيض الداخلي:

عامل ثالث أدى إلى ضعف ثقة المجتمع الإسلامي بذاته، وهو كما يعبّر عنه الصفار : «الخوف من النقيض الداخلي». ويرى أن هذه الأمة العريقة الممتدة في شتى أصقاع العالم من الطبيعي أن تتعدد وجهات نظرها، واتجاهاتها الفكرية وانتماءاتها القومية والعرقية، والكيانات السياسية، لكن المشكلة تكمن في سلبية تعامل أطراف الأمة الواحدة مع بعضهم البعض، فكل جهة تسعى لتحطيم الجهة الأخرى وإن استدعى الاستعانة بالعدو الخارجي! وكان من المفترض أن تسعى كل جهة إلى دور تكاملي مع

(١) تقديم كتاب أفغانستان: تاريخها رجالاتها، الشيخ حسين الفاضلي.
(٢) نفس المصدر السابق.

الجهات الأخرى، فهذا ما يعزز قوة الأمة الإسلامية.

ويرى بأن ما نشهده من حروب في هذا العصر في لبنان وإيران والعراق وأفغانستان مثلًا كلها شهود صدق على تطبيق هذه القاعدة، ولا نجاة ولا مخرج من هذا المأزق إلا بعكس قاعدة النقيض الداخلي.

إذا أخذت الأمة بهذه الصيغة الجديدة فلن يخشى السنة من الشيعة ولا العكس، ولن يخاف الخليج من بروز قوة إيران مثلًا، كما يرى الصفار[١].

الصدام المذهبي:

حينما يعمل المجتمع تحت مظلة الخوف من النقيض الداخلي، فإن حالة من الصدام المذهبي سوف تولد عنده لا محالة؛ لأن الناس تخاف على نفوذها ومصالحها، فتحمل المذهب عنوانًا لإثبات هويتها ومكانتها. وقد صُرفت في هذا الجانب سنين طويلة ليبرهن كل طرف على قوة حجته وعقيدته ولا تزال الجدالات المذهبية قائمة بل وفي تزايد وتطور مع تطور وسائل الاتصالات الحديثة كما يرى الصفار. مشيرًا في الوقت نفسه إلى العامل السياسي في إذكاء هذا الجانب بين عامة الناس. لكنه يقول بأن القلق لا يكمن هنا، فمن حق كل جهة أن تقتنع بما تراه، وأن تطرح أدلتها لإثبات صدق ما يذهب إليه، فالاختلاف مشروع بين بني البشر تقرّه شرائع السماء والعقل، لكن المشكلة في طريقة إدارة هذا الاختلاف؛ لأنه إذا نشأ بسبب الخوف من الآخر وإثبات الذات والهوية فإن النهج الذي سيتبع في ذلك سوف يكون ملتويًا غير حميد.

مؤكدًا أهمية استحضار الأخلاق والقيم الإسلامية في إدارة هذا الخلاف، ويقول: «إن الصراع والتنافر المذهبي بواقعه المرعب الخطير يكشف عن أزمة أخلاقية عميقة تعاني منها ساحة الأمة، لا بدَّ من وضع خريطة طريق، للعبور من مأزق هذه الأمة»[٢].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تقديم كتاب أخلاقنا ومهمة توحيد الأمة.

متسائلًا في الوقت نفسه بأن المسلمين من علماء ومفكرين كانوا في طليعة من رفض مقولة صدام الحضارات، فكيف ترتفع أصواتًا منهم تدعو إلى الخصام المذهبي؟»(١).

التواصل والتعايش:

من هنا فإن الصفار يركز على أهمية التواصل ومد الجسور بين أطياف المجتمع الواحد، وأن يتعايشوا مع بعضهم حسب قناعة كل جهة بذاتها، فلا يستطيع أحد أن يلغي فئة، ولا يستطيع أن يغير قناعات الآخرين بالفرض والقوة. معتبرًا بأن ما يشوب بعض المجتمعات من قطيعة ونزاع بين أطيافها مرضًا خطيرًا يسبب ضعف المجتمع وتأخره، فيقول: «أن سوء العلاقة بين مكونات المجتمع وطوائفه وشرائحه، تصرف اهتمامات أبنائه عن البناء، وتشغلهم بمعارك النزاع والصراع الداخلي، حيث يتوهم كل طرف بأن الطرف الآخر ضده وعدو له، ويغفلون عن العدو المشترك وهو التخلف التنموي». مؤكدًا بأن ذلك لن يتم إلا بقبول التعايش بين كل الأطراف إذا بُني ذلك «على أساس من الاحترام المتبادل، والاعتراف بالشراكة الوطنية»(٢).

ثم يؤكد بأن في التواصل والتعايش بين أبناء المجتمع الواحد مؤشر على التماسك الاجتماعي الذي هو أحد أسس التنمية الاجتماعية. ومن خلاله يتم تطوير العلاقات البينية بين فئات المجتمع، وصولًا إلى «العلاقات الإيجابية مع الجهات الرسمية، والشخصيات المؤثرة في المحيط العام»(٣).

وحدة المجتمع وقوته:

لقد شاء الله تعالى أن يعزز قوة الأمة الإسلامية بمظاهر دينية دعى لعملها بشكل

---

(١) تقديم كتاب في الطريق إلى الألفة الإسلامية.

(٢) تقديم كتاب في ظل التعايش، عيسى محمد العيد، من ص١٠٧، الطبعة ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، (أطياف، القطيف السعودية).

(٣) تقديم كتاب العهد.. جاسم سيرة عطاء.

جمعي، كشعيرة الحج وصلاة الجماعة والجمعة. ولهذا كان لا بدَّ من تأكيد أهمية هذه الشعائر في تعزيز هذه القوة الجمعية. فصلاة الجماعة كما يرى الصفار «لها دور هام في تأكيد الانتماء الجمعي للفرد المسلم مقابل النزعة الفردية الأنانية، وتأثير واضح في تعزيز التواصل والتماسك الاجتماعي ... وهي تظهر قوة الجانب الديني في المجتمع». فلا بدَّ إذًا من تعزيز هذه الشعيرة، استجابة لأمر الله تعالى، وإظهارًا لقوة المجتمع وتماسكه. لكن الصفار يأسف لضعف هذه الشعيرة في مجتمعاتنا ويرجع ذلك لأسباب منها: «ضعف التوجيه والتعبئة باتجاه صلاة الجماعة» وكذلك «التصورات والآراء المتزمتة حول شرائط إمام الجماعة»[١].

المرجعيات الشيعية والمجتمع:

كان دور الأنبياء والرسل والأئمة عليهم جميعًا صلاة الله وسلامه، والصالحين ممن تبعهم، هو هداية الناس وإرشادهم، في أمور الدنيا والدين. فيعلّمونهم الفقه وأحكام الشريعة، إلى جنب توجيههم لإدارة حياتهم وتعايشهم مع بعضهم البعض. وبعد انقطاع الأنبياء والأئمة عليهم السلام فإن الدور أنيط للعلماء والفقهاء الصالحين من هذه الأمة. من هنا فإن المرجعيات الشيعية تلعب دورًا كبيرًا في بناء المجتمعات الإسلامية، فدورها الحقيقي لا ينحصر في دراسة العلوم الدينية واستنباط الأحكام وافتاء الناس بها، بل لا بدَّ أن يتخطى ذلك إلى رعاية شؤون الناس في حياتهم، وتوجيه سلوكهم، وبث روح الوعي والنشاط والعمل والفاعلية، لبناء مجتمعاتهم، ولخدمة دينهم وإعلاء كلمته.

هذا ما يراه الشيخ الصفار مقدمًا السيد الشيرازي نموذجًا متميزًا في هذا الجانب، حيث سعيه إلى إنهاض المسلمين، وخلقه مجتمعات فاعله بث فيها الوعي، والنشاط، والفاعلية في مختلف الجوانب. معتمدًا على تربية الكفاءات العلمية والتثقيف والتوعية الجماهيرية والعمل المؤسساتي[٢].

---

(١) تقديم كتاب صلاة الجماعة الطموحات والمعوقات، الشيخ جعفر الأمرد، ص٤ ٨.

(٢) تقديم كتاب معالم مرجعية الشيعية الإمام الشيرازي في القطيف.

المجتمع والحراك السياسي:

ما عادت المجتمعات الآن تدار عشوائيًا. بل تحكمها سياسات ونظم. فكل شؤون الناس من صحة وتعليم واقتصاد وما شابه، تدار بالأنظمة والسياسات. يقول الصفار: «الشأن السياسي يمسّ مختلف جوانب حياة المجتمع، ويؤثر في جميع مجالات شؤونه؛ لأن السياسية هي التي تدير وتقود الحياة». من هنا كان لا بدّ من إشراك الناس في الشأن السياسي، وتوجيههم للتفاعل معه، «فالحراك السياسي في كل مجتمع هو مؤشر وعي ودليل عافية وحيوية» كما يرى الصفار، مضيفًا: «والحراك السياسي يعني تفاعل المجتمع إيجابيًا مع الواقع السياسي الذي يعيشه، ضمن موقف القبول أو الرفض، والتأييد أو المعارضة، بغرض المشاركة والتأثير في القرار»(١).

ويرى أن هناك مشكلة تواجه المجتمعات التقليدية وهي مشكلة «احتكار الشأن السياسي لدى النخبة الحاكمة» ومن يبدي رأيه فهو عرضة للخطر. لهذا يشير الصفار إلى أن هذا سبب انكفاء الناس عن السياسة، مستثنيًا من «يتخطون الخوف والرهبة، ويتجاوزن ضحالة الوعي والإدراك». ويؤكد على أن صمودهم وتضحياتهم أسهم في اتساع رقعة الحراك السياسي، ونمو الوعي والشعور بالمسؤولية الاجتماعية(٢).

ولهذا على المجتمعات ألاّ تخشى من تفاعل الناس مع السياسة، بل لا بدَّ أن تشجع على ذلك، فذلك يساهم في تقدم المجتمع وتلبية حاجاته.

*****

من هنا فإن على المجتمع المتحضر أن يهتم بكل فرد فيه، وكل شريحة، وفئة، بدء من الطفل بتوفير الأجواء التربوية المناسبة. وكذلك الحال بالنسبة للشباب فلا يصح تجاهلهم، بل لا بدّ من مراعاة ظروفهم وحل مشاكلهم. كما أن على المجتمع ألاّ يغفل

(١) تقديم كتاب مدونات مترعة بالأخاديد.
(٢) نفس المصدر السابق.

دور المرأة وإشراكها في الشأن العام الثقافي والاجتماعي والسياسي، فنصف المجتمع لا يصح أن يبقى مشلولًا.

هذه الشرائح التي يسعى المجتمع لرعايتها يحتاج في المقابل منهم أفرادًا متطوعين لخدمته، وكلما زاد عدد المتطوعين كان المجتمع أرقى، ولا شك في أن التطوع لخدمة المجتمع يعود بالنفع للمجتمع وللفرد المتطوع نفسه.

وللنهوض بالمجتمع لا بدَّ من الاهتمام بالتنمية الاجتماعية، بمراعاة أسسه، والتخصص في معالجة القضايا الاجتماعية. فحتى يتقدم المجتمع لا بدَّ أن يتعرف ويعترف بذاته، ويتجاوز مرحلة الخوف من النقيض الداخلي، ويعمل على التعاون والتنافس الإيجابي، ويترفع عن التصادم المذهبي، ويُحل بدلًا منه التعايش بين كل الأطراف فيه، ويعزز ذلك في صلاة الجماعة.

وعلى المرجعيات الدينية أن تتبوأ موقعها في المجتمع للنهوض به، كما أن على الدولة أن تعي أن في إشراك الشعب في الشأن العام السياسي سبيل إلى استقرار الوطن وارتقائه.

الموضوع السادس: القيادة الدينية

يرى الصفار بأن الإنسان الذي خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه، يحتاج إلى موازنة بين هذين الجانبين: المادي والروحي. لأنه إذا تضخّم عنده الجانب المادي فإن حياته تكون عرجاء، كما أنه لا يمكنه أن يشبع الجانب الروحي وينسى متطلبات الجسد الطبيعية. ثم يؤكد أن «ما تعانيه البشرية الآن من مآس وآلام إنما هو نتيجة طبيعية لفقدان التوازن المطلوب حيث أهمل الجانب الروحي والمعنوي، بينما تقدّمت وتضخمت الاهتمامات المادية»[١]. لهذا كان لا بدَّ من إشباع الجانب الروحي مقابل هذا التضخم

(١) تقديم كتاب الصديقة مريم العذراء.. معجزة الأجيال.

المادي، لأنه «كلما تقدّمت البشرية ماديًا اشتدت حاجتها إلى القيم الروحية والأخلاقية، ذلك أن المكاسب المادية تفرز وتنتج مضاعفات نفسية وسلوكية، والعلاج ليس بإيقاف مسيرة التقدم المادي، وإنما مواكبته بتقدّم روحي وأخلاقي مناسب»[١]. ثم يؤكد الشيخ بأنه لا مناص من هذا الحل، ولا يمكن الاعتماد على التطور الفكري والعلمي «فالعلم وحده لا يكفي لترشيد حياة الإنسان وإسعادها، بل لا بدَّ من نبع روحي يرتوي منه ليطمئن قلبه بذكر الله ويستقيم سلوكه بتعاليم الدين»[٢].

القيادات الدينية الصالحة:

كيف للإنسان أن يحدث هذا التوازن المطلوب بين الروح والمادة؟

صحيح أن طبيعة الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها تميل إلى اكتساب الخير والالتزام بالمبادئ والقيم، إلا أن طبيعة الحياة البشرية تغري الإنسان لإشباع الجانب المادي والسهو عن الجانب الروحي فيحدث هذا الخلل في حياته ويفسد نظامها الصحيح.

إن رحمة الله تعالى لم تترك الإنسان وحده لمغريات الدنيا وضعف الروح. فكانت من نعمه العظيمة «أن اصطفى نخبة من عباده، منحهم التوفيق لتجسيد مبادئ الحق في حياتهم، والتحلي بأرفع درجات الأخلاق في سلوكهم، ليكونوا قدوة وأسوة لأبناء الإنسانية... أولئك هم الأنبياء والرسل العظام والأوصياء والأئمة الكرام، الذين اختارهم الله واجتباهم لحمل رسالته إلى عباده، ليبلغوها عن طريق الدعوة والإرشاد، وعبر نموذج التطبيق والالتزام العملي بكل مبادئ الرسالة وتفاصيل أحكامها في مختلف أبعاد الحياة»[٣].

(١) تقديم كتاب الأنبياء ومسارات المحن، السيد زهير العلوي.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) تقديم كتاب الصلاة الفاخرة على النبي وعترته الطاهرة، حسن علي الراضي، ص ب ز، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

من هنا فإنه لا بدَّ للإنسان من الارتباط بالأنبياء والرسل والأئمة ليتخذهم نموذجًا يسير على طريقتهم ليشبع جانبه الروحي ويزن الجانب المادي؛ لأن «حياة الأولياء هي المصدر والينبوع الذي يروي عطش الإنسان للمعنويات والقيم، وهي النسيم الذي ينعش ضمير الإنسان ووجدانه، وينمي في شخصيته توجهات الخير والصلاح»(١).

اختيار القدوة الصالحة والارتباط بها:

ثم يشير الصفار إلى نقطة هامة في هذا الجانب وهو ضرورة التعرف على القدوة الصالحة التي ترشده إلى القيم والأخلاق الفاضلة التي من شأنها أن تحدث التوازن المطلوب بين الجانب الروحي والمادي. مؤكدًا بأن ذلك لن يكون إلا «بتعرف الإنسان على تلك القدوات الرائدة، وتواصله مع شخصياتها وسيرتها الهادية، وحضور تلك النماذج الرسالية على صفحات قلبه، ومرآة عقله، ليتزود منها بوقود العزيمة، وقوة الإرادة، وليستلهم من هديها ومواقفها روح الصدق والإخلاص والالتزام».(٢) ولهذا فإنه يرى أن على إنسان اليوم ضرورة دراسة حياة الأنبياء والأئمة والصالحين، لأن ذلك يعني الإلتفات إلى جانب القيم والمثل، والاهتمام بمصادر الثروة الروحية للبشر، كما يعتبر دعوة ودفعًا للتأسي بحياتهم والالتزام بتوجيهاتهم وتعاليمهم الخيرة»(٣). إضافة إلى «الأثر النفسي والفكري الذي يتركه استحضار القدوات الصالحة في القلب والعقل، على شخصية الإنسان وتوجيه مسارات حياته، بحيث يتوجه لكسب الحسنات، ويتلافى الأخطاء والسيئات»(٤). محتملًا أن من أهداف أمر الله تعالى بالصلاة على النبي وآله ﷺ «هو استمرار حضور هذه النماذج المشرقة النبي وآله الطاهرين في قلب الإنسان وعقله، وأمام وعيه وبصيرته، من أجل تحقيق الالتزام بالقيم التي جسدوها في حياتهم، والتحلي

(١) تقديم كتاب الصديقة مريم العذراء.. معجزة الأجيال.

(٢) تقديم كتاب الصلاة الفاخرة على النبي وعترته الطاهرة.

(٣) تقديم كتاب الأنبياء ومسارات المحن. السيد زهير العلوي.

(٤) تقديم كتاب الصلاة الفاخرة على النبي وعترته الطاهرة.

بمكارم الأخلاق التي مارسوها في سيرتهم ومواقفهم»[١].

دور الشعر في توثيق الارتباط:

ولما للشعر من قيمة في نفوس العرب، فقد أولى رسول الله ﷺ هذا الأدب أهمية، ونصب لبعض الشعراء كحسان بن ثابت منابرًا حتى يصدحوا بذكر الحق ومدحه. وقد دأب الشعراء على مدح رسول الله ﷺ والتغني بعظيم خصاله وكماله، ولا يزال الشعراء جيلًا بعد جيل يتبارون في مدحه ووصفه وهو اللوحة القدسية الأسمى التي لم يكن مثلها في الوجود. وتكمن أهمية هذه المدائح كما يرى الصفار في أمور:

١. تكشف بعض أبعاد شخصية الرسول الأعظم... وترسم صورًا رائعة جميلة للفضيلة والسمو، وتأخذ موقعها في نفس الإنسان وعقله.

٢. نوع من أداء واجب التعظيم والاحترام تجاه الرسول المنقذ.

٣. إشادة وتمجيد بمكارم الأخلاق وجميل الفضائل والصفات، مما يوجب توجه النفوس وانجذاب القلوب إليه[٢].

وإذا كان رسول الله ﷺ قد فتّق قرائح الشعراء، وجذبهم إلى مدحه، بما حمل من جميل الصفات، وبليغ الآيات، والدلائل الواضحات، على كماله وعلو شأنه، فإن سبطه خاتم الأوصياء الإمام الحجة المنتظر ﷺ، قد فتّق قرائح الشعراء أيضًا، وانجذبوا لاستنهاضه، لأنه الأمل الوحيد لخلاص الإنسانية من معاناتها، وأنه الفرج القادم الذي يأتي ليحقق ما وعد به محمد ﷺ. «من هنا تبارى الشعراء في ساحة هذا الإمام العظيم، وتسابقوا على حلبة ميدان قدسه، يعرضون أمامه ملفات الألم، ويستنهضونه لتحقيق

(١) المصدر السابق.

(٢) تقديم كتاب موسوعة المدائح النبوية. عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم. ج١، ص٨ ١٠. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، (دار المحجة البيضاء ودار الواحة).

الأمل»[(١)]. فللقصائد في استنهاض الإمام المهدي نفس الدور الذي تقدمه القصائد في مدح النبي الأعظم ﷺ حيث ربط الإنسان بالقيم الصحيحة، وبث روح الأمل في نفسه، وارشاده للعمل الصالح الذي يؤهله للقاء هذا الإمام العظيم، وأنه مهما طال ليل الظلم فإن صبح العدل قريب.

وفي العالم الإسلامي سيما العالم الشيعي منهم دواوين كثيرة كلها في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام من رسول الله محمد ﷺ إلى خاتمهم الحجة القائم المهدي عجل الله فرجه. وتهدف في أغلبها إلى الارتباط الوثيق بأهل البيت عليهم السلام والاقتداء بهم، والانتصار لهم، وقد أدت هذا الدور. يقول الصفار: «تراكمت ثروة كبيرة من الأدب، انصبّ قسط وافر منها على التذكير بالمصائب والآلام التي حلّت بالعترة الطاهرة، من قبل أعدائهم الظالمين، والغاصبين لحقهم. وهي تستهدف إذكاء مشاعر التعاطف مع أهل البيت كأصحاب حق مظلومين، وترسيخ التباعد والنفور من الظلمة المعتدين، كما أنها تبرز صور البطولة والثبات على المبدأ في حياة أهل البيت عليهم السلام، رغم ما وقع عليهم وأصابهم من فجائع ونكبات»[(٢)].

إحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام:

ومن الأمور التي تربط المسلمين بالنبي ﷺ، هو إحياء ذكرياته كالمولد النبوي الشريف وذكرى الإسراء والمعارج. وعند الطائفة الشيعية مناسبات عديدة على هاتين المناسبتين العظيمتين وهي مناسبات مواليد ووفيات أهل البيت عليهم السلام وإحياء موسم عاشوراء. وهذا كما يرى الصفار هو أحد الأسباب التي تعمق ارتباط الشيعة بقادتها الدينية، يقول: «وموسم عاشوراء، ومناسبات ذكريات مواليد الأئمة ووفياتهم، خير شاهد على برامج تكريس الولاء والارتباط بأهل البيت عليهم السلام في أوساط المجتمعات

---

(١) تقديم كتاب الموسوعة الشعرية المهدوية، عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم، ج١، من ص٤٧ ٤٩، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، (دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع).

(٢) تقديم كتاب من فيض الولاء.

الشيعية»، ويضيف: «إن ناشئة وأبناء الموالين لأهل البيت ﷺ يتفتق وعيهم وهم في أحضان آبائهم وأمهاتهم، على ذكر أهل البيت ﷺ، وتمتلئ أسماعهم وأبصارهم بأخبار سيرتهم العطرة، وتنطبع في أعماق نفوسهم ومشاعرهم صور التقديس والتعظيم لأولئك الأئمة الهداة»(١).

زيارة المراقد المقدسة لأهل البيت:

أمر مهم يشير إليه الشيخ الصفار للارتباط بأهل بيت النبوة ﷺ هو التشرف بمجاورة مراقدهم المقدسة، أو لا على الأقل التشرف بزيارتهم لمن لم تتح له مجاورتهم. موضحًا بأن من فاته شرف مصاحبة أهل البيت ﷺ في حياتهم، فلا يعدم الخير كله، فهم أحياء عند ربهم، «فحياتهم المعنوية مستمرة، وبركات وجودهم دائمة، وآثار فضلهم باقية»، ويقول: «إن مصاحبة الأولياء بعد وفاتهم تكون بالعيش في أجواء سيرتهم وتاريخ حياتهم. ولذلك تأثير وإنعكاس كبير على نفسية الإنسان وسلوكه. كما أن مجاورة مراقد الأولياء تعتبر من أرقى سبل وألوان مصاحبتهم». مبينًا أثر مجاورة مراقد الأولياء على الإنسان ومن ذلك: التتلمذ على يد صاحب المرقد، وجعله «نصب العين، وملء النفس، ومرأى القلب» وهذا له إنعكاس على شخصية المصاحب، إضافة إلى رؤية الكرامات والبركات التي يجريها الله في هذه المراقد فتشتد النفوس لصاحب المرقد، وكذلك التعرف على مختلف الشخصيات القادمة من مختلف الأماكن لزيارة هذا الولي(٢).

*****

إن الإنسان الذي يصارع معركة حامية الوطيس بين جانبي الروح والمادة عنده، لا مناص له لإيقاف هذه الحرب الضروس إلا بإرضاء الطرفين بما هو مشروع، فلا يحيف على أحد الجانبين على حساب الآخر.

(١) المصدر السابق.

(٢) تقديم كتاب النفحات الولائية في العقيلة الهاشمية. الدكتور عصام عباس، من ص٢٩ ـ ٣٢.

ولكي يتعلم الإنسان هذه المعادلة المتوازنة فإن الله تعالى أرسل له أنبياء وأولياء بشرًا مثله يرشدونه لذلك عبر تعاليم السماء وعبر سلوكهم. ولهذا فإن على الإنسان أن يختار القدوات الصالحة، وعليه أن يسعى للتعرف عليها حتى توصله للدرب السليم، وليس هناك أفضل من سيد الكون محمد ﷺ، وعترته الهادية ﷺ وذلك بقراءة سيرتهم والارتباط بهم والاهتمام بكل ما يرمز إليهم ويذكّر بهم حتى لا يغيبوا عن البال، ويظلوا المثل الأعلى لمن أراد الحق والخير. ولذا فإن للشعر قيمة في ربط الناس بفكر أهل البيت ﷺ وتوجهاتهم، وقضيتهم، إضافة إلى إحياء مناسباتهم، وزيارة مراقدهم الشريفة.

الموضوع السابع: المرجعيات الدينية وقيادة الأمة

لقد أولت الرسالات السماوية للعلم مكانة عظيمة، وشجعت على طلبه. ونجد في الدين الإسلامي روايات كثيرة حول هذا الأمر، سيما تجاه العلم الديني، وما أعطته من هالة قدسية لطالب العلوم الدينية. وكل من عشق العلم يزداد نهمًا لاكتساب المزيد «فالثراء العلمي ينتج الشعور بالفقر إلى العلم، لأن الإنسان كلما تقدم علمه اتسعت رقعة المجهول أمامه... وهذا ما يفسر استغراق العلماء وتفرغهم لطلب العلم، ودراسته وبحثه بكل وجودهم وعمرهم، واضعين نصب أعينهم مقولة: **أعطه كلك يعطك بعضه**»[(١)].

ثم يؤكد الصفار بأن التعمق في علوم الشريعة وخاصة الفقه وأصوله من أبرز مميزات مراجع الدين الشيعة وذلك من «خلال الاستغراق في الدراسة العلمية لسنوات طويلة تقاس بالعقود، حيث تقرأ في سير حياة المراجع أن أغلبهم توجه للدراسة من نعومة أظفاره وحداثة سنه، وأصبح مرجعًا وهو في مرحلة الكهولة إن لم تكن الشيخوخة»، ملفتًا إلى إنقطاعهم لطلب العلم، والتغرب عن أهليهم وأوطانهم في سبيل ذلك، وإنشغالهم عن اهتمامات الحياة لصالح كسب العلم، ولهذا «لا يكفي في

---

(١) تقديم كتاب المرجان في أحكام الحيتان، أبو القاسم محمد بن الحسن المعروف بالشيخ فندم، من ص١١٧، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، (دار المحجة البيضاء، والواحة للخدمات الثقافية).

الفقه الشيعي نيل مرتبة الاجتهاد والتمكن من الاستنباط للوصول إلى موقع المرجعية الدينية، بل يرى أكثر فقهائهم وجوب تقليد الأعلم، أي الأكفأ والأقدر علميًا»[١].

من هنا، فإنه «حين ينتهل الإنسان من معين المعارف الدينية، وينتمي إلى سلك حملة العلم الشرعي، فإنه يتحمّل مسؤولية نشر العلم والمعرفة، وواجب التعليم والإرشاد. وهو مطالب أمام الله سبحانه وتعالى ببث ما تعلمه في أوساط المجتمع، وسيحاسب يوم القيامة عن التقصير في القيام بهذه المهمة»[٢]. ولهذا يشير الصفار إلى مهام علماء الدين والمرجعيات الشيعية ويذكر منها ما هو تقليدي، حسب تعبيره، وهو الذي ينحصر في تعليم الأحكام الفقهية، ومنها ما هو أكثر من ذلك وهو النهوض بقضايا الدين والأمة معًا[٣].

العلماء والدور المطلوب:

يقول الصفار: «غالبًا ما ينحصر عطاء المرجعيات الدينية للمجتمعات الشيعية في بعدين رئيسين:

الأول: العطاء العلمي التخصصي في مجال الفقه وأصوله والعلوم الوثيقة الصلة بهما عبر التدريس، وكتابة البحوث، ورعاية الحوزة العلمية...

الثاني: تقديم الفتاوى الشرعية وما يحتاجه المكلفون من مسائل دينية في أحكام العبادات والمعاملات»[٤].

وهو يرى بأن المطلوب من عالم الدين الذي أفنى عمره في الدراسة والبحث ليس

---

(١) تقديم كتاب الكتاب في فكر الإمام الشيرازي.

(٢) تقديم كتاب قضايا الدين والمجتمع، رؤى وقراءات، الشيخ صادق بن أحمد الرواغة، ص٩٧، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، (دار المحجة البيضاء، وأطياف).

(٣) تقديم كتاب الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي. فؤاد الأحمد.

(٤) تقديم كتاب معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف.

هذا فحسب، «فهذا الدور الهامشي المحدود الذي يضطلع به عالم الدين لا يتناسب مع الصورة الخطيرة التي ترسمها النصوص الدينية من آيات وأحاديث لمقام عالم الدين ولموقعيته في الأمة». مؤكدًا: «دور عالم الدين هو دور القيادة للأمة في مختلف مجالات الحياة، وأن وظيفته هي رعاية شؤون المجتمع في جميع الجوانب»(١). ويعتبر أن حصر الدور المرجعي في الجانب الفقهي فقط فهم ضيق للدور الرسالي «أما تحديد دور الفقهاء المراجع باستنباط المسائل الفقهية المحدودة دون أن يكون لهم شأن أو اهتمام بتبيين مفاهيم القرآن وعقائد الإسلام وتعاليمه ومناهجه لمختلف جوانب الحياة، ودون أن يحصنوا جماهير الأمة عن تأثيرات الكفر والإلحاد والجهل والانحراف العقائدي والثقافي.. فهو ناشيء عن قصور في فهم أبعاد الرسالة الإلهية، وتأثر بحالة التخلف والانحطاط التي عاشتها الأمة في هذه العصور»(٢).

ثم يشير إلى أمور يرى بأنها الأدوار الأهم التي ينبغي أن يضطلع بها عالم الدين الفقيه:

أولًا: تحصين الفكر والثقافة.

إن أول مهمة ينبغي أن يضطلع بها عالم الدين هي التوجيه الفكري وتحصين هذا الفكر من الثقافة الدخيلة المضادة. «لأن الواجب الديني الملقى على كاهل العلماء هو تعليم الناس، قبل أن يكون من واجب الناس أن يتعلموا»(٣) وإذا ما ظهرت الأفكار المنحرفة والبدع والخرافات فعلى العالم أن يظهر دينه، يقول الصفار: «إن من أهم امتيازات عالم الدين ودواعي تفضيله على الآخرين هو تصديه للأفكار الشيطانية المنحرفة»(٤).

(١) تقديم كتاب الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي. فؤاد الأحمد.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) نفس المصدر السابق.

من هنا، فإن الصفار يرى تفاوت الحضور المرجعي في الساحة الشيعية بناء على تفاوت التوجه الفكري وتشخيص الواقع الخارجي إضافة إلى تفاوت المواهب والقدرات(١).

ثم يطرح الحل الأمثل للدورالقيادي للمرجعية في تحصين المجتمع فكريًا، وهو المؤسسات التي تعنى برصد الظواهر المنحرفة، والتي تُعالج من قبل مجموعة من العلماء: «إن القيام بدور التوجيه الفكري للأمة يستلزم الرصد والمواجهة للأفكار والتيارات المضادة والمنحرفة التي قد تغزو الأمة من الخارج، أو التي تنشأ في أوساط المجتمع نتيجة جهل، أو سوء فهم، أو نزعات مغرضة»(٢). مشيرًا إلى فردية الإنتاج الفكري الديني ونقص المؤسسات «إننا بحاجة ماسة إلى أن تولي المرجعية الدينية اهتمامًا كبيرًا تجاه المسألة الفكرية الثقافية بأن تكون هناك أجهزة ولجان ومؤسسات تتابع تطورات المعرفة في العالم، وترصد المؤامرات التي تستهدف فكرنا وعقيدتنا، وتخطط لتوجيه المؤلفين والخطباء والمبلغين. بالإضافة إلى ذلك لا بدّ من تطوير وسائل التوجيه كمًا وكيفًا، والاستفادة من الأجهزة الحديثة والأساليب الفنية. والمطلوب: إنشاء دور نشر، وصحف ومجلات عالمية، ووكالات أنباء، ومسارح وسينماءات، وإذاعات ومحطات بث تلفزيوني»(٣).

ثانيًا: معالجة الواقع السياسي.

تعتبر السياسة والحكم العنصر الأساس لصلاح حال الأمة أو انحطاطها. فبيد السلطة كل شيء، ولهذا لا ينبغي أن تترك السلطة هكذا دون مراقبة ودون تصحيح ونصح، ودون تغيير إذا لزم الأمر. لذا فإن الأمر يتوجب أكثر على العلماء، فهم إن لم يتسلموا السلطة فعليهم أن يقوّموا الوضع المعاش ويبينوا للحاكمين ما هو صحيح وما

---

(١) تقديم كتاب الكتاب في فكر الإمام الشيرازي.

(٢) تقديم كتاب الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي. فؤاد الأحمد.

(٣) نفس المصدر السابق.

هو خطأ. ويرفض الصفار ابتعاد العلماء عن السلطة والسياسة معتبرًا أن ذلك الرأي ساد في عصور التخلف والانحطاط، مشيرًا إلى وجوب تصدي العلماء لهذا الأمر الخطير. متهمًا ابتعاد العلماء عن ميدان السياسة بأنه «فسح المجال أمام العملاء والجهلة والمنحرفين لكي يتسلطوا على رقاب المسلمين في هذه العصور».

ثم يبين بشكل مفصل، كيفية تصدي الفقيه للدور السياسي، وتتمثل في الأمور التالية:

التصدي للحكم، والإشراف على الحكم، والمشاركة في الحكم، والنصيحة للحاكم، وممارسة التغيير بالطرق السلمية، أو المعارضة والجهاد(١).

ثالثًا: التصدي لقضايا المجتمع.

يحظى عالم الدين ومرجع التقليد بحب الناس والتفافهم حوله، وما دام موفورًا بهذه الهالة من القداسة والمحبة من قبل الناس، فهو محل تقدير، وكلمته نافذة مطاعة. لذا فإن «هذه المكانة والوجاهة يجب أن يستثمرها العالم لمنفعة المجتمع ومصلحته ولخدمة القيم الإسلامية... فمن المهام الاجتماعية لعالم الدين تعزيز وحدة المجتمع وتقوية تماسكه وتضامنه ببث قيم وتعاليم الوحدة والتعاون ومكافحة أسباب التفرق والتمزق»(٢). كما أن من واجبه تتبع أحوال الناس لمساعدة الفقير ورعاية اليتيم، والعمل على ما يصلح ويقوّم شؤون الناس، لأن؛ «الدور الأساس والأهم لعالم الدين، هو دور الرعاية والأبوّة للمجتمع»(٣) فإذا أفاض عالم الدين على مجتمعه من العطف والرعاية وقام بدور الأب تجاه أبنائه، فإنهم بالمقابل سيكونون له أبرارًا، مطيعين لأمره، مستمعين لنصحه. ويرى الصفار بأن من يتبوأ أبوّة المجتمع لا بدّ من توفر صفات معينة

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) تقديم كتاب السيد علي السلمان (سيرة ومسيرة)، علي المحمد علي، من ص٩ ١٣، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

فيه، منها: «الوعي الاجتماعي وسعة الأفق، رحابة الصدر وحسن الخلق، وأخيرًا الإدارة والتدبير»[١].

الفقيه والتوعية الدينية:

أكثر شيء يلجأ الناس فيه لعالم الدين الفقيه هو السؤال عن أحكامهم الدينية، إما عن طريق السؤال المباشر، أو عن طريق المراسلة، أو بقراءة كتبه الفقهية. ولا يقف الأمر عند الحدود المعتادة من أحكام الصلاة والصوم وما شابه فقط، بل حياة الناس في تطور وتغير، فهم يواجهون كل حين أمورًا جديدة في حياتهم، ويحتاجون إلى معرفة رأي الشرع تجاه هذه الأمور. من هنا فإن الدراسات الفقهية ينبغي أن تأخذ بعين الأعتبار الأمور التالية:

١. **وضوح العبارة الفقهية.** حينما يرجع المكلف لمراجعة الأحكام الفقهية فإنه يصطدم في الغالب بعبارات يصعب عليه فهمها، «فالكتب الفقهية وبالذات الرسائل العملية ليست واضحة غالبًا، ولا تستوعب كل التفاصيل والافتراضات التي يحتاج إليها المكلف ... وهذا العصر تتميز ثقافته ومعارفه بالوضوح وسعة الانتشار، وبالاستفادة من وسائل الإعلام وأدوات التوضيح، كل ذلك يدفع المؤمنين الواعين إلى تدارك هذا النقص في مجال المعارف الفقهية»[٢].
ويرى الصفار بأن عدم وضوح العبارة مدعاة لعزوف إنسان هذا العصر، الذي تعوّد على اللغة السهلة في مختلف العلوم، عن الأخذ بأحكام الدين. «إن طرح المسائل الشرعية الفقهية بلغة تجريدية عامة، وعلى شكل افتراضات إذا كان كذا فالحكم كذا، يجعل أكثر المكلفين في موقف الحيرة، وعدم معرفة التكليف، وبالتالي عدم القدرة على الالتزام أو صعوبته»[٣].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تقديم كتاب شرح الشكوك، شفيق محمد المغاسلة.

(٣) تقديم كتاب المرجان في أحكام الحيتان.

٢. **تشخيص الموضوعات الخارجية.** لأن الجانب النظري وحده لا يكفي، ولذا لا بدّ من الاطلاع المباشر حتى يمكن ضبط الأحكام الشرعية عليها. «إن استغراق الحالة العلمية الفقهية في البحث النظري، دون الإطلاع المباشر على موضوعات الأحكام، ودون معرفة واضحة للأشياء، وبعيدًا عن الواقع المعاش للمكلفين، ودون رصد ومتابعة لتطورات الحياة وأوضاع المجتمع، قد ينتج إشكاليات في مجال تطبيق الأحكام الشرعية، ومعرفة مورادها ومصاديقها الخارجية. ولتلافي هذا الإشكال لا بدّ من تطوير أجواء وبرامج الحوزات العلمية، بما يوفر فرص المباشرة للقضايا والأشياء، التي هي مورد انطباق للأحكام، وأن تتوفر المعلومات الكافية أمام الفقيه وطالب العلم الشرعي حول الموضوعات الخارجية، عبر وسائل المعرفة المتاحة، وبالانفتاح على الواقع المعاش، والمعاشرة للمجتمعات المعاصرة على صعيد أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية»[١].

الفقيه والتحديات المعاصرة:

يواجه الإسلام هجمات مغرضة من قبل الأعداء الذين لا يتمنون بزوغ نجمه على حساب أديانهم التي يعتقدون بها. هذه الهجمات والحرب المعدة ضد الإسلام تحتاج فقهاء واعين، يضحّون بأنفسهم من أجل الدفاع عن الإسلام، «وتحمل مسؤولية الدعوة والدفاع عن مصالح الدين والأمة». من هنا فإن الشيخ الصفار يرى أهمية الجمع بين «الأصالة والمعاصرة» التي تمكّن الفقيه من مواجهة الحملات المضادة التي يقوم بها أعداء الدين لتشويه صورته الناصعة، وهذا يتطلب حسب رأيه عدة أمور من أهمها: استيعاب قيم الدين ومفاهيمه وتشريعاته، وكذلك الانفتاح على تطورات الحياة، وقراءة واعية للتيارات المعاصرة، ومن ثم اكتشاف مواقع الخلل والضعف في تلك التوجهات. ويضرب مثلًا لذلك بالسيد الصدر الذي يمثل «أفضل أنموذج للفقيه المسلم المعاصر»،

(١) نفس المصدر السابق.

ويرى أن في كتابيه (فلسفتنا) و(اقتصادنا)، «أهم استجابة معرفية إسلامية للتحديات الحضارية المعاصرة من الغرب الرأسمالي والشرق الماركسي»[١].

واجبنا تجاه المرجعية الدينية:

يرى الصفار بأن المرجعية «قضية خطيرة وأساسية من حيث اهتمام الدين بها ومن حيث تأثيرها في حياة المتدينيين» ولهذا فإنه يرفض فرض المرجعية على الغير من قبل أي كان، والتقليد الأعمى والاتباع بدون حجة ووعي. ويرى ضرورة إعمال العقل في اختيار المرجعية الدينية. كما ينادي بمعرفة العلاقة بين المرجع والأتباع فما هي الحقوق والواجبات المتبادلة؟ مستنكرًا وجود «قيم وأعراف حاكمة على الشأن المرجعي عند أكثرية الناس» والتي تمنع مراقبة المرجع ومناقشته ومساءلته[٢].

الإعلام للأعلام والقيادات الدينية.

من جهة أخرى فإنه ينادي بضرورة الإعلام لعلماء الدين والقيادات الدينية وللمؤسسات والأنشطة التي يقومون بها، مشيرًا إلى مبررات ذلك ومنها:

- نشر القيم وتكريسها في المجتمع من خلال ذكر ما يتحلى به المرجع من قيم.
- تعريف الأمة بعلمائها وإتاحة الفرصة لهم للالتفاف بهذه القيادات الدينية.
- مواجهة الإعلام المضاد.
- إمتثال أمر الله تعالى ونبيه ﷺ وأهل البيت ﷺ في الإعلام لأولياء الله.

ملفتًا إلى أن الإعلام لمرجعية معينة أو جهة معينة، لا يعني نفي المرجعيات الأخرى وطمس معالمها وأنشطتها، وإنما الأمر يدور في حلبة التنافس الإيجابي والتسابق إلى الخيرات[٣].

(١) تقديم كتاب على ضوء فلسفتنا.
(٢) تقديم كتاب المرجع والأمة، الشيخ صالح محمد آل إبراهيم.
(٣) تقديم لمجلة المرشد.

*****

هؤلاء العلماء الذين صرفوا مددًا من الزمن في الدراسات الدينية للحصول على مرتبة الاجتهاد والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية، واستمروا في تلقي العلم وتدويله حتى بعد تصديهم للمرجعية وقيادة الأمة، لا ينبغي أن ينحصر دورهم في العطاء العلمي الفقهي والافتاء فحسب، لأن الأمة سيما في هذا العصر بحاجة إلى أدوار أكبر، كتلك التي اتخذها بعض المرجعيات فكان لهم دور في تغيير الساحة الشيعية والإسلامية إلى ما هو أحسن. ومن تلك المهام التي ينبغي أن تراعيها المرجعيات الدينية في هذا العصر: تحصين الفكر والثقافة، ومعالجة الواقع السياسي، والتصدي لقضايا المجتمع، والتوعية الدينية بما يتناسب مع العصر وتطور وسائل الاتصال الحديثة، وكذلك التصدي للتحديات المعاصرة التي تعصف بالأمة من كل جهة.

من جهة أخرى فإن الأتباع عليهم أن يقوموا بواجبهم تجاه هذه المرجعيات الدينية. وأبرز ما يناط بهم هو الاختيار عن وعي وقناعة دون فرض ووصاية، وعليهم أن يختاروا الأنسب والأفضل، وأن يسعوا للإعلام لهذه المرجعيات لنشر علمهم وفكرهم وخلقهم في المجتمع.

الموضوع الثامن: الحوزة العلمية.

يؤكد الصفار على أمور معينة لها ارتباطها بالحوزات الشيعية العلمية. سيما مناهج التدريس وما هو المأمول من الحوزات.

الدروس القرآنية:

في مقارنة جميلة بين الطبيعة والقرآن يرى الصفار أن «الطبيعة والحياة هي كتاب التكوين الإلهي... والقرآن الكريم هو كتاب التشريع الإلهي... ويتماثل الكتابان التكويني والتشريعي في عظمتهما وإعجازهما، واستهلاكهما لعقل الإنسان وجهده،

ليدرك عظمة خالقه، وليستفيد من وجوده في هذه الحياة إلى أقصى حدٍ ممكن. لذلك اتسعت آفاق البحث القرآني، كما اتسعت رحاب علوم الطبيعة»[1]. فهو يرى ضرورة مواكبة مناهج تفسير القرآن الكريم لتطورات الحياة، لأن العالِم المختص في تفسير القرآن الكريم سوف يكتشف أسرارًا أعمق وأدق ممن سبقه من العلماء، نظرًا للتطورات الحاصلة في الطبيعة وازدياد وعي الإنسان وفكره واكتشافاته، وإدارته للحياة.

ويرى بأن هذا سوف يخلق تعددًا في مدارس التفسير تتعدد «من خلالها زوايا النظر، وجوانب التأمل لفهم كتاب الله العزيز، والاستفادة من معارفه وعلومه». ويرى بأن هذا الاختلاف نقطة إيجابية فهو «إقرار بحرية الرأي والفكر، والتأصيل لحق الاجتهاد والنظر، والتأكيد لشرعية الاختلاف العلمي المعرفي»[2].

من هنا، فإنه ينتقد غياب تدريس القرآن الكريم في الحوزات العلمية كنهج مستقل متكامل كما هو الحال بالنسبة للفقه والأصول وبقية الدروس. مشيرًا إلى أن الحوازات تكتفي بتدريس مجموعة من الآيات «وهي حوالي الخمسمائة آية من أصل ٦٦٦٦آية، وأصبحت تلك الخمسمائة آية هي المساحة المحدودة التي يهتم الفقهاء بدراستها ضمن عملية الاستنباط وتعرف بآيات الأحكام» وتبقى بقية الآيات يدرسها الطالب حسب رغبته واجتهاده، «أما الجوانب الأخرى من القرآن الكريم كالجانب العقائدي والرؤية التاريخية والبصيرة الحياتية والأنظمة الاجتماعية فلا يرى طالب العلم الديني ضمن ذلك التوجه داعيًا لصرف الوقت والجهد من أجل دراستها، بل هي ضمن دائرة الاهتمام الشخصي والرغبة الذاتية، وليس كبرنامج ومنهج أساس في أوساط الحوزات العلمية»[3].

---

(١) تقديم كتاب المدارس التفسيرية، محمد الشبيب ومحمد الشملاوي، من ص١٣ ١٧، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (أطياف، القطيف السعودية).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الشيخ علي الصيود. أضواء على مناهج التفسير.

متفائلًا بما قام به بعض العلماء من تدارك هذا الأمر، والدعوة إلى ضرورة تدريس القرآن الكريم في الحوزات العلمية، وممارسة ذلك واقعًا[١].

البحوث العقائدية:

يقول الصفار: «كما أن الجيش في ميدان القتال يحتاج إلى دعم وإمداد بالمؤونة والعتاد (اللوجستك) كذلك الدعاة إلى الله وطلائع الحركة الإسلامية، هم في أمسّ الحاجة إلى من يرفدهم بالفكر العميق، والدراسات العلمية الهادفة عن قضايا العقيدة ومفاهيم الإسلام». مشيرًا إلى ما تواجهه الأمة الإسلامية من هجمات وتحديات صارخة من قبل الحضارات الأخرى خشية أن تعود لها الريادة والثقة بنفسها. ولهذا فهو يرى ضرورة الاهتمام بالبحوث العقائدية التي ترسّخ عقيدة الإنسان المسلم وتسلك به طريق الحق الذي سلكه المسلمون الأوائل فكان ازدهار الدولة الإسلامية على أيديهم، ويقول: «فلا بدّ وأن تتوجه ثلة من العلماء والمفكرين العارفين بأبعاد الصراع الحضاري، والمدركين لتطلعات الأمة، ليقوموا بدور الإمداد والدعم الفكري والعلمي، خلف جبهة الصراع العسكري والسياسي والإعلامي»[٢] ويخشى الشيخ من تداعيات ترك الجانب العقدي فيقول: «وإذا كانت القيادة الميدانية، والإدارة اليومية لشؤون التحرك والصراع مع الأعداء تأخذ كل وقت وجهد العلماء والمفكرين الإسلاميين الواعين، فإن ذلك سيترك فراغًا خطيرًا في مجال الدراسات العلمية العقائدية والعطاء الفكري»[٣].

ويؤكد أن «القضية العقدية هي الأكثر أهمية على المستوى الديني، فهي أساس الدين وجوهره وعمقه وأصله، كما أن لها تأثيرها الكبير على مشاعر الإنسان وتوجهاته السلوكية والعملية». مشيرًا إلى أن حركة التواصل المعرفي بين مذاهب الأمة وتياراتها تشكو من الخمول والركود، حيث لا يزال الميدان العقدي ساحة للنزاع والتوتر. مرجّعًا

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تقديم كتاب مفاهيم القرآن. الشيخ جعفر السبحاني.

(٣) نفس المصدر السابق.

ذلك إلى «أن العلماء الناضجين في الأمة لم يولوا هذا المجال ما يستحق من عناية واهتمام، وتركوه لتفاعلات تراث العصور الماضية، بما فيه من خصومات وخلافات، فأصبح ساحة للقوى المتطرفة المتعصبة من مختلف المدارس والمذاهب»[١].

ولانقاذ الواقع:

يشير الصفار إلى عدة أمور يرى أهميتها لمعالجة الموضوع وهي:

١. إنشاء كلية لدراسة العقائد وعلم الكلام المقارن على نسق دراسة علم الفقه المقارن.

٢. تشكيل مؤسسة علمية إسلامية تهتم بالدراسات والبحوث العقدية بمشاركة علماء ومفكرين يمثلون مختلف المدارس الكلامية في الأمة على غرار مجمع الفقه الإسلامي.

٣. إصدار مجلة متخصصة ببحوث علم الكلام والدراسات العقدية تنفتح على مختلف التوجهات بنشر كتاباتهم العلمية وإجراء الحوارات مع شخصياتهم المعرفية.

٤. عقد مؤتمرات تخصصية تناقش قضايا العقيدة وعلم الكلام، تشارك فيها مختلف المدارس، ويبحث كل مؤتمر قضية محددة... والمسائل الجديدة في علم الكلام[٢].

البحوث الفقهية:

يشير الشيخ الصفار إلى ما تشهده ساحة الأمة من تواصل معرفي على الصعيدين الفقهي والثقافي. ومنها موسوعة جمال عبدالناصر الفقهية من القاهرة التي صدرت عام

(١) تقديم كتاب معجم طبقات المتكلمين.العلامة الفقيه الشيخ جعفر السبحاني. من ص٩ ١٤، ج٤، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام).

(٢) نفس المصدر السابق.

١٩٦١م والتي تذكر آراء المذاهب الإسلامية جنبًا إلى جنب. وكذلك كتاب الفقه على المذاهب الخمسة للشيخ محمد جواد مغنية، وموسوعة الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي، وكتاب الأحوال الشخصية للشيخ محمد أبو زهرة، وكتاب أحكام الأسرة في الإسلام للدكتور محمد مصطفى شلبي. إضافة إلى تأسيس مجمع الفقه الإسلامي. معتبرًا ذلك «بداية تواصل معرفي يبشّر بالخير»[١]. لكنه ينتقد الكتب الفقهية الشيعية لصعوبة العبارات فيها، وعدم وجود كتب تجمع آراء العلماء من المذهب الشيعي على غرار الموسوعات التي تجمع آراء المذاهب والتي أشرنا إليها آنفًا.

لهذا فهو يرى ضرورة الكتابات الفقهية التي تشمل الصفات التالية:

١. وضوح العبارة والاستيعاب لمختلف التفاصيل[٢].

٢. الاحتواء على الآراء والفتاوى المتعددة لمختلف المراجع، بالطبع قد يكون الاختلاف في الفتاوى محدودًا بين المراجع لكنه موجود ويهم المكلف أن يطلع على رأي مرجعه[٣].

٣. تشخيص الموضوعات الخارجية لمعرفة الأحكام الشرعية عليها. والتي تستلزم تطوير أجواء وبرامج الحوزات العلمية، بما يوفر فرص المباشرة للقضايا والأشياء، التي هي مورد انطباق للأحكام، وأن تتوفر المعلومات الكافية أمام الفقيه وطالب العلم الشرعي حول الموضوعات الخارجية، عبر وسائل المعرفة المتاحة، وبالانفتاح على الواقع المعاش، والمعاشرة للمجتمعات المعاصرة على صعيد أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٤].

---

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) تقديم كتاب شرح الشكوك، شفيق محمد المغاسلة.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) تقديم كتاب المرجان في أحكام الحيتان.

*****

تحتاج الحوزات العلمية تطويرًا مستمرًا تواكب به التقدم والتطور الحاصل في مختلف المجالات الحياتية. وليس من الصحيح أن تبقى على ما كانت عليه قبل قرون متطاولة. فمناهج القرآن الكريم بحاجة أن تكون حاضرة بقوة في دروس الحوزة ومناهجها، وليس من الصحيح أن يترك درس القرآن للتحصيل الشخصي ويكتفى بآيات الأحكام! ولا يختلف الوضع عن الدروس العقدية وأهمية تطويرها، وإذا كان هناك دراسات مقارنة للفقه فإن العقائد تحتاج ذلك أيضًا، وتحتاج مزيدًا من لقاءات التواصل والتعارف عبر المؤتمرات المتخصصة على غرار ما هو حاصل في الجانب الفقهي. إلا أن المناهج الفقهية وكتبه بحاجه إلى تطوير هي الأخرى من حيث وضوح العبارة وتشخيص المواضيع الخارجية.

الموضوع التاسع: المنبر الحسيني.

«يتبوأ المنبر الحسيني مكانة عالية من الاهتمام والتأثير في المجتمع الشيعي لا يدانيها أي إهتمام أو تأثير آخر». مشيرًا الصفار إلى أن ارتباط الشيعة بالمنبر الحسيني ارتباطًا وثيقًا فلا يكاد يمر عليهم يوم لا يجلسون تحت ظله، ويستنيرون بهديه. وهو قائم بجهودهم وبذلهم[١].

خطباء المنبر الحسيني:

هذه المكانة المقدسة للمنبر الحسيني في الفكر الشيعي والارتباط الوثيق يستدعي تأهيل خطباء قادرين على قيادة هذا الدور العظيم. فهم جزء من الإعلام الذي خطط له الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة، والذي شجع عليه أهل البيت عليهم السلام حتى يخلدوا هذه النهضة وأهدافها المباركة وقائدها العظيم. ولهذا يقول: «الخطباء الحسينيون

(١) تقديم كتاب من خطباء المنبر الحسيني بمدينة سيهات، عبدالفتاح العيد، ص: أ ـ د، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ (مؤسسة الرسول الأعظم ﷺ الثقافية).

يمثلون صوت النهضة الحسينية، الذي يصك مسامع الأجيال على امتداد التاريخ. فهم الذين يخلّدون هذه الذكرى العظيمة بنقل أحداث عاشوراء، ويحيون النفوس بما تضمّنته من مواقف التضحية والفداء، ويفجرون المشاعر والعواطف بتصوير مشاهد المآسي والآلام التي حلّت بأهل بيت الرسالة صلوات الله وسلامه عليهم»[١].

الخطباء والدور المطلوب:

إن المكانة التي يتبوأها المنبر الحسيني، وتلك المكانة الاجتماعية التي اكتسبها الخطيب من خلال المنبر الحسيني، يتطلب منه دورًا هامًا وهو نشر الوعي والفكر في المجتمع، ولذا مطلوب منه أن يكون على قدر من الوعي والفكر والثقافة. يقول الشيخ: «كلما كان الخطيب أكثر وعيًا ومعرفة بفكر أهل البيت وأمرهم كان أقدر على إحيائه، وأقرب إلى أن يشمله دعاء الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: (رحم الله من أحيا أمرنا)[٢]. ويرى بأنه كلما تطورت الحياة وازداد وعي الناس وإدراكهم فإن المسؤولية تكون أكبر على الخطيب: «إنه يواجه الآن تحديًا كبيرًا، في المحافظة على موقعيته وتأثيره، فجمهور المستمعين لم يعد حشدًا من الأميين البسطاء، بل أصبحت أكثريته متعلمة، من بينها نخبة مثقفة واعية، وهي تتوقع من خطيب اليوم طرحًا علميًا موضوعيًا، وليس مجرد إثارات عاطفية، كما تتطلع إلى الجديد والتجديد، فلا تقبل من الخطيب اجترار موضوعاته وتكرارها». إضافة إلى انفتاحهم على خطباء آخرين من خلال القنوات الفضائية، وعلى الثقافات العالمية، وتطورات الحياة، كل ذلك يتطلب منهم مطالبة الخطباء بدور أكبر وأعمق طرحًا[٣].

المنبر والطرح السياسي:

يرى الصفار بأن انطلاق الإمام الحسين ﷺ في حركته الإصلاحية كانت تستهدف

---

(١) تقديم كتاب خطباء العوامية من الماضين.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) تقديم كتاب مناهل الأدباء وحديقة الخطباء.

مواجهة الطغيان والانحراف السياسي. وأن الواقع الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية اليوم يواجه نفس التحدي، حيث أنه «لم تجد محاولات الإصلاح الجانبية التي بذلت في مختلف المجالات شيئًا في تغيير واقع التخلف والفساد، حتى أدركت الشعوب ضرورة التحرك باتجاه إصلاح موقع القرار السياسي، بإسقاط الطغيان والاستبداد كما حصل في تونس ومصر وليبيا وبلدان أخرى تسير شعوبها على طريق الثورة والتغيير».
هذه الثورات المنطلقة في كل مكان عربي والتي أطلق عليها ثورات الربيع العربي، تحتاج زيادة في الوعي السياسي والعام «وهنا يأتي دور النخبة الواعية من العلماء والخطباء والمفكرين والمثقفين، لكي يبثوا في أوساط الأمة الوعي والفكر والثقافة السياسية التي تتجاوز بهذه المجتمعات آثار التخلف والاستبداد، وتساعدها على شق طريقها الجديد، ومواجهة تحديات مرحلة الانتقال والتغيير»[(١)].

*****

لايزال للمنبر الحسيني قداسته ومكانته في المجتمع الشيعي. فهو له دور بارز عبر تخريج مختلف الفئات الشيعية، وحتى نضمن نضج الخريجين فإن الدور المناط بالخطيب لا بدّ أن يكون كبيرًا ومع تطور الحياة فإن دور الخطيب يحتاج مزيدًا من التطوير يواكب نضج الحاضرين تحت منبره. ولا بدّ لهذا المنبر من التجدد وطرح الأمور السياسية التي من شأنها إصلاح واقع العباد والبلاد، فالحسين عليه السلام كان شعاره سياسيًا وحركته إصلاحية.

الموضوع العاشر: الكتاب والمكتبة والتدوين.

الكتاب والمكتبة مشروع إصلاح:

يرى الصفار أهمية القراءة وتداول الكتاب وذلك إسهامًا في تثقيف الذات ونشر الثقافة في المجتمع. مشيرًا كنموذج إلى إتخاذ المرجع الشيرازي الكتاب «تأليفًا وطباعة

(١) تقديم كتاب قراءة في الخطاب الحسيني الربيع العربي أنموذجًا.

ونشرًا» مشروعًا لإصلاح الواقع، مشيرًا إلى أنه كان «يدعو المفكرين والكتاب إلى التركيز على معالجة مشاكل الواقع المعاش للأمة، وجذور التخلف والإنحطاط الذي تعانيه، ومن ثم تناول أساليب العلاج وطرق الخلاص»[١].

ويؤكد الصفار على انتشار الثقافة في المجتمع متى ما اهتم الناس باقتناء الكتاب وتكوين المكتبات المنزلية والارتقاء بها عن الانحراف والقيل والقال. داعيًا إلى أن تكون المكتبة من صلب إهتمام الناس في إعداد أثاث البيت وديكوره[٢]. مبينًا أنه لا غنى لأي إنسان عن الكتاب حتى من يشكو إعاقة ما[٣].

الكتابة وإثراء الساحة الفكرية والعلمية:

وما دام الإنسان يقرأ، فإن ثقافته ووعيه يكون في إزدياد. هذه الحصيلة المتكونة لديه من القراءة ومن تجاربه في الحياة وملاحظاته لا بدّ من تدوينها ونشرها وإثراء الساحة الفكرية والعلمية بها. مبينًا بأنه مع تعدد وسائل نشر العلم لكن الكتابة والتأليف تأتي في الطليعة، والسبب في ذلك كما يرى لأن؛ في الكتابة والتأليف «الأسلوب الأكثر دقة وحفظًا لحقائق العلوم»، إضافة إلى أن «الكتاب يخاطب الأجيال القادمة بينما تقتصر الوسائل الأخرى غالبًا على مخاطبة الجيل المعاصر للعالم». وفي الوقت الذي يشيد بدور العلماء المؤلفين في نشر العلم والمعرفة وحفظها، يحذّر من مغبة عدم التأليف والتي قد تكون «مصداقًا لحالة كتم العلم والبخل به» التي تحذّر منها الروايات[٤].

منتقدًا العزوف عن الكتابة والتأليف سيما من العلماء، ويقول: «كان يفترض في أبناء هذه الأمة التي أعطى كتابها الإلهي المقدّس للقلم هذه القيمة والمكانة، أن تكون لكل واحد منهم علاقة وثيقة بالقلم، ليس في مجال تعلّم الكتابة فقط، وإنما باستخدام

(١) تقديم كتاب الكتاب في فكر الإمام الشيرازي.

(٢) تقديم كتاب الكساء في معارف الأمة الإسلامية، عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم.

(٣) تقديم كتاب مولد أمل.

(٤) تقديم كتاب معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية.

القلم في مجال تسطير العلم والمعرفة»[١]. ويقول بأن حركة التأليف والكتابة مرآة لمستوى المجتمع العلمي والفكري بل حتى المستوى النفسي. داعيًا إلى عدم وضع القيود والتبريرات للعزوف عن الكتابة مهما كانت الظروف قاسية، مشيرًا إلى دور العلماء الذين «كانوا يتحدّون قساوة الظروف وصعوبة الأوضاع السياسية والاجتماعية، ويستمرون في تحمل مسؤولياتهم ويقدمون لأجيال البشرية مكنونات أفكارهم ونتاج عقولهم مهما كلفهم ذلك من ثمن وتضحيات»[٢].

ملأ الفراغ:

ويشير الصفار إلى أن هناك مجالات تحتاج الكتابة حولها وملأ فراغ الساحة العلمية والفكرية بها. فهو يشير إلى أن المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية وبرغم ما أنتجت من كتابات أثرت بها المكتبة العلمية والأدبية، «لكن أسبابًا عديدة جعلت هذه الأقلام شبه مغمورة وغير معروفة»[٣]. من هنا، فإن الكتابة حول هذا الجانب أمر مهم ومطلوب.

كما أن هناك أجزاء من هذه المنطقة لم يُكتب حولها كتاب مستقل كما هو الحال بالنسبة لقرية الآجام. حيث يرى بأن كتاب (الآجام بين الأمس واليوم) «تأسيسًا لتاريخ جزء عزيز... لم يسبق أن دوّن له تاريخ ولا كتب حوله بحث توثيقي، عدا بعض الإشارات والسطور المختصرة في كتابات شاملة عن المنطقة»[٤].

ويؤكد الصفار بأن المجتمع الذي يتوثّب للنهوض لا يستغني عن دراسة تاريخه لا للتغني بأمجاد الماضي، وإنما لدراسة الماضي، وتقييم الحاضر، والاستفادة من التجارب والعبر[٥]. ويأسف لعدم وجود توثيق للحراك السياسي في منطقة القطيف والأحساء

(١) تقديم كتاب تعال معي لنقرأ، عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم.
(٢) تقديم كتاب معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) تقديم كتاب الآجام بين الأمس واليوم.
(٥) تقديم كتاب العملات المتداولة في القطيف والأحساء.

ويقول: «لكن هذا الحراك السياسي في المنطقة يفتقد التوثيق والرصد التاريخي، بسبب ما يكتنفه من الملابسات والحساسيات». محملًا مسؤولية ذلك على الرواد والنشطاء السياسيين[١].

ولا يقتصر الشيخ في دعواه إلى الرصد والتوثيق التاريخي والدعوة للكتابة في مجال ما، أو عن منطقة ما، وما يخص الشأن المحلي، بل يناشد جميع الكتّاب في أي مكان كانوا أن يكتبوا ويألفوا في شتى المجالات سيما المجالات الشاغرة في الساحة المعرفية. فحول الكتابة عن أفغانستان يقول: «إن تاريخ أفغانستان مجهول حتى لأبنائها، وإن آثار الأفغانيين أصابها الضياع والاندثار، وإن كتابة أي جزء من تاريخ أفغانستان وإحياء أي قسم من آثارها خدمة لكل أفغانستان ولكل الأفغانيين. وهو بالتالي خدمة لكل المعرفة والتراث الإسلامي والإنساني»[٢].

*****

من هنا، فإن الكتاب يعتبر مشروعًا حضاريًا للنهوض بالمجتمع عن طريق نشر الوعي والفكر في وسط أبنائه، ولهذا لا بدّ من الاهتمام بالكتاب ونشره. من جهة أخرى فإن من المفيد تكوين مكتبة منزلية حتى نضمن دخول الثقافة في كل بيت، وهذا يتطلب منا تعزيز حركة التأليف سيما من العلماء المناط بهم توعية الناس ورشدهم، ففي الكتابة تدويل لهذا العلم المكنون عندهم ونشره، وفيه إثراء لكل الأجيال، فالعلم يتراكم ولا تعدم فائدته مهما تجدد. ثم إنه لا بدّ من الكتابة عما هو شاغر في المكتبات لإثراء هذه الجوانب والافادة منها.

الموضوع الحادي عشر: مرجعية العقل في إدارة الحياة.

يركّز الشيخ الصفار في كثير من كتاباته على أهمية إعمال العقل والتفكر لكي يحسن

---

(١) تقديم كتاب مدونات مترعة بالأخاديد.

(٢) تقديم كتاب أفغانستان: تاريخها رجالاتها، الشيخ حسين الفاضلي.

الإنسان إدارة شؤون حياته. ويرى أن العقل قدرة هائلة وهبها الله الإنسان «يفهم من خلالها السنن الحاكمة على الكون والحياة... فبالعقل يكتشف الإنسان سنن الحياة وأنظمة الكون»[١]. مشيرًا إلى خطورة تجاهل دور العقل والذي يُوقع الإنسان أسيرًا بيد الجهل والخرافة والهوى. «وبمقدار غفلته عن عقله يفقد من مستوى تميّزه الإنساني، حتى ينحط إلى مستوى البهائم»[٢]. ولهذا كانت الدعوة أكيدة وكثيرة في آيات القرآن الكريم للتفكر في الحياة وفي مخلوقات الله والتي تحتاج إعمال العقل، ولهذا يرى الصفار بأن تغافل المسلمين عن ذلك كان سببًا في تأخرهم وتخلفهم: «وحين استجاب المسلمون الأوائل لهذا التوجيه الإلهي، صنعوا حضارة رائدة في العلم والتقدم، لكنهم ومع الأسف الشديد أعرضوا فيما بعد عن هذا الاهتمام بالعلوم الكونية والطبيعية، وانشغلوا بالجدال الكلامي، والنزاع الفقهي، والصراع حول أحداث التاريخ، فكانت النتيجة هذا التخلّف الفظيع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، على مختلف الصعد، مما جعلها عالة على الأمم الأخرى، وسوقًا مستهلكة لما ينتجه الآخرون»[٣].

دور العقل في اتخاذ القرار:

الحياة بطبيعتها تعرض للإنسان كثيرًا من الخيارات، فيحتار ما بينها لأنه يريد الأفضل والأنسب، والخطأ في الإختيار سيفوّت عليه فرصة الأفضل ومزاياه. من هنا، فإن الله عز وجل أرشد الإنسان إلى استخدام عقله وتحكيمه في إتخاذ القرار وذلك عبر رسله الكرام الذين جاءوا ليثيروا دفائن العقول كما يقول أمير المؤمنين ﷺ. وإذا عجز عقل الإنسان نفسه عن إتخاذ القرار فعليه «الاستنارة بعقول الآخرين ممن يثق بمنهجيتهم السليمة في التفكير، ويطمئن إلى صدقهم وخبرتهم في ذات الموضوع»[٤].

(١) تقديم كتاب شاخصة الأبصار لذوي الاختيار.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) تقديم كتاب العبادة عند الخلوقات.
(٤) تقديم كتاب شاخصة الأبصار لذوي الاختيار.

وإذا ما ظل الإنسان في تردده وحيرته فإنه يلجأ إلى الله تعالى بالاستخارة والتي تعني «الدعاء وطلب الخير من الله تعالى» بأن يخلو مع الله بصفاء قلب وذهن ويسأله أن يساعده لإختيار الأنسب. وفي كل المراتب الثلاثة في إتخاذ القرار فإن العقل حاضر فيها ومتخذًا دوره. من هنا، فإن الصفار يرفض المبالغة والإسفاف في استخدام أنواع الخيرة المتداولة (كخيرة القرآن وخيرة الإمام الصادق وغيرها) والتي يرى بأن الناس يلجأون إليها في أبسط قضاياهم مما ترتب على ذلك «تجميدهم لعقولهم، فلا يبذلون جهدًا في التفكير وإعمال النظر، ولا يتجهون لاستشارة ذوي الرأي والتجربة، وإنما يبادرون للاستخارة في أي قضية وعند أبسط مشكلة»[١].

التنكر لدور العقل:

يعيش الإنسان في هذه الحياة ويرى المتغير فيها والثابت، يلحظ عظمة هذا الكون وما يجري فيه، ويراقب نفسه ومن حوله من المخلوقات. يعيش سلوكًا معينًا، وينتمي لفكر أو مذهب معين، يرى اختلاف بعض الناس معه وإتفاق غيرهم. كل هذا يوقظ الأسئلة في ذهنه، كيف يـ ـار، وماذا، ولماذا، ومن إين، وإلى أين، أسئلة كثيرة تدور في ذهن الإنسان عن كل شيء وأي شيء، منها ما يجد إجابته ومنها ما يبقيه في حالة تردد. فهل هذا وضع صحي؟ يرى الصفار بأن : «انبثاق السؤال في ذهن الإنسان هو نتاج لخاصيته العقلية، ولما منحه الله من إرادة يمارس بها حرية الإختيار، والسؤال دلالة يقظة ومؤشر إدراك، وهو يعني شعور الإنسان بالمسؤولية تجاه ما يتساءل عنه ويفكر فيه»[٢]. وفي المقابل فإن إغفال دور العقل والتنكر له حالة غير صحية، حيث «يؤشر انعدام السؤال إلى خمول في الذهن، واسترسال ساذج مع مجريات أمور الحياة».

لكن هناك من يعمد إلى إقناع الناس، أو جبرهم للتنكر لدور عقولهم. فالتساؤل حول

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تقديم كتاب أسئلة وإجابات، أفكار عملية تعالج مشاكل اجتماعية وقضايا ثقافية، مهدي جعفر صليل، ص٨٥، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، (أطياف، القطيف السعودية).

السلطة، والطموح إليها، ومحاسبتها، ومعارضتها، كلها أمور محرمة كما يرى الصفار[١].

ولا يختلف الأمر كثيرًا في الجانب الديني حيث «تحول إلى منطقة محظورة على عقل الإنسان وفكره، فهناك سقف قائم في إدارة الشؤون الدينية، وسقوف من الأعراف والتقاليد لا يجرأ الإنسان على اختراقها وتجاوزها ... إن واقع المتدينين فيه الكثير من التنكر لدور العقل، والتجميد لفاعليته، لصالح الأوهام والأعراف والتقاليد». هذا ما يشير إليه الصفار، وهو يرى ألا فرق بين الديني والسياسي. فالسياسي يرفض مناقشة الحاكم والتدخل في أموره، والديني كذلك يرفض التدخل في الشأن المرجعي. «فلا تعطي لنفسك حق المراقبة والمحاسبة والمساءلة» وأي مساءلة يستثيرها ذهن الإنسان من خلال تأمله وتفكره «يعتبرها البعض خواطر شيطانية وتشكيكات ووساوس تقود إلى التمرد والضلال»[٢].

كل هذه نماذج للتنكر لدور العقل. وهو أمر لا يصح، فمن حق الإنسان أن يسأل ويناقش، ومن الواجب عليه أن يختار الشيء عن يقين وقناعة، لا إتباع بدون وعي ودليل.

*****

توجه الرسالات السماوية سيما ديننا الحنيف الإنسان إلى إعمال عقله بالتفكر فيما حوله من مخلوقات، وفي نفسه أيضًا. ولذا فإن المسلمين الأوائل تقدموا كثيرًا حين أخذوا بهذا المنهج.

إن من مزايا العقل أنه مرجع الإنسان في إتخاذ القرار، ولهذا ليس من الصحيح التنكر لدوره. العقل يسأل ويحتاج إجابة، وولوج السؤال فيه يعني يقظته، فلا يحق لإنسان أن يلغي دور عقله، ولا يحق لأحد أن يصادر التفكير من عقول الآخرين. إن بعض السلطات تعمد إلى منع الناس من التفكير في السياسة والتدخل في شؤونها،

(١) تقديم كتاب المرجع والأمة، الشيخ صالح محمد آل إبراهيم.
(٢) نفس المصدر السابق.

وبعض الدينيين يحظرون منطقة الدين على الفكر، والأعراف أيضًا تتدخل في كثير من الأحيان لإلغاء دور العقل.

لقد جاء الأنبياء لإثارة دفائن العقول فلماذا نقبل بالوصاية على عقولنا؟ ولماذا يسمح الآخرون لأنفسهم بأن يسلطوا أنفسهم على عقول الآخرين؟

الفصل الخامس

نصوص التقديمات

نصوص التقديمات

بداية:

إتمامًا لفائدة الكتاب نضع هنا النصوص كاملة لمقدمات الشيخ حسن الصفار لكتب الآخرين، مرتبة حسب تاريخ التقديم، والذي ينتهي بعام ١٤٣٣هـ[1]. والفائدة من جمع المقدمات هو التسهيل على القارئ للتتبع والاستفادة من المحتويات، فجمعها في كتاب يعتبر كشكولًا ممتعًا فيه من كل رَفٍّ كتاب، ومن كل كتاب معرفة وفكر.

وقبل البدء بعرض النصوص سنشير إلى بعض النقاط التي تعتبر ملخصًا لأسلوب الشيخ الصفار في التقريظ والتقديم.

أسلوب الشيخ الصفار في التقديم:

في الفصلين السابقين ركزنا على أمرين مهمين في تقديم الصفار لكتب الآخرين، وهما: منهجيته في التقديم، والآخر: الأفكار التي يركّز عليها ويبثها في تقديمه للكتب.

ومن خلال تتبعنا لمجموعة التقاريظ والمقدمات التي كتبها للآخرين يمكننا أن نشير إلى أسلوبه في صياغة تقاريظه ومقدماته كما يلي:

---

(١) بعد الانتهاء من إعداد مادة الكتاب ارتأينا أن نضيف المقدمات التي كتبت في عام ١٤٣٤هـ و١٤٣٥هـ ولهذا لن تجد الإشارة لها في موضوعات الكتاب.

١. كتب في أدب التقديم لكتب الآخرين بنوعيه النثري والشعري، وإن كان الشعر لم يتعدّ قصيدتين.

٢. يميل في تقديمه النثري إلى الأسلوب الأدبي في صياغة عباراته أيضًا، ولكن ليس على حساب فكرته ورؤيته وما يريد إيصاله للقارئ.

٣. لا يعتمد قالبًا واحدًا في منهج التقديم، بل تعددت مناهجه وأساليبه، بناء على موضوع الكتاب، أو شخصية المؤلف أو بلده.

٤. لا يعتمد موضوع الكتاب من حيث كونه أدبيًا أو دينيًا أو ثقافيًا أو ما شابه ليكتب تقديمه حوله، ويتخذ المنهجية المناسبة، بل يحاول أن يرى أهم علامة تشجعه على اتخاذ منهجيته في التقديم. فحين تأخذ مثلًا الكتب الأدبية التي قدّم لها تجد أساليبه مختلفة في كل منها، فأحيانًا يكتب عن الأدب، وأخرى عن الشباب إذا كان المؤلف شابًا، وعن تأثير مجاورة المراقد المقدسة على نفس الشاعر وقريحته، وعن أهمية استثمار قدرة البيان في التوجيه الاجتماعي، وأهمية التأكيد على القيم والمبادئ، وهكذا تجد نفس الأمر في مختلف المواضيع.

٥. يركّز على اعطاء فكرة حول موضوع الكتاب.

٦. يعرّف الكِتاب بشكل موجز.

٧. يعرّف المؤلف ويقدمه للقرّاء بشكل مناسب باعطاء فكرة عن شخصيته.

٨. حين تعريفه بمؤلف فهو يكتب عن معرفة بالشخص الذي يقدّم إليه، وهو يشير إلى المحاسن التي يراها فيه حتى يرفع مشكلة المبالغة في المدح، ويبين أسباب المدح.

٩. يُقيّم الكتاب في الغالب مشيرًا إلى ما يعجبه فيه كتعدد المصادر، والريادة في الموضوع، وحساسيته، وسعة الإطلاع وعمق البحث وغير ذلك.

١٠. لا يسهب كثيرًا في مقدماته إلا القليل فيما كَتب لأهمية الموضوع الذي يتناوله

في التقديم. ولا يخفى أنه كلما زاد طول التقديم زادت تكلفة الطباعة لزيادة عدد الأوراق، ولعل هذا ما يأخذه وغيره من المقدمين بعين الأعتبار.

١١. في كلماته تشجيع وتحفيز للكاتب وللقارئ. للكاتب بأن يسير على نفس الدرب وأن يتمسك بما أشار له المقدم من مزاياه، وللقارئ أيضًا بأن يسلك نفس المنهج وأن يسعى لكسب تلك السجايا التي هي محل تقدير وثناء. فهو يشير إلى ما يتميز به المؤلف من الجانب الشخصي كحسن الخلق، وخدمة المجتمع، وما شابه، ويشير أيضًا إلى تميزه في التأليف من حيث رشاقة القلم، وسعة الاطلاع، وعمق البحث مثلًا.

١٢. يعطي فكرة ونبذة في بعض الأحيان عن بلد المؤلف.

١٣. حين يدعم قراءة الكتاب ويشجع عليها فإنه يشير إلى ما يميزه.

١٤. قد لا يقرأ الكتاب بشكل دقيق وفاحص، ولكنه يطلع عليه اطلاعة توفي حق التقديم له، وهو يشير إلى هذا الجانب في التقديم أيضًا، فيذكر عبارة من قبيل «اطلعت على الكتاب».

١٥. يمدح، ولكنه لا يغالي في مدحه. وهو في ذات الوقت يشير إلى أفعال وليس إلى مجرد صفات قد تنطبق على هذا وذاك، أو تُطلق من غير برهان.

١٦. يتخلص من تبعات الثناء بأسلوب لبق لو استدعى الأمر ذلك. فحين يطلع على كتاب هو بحاجة إلى تدقيق ومراجعة لأهمية الموضوع، يمدح الكاتب في جانب ما، ويقول وبالرغم من أني لم أقرأ الكتاب وأراجع ما جاء فيه، ولكني أثق بالكاتب ودقة بحثه. فهي من جانب تزكية للمؤلف، وتخلص من مسؤولية الأخطاء لو وردت.

١٧. يعمد إلى اتخاذ نمط غير معتاد منه ومن غيره غالبًا وهو الكتابة بصيغة رسالة، وذلك يبدو تأدبًا واحترامًا لمن هم أسبق وأكثر منه علمًا، كتقديمه لكتابي الشيخ السبحاني.

ديوان لوعة الحزين في رثاء آل ياسين. الجزء الثاني

بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٣٩٣هـ

يا حسينَ الخلودِ هذي القوافي باكياتٌ ترثيك يا بن النبيِ
وتُنادي بنهضةٍ أحييت الدّيـ ـنَ ودكّت عُروشَ آلِ أميي
حيث شادوا الضلالَ في كلِّ فجٍ وأباحوا لكلِ فسقٍ وغي
فغدا الدينُ منهمُ في انكسارٍ ليسَ إلا الحسينُ شبلُ علي
فتفاداه بالبنينِ وبالأهـ ـلِ وضحّى بكلِ طُهرٍ زكي
فترى للشبابِ بسمةَ ثغرٍ بينَ سُمرِ القنا وعطفِ القسي
وإذا بالحسينِ يبدو صريعًا بينهم عافرًا كبدرٍ مضي
وبذبحِ الحسينِ قد شُيّدَ الديـ ـنُ وأُرسي على أساسٍ قوي
ولَدَيْنَا الأعوادُ تشهدُ بالنّصـ ـرِ وما حازَهُ سليلُ الوصي
وأتت (لوعةُ الحزينِ) تُعزّي الـ ـمصطفى بابنه بشعرٍ شجي
قافياتٍ يزفها البلبلُ الغر يدُ في الخطِ ذو المحيا البهي
كم بها من على المنابرِ غنّى وتلاها بصوتِه الجهوري
فإذا ما شدا بها انهلّت العيـ ـنُ بدمعٍ من المحبِّ سخي
وهي ليست بحاجةٍ لثنائي إذ سَمت فوقَ مدحِ كلِّ صفي
لا ولا من يقودُها وهو شمـ ـسٌ أشرقت في شُعاعِها الذهبي
فهو في الناسِ مصلحٌ وخطيبٌ عرفوهُ بالشاعرِ العبقري
فالتدمْ أيها الخطيبُ بخيرٍ وبعيشٍ من الهوانِ تقي
وسلامٌ عليكَ منّيَ ما غرّ دتِ الطيرُ فوقَ غُصنٍ ندي

موسوعة دلائل الأحكام

بتاريخ ١٣٩٥هـ

إنَّـهـا (الـخَـطُّ) منبعُ الإلـهـامِ ... كم معالٍ أملتْ على الأيـامِ
كلُّ ما حولها انحرافٌ.. ولكنْ ... هـيَ كالبدرِ في سماءِ ظلام
رأتِ الـحـقَّ فـي رحـابِ علـيٍ ... ورأتْ في الوصيِ خيرَ إمام
فاستمرّت بهديهِ تقطعُ الـدَّر ... بَ برغمِ الأشـواكِ والألغام
وبَنَتْ حوزةً هيَ (النجفُ الصُّغـ ... ـرى) تُسمى بِسالفِ الأعـوام
وبها الشعرُ كـم تفجَّرَ ينبو ... عًـا لـدى قلبِ شاعرٍ مِقدام
ولَـكَـمْ أثـرتِ الثقافةُ والعلـ ... ـمُ بـإنـتـاجِ أروعِ الأقـلام
ليسَ تُنسى (القطيفُ) عهدَ ازدهارٍ ... عـاصـرتـهُ بـنـشـوةٍ وانسجام
رَفرفَ الحبُّ في سَماها وصارَ الطّـ ... ـيرُ يشدو بـأعـذبِ الأنغام
سعفاتُ النخيلِ ترقصُ شوقًا ... وهـديـرُ المياهِ صـوتُ غـرام
وتــرى الــنــاسَ بينَهم عشعشَ الـــوِدُّ فـكـلٌّ يقلقاك بالابتسام

**

ذاكَ عصرٌ بهِ (القطيفُ) تَسامتْ ... في ظـلالِ المراجعِ الأعـلام
كـ(الخنيزيِّ) مَنْ لهُ سبَّحَ الفِكـ ... ـرُ اعترافًا بِما لَـهُ مِـن مقام
فلقد تـــوّجَ الـقـضـاءَ بـعـدلٍ ... جُسّدت فيهِ شِرعةُ الإسلام
كـان والعلمَ في عناقٍ طويلٍ ... مستمرٍ لو لا اعتداءُ الحِمام
وإلـيـهِ الـيَـراعُ يعنو مطيعًا ... فـتـراهُ فـي كـفِّـهِ كالحُسام
ينصرُ الحقَّ في صحائف نورٍ ... تـتـحـدَّى نـسـائـجَ الأوهـام
فلَهُ في (الـمـنـاظـراتِ) جهادٌ ... وجـهـودٌ في (دعـوةٍ) للوئام
وأتتنا (موسوعةُ الفقهِ) تتلو ... بـوضـوحٍ: (دلائـلَ الأحكام)

عـانـقَ العمقُ للبساطةِ فيها   وتـــوارى الايـجـازُ في الإلمام
حجبتها السنينُ حتى تجلّت   مثلَ سمشٍ تُميطُ سُحبَ القتام
بجهودِ الغيورِ مفخرةِ الخَطِ   ومَــنْ خَــطَّ صفحةَ الإقــدام
ذاك (عـبـدُالـلـهِ) الـذي نـصـرَ الـحـقَّ بِـرغُـم الـسـجـونِ والآلام
وَليَطبْ للإمامِ في الخُلدِ عيشٌ   فـبـنـوهُ يُـحـيـونَـهُ لـلأنـام
ليسَ مـحـرابُـهُ يُعاني فراغًا   ذاكَ (عبدُالحميدِ) خيرُ إمام
وبعرشِ القضاءِ يحكمُ عدلًا   كـأبـيـهِ فـي سـالـفِ الأيـام
ولـهُ الـقـافـيـاتُ تنقادُ فخرًا   إنْ دعاها لبّتْ بكلِّ احترام
ويـــراعُ الفقيدِ مـا جـفَّ يومًا   بـل تنامى لـدى بنيهِ الكرام
يا ربُـوعَ القطيفِ هل تستعيدي   عصرَ مجدٍ قد صارَ في الأحلام؟!
أيقظي شعبَكِ العظيمَ بعُنفٍ   فالمعالي لا تُرتجى في المنام
ذكّـريـهِ: يا شعبُ! أنـتَ امتدادٌ   لـعـلـي وآلـــهِ الأقـــرام
كنتَ تُدعى بالرافضيِّ!، وطبعٌ   فيكَ: رفضُ الضّلالِ والإرغام
ذكــرّيــهِ فـديـنُـهُ لـيـسَ يرضى   بـجـمـودٍ وذلَّـــةٍ واهـتـضـام
ويُـنـادي: الأعلونَ أنتم.. وإلا   فلكم فـي القبورِ خيرُ مقام

الكساء في معارف الأمة الإسلامية

بتاريخ: ١٦/ ٧/ ١٣٩٧هـ

الحمد للّه وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين. وبعد:

يعجبني في مؤلف الكتاب أمران:

اهتمامه بالثقافة والمعرفة، فهو يجالس العلماء ويكثر زيارة الأدباء والخطباء، ويراسل الجمعيات الثقافية الإسلامية، ويقتني الكتب الثقافية بمختلف ألوانها وأشكالها حتى كوّن له مكتبة جيدة، يقضي بين زواياها فراغه، ويشبع من حدائقها نهمه للمعرفة والأدب.

وحبذا لو أن كل أبناء مجتمعنا يمتلكون مثل هذا الاهتمام إذًا لسادت الثقافة، وانتشر الوعي، وقضي على الفراغ الذي يسبب الانحراف والقيل والقال.

وفي المجتمعات المتقدمة تعتبر المكتبة ضرورة من ضرورات المنزل، وجزء مهم من أثاث البيت، فكما يوفر الرجل في بيته الثلاجة والغسالة والمكيف، يوفر أيضًا مكتبةً ومكانًا للمطالعة لأفراد العائلة.

ونحن المسلمين واللَّه أولى من جميع الأمم والمجتمعات بالاهتمام بالثقافة والمعرفة وبتوفير وسائلها، أليس قرآننا الحكيم يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[سورة طه، آية ١١٤] ونبينا ﷺ يقول: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة».

والأمر الثاني: رغبته في أن يقدم خدمة ما في حقل الثقافة الدينية والمعرفة الإسلامية.

وكأنه لم يرض لنفسه أن يأخذ فقط، بل يريد أن ينتج ويعطي، بقدر استيعابه وكفاءته فيكون بذلك مساهمًا في ترويج ثقافة الإسلام ومعارفه، بالإضافة إلى بقاء اسمه وخلود ذكره واستمرار الثواب له من اللَّه سبحانه وتعالى.

وهذا طموح جميل ومفيد لو توفر عند كل فرد من أفراد مجتمعنا، وطالب كلٌّ نفسه أن لا يعيش طوال حياته في حالة أخذ بل يجب أن ينتج ويعطي عطاءً مفيدًا وخالدًا في الحياة.

أقول: لو توفر هذا الشعور ثم تجسد عملًا ونشاطًا من كل فرد وحسب طاقاته

ومستواه لقطعت حركتنا الثقافية شوطًا كبيرًا، ولأصبح النشاط الاجتماعي في مستوى متقدم.

وهذا الكتاب الذي يتحرك على أناملك أيها القارئ الكريم هو ثمرة هاتين الميزتين اللتين توفرتا في المؤلف الفاضل، فاقتناؤه للكتب ودأبه على المطالعة وفّرا له مصادر الموضوع وحلقاته، ورغبته في العطاء أنتجت هذا الكتاب الجميل.

وأتمنى أن يكون الأخ المؤلف قدوة للآخرين في هذا المجال.

فمزيدًا من المطالعة والدراسة..

ومزيدًا من الكتابة والتأليف يا أبا عدنان وفقك اللّه وأكثر من أمثالك.

الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي

بتاريخ: ٢٧/ ١٠/ ١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

ما هي وظيفة العالم الديني؟ وما هو دوره في الأمة؟

إن الوظيفة المعروفة والدور التقليدي لعالم الدين في مجتمعاتنا يتلخص في تعليم الأحكام الفقهية التي غالبًا ما تنحصر في مسائل العبادات والأحوال الشخصية، وإجراء المراسيم الدينية كصلاة الجماعة وعقود الزواج والطلاق والصلاة على الميت وتلقينه.

ولكن هذا الدور الهامشي المحدود الذي يضطلع به عالم الدين لا يتناسب مع الصورة الخطيرة التي ترسمها النصوص الدينية من آيات وأحاديث لمقام عالم الدين

ولموقعيته في الأمة.

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء».

وعنه ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

وفي حديث آخر عنه ﷺ أيضًا: «الفقهاء أمناء الرسل».

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «العلماء حكّام على الناس».

وعن الإمام الحسين عليه السلام: «مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه».

إلى عشرات النصوص والأحاديث التي تبيّن فضل العلماء وتؤكد مكانتهم الخطيرة، وتدعو الأمة إلى الالتفاف حولهم والسمع والطاعة لهم، وأنّ الرادّ على مستكمل الشرائط منهم كالرادّ على الله ورسوله.

وواضح من تلك النصوص الدينية أن الدور الهامشي المحدود لعالم الدين لا يستدعي كل هذا التأكيد والتركيز لمكانة العالم وفضله كون هذه النصوص تُحلّق إلى آفاق بعيدة وواسعة.

فما هو إذن دور عالم الدين؟ وما هي وظيفته الحقيقية؟

بدراسة واعية للمفاهيم والنصوص الدينية في هذا المجال يمكننا القول بجزم ويقين أن دور عالم الدين هو دور القيادة للأمة في مختلف مجالات الحياة، وأن وظيفته هي رعاية شؤون المجتمع في جميع الجوانب.. ذلك أن الإسلام منهج كامل شامل لتنظيم حياة الإنسان، والأمة مطالبة بتنفيذ برامج الدين وتطبيقها، فلا بدّ أن تتوفر في قيادة الأمة صفتا العلم التفصيلي بمبادئ الدين وأحكامه، والالتزام الواعي بها.

ومن هذا المنطلق، هناك مصاديق وتجليات للدور القيادي لعالم الدين، يمكن

الإشارة إليها من خلال المفردات التالية:

أولاً: التوجيه الفكري والحصانة الثقافية

كيف تنتشر معارف الإسلام، ويطلع الناس على أحكامه وتعاليمه إذا لم يقم العلماء الفقهاء بمسؤولية التوعية والإرشاد والتعليم، لقد كان رسول الله ﷺ يتحمل هذه المسؤولية الخطيرة، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[سورة الجمعة: الآية٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[سورة النحل: الآية ٤٤].

وبعد رسول الله ﷺ كان الأئمة الهداة من أهل بيته ﷺ يضطلعون بهذا الدور الخطير، أما في فترة غيبة الإمام المعصوم فإن المسؤولية تقع على عاتق الفقهاء الأعلام ورثة الأنبياء وأمناء الرسل ونوّاب الأئمة..

بالطبع فإن القيام بدور التوجيه الفكري للأمة يستلزم الرصد والمواجهة للأفكار والتيارات المضادة والمنحرفة التي قد تغزو الأمة من الخارج، أو التي تنشأ في أوساط المجتمع نتيجة جهل أو سوء فهم أو نزعات مغرضة.

أما تحديد دور الفقهاء المراجع باستنباط المسائل الفقهية المحدودة دون أن يكون لهم شأن أو اهتمام بتبيين مفاهيم القرآن وعقائد الإسلام وتعاليمه ومناهجه لمختلف جوانب الحياة، ودون أن يحصنوا جماهير الأمة عن تأثيرات الكفر والإلحاد والجهل والانحراف العقائدي والثقافي.. أما هذا الفهم الضيق لدور الفقهاء المراجع على الصعيد العلمي المعرفي فهو ناشئ عن قصور في فهم أبعاد الرسالة الإلهية، وتأثر بحالة التخلف والانحطاط التي عاشتها الأمة في هذه العصور..

ولنتأمل الآن بعض الآيات والروايات التي تنص وتؤكد هذه المسؤولية الخطيرة الملقاة على كاهل علماء الدين وفقهائه:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة البقرة: الآية ١٧٤].

وفي آية أخرى يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[سورة آل عمران: الآية ١٨٧].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[سورة البقرة: الآية ١٥٩].

فالآيات الكريمة تعتبر تقاعس العلماء عن تبيان ما أنزله الله من البينات والهدى كتمانًا لرسالة الله ونبذًا وإعراضًا عن دينه، وتتوعد أولئك المتقاعسين بأشد العذاب والنكال.

أما الأحاديث والروايات فتتناول هذا الموضوع بتفصيل وشمول، فعن النبي ﷺ: «من كتم علمًا نافعًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار».

وعن الإمام الجواد ﵇: «والعلماء في أنفسهم خانة إن كتموا النصيحة إن رأوا تائهًا لا يهدونه، أو ميتًا لا يحيونه، فبئس ما يصنعون».

وإذا ما عشعش الجهل في صفوف الأمة فإن العلماء يتحملون مسؤولية ذلك لأن الواجب الديني الملقى على كاهل العلماء هو تعليم الناس، قبل أن يكون من واجب الناس أن يتعلموا، يقول أمير المؤمنين علي ﵇: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا».

وبلفظ آخر يرويه الإمام جعفر الصادق ﵇ عن جده أمير المؤمنين ﵇ «قرأت في كتاب علي ﵇ أن الله لم يأخذ على الجهّال عهدًا لطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدًا ببذل العلم للجهّال لأن العلم كان قبل الجهل».

أما وظيفة العالم تجاه الانحرافات الفكرية فبيّنها حديث شريف عن رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

وفي حديث آخر عنه أيضًا: «يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد».

ولكي ندرك مدى أهمية وخطورة تصدي العالم للمقاومة والصراع الفكري الثقافي لتثبيت مفاهيم الدين ومبادئه وللوقوف أمام العدوان والانحراف الفكري.. لكي يدرك ذلك علينا التأمل في الأحاديث التي تؤكد أفضلية مداد العلماء (الحبر) الذي تكتب به أقلامهم على دماء الشهداء الذين يسقطون في معارك الجهاد دفاعًا عن الدين والأمة، فهذه الأحاديث تلفت أنظارنا إلى أن هناك نوعين من العدوان ومن الفتوحات، عدوان عسكري، وعدوان فكري، وفتح عسكري، وفتح فكري، وكما أن على الأمة أن تواجه العدوان العسكري، وتفكر في الفتوحات لشق الطريق أمام الرسالة، فكذلك عليها مواجهة العدوان الفكري، وإيصال الهداية إلى سائر المجتمعات عبر القلم والبيان، وإذا كان الجنود يبذلون دماءهم في ساحة المعركة العسكرية، فإن العلماء هم جنود معارك الفكر والثقافة وأقلامهم سلاحهم المشرع، ومدادها يوازي دماء الشهداء بل يرجح عليه، وأي هزيمة عسكرية ستصيب الأمة لو بخل جندي ببذل دمه؟ لكنها هزيمة تهون أمام الانكسار والانهزام الفكري والثقافي لو لم يبذل العلماء الجهود ويتحملون المسؤوليات في التوجيه والتثقيف ومقاومة التيارات الفاسدة والمنحرفة، يقول رسول الله ﷺ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء».

إن من أهم امتيازات عالم الدين ودواعي تفضيله على الآخرين هو تصديه للأفكار الشيطانية المنحرفة. كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد سبعين درجة.. وذلك أن الشيطان يدع البدعة للناس فيبصرها العالم فينهى

عنها والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يعرفها».

وعنه ﷺ: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه».

وأن قيام العلماء بوظيفتهم في تبيين معالم الدين وأصول الشريعة وفضح شبهات المناوئين هو سبب بقاء الدين وتمسك المؤمنين به، وإلاّ فإن مؤامرات وأضاليل الكافرين والمنحرفين قد تخمد أوار الهدى وتشيع أجواء الارتداد والابتعاد عن الدين، يقول الإمام علي الهادي ﷺ: «لولا من يبق بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه، بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقى أحد إلاّ ارتد عن دين الله..».

ومن أجل أن يتمكن العلماء من أداء هذا الواجب الخطير في هذا العصر لا بدّ من التوجه لمسألة التخطيط والرصد الثقافي. فالغالب على الإنتاج الفكري الديني هو فردية الإنتاج حين تقل عندنا المراكز والمؤسسات الجماعية في الحقل الفكري، ويندفع الموجهون والمرشدون الدينيون في ممارساتهم التوجيهية بشكل عفوي استرسالي يتأثر البعض منهم بظروف محدودة وحسب اهتماماته وملاحظاته الشخصية، دون أن يكون هنالك في الغالب خطة منبثقة عن دراسة لواقع المجتمع، وتشخيص لأمراضه واحتياجاته الفكرية.. وأيضًا دون متابعة ورصد للتطورات الفكرية على مستوى العالم، أو التيارات الناشئة داخل المجتمع والوافدة إليه..

فقد تجد عالمًا متحمسًا لطرح فكرة ما أو الدفاع عنها بينما لا يكون لتلك الفكرة أي أهمية أو دور أو تأثير في واقع الأمة المعاش!

وقد تسمع خطيبًا يثير موضوعًا لا يعالج فيه قضية من قضايا العقيدة والمجتمع، بل يكرس حالة القشرية والاهتمامات الثانوية الزائفة!!

إننا بحاجة ماسة إلى أن تولي المرجعية الدينية اهتمامًا كبيرًا تجاه المسألة الفكرية

الثقافية بأن تكون هناك أجهزة ولجان ومؤسسات تتابع تطورات المعرفة في العالم، وترصد المؤامرات التي تستهدف فكرنا وعقيدتنا، وتخطط لتوجيه المؤلفين والخطباء والمبلغين. بالإضافة إلى ذلك لا بدّ من تطوير وسائل التوجيه كمًا وكيفًا، والاستفادة من الأجهزة الحديثة والأساليب الفنية، والمطلوب إنشاء دور نشر وصحف ومجلات عالمية ووكالات أنباء ومسارح وسينماءات وإذاعات ومحطات بث تلفزيوني...

ثانيًا: التصدي السياسي

ممارسة الحكم وإدارة شؤون المجتمع هي أعلى مهمة وأعظم دور قيادي في حياة الناس، فإذا كانت الجهة المتصدية للحكم صالحة واعية مخلصة كفوءة، استقام أمر الأمة، وتقدمت مسيرتها في مختلف المجالات أما إذا كانت السلطة السياسية فاقدة لتلك الشروط والمواصفات، فلن يستقيم للأمة أمر.

فللسلطة تأثير شامل على مختلف جوانب حياة الناس، ومن هنا قيل: «الناس على دين ملوكهم»، وروي عن الإمام علي ﷺ: «إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمن»، وذلك أمر واضح ملموس، فالحكومة هي مصدر القرارات والأنظمة وبيدها تتمركز القوة والقدرة..

فما هو دور الفقهاء والعلماء في مجال السلطة والحكم؟

إنّ هناك من يرى ضرورة ابتعاد الفقهاء عن الشؤون السياسية وأن لا يلوثوا أنفسهم بقضايا السلطة والحكم، وهذا الرأي ساد مجتمعاتنا الدينية منذ عصور التخلف والانحطاط، وشجع الحاكمون المتسلطون والمستعمرون الأجانب هذا الاتجاه، ليحصروا الدين بين جدران المساجد وفي مسائل العبادات وتجميد دور علماء الدين، لتبقى الساحة فارغة أمام شهوات الحاكمين ومؤامرات المستعمرين..

بيد أن من الواضح لكل دارس لتعاليم الإسلام وتاريخ قادته الطاهرين ﷺ أن التصدي لإدارة شؤون الأمة وفق مناهج الدين واجب شرعي ومسؤولية دينية، ولو

لم يكن كذلك لما سعى الأنبياء والأئمة الطاهرون ﷺ لقيادة المجتمع ولكانوا أولى بالاجتناب والابتعاد عن قضايا السياسة والحكم.

إن كل نبي أو رسول يبعثه الله سبحانه وتعالى هو مشروع قيادة وحكم للناس يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: الآية ٦٤].

وقال تعالى على لسان نبيه يوسف ﷺ: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية ٥٥].

وقال عزّ من قائل على لسان نبيه سليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي....﴾ [سورة صّ: الآية ٣٥].

وقال عزّ وجلّ على لسان نبيه إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية ٨٣].

وقد تكررت في سورة الشعراء آية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ على لسان خمسة أنبياء هم نوح، وهود، وصالح، ولوط وشعيب ﷺ، حين كانوا يدعون الناس إلى طاعتهم، وكانوا هم ﷺ يرشحون أنفسهم للسلطة.

والمعصومون الذين نعتقد بإمامتهم وخلافتهم بعد رسول الله ﷺ ليسوا في عقيدتنا مجرد مفتين ومرشدين، بل هم قادة كان يجب أن تخضع الأمة لهم، وأن يتسنموا موقع السلطة والحكم.

ومن هنا، فإن ابتعاد العلماء والصالحين عن ميدان السياسة والحكم هو الذي فسح المجال أمام العملاء والجهلة والمنحرفين لكي يتسلطوا على رقاب المسلمين في هذه العصور، وإذا كانت السلطة بيد غير الملتزمين والعارفين بالدين فلن تأخذ أحكام الإسلام وتعاليمه طريقها إلى التنفيذ والتطبيق، لذا ورد عن رسول الله ﷺ: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقض الحكم».

يقول المرجع الديني السيد محمد الشيرازي: «وأما التوهم بأن السياسة ليست من الإسلام وأن العالم الديني هو العارف بالتفسير والتاريخ الإسلامي والفقه وما أشبه.. فقد كان من نشر المستعمر، حيث أن علماء الإسلام إذا انزووا عن الميدان تسنى للمستعمر أخذ أزمّة البلاد، وجعل القوانين التي تخدم الكفر والكفار، عوض الإسلام الذي فيه العزة والاستقلال والنجاة وإلاّ فقد كان الرسول والأئمة عليهم الصلاة والسلام كلهم يزاولون السياسة، وكذلك شأن العلماء قبل دخول المستعمر البلاد، وهذه كتبهم الفقهية وصفحات تاريخهم المشرق تنبئ عن بيانهم المسائل السياسية، وتدخلهم في الأمور، كما ينبئ عن تدخلهم أحوال الشريفين، والفاضلين، والمجلسيين، والعامليين، والشيرازيين وغيرهم..».

«يجب اضطلاع العالم الديني بالعلم السياسي، بل ذلك وظيفة كل متدين (على نحو الوجوب الكفائي) وذلك لأنه يتوقف عليه إدارة أمور المسلمين بل إنقاذ المستضعفين من براثن المستكبرين، ونشر الإسلام، وهداية الناس من الظلمات إلى النور اللذان هما واجبان أيضًا ـ».

أما تحديد الدور السياسي للفقيه وكيفية تصديه فذلك يخضع لطبيعة الظروف والأوضاع التي تعيشها الأمة، فإذا تمكن الفقيه من التصدي الكامل والمباشر لإدارة دفة السياسة والحكم فهو مطلوب، وإن تعذر عليه ذلك، واستطاع ممارسة دور التوجيه والإشراف على الحاكمين، كان من وظيفته ذلك، وإذا لم تكن الظروف مهيئة لهذا المستوى من التصدي وأمكن للفقيه المشاركة في الحكم ضمن حكومة ائتلافية لإصلاح ما يمكن إصلاحه تعيّن ذلك ما لم تكن له مضاعفات وأخطار غير محتملة، وأدنى درجة هي القيام بدور النصيحة للحاكمين وإلفات نظرهم إلى الانحرافات التي تحدث والتأثير عليهم بالمقدار الممكن..

وإذا كانت الأوضاع التي تعيشها الأمة متردية سياسيًا وبلغ الانحراف والظلم بالحاكمين مداه بحيث لا يتمكن العلماء من القيام بأي دور أو تأثير سياسي إيجابي

فلا بدّ حينئذ من التصدي لمعارضة السلطة والتخطيط والعمل لمقاومتها إما بأن يعلن الفقيه موقفه المعارض ويحمل راية الثورة والجهاد، وإما بأن يهيئ الأرضية والأجواء المناسبة ويدعم الناقمين والثائرين من وراء الستار إن اقتضت الظروف ذلك..

تلك هي أهم الصور والخيارات التي يمكن للفقيه أن يمارس عبرها دوره السياسي ويتصدى لهذه المسؤولية الخطيرة وبشيء من التوضيح يمكن الحديث هنا عن كل صورة من تلك الصور:

١. **الفقيه حاكمًا**

السلطة والحكم هي أخطر مقام في المجتمع فيجب أن يتصدى لها الأفضل من بين أبنائه، والفقيه الجامع للشرائط هو الأولى والأجدر بهذا المقام، ولذلك كانت النصوص الدينية تؤكد ذلك، كمقولة عمر بن حنظلة حيث قال: «سألت أبا عبد الله ﷺ عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتًا وإن كان خطأً ثابتًا له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾، قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكمًا فإني قد جعلته عليكم حاكمًا، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله».

وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي»، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي».

وجاء عن الإمام المهدي ﷺ: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم».

وورد عن أمير المؤمنين ﷺ قوله: «العلماء حكام على الناس».

وروي في (تحف العقول) عن أبي عبدالله الحسين ﷺ في خطبة طويلة يخاطب بها علماء عصره قال: «وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون، ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه. فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلاّ بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤنة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم..».

انطلاقًا من هذه النصوص وأدلة أخرى غيرها فإن على الفقيه العمل والتحرك باتجاه موقع السلطة والحكم، وعلى الأمة أن لا تسلم زمام أمرها إلاّ إلى فقيه جامع للشرائط.

يقول المرجع الديني السيد محمد الشيرازي:

«الظاهر استحباب السعي من العالم الجامع للشرائط لنيل منصب الرئاسة في الدولة الإسلامية بقصد إقامة الأحكام إذا كان يرى نفسه أكفأ من غيره، أو أراد طلب الثواب، قال سبحانه في ذلك: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ...﴾.

وقال علي ﷺ: «لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا» مما يدل على وجوب القيام بالأمر مع المكنة، فإن كان واحدًا وجب عليه عينًا وإن كان متعددًا وجب عليه كفاية، فإن في ذلك أسوة بالأنبياء والأئمة حيث طلبوا الحكم، بالإضافة إلى أنه مقدمة إقامة الدين ونشر العلم وقطع دابر الظلمة، قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ...﴾.

٢. الإشراف على الحكم

حينما لا تساعد الفقيه صحته الجسمية أو ظروفه الاجتماعية أو كفاءته وخبرته

العملية على التصدي المباشر لإدارة دفة الحكم فإنه يجيز من يراه قادرًا أو مناسبًا للقيام بهذا الدور، فتكون شرعية الحاكم الفعلي مستمدة ومنبثقة من إجازة الفقيه له، ويأخذ الفقيه دور المراقبة والإشراف.. وكأنموذج لذلك ما حصل للفقيه المشهور الشيخ جعفر الكبير النجفي صاحب كشف الغطاء (١١٥٤ ١٢٢٧هـ) فقد أجاز لحاكم إيران فتح علي شاه القاجاري ممارسة الحكم وإدارة شؤون الحرب وأثبت نص إجازته في كتابه كشف الغطاء باب الجهاد.

٣. المشاركة في الحكم

في حال أن سنحت الفرصة للفقيه المشاركة في حكومة قائمة بتولي بعض الوزارات والمناصب أو إدارة بعض المؤسسات الرسمية، فيستطيع من خلال تلك المشاركة تطبيق الممكن من أحكام الله، وتقليل انحرافات السلطة، والدفاع عن حرمات الدين وحقوق الناس، ولم تكن في المشاركة مضاعفات وأخطار لا تعادل هذه المكاسب الممكنة أو أمكن تلافي المضاعفات ولو تقسيم الأدوار بين المؤمنين الواعين، فإن المشاركة في الحكم حينئذٍ تكون مطلوبة مفيدة.

يقول المرجع الديني السيد محمد الشيرازي:

«أما المقاومة الإيجابية في أن يدخل الإنسان في الحكم لأجل الإحسان إلى المسلمين، والحدّ من نشاط الجائرين، كما دخل يوسف الصديق ﷺ وعمران والد موسى ﷺ، ومؤمن آل فرعون في أحكام الجائرين.

وكما دخل الإمام أمير المؤمنين ﷺ، والحسنان، وسلمان، وأبو ذر، وعمار في أحكام الثلاثة في الجملة (مع اعتقادهم أن الخلافة كانت حقًا لعلي ﷺدون الخلفاء الثلاثة).

ودخل علي بن يقطين في وزارة هارون، وكذلك داود الزربي، وكان من ثقاة موسى بن جعفر ﷺ، وكذلك كان محمد بن إسماعيل بن بزيع في الوزارة، وكان من

ثقاة الكاظم ﷺ، وكان عبدالله النجاشي واليًا على الأهواز من قبل المنصور، وهو ثقة كتب إليه الإمام الصادق ﷺ رسالة معروفة، وكان علي بن عيسى ومحمد بن علي ولده أميرين بقم من قبل السلطان وهما ثقتان من ثقاة الهادي ﷺ، وكان ابن السكيت مؤدبًا لابن المتوكل وقد جره تجاهره بحب أهل البيت إلى قتله في قصة مشهورة، وكان جعفر بن محمد بن الأشعث مربيًا لمحمد الأمين ابن هارون العباسي، ودخل الإمام الرضا ﷺ حكم المأمون، والظاهر أنه لم يكن خوفًا من القتل فإن القتل لهم عادة بل لأجل هدم حكمه، وإظهار اغتصابه وبيان جهله وعدم استحقاقه للخلافة».

٤. النصيحة للحاكم

ترتبط قرارات الحاكم وتصرفاته بأوضاع الأمة ومستقبلها، وأي خطأ وانحراف يصدر عنه يضر بمصلحة الأمة ككل ويتنافى مع قيم الدين وأهدافه، وعلى المسلمين وفي طليعتهم العلماء السعي بأقصى حدٍّ ممكن للتأثير على قرارات الحاكم لتكون مطابقة لأحكام الإسلام ومصلحة الأمة.. وقد يكون للحوار والنصيحة والموعظة تأثير محتمل في بعض الأحيان على الحاكمين، وقد أمر الله نبيه موسى ﷺ في بداية الأمر توجيه الخطاب اللّين الهادئ لفرعون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[سورة طه: الآيتان ٤٣ ٤٤].

وكان أمير المؤمنين علي ﷺ ينصح الخلفاء الذين سبقوه ويبدي لهم الرأي والمشورة مع اعتقاده بأحقيته هو بالخلافة دونهم، كما كان يراسل معاوية بن أبي سفيان ويبعث له المندوبين عنه، وكذلك يحتفظ لنا التاريخ بمراسلات وحوارات للإمام الحسن ﷺ مع معاوية، ومن الإمام الحسين ﷺ إلى يزيد، وكذلك سائر الأئمة ﷺ كنصيحة الإمام محمد الباقر لعبد الملك بن مروان حول النقد الإسلامي، وموعظة الإمام الهادي ﷺ للمتوكل..

إن اللقاء مع الحاكم لتذكيره بمراعاة قوانين الإسلام لحثه على احترام حقوق

المواطنين أو كتابة الرسائل والبرقيات، وإرسال الوفود والمندوبين إليه بهذا الصدد قد يكون وسيلة مؤثرة أو محتملة التأثير طبعًا مع أخذ مجمل الظروف والأوضاع بعين الاعتبار، ودراسة الموقف لاختيار أنسب الوسائل والأساليب في التعامل مع الحاكمين.

وإن كثيرًا من العلماء ليتردد في القيام بهذا الدور انطلاقًا من فكرة عدم التدخل في الشؤون السياسية وتخوفًا من الضرر الذي قد يصيب شخصه أو لعدم الاهتمام بالمصلحة العامة..

٥. الإعداد للتغيير

فإذا كانت الأمة تعيش واقعًا سياسيًا منحرفًا لوجود حكم جائر ظالم ولم تجد الأساليب الهادئة لتصحيح مساره، فعلى المؤمنين الواعين، والعلماء في طليعتهم التفكير والتخطيط لتغيير الواقع الفاسد، الذي لا يحدث بالطبع إلا بعد مرحلة من الإعداد والتهيئة بتربية الكوادر الكفؤة، ونشر الثقافة السليمة، وفضح الواقع الفاسد، وتعبئة الأمة ضده، وهذا ما كان يقوم به أئمة الهدى ﷺ في مواجهة الانحراف والفساد الذي أصاب الأمة..

٦. إعلان المعارضة والجهاد

حينما يتمادى الحاكمون في غيّهم، ويتعمق الانحراف في واقع الأمة، فلا خيار أمام الأمة إلاّ الثورة والتمرد والمقاومة، وهنا لا بدّ أن يأخذ الفقيه موقعه في قيادة نضال الأمة مقتديًا بالإمام الحسين بن علي ﷺ الذي يروي عن جده رسول الله ﷺ قوله: «من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرام الله، ناكثًا لعهد الله مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقًا على الله أن يدخله مدخله».

ثالثًا: المسؤولية الاجتماعية

يحظى عالم الدين في مجتمعاتنا بثقة شعبية والتفاف جماهيري، فالانتماء الديني

في نفوس الناس يدفعهم لاحترام العالم باعتباره رمزًا للدين ومحام عنه، والسيرة الأخلاقية الطيبة لعلماء الدين في المجتمع تجعلهم موضع الثقة والتقدير، كما أن تفرغ العالم وتوجهه لمعالجة القضايا الدينية التي هي موضع حاجة الناس تخلق ارتباطًا مباشرًا بينه وبين أفراد المجتمع لمختلف مستوياتهم.. وإذا ما أضفنا لذلك تأثير التعاليم والتوجيهات المؤكدة لتفضيل العالم ولزوم تقديره واحترامه كان من الطبيعي أن يتمتع عالم الدين بهذه المكانة المرموقة في المجتمع.

ولكن هذه المكانة والوجاهة يجب أن يستثمرها العالم لمنفعة المجتمع ومصلحته ولخدمة القيم الإسلامية.. فمن المهام الاجتماعية لعالم الدين تعزيز وحدة المجتمع وتقوية تماسكه وتضامنه ببث قيم وتعاليم الوحدة والتعاون ومكافحة أسباب التفرقة والتمزق، بالسعي لإصلاح ذات البين الذي هو «أفضل من عامة الصلاة والصيام».

وكان الإمام الصادق عليه السلام يكلّف تلامذته المنتهلين من علومه بالمبادرة لعلاج قضايا الخلافات بين المؤمنين وإن استلزمه نفقات مالية كما عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي».

وعادة ما يفهم من إصلاح ذات البين الجوانب الفردية الشخصية، كالمصالحة بين الرجل وزوجته والأخ وأخيه والجار مع جاره والمتشاركين في عمل ما.. ولكن الأهم من ذلك هو الصلح والوئام بين الفئات والتجمعات التي قد تحدث بينها نزاعات بسبب اختلاف فكري أو انتماء اجتماعي أو مصالح مادية أو مواقف سياسية.. وتعاني مجتمعاتنا كثيرًا من مثل هذه الخلافات والنزاعات، والمطلوب من علماء الدين أن يكونوا دعاة الوحدة والتعاون ومطفئ نيران الفرقة والتمزق.

وكم هو مؤلم ومؤسف أن يمارس العالم نقيض الدور المطلوب منه فيعبئ الناس على بعضهم البعض ويشجع حالة الخلاف والانقسام؟! إنها صفة من صفات علماء السوء والعياذ بالله.

ومن المهام الاجتماعية لعالم الدين تشجيع تقدم المجتمع المسلم في مختلف المجالات فالتنمية الاقتصادية والرعاية الصحية والإبداع العلمي والنشاط الاجتماعي ليس بعيدًا عن اهتمام عالم الدين، لأن الدين يريد لأبنائه وللبشرية جمعاء حياة سعيدة كريمة من خلال الاستفادة من ثروات الكون وخيراته، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[سورة الأنفال: الآية ٢٤]. وفي آية أخرى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة النحل: الآية ٩٧].

كما أن من وظائف العالم اجتماعيًا: رعاية الفقراء والمحتاجين بتقسيم الحقوق الشرعية في أوساطهم وحض الأثرياء والمتمكنين على مساعدتهم، وقد كان الأئمة الطاهرون ﷺ يتصدون بشكل مباشر لقضاء حوائج المحتاجين وخدمة الفقراء والمساكين. فعن سعيد بن قيس الهمداني أنه رأى أمير المؤمنين عليًا ﷺ يومًا في شدة الحر، في فناء حائط، فقال: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟ قال: ما خرجت إلاّ لأعين مظلومًا أو أغيث ملهوفًا.

وعن هشام بن سالم قال: كان أبو عبدالله الصادق ﷺ إذا أعتم وذهب من الليل شطره، أخذ جرابًا فيه خبز ولحم والدراهم، فحمله على عنقه، ثم ذهب إلى أهل الحاجة، من أهل المدينة، فقسمه فيهم ولا يعرفونه، فلما مضى أبو عبدالله ﷺ فقدوا ذلك فعلموا أنه كان أبو عبدالله.

تلك كانت أهم معالم الدور القيادي لعلماء الدين في الأمة، وقد حفل تاريخنا الماضي والمعاصر بنماذج وقدوات رسالية من علماء الدين القياديين، الذين نذروا حياتهم وكرسوا وجودهم وبذلوا جهودهم لتحمل المسؤولية الخطيرة المناطة بهم في الدفاع عن الدين وخدمة الأمة.

وتأتي شخصية الفقيه المجاهد الشيخ حسين علي البدر القطيفي (١٢٧٨ ١٣٣٤)

في الطليعة من تلك النماذج والقدوات الرسالية لتاريخنا المعاصر.

فقد تجاوزت شخصيته حدود منطقته وبلده وامتد دوره وتأثيره القيادي الرسالي مختلف أقطار الأمة الإسلامية كالهند والعراق وليبيا إضافة إلى موطنه القطيف في الجزيرة العربية، ذلك أن الشخصية الإسلامية لا تخضع لمنطق التجزئة الذي فرضه الاستعمار والتخلف على بلاد المسلمين. والمسلم يعتبر نفسه مسؤولًا ومعنيًا لكل ما يحدث في أي بلد إسلامي ولأي مجتمع مسلم فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، ومن أصبح ولم يهتم بأمور المسمين في أي مكان كانوا فليس بمسلم.

وما أحوجنا في هذا المقطع الزمني بالخصوص إلى تمثّل ودراسة حياة الشخصيات القيادية الرسالية من علماء الدين لنستلهم من مواقفهم ونضالاتهم الدروس والعبر التي تنفعنا في المعركة الشاملة ضد التخلف والتبعية وهيمنة المستكبرين والظالمين..

ومع أهمية الأدوار التي قام بها الفقيه البدر في مناطق عديدة وفي فترة حرجة من التاريخ الحديث إلاّ أن شخصيته تكاد تكون مغمورة مجهولة في أوساط العلماء المجاهدين والثوار الرساليين.

ومن هنا تأتي قيمة الجهد الكبير الذي بذله الأخ فؤاد الأحمد مؤلف هذا الكتاب القيم لدراسة حياة وشخصية الفقيه البدر.

والمؤلف الكريم شابّ يتدفق إيمانًا وحماسًا في خدمة العقيدة والوطن، هجر بلاده وموطنه لينتهل من نمير العلم والمعرفة وليشارك في الدفاع عن قضايا الأمة، وبإخلاصه واجتهاده أحرز مرتبة فكرية وأدبية عالية ولطالما أتحف العديد من الصحف والمجلات الإسلامية بأبحاثه ومقالاته الثقافية والسياسية النافعة، وإنّ أملي لوطيد فيه وفي أمثاله من الشباب الرساليين، بأن يبعثوا النهضة العلمية والأدبية في بلادنا من جديد، وأن يسمعوا العالم صوت هذه المنطقة المجهولة المهملة التي تزخر بالكفاءات

والطاقات، وتفخر بتاريخ علمي عريق غير أن الظروف السياسية الحاضرة تفرض على هذه المنطقة حصارًا إعلاميًا وقمعيًا فكريًا لا مثيل له في العالم المعاصر.

عسى الله أن يبدّل سوء حالنا بحسن حاله وأن يمنّ على شعبنا بالحرية والكرامة.

وشكرًا للأخ المؤلف على جهوده الطيبة التي بذلها في إعداد هذا الكتاب القيّم، وننتظر منه المزيد من الإنتاج الفكري والأدبي، زاده الله توفيقًا ونشاطًا وكثّر في شباب مجتمعنا أمثاله.

والحمد لله ربّ العالمين.

أضواء على مناهج التفسير

بتاريخ: ٢٠/ ١٠/ ١٤١١هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

مَن أولى مِن الحوزات العلمية الدينية بالاهتمام بالقرآن الحكيم والتدبر في آياته واستجلاء حقائقه وتعاليمه؟

فروّاد الحوزات العلمية يفترض فيهم أن يكونوا الأكثر التزامًا بالدين فكرًا وسلوكًا وعملًا وهذا لا يتأتى إلا بالتتلمذ على القرآن .

ويتوقع من أبناء الحوزات الدينية ممارسة دور القيادة والتوجيه والإرشاد لجماهير الأمة ومجتمعاتها، ولا يمكنهم ذلك إلا إذا نهلوا من مورد القرآن، واستلهموا روحه، وتشبعوا برؤاه، واستوعبوا مفاهيمه.

وإذا أهمل القرآن الكريم في الحوزات العلمية أو ضعف الاهتمام به فإن ذلك يعني حدوث انفصام عميق في شخصية الأمة وابتعاد كبير في واقعها عن خط الإسلام.

ويؤسفنا جدًا أن نقول أنَّ ذلك هو ما حصل في الفترة السالفة القريبة من تاريخنا المعاصر، وهو الذي أورثنا هذه التركة الثقيلة من التخلف والانحطاط.

ففي حوزتنا العلمية الدينية كان الاهتمام الدراسي منصبًا على المواد العلمية والأدبية كاللغة والمنطق والأصول والفقه، أما القرآن الحكيم فليس مقررًا ولا متعارفًا كمادة للدراسة أو محور للبحث والاهتمام، ولأن استنباط المسائل الفقهية يستلزم الرجوع إلى أدلتها من القرآن فقد حدّدوا موارد تلك الحاجة وهي حوالي الخمسمائة آية من أصل (٦٦٦٦) آية، وأصبحت تلك الخمسمائة آية هي المساحة المحدودة التي يهتم الفقهاء بدراستها ضمن عملية الاستنباط وتُعرف بآيات الأحكام، وكتبت البحوث والدراسات المتخصصة في تلك الآيات فقط وحول جانب الدلالة على الحكم فيها وقد أشار إلى ذلك الشهيد الثاني (قدس سره) في شرح اللمعة (والمعتبر من القرآن الكريم معرفة ما يتعلق بالأحكام وهو نحو خمسمائة آية، إما بحفظها، أو فهم مقتضاها ليرجع إليها متى شاء، ويتوقف على معرفة الناسخ منها من المنسوخ، ولو بالرجوع إلى أصل يشتمل عليه).

أما الجوانب الأخرى من القرآن الحكيم كالجانب العقائدي والرؤية التاريخية والبصيرة الحياتية والأنظمة الاجتماعية فلا يرى طالب العلم الديني ضمن ذلك التوجه داعيًا لصرف الوقت والجهد من أجل دراستها، بل هي ضمن دائرة الاهتمام الشخصي والرغبة الذاتية، وليس كبرنامج ومنهج أساس في أوساط الحوزات العلمية.

وقد تنبه لهذا الخلل الكبير بعض العلماء الواعين وصاروا يبشرون ويدعون إلى ضرورة الاهتمام بدراسة القرآن في الحوزات العلمية وفي طليعتهم كان المرحوم العلّامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان المعروف، وقد ترك في أجواء الحوزة العلمية في قم المقدسة تأثيرًا ايجابيًا كبيرًا بهذا الاتجاه.

وكان من تجلياته الجهد المشكور في تدارس القرآن وتفسيره الذي قام به آية الله

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مع ثلة من تلامذته الفضلاء.

وفي الحوزة العلمية في النجف الأشرف سعى آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر أواخر حياته لتركيز موضوع الاهتمام بدراسة القرآن وبدأ فعلًا بإلقاء دروس ومحاضرات أسبوعية لكنّ القدر لم يمهله حيث فاز بالشهادة على أيدي الظلمة الحاكمين في العراق بعد أن ألقى أربعة عشر درسًا بداية سنة ١٣٩٩هـ

ومن العلماء المهتمين جدًا بهذا الأمر أستاذنا آية الله السيد محمد تقي المدرسي والذي بادر لوضع منهج للتدبّر في القرآن ورعى تجربة رائدة في الحوزات العلمية التي أسّسها في مختلف البقاع لدراسة القرآن كمقرّر من مقرّرات الدراسة الحوزوية.

ومؤلف هذا الكتاب هو واحد من أولئك الطلاب الذين تفاعلوا مع هذا التوجه القرآني، حيث تفاعل الشوق في نفسه والعشق لمعارف القرآن، فالتزم بتدريس الطلاب الجدد مادة التدبّر والتفسير، وألف مطالعة كتب التفاسير، فتجمعت لديه الملاحظات والآراء على مناهج وأساليب تفسير القرآن الحكيم دوّنها في هذا الكتاب الجميل.

وقد عرفت المؤلف منذ نعومة أظفاره طالبًا مجدًا في دراسته، ثم خطيبًا بارعًا في المجالس الجماهيرية، وهو الآن يكشف لنا عن كفاءةٍ أخرى في شخصيته في مجال الكتابة والتأليف.

أرجو أن يكون كتابه هذا مقدمة وباكورة لسيل من الكتابات والمؤلفات العميقة النافعة.

وآمل أن يواصل سيره العلمي في رحاب القرآن الحكيم ليكون متضلعًا ومتخصصًا في هذا المجال، بأن يستمر في تدريس القرآن الحكيم، والبحث في معارفه وحقائقه، من خلال الكتابة والخطابة.

وأسأل الله له التوفيق والتقدم وأن يكون قدوة صالحة لأبناء الحوزات العلمية

وللمجتمع بشكل عام.

وحمدًا لله تعالى أن أرانا هذه الثمرات اليانعة والكفاءات المخلصة في بلادنا ومجتمعنا.

معجم طبقات المتكلمين

بتاريخ: ٢٨/ ١٢/ ١٤١١هـ

سماحة آية الله العلامة المحقق الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قضيت وقتًا ممتعًا ثمينًا في فناء مدرسة عطائكم العلمي الوفير، حيث وفقني الله للإطلاع على الجزئين الأول والثاني من موسوعة (معجم طبقات المتكلمين)، وأمعنت النظر في قراءة المقدّمتين الضافيتين اللّتين رشح بهما قلمكم الشريف.

سماحة الشيخ الفقيه:

لقد شهدت ساحة الأمة في هذا العصر، بداية تواصلٍ معرفي يبشّر بالخير بين نخبها العلمية والفكرية لكنها اتجهت غالبًا صوب المجالين الفقهي والثقافي.

ففي المجال الفقهي صدرت عام ١٩٦١م موسوعة جمال عبد الناصر الفقهية من القاهرة، لتذكر آراء المذاهب الإسلامية في مسائل الفقه جنبًا إلى جنب، المذاهب الأربعة والمذهب الظاهري ومذهب الإمامية ومذهب الزيدية ومذهب الاباضية.

وصدرت مجموعة من الكتب الفقهية التي تتناول آراء مختلف المذاهب في جميع أبواب الفقه الإسلامي أو بعضها. ككتاب (الفقه على المذاهب الخمسة) للشيخ

محمد جواد مغنية، وموسوعة (الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي، وكتاب (الأحوال الشخصية) للشيخ محمد أبو زهرة، وكتاب (أحكام الأسرة في الإسلام) للدكتور محمد مصطفى شلبي، وغيرها كثير.

وكان تأسيس (مجمع الفقه الإسلامي) بالقرار الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث المنعقد بمكة المكرمة، بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ الموافق ٢٨ يناير ١٩٨٩١م خطوة رائدة على هذا الصعيد.

حيث يتكون هذا المجمع من علماء وفقهاء يمثلون كل الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بمذاهبها المختلفة، من السنة والشيعة والزيدية والاباضية.

وينتظم أعضاؤه في شعب متخصصة لها لجان فرعية، ومن شعبه شعبة التقريب بين المذاهب، وفي كل دورة من دورات المجمع تناقش قضية أو أكثر من قضايا الفكر والفقه الإسلامي، حسب تخطيط مسبق من قبل الأعضاء المشاركين. كما تصدر عن المجمع مجلة تتضمن البحوث المقدمة والمداخلات والتعقيبات، بعنوان (مجلة مجمع الفقه الإسلامي) وقد صدر منها أربعون مجلدًا.

أما على الصعيد الثقافي فحركة التواصل بين مفكري الأمة وعلمائها ومثقفيها من مختلف المذاهب والتيارات أقوى وأنشط، فهناك أكثر من مؤتمر ولقاء يعقد كل عام في مختلف أنحاء العالم، لتناول قضايا الإسلام وأوضاع الأمة، وهناك عدد من المجلات الفكرية الثقافية العامة أو المتخصصة التي يشارك في تحريرها كتاب من مختلف الاتجاهات والمذاهب في الأمة.

لكن مجال البحوث العقدية، وميدان علم الكلام هو ما تشكو فيه حركة التواصل المعرفي بين مذاهب الأمة وتياراتها من الخمول والركود.

حيث لا زال هذا الميدان ساحة للصراع، ومعتركًا للنزاع، تسود أجواءه حالة التوتر،

وتسيطر على حركته حالة التشنج.

ويبدو لي أن العلماء الناضجين في الأمة لم يولوا هذا المجال ما يستحق من عناية واهتمام، وتركوه لتفاعلات تراث العصور الماضية، بما فيه من خصومات وخلافات، فأصبح ساحة للقوى المتطرفة المتعصبة من مختلف المدارس والمذاهب.

ولا شك أن القضية العقدية هي الأكثر أهمية على المستوى الديني، فهي أساس الدين وجوهره وعمقه وأصله، كما أن لها تأثيرها الكبير على مشاعر الإنسان وتوجهاته السلوكية والعملية.

وإذا كان التعارف والتواصل مطلوبًا بين أبناء الأمة في مختلف المجالات، فهو في المجال العقدي أكثر أهمية وفائدة.

وذلك للأسباب التالية:

أولًا: يساعد الإنسان المسلم على اكتشاف الحق ومعرفة الصواب في مسائل العقيدة، عن طريق اطلاعه على مختلف الآراء، وفهمه لأدلتها.

ثانيًا: إن القراءة الموضوعية لأراء الفرق والاتجاهات العقدية الأخرى، تمكن الإنسان من معرفة الآخرين على حقيقتهم وواقعهم، بينما تكون القطيعة المعرفية سببًا للجهل بالآخر، ورسم صورة غير دقيقة عن توجهاته.

إن بعض المسلمين يسيئون الظن ببعضهم الآخر، ويحكمون عليهم أحكامًا جائرة، بناءً على مقدمات خاطئة، ومعلومات مغلوطة. قد تؤخذ عن طريق مناوئيهم وخصومهم.

ثالثًا: إن التواصل العلمي وتدارس القضايا بموضوعية وإخلاص، على أي صعيد ديني ومعرفي يتيح المجال لبلورة الرأي، وتكامل الفكر، وحل العُقَد، ومعالجة الثغرات.

وكما يمكن التقارب والتكامل في معالجة قضايا الفقه والثقافة، فإنه يمكن الوصول إلى بعض المعالجات وتصحيح بعض الآراء في المسائل الكلامية والعقدية.

خاصة وأن بعض الخلافات كانت تغذيها عوامل سياسية ومصلحية، في التاريخ الماضي، وقد تجاوزتها الأمة.

رابعًا: هناك مسائل جديدة في علم الكلام تشكل تحديًا أمام العقيدة الإسلامية ككل، وهي تستوجب تعاونًا بين علماء الأمة المتخصصين من مختلف المذاهب، لتوضيح الرؤية الإسلامية تجاه هذه المسائل المطروحة في أذهان الجيل المسلم المعاصر.

سماحة الشيخ السبحاني:

إن قراءتي لمؤلفاتكم النافعة في ميدان العقيدة وعلم الكلام، كموسوعتكم الهامة حول (الملل والنحل) وموسوعتكم الجديدة (معجم طبقات المتكلمين) وكتابكم القيم (الإلهيات) وسائر الأبحاث التي أثريتم بها المكتبة الإسلامية، أقول إن قراءتي لعطائكم الثري، أثار في ذهني بعض المقترحات لتفعيل حركة التواصل العلمي في معارف العقيدة بين المذاهب والمدارس الإسلامية، أودّ عرضها بين يدي سماحتكم:

١. إنشاء كلية لدراسة العقائد وعلم الكلام المقارن على نسق دراسة علم الفقه المقارن.

٢. تشكيل مؤسسة علمية إسلامية تهتم بالدراسات والبحوث العقدية بمشاركة علماء ومفكرين يمثلون مختلف المدارس الكلامية في الأمة على غرار مجمع الفقه الإسلامي. ونتمنى تكرار التجربة الرائدة لمجمع الفقه الإسلامي التي سبقت الإشارة إليها من تكليف ممثلي كل مذهب بتقديم رأي مذهبهم على صعيد القواعد الأصولية والفقهية، نتمنى حصول مثل ذلك على الصعيد العقدي أيضًا بأن يقدم العلماء من كل مذهب آراءهم العقدية والكلامية

بأسلوب علمي موثق، ليكون ذلك هو المصدر والمرجع المعتمد لدى الآخرين عنهم.

٣. إصدار مجلة متخصصة ببحوث علم الكلام والدراسات العقدية تنفتح على مختلف التوجهات بنشر كتاباتها العلمية وإجراء الحوارات مع شخصياتهم المعرفية.

٤. عقد مؤتمرات تخصصية تناقش قضايا العقيدة وعلم الكلام، تشارك فيها مختلف المدارس، ويبحث كل مؤتمر قضية محددة، مثلًا: مسألة العصمة، أو القضاء والقدر، أو أسماء الله وصفاته، أو الإمامة... وكذلك بحث المسائل الجديدة في علم الكلام كالتعددية الدينية، والعلاقة بين الدين والعلم، والهرمنوتيك أو تفسير النصوص.

قد يقال إن ما تواجهه الأمة من تحديات سياسية واقتصادية أولى بالاهتمام من هذه البحوث النظرية، لكني أجيب مع إدراكي لخطورة التحديات المذكورة، بأن إهمال ساحة البحث العقدي، يسبب الكثير من عوامل الخلل والإضعاف لقدرة الأمة على مواجهة تلك التحديات، ومن مظاهر الخلل إتاحة الفرصة للمتعصبين والمغرضين، ليعبثوا بوحدة الأمة، ويمزقوا صفوفها بطروحاتهم الطائفية المتشنجة، مثل ما يدور على شبكة الإنترنت في بعض المواقع من جدل طائفي عنيف، فلا بد من مواجهتهم بالطروحات العلمية الموضوعية.

كما أن لقضايا العقيدة تأثيرًا لا يمكن إنكاره وتجاهله في نفوس أبناء الأمة، وتشكيل فكرهم الديني، وعلاقاتهم مع بعضهم، فلماذا نترك هذه القضايا الهامة خاضعة لتأثير الموروث التاريخي، وضمن حالة المفاصلة والقطيعة، ولغة الانفعال والعاطفة؟ أليس من الأفضل الارتقاء بالشأن العقيدي إلى لغة العلم والمعرفة، وضمن أفق التواصل والحوار.

الصديقة مريم العذراء: معجزة الأجيال

بتاريخ: ٥/ ٢/ ١٤١٢هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

بعد عشرين قرنًا مضت على حياتها، هل لدى السيدة مريم بنت عمران ﷺ ما تقدمه للإنسانية اليوم؟

ومع هذا التقدم الهائل الذي حققته البشرية علميًا وصناعيًا وتكنولوجيًا هل نحن بحاجة لمطالعة أوراق حياة الغابرين الذين عاشوا في العصور السابقة المتخلفة؟

والمرأة التي ثنيت لها وسادة الحكم ومارست دور قيادة السلطة في أهم دول العالم لهذا القرن، كبريطانيا التي حكمتها (مارغريت تاتشر) ما يزيد على عقد من الزمن، وفرنسا التي ترأس وزراءها الآن (أديت كريسوف) والفلبين التي تحكمها (كورازون أكينو) والهند التي خضعت لزعامة (أنديرا غاندي) طيلة عقدين من الزمن، فضلًا عن بنغلادش والباكستان.

هذه المرأة المعاصرة هل تجد في حياة القديسة مريم ﷺ ما يهمها ويشكل إضافة مفيدة لشخصيتها؟

إن تساؤلات كثيرة من هذا القبيل تواجه أي بحث أو دراسة لحياة الأولياء والصالحين الذي احتضنهم سالف الزمن.

ويمكننا استشفاف الإجابة على هذه التساؤلات من خلال الإشارة إلى البعد الآخر والأهم في حياة الإنسان، وهو بعد الروح والقيم والمعنويات، فالإنسان ليس جسمًا فقط، ولا هو كائن مادي فحسب، ذلك أن اللَّه تعالى حينما خلقه من طين نفخ فيه من روحه، ووهب له العقل والإرادة والضمير، ولا تستقيم حياة الإنسان إلا بالتوازن بين

بعدي الروح والجسد، الماديات والمعنويات، فإذا ما تجاهل الإنسان أحدهما فإن حياته ستصبح عرجاء عوراء، كمن يفقد إحدى رجليه أو إحدى عينيه.

وما تعانيه البشرية الآن من مآس والآم إنما هو نتيجة طبيعية لفقدان التوازن المطلوب حيث أهمل الجانب الروحي المعنوي، بينما تقدمت وتضخمت الاهتمامات المادية.

إن البشرية اليوم في أمس الحاجة إلى الينابيع الروحية، والوقود المعنوي، لكبح جماح عوامل الشر والفساد والإجرام، التي أضحت مدعومة ومسلحة بإمكانيات التقدم المادي الهائلة.

وحياة الأولياء هي المصدر والينبوع الذي يروي عطش الإنسان للمعنويات والقيم، وهي النسيم الذي ينعش ضمير الإنسان ووجدانه، وينمي في شخصيته توجهات الخير والصلاح.

والكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم هو محاولة طيبة لتسجيل صورة مبسطة واضحة عن حياة السيدة الصديقة مريم ابنة عمران ﷺ، وهي قدوة ربانية وأنموذج إلهي ومنبع فياض بالقيم والمعنويات.

ورغم مضي عشرين قرنًا على وفاتها إلا أن حياتها وسيرتها لا تزال ثرية ومعطاءة، تؤكد لبني البشر عامة، ولبنات حواء خاصة، ضرورة الارتباط باللّٰه سبحانه وتعالى والخضوع لشريعته، وأهمية القيم الروحية السامية والمناقبيات السلوكية ودورها في سعادة الإنسان وتجنيبه المخاطر والشرور.

لقد كانت السيدة مريم ﷺ إنسانة عظيمة ذلك لأن الرجولة والأنوثة ما هي إلا إطار للمضمون الإنساني، وبمقدار ما يتوفر المضمون وترتفع درجة المحتوى تكون قيمة الإنسان وعظمته دون أي اعتبار للإطار رجولة كان أو أنوثة.

واختار اللّٰه تعالى هذه المرأة لتحدث من خلالها معجزة إلهية نادرة، ولتكون أمًا لنبي

من أنبياء الله العظام وأحد أهم مغيري تاريخ البشر والمؤثرين فيه نبي الله عيسى ﷺ، وأن تكون أمومتها له بشكل استثنائي غير مألوف حيث لم يمسسها بشر أي من دون زوج، وهذا التقدير الإلهي كان امتحانًا وابتلاءً صعبًا للسيدة مريم ﷺ حيث استهدفتها سهام المغرضين والمفترين، ولكنها تحملت الآلام، وصمدت أمام الإثارات والافتراءات، وكانت كما أرادها الله وفي مستوى التحدي، ونجحت في الامتحان العسير.

تلك المرأة التي ناصبها المجتمع العداء في حياتها، أصبحت الآن المرأة الأولى بين بنات حواء من حيث التقديس والإجلال، فأكثر من نصف البشر يكنون لها الاحترام والإكرام، وينشدون ويتبركون بذكرها، ويتيمنون بكل ما يمت إليها بصلة.

أرجو أن المؤلف الفاضل قد وفق في محاولته، وأن يجد القارئ الكريم في سطور هذا الكتاب ما يمنحه المزيد من الثقة بربه وبذاته، وما يدفعه للاستضاءة بأنوار حياة هذه الصديقة الطاهرة وخاصة بالنسبة للمجتمع النسائي.

وأتمنى أن يكون هذا الكتاب باكورة وبداية لمسيرة نشطة هادفة في حقل التأليف والكتابة من قبل المؤلف الكريم الذي نذر حياته لخدمة الدين والمجتمع، وروض نفسه بمكارم الأخلاق حفظه الله ونفع به وكثر في المجتمع أمثاله.

وسلام دائم على الصديقة الطاهرة مريم ابنة عمران وعلى ولدها النبي العظيم عيسى وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وأولياء الله الصالحين.

المرأة وبرامج التثقيف .. المجالس الحسينية نموذجًا

بتاريخ: ١٥/ ٩/ ١٤١٢هـ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

إذا كانت الثقافة والوعي ضرورة لكل إنسان في مجتمعنا، فإنها بالنسبة للمرأة أكثر ضرورة وإلحاحًا لماذا؟

أولًا: لأن حالة التخلف متركزة أكثر في الوسط النسائي من مجتمعاتنا بسبب النظرات السلبية الخاطئة تجاه المرأة ودورها، ولانعدام فرص الانفتاح والتحرك أمام النساء.

ثانيًا: إن هناك تخطيطًا وتوجهًا رهيبًا من قبل الأعداء يستهدف إفساد مجتمعاتنا وتمييعها من خلال المنطقة النسائية، وهذا واضح لمن يلاحظ برامج الشبكات التلفزيونية وخاصة قنوات البث العالمي المباشر بالأقمار الصناعية، وكذلك برامج الإذاعات، والسيل الهادر من المجلات والكتب التي تنشر الخلاعة والميوعة وتقوّض الأخلاق والقيم.

بالطبع إنهم يريدون إفساد المرأة كهدف ووسيلة، فهم يسعون لإفساد مجتمعاتنا والمرأة نصف المجتمع فهي مستهدفة بذاتها، كما أنهم يدركون أن إفساد المرأة يؤدي إلى إفساد كل المجتمع وبالتالي فهي جسر ووسيلة لتنفيذ مخططهم الإفسادي الخبيث.

تجاه هذا التحدي الخطير لا بد من تحصين المجتمع النسائي بالثقافة والوعي ولانتشال المرأة من أوحال الجهل والتخلف والذي يشاركها فيه الرجل مع تفاوت في النسبة غالبًا. وهذا يعني ضرورة وجود خطاب توعوي تثقيفي يعالج واقع المرأة ويساعدها على تجاوزه.

كما أن من الضروري بث روح اليقظة والحذر في الوسط النسائي تجاه مخططات الأعداء، ومزالق الانحراف، وذلك يستلزم وجود برامج في مستوى التحدي المعاش.

وإذا كنا لا نتوقع من وسائل الإعلام الرسمية أن تقوم بهذه المهمة بالشكل الكامل والمطلوب لأنها إما شريكة في المخطط المعادي أو قاصرة عن الاهتمام بهذه

التوجهات في الغالب، فإننا يجب أن نهتم بالبرامج والوسائل المتاحة لمجتمعاتنا في التوجه والتثقيف.

ولعل أبرز وسائل التثقيف الممكنة شعبيًّا هي المنابر والمجالس الدينية التي ألفتها مجتمعاتنا في المناسبات والمواسم كشهر رمضان المبارك وأيام المحرم وسائر أيام الله حيث ذكريات أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

هذه البرامج الدينية لا تزال أزمّتها بيد الناس حيث تعقد وتدار وتمارس عن طريق الأهالي ودون أي تدخل رسمي فهي تمتلك الاستقلالية كما أنها في الأصل وحينما دعا إليها الأئمة الأطهار ﷺ كانت تستهدف إحياء أمر الدين وإصلاح المجتمع.

وكما للرجال برنامجهم ومجالسهم الدينية في المناسبات فإن للنساء في مجتمعاتنا برنامجهم الموازي وحسينياتهم المستقلة.. لكن هذه البرامج ومع الأسف تأثرت بحالة التخلف العامة وما عادت تؤدي الدور المطلوب منها.

صحيح أنها تشد الناس عاطفيًّا لأهل البيت ﷺ وتؤكد محبتهم في القلوب عبر ذكر سيرتهم والتفاعل مع مصائبهم لكنها تقتصر على ذلك دون أن تتجاوزه إلى تبيين القيم والأهداف التي عاش من أجلها أهل البيت ﷺ، ودون أن تلامس الواقع المعاصر للناس فتعطيهم الوعي بما يجري حولهم وتوجههم للموقف المطلوب على هدى تعاليم الدين.

وإذا كان ذلك ينطبق على المجالس الدينية للرجال والنساء غالبًا فإنها بالنسبة للمجالس الدينية النسائية أكثر تجليًا ووضوحًا.

والسؤال الآن: هل تستطيع المجالس الحسينية الدينية النسائية في مجتمعاتنا أن تلعب دورًا في التغيير والإصلاح؟

وكيف يمكنها أن تكون منبعًا ومصدرًا لما يحتاجه القطاع النسائي من ثقافة ووعي ضروريين؟

صفحات هذا الكتاب تحاول الإجابة على هذه التساؤلات ولعلها من أوائل الكتابات التي تسلط الأضواء على هذا الموضوع وهو موضوع مهم وجدير بالبحث.

نرجو أن تكون سطور هذه الصفحات باعثة للاهتمام بهذا الموضوع ومدعاة لكي تتوجه إليه أنظار المهتمين بإصلاح المجتمع.

كما نأمل تفاعل الأخوات المؤمنات القائمات على شؤون المجالس الدينية مع المقترحات الإصلاحية والتطويرية لهذه المجالس.

ومما يعطي لهذا الكتاب قيمته الخاصة كونه إنتاجًا لإحدى المؤمنات الرساليات، وهي قد عايشت واقع المرأة الاجتماعي، وتأملت أوضاعها، وبادرت للتحرك والنشاط باتجاه تكوين نهضة نسائية واعية في المجتمع وتحملت من أجل ذلك مختلف صنوف المشاكل والمحن، لكنها لا تزال صامدة تواصل العمل في سبيل الله والسعي لخدمة المجتمع.

شكر الله سعي الكاتبة الفاضلة وتقبل منها جهدها وعملها. ووفق الله سائر أخواتنا المؤمنات للقيام بمبادرات رسالية مماثلة. ونرجو أن يجد الكتاب صداه ويترك تأثيره النافع.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

مفاهيم قرآنية

بتاريخ: ١٤١٣هـ

سماحة العلامة الحجة الشيخ جعفر السبحاني حفظه اللّٰه

السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته:

كما أن الجيش في ميدان القتال يحتاج إلى دعم وإمداد بالمؤونة والعتاد (اللوجستك) كذلك الدعاة إلى اللّٰه وطلائع الحركة الإسلامية، هم في أمس الحاجة إلى من يرفدهم بالفكر العميق، والدراسات العلمية والبحوث الهادفة عن قضايا العقيدة ومفاهيم الإسلام.

فالأمة الإسلامية تخوض اليوم صراعًا حضاريًا، فكريًا ضاريًا حيث يخشى الاستكبار العالمي من أن تعود للأمة ثقتها بدينها، وتبني صرح الحضارة الإسلامية من جديد على أنقاض الحضارة المادية التي ذاق الإنسان ويلاتها، واتضح لديه فسادها وانحطاطها.

إن العدوان العسكري والحروب المفروضة التي شنت على الجمهورية الإسلامية وحملات الإرهاب، والقمع الشرسة التي يواجهها المؤمنون الرساليون في كل مكان، وأعاصير الإعلام المضلل المناوئ للثورة والحركة الإسلامية... هذه كلها مظاهر ووسائل للمعركة الرئيسية والصراع الحقيقي بين الحضارة الإسلامية المرتقبة، والحضارة المادية المنحرفة.

وإذا كانت القيادة الميدانية، والإدارة اليومية لشؤون التحرك والصراع مع الأعداء تأخذ كل وقت وجهد العلماء والمفكرين الإسلاميين الواعين، فإن ذلك سيترك فراغًا خطيرًا في مجال الدراسات العلمية العقائدية والعطاء الفكري.

فلا بد وأن تتوجه ثلة من العلماء والمفكرين العارفين بأبعاد الصراع الحضاري، والمدركين لتطلعات الأمة، ليقوموا بدور الإمداد والدعم الفكري والعلمي، خلف جبهة الصراع العسكري والسياسي والإعلامي.

وسماحتكم هو في طليعة من يطمأن ويعتمد عليه لملء هذا الفراغ الكبير وسد هذه الحاجة الماسة.

إن اهتمامكم بإصدار البحوث العقائدية والفكرية الرائعة ليشكل سندًا ودعمًا ضروريًا لكل الرساليين المجاهدين لإعلاء كلمة اللّٰه وإنقاذ العالم من حضيض الانحطاط المادي.

لقد قرأت العديد من أجزاء موسوعتكم (التفسير الموضوعي للقرآن) وبحثكم القيم حول (التوحيد والشرك) فوجدت فيها الضالة المنشودة من حيث الفكر العميق، والشمولية الدقيقة والطرح الهادئ الموضوعي فشكر اللّٰه سعيكم وأدام توفيقكم ونفع المسلمين بفيض علمكم.

أرجو أن تتابعوا كتاباتكم وبحوثكم في مجال التفسير الموضوعي للقرآن كما أرى ضرورة الإسراع في ترجمة هذه البحوث إلى اللغات العالمية الحية، وخاصة اللغة الإنكليزية، فهناك الكثيرون من المسلمين ممن لا يجيدون اللغة العربية، يتطلعون بفارغ الشوق إلى مثل هذه الدراسات العلمية، كما أن بعض مفكري الغرب والشرق يهمهم الإطلاع على مفاهيم الإسلام من بعد ما لفتت الثورة الإسلامية المباركة أنظارهم نحو الإسلام.

أسأل اللّٰه لكم دوام الصحة والنشاط ولكل العاملين المؤمنين التوفيق والنجاح.

والسلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته.

عقدة الحقارة

بتاريخ: ١٥/ ٦/ ١٤١٣هـ

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الحالة العامة التي يعيشها المجتمع هي نتيجة ومحصلة لحالات أفراد المجتمع، فحينما يستقيم سلوك الأفراد يكون الوضع العام للمجتمع سليمًا، وحينما يصاب أفراد المجتمع بالانحرافات والأمراض، فإن الحالة العامة للمجتمع ستكون سيئة وفاسدة، فمن مجموع الأفراد يتكون المجتمع، ومن حالاتهم يتشكل واقعه العام.

وإذ ما رأينا واقع المجتمع غير سليم، فلا بد وأن ندرس واقع أفراد المجتمع لندرك مكمن الخطأ وسر الانحراف.

وأغلب مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تعيش واقعًا لا يتطابق مع تعاليم ديننا الحنيف، ولا يرتضيه العقل، حيث التخلف الشامل، والأزمات الخانقة، والأمراض المتفشية، والخضوع للظلم والإذلال، والنزاعات والصراعات.

ومن أجل إصلاح هذا الواقع السيئ، لا بد من التوجه إلى دراسة الجذور والأسباب العميقة، ومكمنها نفسيات أفراد المجتمع، فواقع كل فرد انعكاس لحالته النفسية، كما أن واقع المجتمع انعكاس لحالات الأفراد.

فإذا ما رأينا أغلب أفراد مجتمعنا يعيشون اللامبالاة والهروب من تحمل المسؤولية والانهزام أمام التحديات، فلا بد وأن نعرف أن الأمراض تعشعش في نفوسهم. ومن دون معالجة تلك الأمراض النفسية الروحية لا يمكن إصلاح واقع الأفراد الذي هو السبيل إلى صلاح واقع المجتمع.

لذلك يقول ربنا الحكيم العارف بخبايا وأسرار خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى

يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

وانطلاقًا من هذه الحقيقة الصادقة الثابتة فإن على من يفكر في إصلاح المجتمع أن يهتم بمعالجة الأمراض النفسية الروحية لأفراد المجتمع.

وهذا هو منهج الأنبياء والرسل والأئمة عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام حيث كرسوا جهودهم لإصلاح النفوس وتزكيتها ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

والغافلون عن هذه الحقيقة قد يتساءلون عن دور الأنبياء والأئمة وأنهم ماذا قدموا للناس غير النصائح والمواعظ؟.

أجل. فإن أهم ما يحتاجه الناس هي تلك النصائح والمواعظ، والتي تسلط الأضواء على دخائل نفس الإنسان، وأحاسيس قلبه، فتكشف له مواقع المرض، وحالات السقم، وترشده إلى العلاج الصحيح.

والموجهون الآن للمجتمع من علماء وخطباء وكتّاب عليهم أن يواصلوا مسيرة الأنبياء والأئمة في السعي إلى تزكية نفوس أبناء المجتمع وتطهيرها من الأمراض الأنانية والانهزامية والانحراف.

لقد كان مجتمعنا في الماضي يعاني من انتشار الأمراض الجسمية، وكانت نسبة الوفيات مرتفعة، والعاهات منتشرة، لعدم توفر المؤسسات الصحية من مستشفيات ومستوصفات، ولعدم وجود خطط للوقاية من الأمراض قبل حدوثها، وللعلاج منها بعد الإصابة بها، فكانت حتى الأمراض البسيطة الخفيفة تقضي على حياة الكثيرين.

لكن التقدم النسبي في المجال الصحي قلل معدل الوفيات، ووضع حدًا للعاهات والأمراض.

وذات المعادلة وبشكل أقوى تفرض نفسها على الصعيد الروحي النفسي، حيث لا بد من خطط للوقاية من الأمراض النفسية الروحية، ولا بد من برامج للعلاج من الإصابة بها. وبدون ذلك ستكون خسائرنا كبيرة وفادحة أين منها خسائر الأمراض الجسمية؟

فأمراض النفوس خطرها أشد من أمراض الأجسام.

والمؤسسات الدينية ثقافية واجتماعية هي بمثابة المستشفيات والمستوصفات لأمراض النفوس والأرواح.

والعلماء والخطباء الواعون هم الأطباء المتوجهون لمعالجة تلك الأمراض، وكل تقدم في المجتمع على مستوى المؤسسات الدينية والعلماء والخطباء يعني ضمانة أكثر واهتمامًا أكبر بإصلاح واقع المجتمع وتغييره إلى الأفضل.

لقد سرني وأسعدني جدًا الإطلاع على هذا الكتاب الجميل، والذي بذل فيه مؤلفه جهدًا مشكورًا لدراسة ومعالجة مرض نفسي روحي خطير يعاني منه الكثيرون من أبناء مجتمعنا.

ذلك هو مرض (عقدة الحقارة) الذي يجعل الفرد خانعًا ذليلًا مستسلمًا للتخلف والظلم، والذي يمنع الإنسان من تفجير طاقاته ومواهبه، ويقتل ثقته بنفسه، ويحرمه من القيام بأي دور فعال لخدمة مجتمعه.

وفي ذات الوقت فإن مرض (عقدة الحقارة) يدفع الإنسان نحو السلوك الشائن والتصرف المنحرف الخاطئ.

وكم نرى في مجتمعنا عناصر وأشخاصًا يكبتون مواهبهم وقدراتهم لضعف ثقتهم بأنفسهم، وكم نلاحظ حالات الذل والخنوع والهزيمة أمام معتدين ضعفاء جبناء لا قوة لهم إلا استسلام ضحاياهم وسيطرة الشعور بالعجز والضعف على نفوسهم.

بالطبع فإن عوامل عديدة أسهمت في خلق هذا المرض وتفشيه في نفوس أبناء المجتمع. فما هي تلك العوامل؟ وكيف نواجهها؟.

هذا ما تحاول صفحات هذا الكتاب القيم الإجابة عليه.

وإني إذ أهنئ المؤلف الكريم على كتابه الجميل لأدعوه وهو الشاب الواعي المخلص والخطيب الرسالي الهادف أن يواصل جهوده في بحث هذه المواضيع من خلال الكتابة والخطابة فعبر جهوده وجهود أمثاله من الواعين المخلصين نأمل لمجتمعنا الإصلاح والتغيير.

أرجو أن يقتدي سائر الخطباء والعلماء وطلاب العلوم الدينية أثر هذا الشاب الفاضل فيثرون الساحة بخطاباتهم وكتاباتهم الهادفة التي تسلط الأضواء على جذور التخلف والفساد وترشد إلى سبل الوقاية والعلاج.

شكر اللّه سعي المؤلف وتقبل عمله ووفقه للمزيد من خدمة الدين والمجتمع وكثر في المؤمنين أمثاله.

أفغانستان: تاريخها، رجالاتها

بتاريخ: ٢٠/ ١٠/ ١٤١٣هـ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

إن أهم ما يحتاجه الإنسان في مواجهة تحديات الحياة أن يعرف نفسه وأن يكتشف قدراته وطاقاته فيمتلك الثقة بالذات ويعمل لتفجير مواهبه وتفصيل نقاط القوة لديه،

وتلافي مكامن الضعف والثغرات.

لذلك تؤكد النصوص والروايات الدينية على موضوع معرفة الذات، يقول الإمام علي ﷺ:

«أفضل المعرفة معرفة الإنسان بنفسه»، و«من جهل نفسه كان بغيره أجهل»، و«كفى بالمرء جهلًا أن يجهل نفسه».

وأسوأ ما قد يعانيه الإنسان هو أن يجهل نفسه ويفقد الثقة بذاته، فيصبح منهزمًا أمام أبسط التحديات، ضعيفًا لدى أدنى مواجهة، تبعًا للآخرين وعالة عليهم.

وكما تنطبق هذه المعادلة على الإنسان الفرد تنطبق تمامًا على الإنسان المجتمع.. فأي مجتمع إنساني إنما تكون قيمته ودوره بحسب معرفته بذاته وثقته بنفسه.

فإذا امتلك المجتمع المعرفة بالذات والثقة بالنفس فإنه سيواجه التحديات بإرادة ثابتة، أما إذا افتقد ذلك فسيبتلى بخور العزيمة وضعف الإرادة.

ويبدو أن مجتمعاتنا الإسلامية تواجه هذه المشكلة منذ انفتاحها على الحضارة المادية الحديثة... حيث تضافرت أسباب وعوامل أفقدت مجتمعاتنا ثقتها بنفسها وأصابتها بمرض ضياع الذات.

فالانبهار بالحضارة المنتصرة أوقع الهزيمة في النفوس فما عادت ترى لتاريخها ومبادئها وواقعها أي قيمة أو شأن أمام عملاق الحضارة المادية..

والغزو الثقافي والحرب النفسية والتعبئة الإعلامية التي حشدها الأعداء كانت تستهدف إلغاء الذات والتنكر للتراث وإضعاف الثقة في صفوف أبناء الأمة وقد تحقق لهم الكثير من ذلك.

وثمة عامل آخر من الداخل هو أكثر سوءًا من العامل الخارجي، يتمثل في سلبية التعامل بين جهات وفئات الأمة، حيث تسعى كل جهة لتحطيم معنويات الجهة الأخرى،

وطمس تاريخها وآثارها، والمحصلة النهائية تكون ضعف الجميع وتأخرهم..

فطبيعي أن تتعدد الاتجاهات الفكرية والانتماءات القومية العرقية، والكيانات السياسية، في أمة كبيرة مترامية الأطراف، لكن العلاقة بين هذه التوجهات والانتماءات والكيانات، كان يجب أن تكون إيجابية تكاملية، ما دام الإسلام هو الإطار الذي يشمل الجميع.

كان ذلك هو المفترض لكن ما حدث ويحدث العكس من ذلك تمامًا حيث ترى كل جهة في الجهة الأخرى نقيضًا وعدوًا تكرس وجودها وجهودها لمحاربته ولو بالتوافق والتحالف مع الأعداء الخارجيين الحقيقيين والذين استفادوا من هذه الحالة المتخلفة في الأمة فأخذوا يغذون التناقضات بين أطراف الأمة ويغرون بعضها ببعض.. وما الحرب الأهلية في لبنان والحرب العراقية الإيرانية وغزو الكويت والقتال الداخلي في أفغانستان إلا نماذج لهذه الحالة الأليمة.

ولن تتجاوز الأمة هذا الواقع الفاسد إلا إذا تغيرت معادلة التناقض والتحالف في أوساط الأمة فيصبح العدو هو النقيض وإن تظاهر بالصداقة والود والداخل هو الحليف وإن اختلف معه عرقيًا أو فكريًا أو سياسيًا.

وانطلاقًا من هذه المعادلة الجديدة المطلوبة يصبح بناء القوة الذاتية لدى كل جهة في الأمة، وإحياء تاريخها وآثارها، وتقدم مستواها وواقعها يصبح ذلك جزءًا من مشروع قوة الجميع وتقدمهم.

فلا يخاف العراق بناء القوة الإيرانية، ولا يحذر الخليج من قوة العراق، وهكذا بين سائر البلدان الإسلامية. وكذلك الحال بين المذاهب الإسلامية فلا ينزعج أهل السنة من تقدم طائفة الشيعة، ولا يتحسس الشيعة من نمو قوة السنة.

إننا نشبه قومًا انكسرت بهم سفينتهم في البحر وواجهوا جميعًا خطر الموت والغرق فإذا ما رأوا أحدهم يتشبث بوسيلة للنجاة والخلاص ويصل بها إلى الشاطئ فإن ذلك

يرفع معنوياتهم ويشجعهم على المحاولة مثله، ويؤكد في نفوسهم إرادة الحياة..

فنجاته ليست على حسابهم وانتصاره على أمواج البحر ليس انتصارًا عليهم بل على الخطر الذي يتهددهم جميعًا.

وفي بلد كأفغانستان عانى فيه أهله المسلمون قرونًا من التخلف، وعقودًا من الاستبداد والطغيان السياسي كان من نتيجتها الاحتلال الروسي المدمر الذي حول أغلب مناطق البلاد إلى أطلال، وأفنى خيرة أبنائها وشرد وهجر ثلث سكانها تقريبًا.

هذه البلاد ما أحوجها اليوم إلى تلاحم القوى وتضافر الجهود بين أبناء شعبها على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم وأحزابهم ليعيدوا بناء بلادهم المدمرة، ولينهضوا بشعبهم نحو حياة حرة كريمة.

ولن يتحقق ذلك لأفغانستان إذا حكمت أذهان قياداتها معادلة النقيض الداخلي. بحيث أصبحت كل جهة تعرقل تقدم الجهة الأخرى، وتمنعها من المشاركة وأداء دورها الكامل في بناء البلاد من جديد.

إن تاريخ أفغانستان مجهول حتى لأبنائها، وإن آثار الأفغانيين أصابها الضياع والاندثار، وإن كتابة أي جزء من تاريخ أفغانستان وإحياء أي قسم من آثارها خدمة لكل أفغانستان ولكل الأفغانيين.

وهو بالتالي خدمة لكل المعرفة والتراث الإسلامي والإنساني.

بهذه النظرة الإيجابية طالعت فصول هذا الكتاب الجميل الذي يتحرك بين أنامل القارئ..

إنه يسلط الضوء على جزء مجهول من تاريخ وواقع أفغانستان حيث يتحدث عن الشيعة باعتبارهم جزءًا لا يتجزأ من نسيج الشعب الأفغاني.. وإذا كانت الحساسيات والصراعات الطائفية في الماضي تمنع من إحياء آثار الطوائف المختلفة.. فإن الحاضر

في أفغانستان يجب أن يختلف عما مضى.. فقد شاركت كل القوميات والمناطق والطوائف في مواجهة الغزو الروسي العدواني، وصنعوا جميعًا ملاحم التضحية والفداء حتى أجبروا الغزاة المعتدين على الانسحاب.. لا بل أسهموا بجهادهم في سقوط الإمبراطورية الشيوعية الاتحاد السوفيتي ـ..

والآن وبعد أن انتصر الأفغانيون في جهادهم الأصغر ضد العدو الخارجي بقي عليهم أن ينجحوا وينتصروا في جهادهم الأكبر ضد آثار التخلف ورواسب الماضي في ساحتهم الداخلية.. فهل ينجحون في ذلك؟ ذلك ما يأمله كل مسلم واع.

إن هذه المحاولة الطيبة التي قام بها المؤلف في هذا الكتاب، للتعريف بنضال الشيعة وتاريخهم في أفغانستان تعتبر إسهامًا مشكورًا في بناء صرح الوحدة والتعاون بين الأفغانيين.

وكانت بداية هذا الكتاب مقالة مختصرة كتبها المؤلف وأطلعني عليها وإدراكًا مني لأهمية وحاجة الساحة الثقافية إليه طلبت منه وفقه اللّٰه توسعة البحث وتكميله، فاستجاب مبادرًا بنشاط وحيوية فائقة حيث أنجز تأليف هذا الكتاب في فترة قياسية.

والمؤلف شاب طموح مثابر يواصل دراسته في الحوزة العلمية، ويمارس الخطابة بنجاح واقتدار، وباللغة العربية، وهو سليل عائلة كريمة فأبوه سماحة العلامة الحجة الشيخ محمد علي الفاضلي مدرس البحث الخارج في الحوزة العلمية الزينبية.. وصاحب الأخلاق الفاضلة والتواضع الكبير.

وإني إذ أبارك للمؤلف هذا الجهد المشكور لأرجو منه أن يواصل نشاطه الفكري في مجال الكتابة والتأليف كما الدراسة والخطابة ليكون بتوفيق اللّٰه أحد أعلام الدين والفكر في الساحة الأفغانية والإسلامية.

. أخذ اللّٰه بأيدينا جميعًا إلى ما فيه الخير والصلاح، والحمد للّٰه رب العالمين.

المرجع والأمة دراسة في طبيعة العلاقات والمهمات

بتاريخ: ٥/ ١١/ ١٤١٣هـ

يراد للإنسان في المجتمعات المتخلفة أن يعيش معصوب العينين وأن يسلّم قيادة وأزمة أموره بيد جهة ما دون أن يدري إلى أين؟ ولماذا؟ وكيف؟

فهو يخضع لسلطة حاكمة لم يكن له رأي ولا اختيار في وجودها، كما لا يعرف بالضبط معايير وموازين اتخاذ القرار من قبل السلطة، وليست له مشاركة في صنع القرار، ولا حق الاعتراض عليه أو المطالبة بتفسيره، فالتعاطي في الشأن السياسي ممنوع، والتدخل في السياسة خطر وجريمة لا تغتفر، ودع ما لقيصر لقيصر، والشيوخ أبخص، ومالنا والدخول بين السلاطين!!

ولا يقتصر التجهيل والتعتيم والغموض على المجال السياسي، بل حتى الجانب الديني المرتبط بعمق حرية الإنسان واختياره تحوّل إلى منطقة محظورة على عقل الإنسان وفكره، فهناك واقع قائم في إدارة الشؤون الدينية، وسقوف من الأعراف والتقاليد لا يجرأ الإنسان على اختراقها وتجاوزها، وما على الإنسان إلا الخضوع والتسليم لهذا الواقع الحاكم دينيًا دون أن يستخدم فيه عقله، أو يحاول المحاكمة والمحاسبة على ضوء العقل والشرع والوجدان.

ورغم أن الدين في الأساس خطاب موجّه لعقل الإنسان ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

وأن «العقل أقوى أساس»، وأن «العقل رسول الحق» كما يقول الإمام علي عليه السلام. وحسب كلام الرسول صلى الله عليه وآله فإن «قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له». إلى كثير من النصوص الشريفة التي تعطي للعقل دوره الريادي والقيادي في حياة الإنسان المتدين..

رغم كل ذلك فإن واقع المتدينين فيه الكثير من التنكر لدور العقل، والتجميد

لفاعليته، لصالح الأوهام والأعراف والتقاليد.

ونشير هنا إلى نموذج هام في المجال الديني وهو (قضية المرجعية والقيادة الدينية)، وهي قضية خطيرة وأساسية من حيث اهتمام الدين بها ومن حيث تأثيرها في حياة المتدينين..

والمرجعية الدينية شأن عيني أي تهم وتعني كل فرد مكلف من المتدينين حيث لا بد له ما لم يكن فقيهًا مجتهدًا أن يرجع إلى من تتوفر فيه شروط المرجعية والتقليد ليكون حجة فيما بينه وبين الله سبحانه.

وبناءً على ذلك لا بد وأن تتوفر المعرفة بمسألة التقليد وقضية المرجعية لكل فرد مكلف معني بها.. لكن الواقع شيء آخر فكثير من الناس لا يعرفون من المرجعية والتقليد إلا الاسم والعنوان، ولا يستخدمون عقولهم وأفكارهم في انتخاب واختيار المرجع، بل يتبعون الجو المحيط بهم، فالأب هو الذي يختار المرجع لعائلته كما يختار لهم بيت السكن، والزوج يعينّ المرجع لزوجته، وشيخ القبيلة في المجتمعات العشائرية هو الذي يحدد مرجع التقليد، ورجل الدين في المحلّة هو المسؤول عن انتخاب المرجع.. وهكذا، وبقية الناس تبع وإمّعة لا يعرفون حتى مقاييس الانتخاب والاختيار للمرجع.

ثم ما هي طبيعة العلاقة بين المقلدين ومرجعهم هل هناك حقوق وواجبات متبادلة؟ أم هي حقوق من طرف واحد للمرجع على المقلدين؟ وما هي حدود العلاقة بين الطرفين؟

والمرجع ما هي وظيفته؟ وما هو دوره في الأمة؟ وهل المرجعية منصب تشريفاتي لا شأن له ولا دخل فيما يجري ويدور؟ أم ماذا؟

وكيف يدير المرجع أموره ويسّير شؤون مرجعيته؟ كيف يتخذ القرارات؟ وماذا

يصنع بما يأتيه من الحقوق الشرعية؟ وما هي طبيعة جهاز عمله؟

كلها أسئلة حائرة قد يعتبرها البعض خواطر شيطانية وتشكيكات ووساوس تقود إلى التمرد والضلال!! فلا يكلفون أنفسهم عناء التفكير فيها والبحث عن أجوبة لها.

فالشأن المرجعي أعلى من أن يفكر فيه الأفراد العاديون و(قلدها عالم واطلع منها سالم).

فما عليك ماذا يصنع وكيف يفكّر المرجع!!

و(لحم العلماء مسموم) فلا تعطي لنفسك حق المراقبة والمحاسبة والمساءلة!! و(المرجعية منحة وهبة إلهية يعطيها الله لمن يشاء) فلا تتعب نفسك في البحث والمفاضلة بل اتبع السواد الأعظم!!

إلى ما هنالك من قيم وأعراف حاكمة على الشأن المرجعي عند أكثرية الناس. ولكن هل هذا الواقع صحيح ومقبول؟

وإلى متى تستمر حالة التجهيل والغموض والتعتيم في أهم القضايا خطورة؟ إننا نعيش في زمن الانفتاح العلمي والثقافي والاجتماعي ونرى كيف تنتخب الشعوب قياداتها الدينية والسياسية وفق أنظمة ومعادلات واضحة بغض النظر عن جانب الصحة والخطأ فيها..

والأهم من كل ذلك إننا أبناء دين أساسه العقل، يأمرنا بالتفكير في كل شأن ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ويرفض التقليد الأعمى والإتباع بدون حجة ووعي ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾

وفي ديننا تكون العلاقة بين القائد والرعية قائمة على أساس الخضوع للمبدأ والالتزام بالقانون فالقائد ليس فوق القانون بل هو محكوم به: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ

الْأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ومطلوب من القائد مشاورة الرعية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ .وعلى الرعيّة مراقبة القائد ونصيحته: «الدين النصيحة.. ولأئمة المسلمين» كما ورد عن رسول الله ﷺ.

من هذا المنطلق فقد رحبّت كثيرًا بمحاولة الأخ المؤلف الشيخ صالح محمد آل إبراهيم في هذا الكتاب لتسليط الأضواء على مسألة المرجعية الدينية، وتبسيط قضاياها لتكون في متناول عامة جماهير الأمة، ولكنني أشفقت عليه لخطورة الموضوع وحساسيته.. وقد أعجبني هدوءه وموضوعيته في تناول جوانب البحث. ولست هنا في مقام الحكم على جميع الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب لكنني أشيد بطريقة المعالجة، وأشجع على تناول هذه المواضيع الخطيرة لإخراجها من خلف الكواليس المظلمة ومن وراء الأستار الحاجبة إلى ضوء الشمس وإلى الفضاء الرحب ليشارك فيها أكبر قدر ممكن من أبناء الأمة. والمؤلف الكريم شاب طموح لازال يخطو في العقد الثالث من عمره لكنه يمتلك وقار الكبار وجدّيتهم، كما عرفته من خلال دراسته وكتاباته وعلاقاته الاجتماعية. أسأل الله أن يتقبل عمله وأن ينفع الأمة بعطائه، وأن يوفقه للمزيد من التقدم العلمي والعملي إنه ولي التوفيق والحمد.

الأنبياء ومسارات المحن

بتاريخ: ٩/ ٦/ ١٤١٤هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

كلما تقدمت البشرية ماديًا اشتدت حاجتها إلى القيم الروحية والأخلاقية، ذلك أن المكاسب المادية تفرز وتنتج مضاعفات نفسية وسلوكية، والعلاج ليس بإيقاف مسيرة

التقدم المادي، وإنما مواكبته بتقدم روحي وأخلاقي مناسب.

وأزمة البشرية اليوم تكمن في تجاهل هذه الحقيقة، فأصبحت المجتمعات المادية تعاني من فقر وخواء روحي وأخلاقي، تفاقمت بسببه الأزمات النفسية والاجتماعية والسلوكية، فازدادت نسبة الأمراض العصبية، وتصاعدت أرقام الجريمة والعدوان واتسعت رقعة الشقاء والتعاسة لإنسان الأرض.

وما انتشار طاعون العصر الذي هو مرض المناعة المعروف بالأيدز إلا مظهر من مظاهر شقاء الإنسان في ظل حضارة المادة الفارغة من القيم والالتزام الخلقي ومن أواخر أخبار هذا الطاعون ما تناقلته الصحف من أن مدينة (سان فرانسيسكو) في الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنت الحداد يوم ٨/ ١/ ١٩٩٣م ونكست الأعلام بعد وفاة الضحية رقم عشرة آلاف لمرض نقص المناعة المكتسبة (إيدز) في المدينة! وأصبحت بذلك المدينة الثالثة في عدد ضحايا (الإيدز) بعد نيويورك التي أعلنت وفاة ٣٠٧٧٢ضحية! ولوس أنجلس فقدت ١٢٢١٣ ضحية!

أما الإحصائيات والأرقام التي تتحدث عن آلام الفقر والجوع في هذا العالم فمحزنة ومخزية جدًا للحضارة السائدة والتي تحتكر فيها الثروات والقدرات والإمكانات فئة محدودة من أبناء البشر بينما يعيش الأغلبية حالة مزرية من الحرمان والفقر.

يقول أحد التقارير الواردة في هذا المجال:

لقد أنتج العالم من الأغذية خلال السنوات العشرين الماضية أكثر مما استهلك ومع ذلك فهناك نحو ٧٨٠ مليون إنسان محرومين من الحصول على غذاء كاف.

هذا الواقع أكده المؤتمر الدولي المعني بالتغذية الذي بدأ أعماله أمس في روما في حضور ممثلي ١٨٢ دولة.

إن هناك ١٩٠ مليون طفل يعانون نقص العناصر الغذائية المهمة في الطعام مما

يسبب العمى والتخلف العقلي والوفاة.

إلى ذلك تتسع ظاهرة الإفراط في استهلاك الطعام التي تؤدي إلى الإصابة بأمراض السمنة والقلب والأوعية الدموية والسكري.

هذا فضلًا عن الحروب والنزاعات الدموية المرعبة التي تعم الكثير من أرجاء العالم، وتغذيها مصانع الأسلحة بوسائل الفتك والدمار...

ولسنا الآن بصدد استعراض مشاكل الإنسانية وأزماتها وآلامها فهناك بحوث متخصصة تقدم الكثير من الحقائق والإحصائيات والأرقام في هذا المجال، لكننا نريد التأكيد على أن العلاج والحل يكمن في توجه البشرية واهتمامها بالجانب الروحي والأخلاقي، وإلا فالاعتماد على التكنولوجيا والعلم فقط لن يؤدي إلا إلى تفاقم المشاكل والأزمات.

وأكبر دليل على ذلك أن الكثير من رواد العلوم وكبار المخترعين والمكتشفين الماديين، لم يكونوا في حالة نفسية وسلوكية جيدة رغم تفوقهم العلمي.

ونستشهد هنا بـ(ألبرت اينشتاين) الرجل الذي وضع النظرية النسبية، فقد صدر عن حياته أخيرًا كتاب جديد ألفه الكاتبان البريطانيان (روجر هايفيلد/ بول كارتر) ويؤكد هذا الكتاب على أن (اينشتاين) كان فاشلًا في حياته الخاصة، وكان زير نساء شرسًا قاسيًا مع أطفاله، وأبًا لابنة غير شرعية لم يرها ولا اعترف بها تدعى (ليزريل).

وتكشف وثائق ومستندات بينها رسائل شخصية ضمن العائلة: أن زواج اينشتاين الأول من (ميليفا مريك) أدى إلى الطلاق بسبب علاقة سرية ربطته بقريبته (إلسا).

وتشير الرسائل إلى شراسة اينشتاين حيال زوجته (ميليفا) أثناء فراقهما، مما أصابها بانهيار عصبي لم تشف منه حتى وفاتها.

وتنسحب تلك الشراسة على معاملته مع ولديه (هاز ألبرت) الولد البكر وكان في الخامسة عشر من عمره عندما غادر والده المنزل العائلي، و(ادوارد الأصغر) الذي أصيب بالخبال بعد طلاق أبويه، وأمضى حياته في عيادة سويسرية للأمراض العصبية، فلم يزره والده مرة.

فالعلم وحده لا يكفي لترشيد حياة الإنسان وإسعادها، بل لا بد من نبع روحي يرتوي منه ليطمئن قلبه بذكر ويستقيم سلوكه بتعاليم الدين.

وهنا يأتي دور الأنبياء والرسل الذين يمثلون ينابيع الهداية والإرشاد المتدفقة بإذن الله تعالى في حياة البشر، لتروي ظمأهم الروحي، وتسقى نوازع الخير في نفوسهم.

لكن إنسان اليوم غالبًا لا يعرف قدر أنبياء الله العظام، ولا يدرك خطورة الدور الذي جاءوا ليؤدونه في حياة الناس وكما قال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[سورة يس، الآية ٣٠].

إن دراسة حياة الأنبياء والرسل عليهم سلام الله يعني الالتفات إلى جانب القيم والمثل، والاهتمام بمصادر الثروة الروحية للبشر، كما يعتبر دعوة ودفعًا للتأسي بحياتهم والالتزام بتوجيهاتهم وتعاليمهم الخيرة.

وهذا الكتاب الجميل الماثل بين يدي القارئ هو لقطات مشرقة من حياة أنبياء الله العظام وتناولها المؤلف بشيء من التفصيل والتحليل واستنتاج الدروس والرؤى والعبر.

والمؤلف شاب نشأ في طاعة الله، وهو سليل عائلة هاشمية كريمة، وقد وفقه الله تعالى لسلوك طريق طلب العلم الديني، نسأل الله تعالى له دوام التوفيق والنجاح.

وقد أعجبني من كتابه حسن اختياره لهذا الموضوع، واجتهاده في الرجوع إلى العديد من المصادر والمراجع، إضافة إلى سلاسة أسلوبه، وجميل التفاتاته التوجيهية.

أرجو أن يستمر السيد المؤلف حفظه الله في متابعة بحوثه حول بقية الأنبياء، ليقدم للجيل الناشئ سلسلة أو موسوعة متكاملة عن تاريخ الأنبياء والرسل.

شكر الله سعيه ونفع القراء بكتابه ووفقه إلى المزيد من التقدم والعطاء في مختلف الميادين فالله ولي التوفيق والحمد.

موسوعة المدائح النبوية

بتاريخ: ١٥/ ١١/ ١٤١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

لقد تجلى الإبداع الإلهي والكمال الرباني في شخصية الرسول الأعظم خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ، فلا مخلوق يدانيه في علو شأنه ومقامه ومكارمه، فهو النسخة الفريدة في عالم المخلوقات، والوجود المتميز في دنيا الكائنات، لذلك ليس غريبًا أن يتبارى الشعراء، وأن يتسابق العلماء، وأن تتفجر قرائح الأدباء في التغني بكمال رسول الله ﷺ، وتوصيف ما يستطيعون إدراكه من شمائله وفضائله. إن أحدًا لا يستطيع ولن يستطيع الإحاطة بجوانب عظمته، فذلك موكول لخالقه الذي وصفه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، لكن كل مرآة تعكس من أشعة الشمس ما يتناسب مع حجمها وصفائها، وكذلك كل عقل وفكر وقريحة إنما يتلقى ويقتبس من أنوار الرسالة والنبوة بمستوى إدراكه ووعيه.

لقد فرضت شخصية النبي محمد ﷺ نفسها على التاريخ، ولم يتمكن حتى أعداؤه ومناوئوه من التنكر لعظمته وكبير دوره وتأثيره في تاريخ البشرية، وحينما أراد باحث

مسيحي هو السيد (مايكل هارت) أن يكتب عن أبرز عظماء العالم وجد نفسه ملزمًا ومضطرًا بوحي إنصافه لموضوعيته أن يتحدث عن النبي محمد ﷺ باعتباره الرقم الأول في سجل عظماء البشرية.

ومدائح الرسول في الواقع هي تمجيد لقيم الفضيلة والسمو المتجسدة في شخصيته، من هنا تبدو قيمة هذه المدائح وأهميتها فهي:

أولًا: تكشف بعض أبعاد شخصية الرسول الأعظم، وتوضح شيئًا من جوانب عظمته، وذلك أمر مهم لكل مسلم بل لكل عاقل يهمه إدراك الحقائق ومعرفة الأمور، والمدائح ترسم صورًا رائعة جميلة للفضيلة والسمو، وتأخذ موقعها في نفس الإنسان وعقله.

وثانيًا: أنها نوع من أداء واجب التعظيم والاحترام تجاه الرسول المنقذ الذي فرض الله تعالى علينا محبته وطاعته، والذي له علينا فضل الهداية والإنقاذ والنجاة، فلولاه لكنا والبشرية جميعًا في حضيض الجاهلية ومتاهات الظلام.

وثالثًا: فالمدائح النبوية إشادة وتمجيد بمكارم الأخلاق وجميل الفضائل والصفات، مما يوجب توجه النفوس وانجذاب القلوب إليه.

وإدراكًا لقيمة هذه المدائح النبوية ودورها الإيجابي النافع بادر الأخ العزيز الفاضل النبيل الحاج عبدالقادر نجل العلامة الحجة الشيخ علي أبو المكارم، بجمع هذه المدائح وتبويبها وتصنيفها، فأصبحت موسوعة أدبية كبيرة تحفظ ما أنتجته قرائح الشعراء، وما تفتقت عنه مواهب الأدباء في مدح الرسول الأعظم ﷺ، والإشادة بمكارم أخلاقه وروائع سيرته وحياته.

والمؤلف الكريم أخ عزيز على قلبي، عرفته منذ الأيام الأولى لاهتماماتي الاجتماعية والثقافية، ووجدت فيه صورة الإنسان المؤمن الخلوق المحب للخير وأهله، وهو سليل

أسرة عريقة، ووثيق الصلة بالعلماء والأدباء، وقد وفقه الله تعالى للالتحاق بموكب المؤلفين والكتّاب المدافعين عن العقيدة والمبدأ بأقلامهم.

وهذه الموسوعة إحدى ثمار نشاطه الأدبي والثقافي، فحيّاه الله وبيّاه، ووفّقه للمزيد من العمل الصالح في مختلف المجالات، وأرجو أن تأخذ هذه الموسوعة مكانتها في عالم الأدب والتاريخ، وأن يثيب الله المؤلف على أتعابه وجهوده، والحمد لله رب العالمين.

شرح الشكوك

بتاريخ: ١٣/ ٦/ ١٤١٥هـ

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين.

إن من أوائل واجبات المسلم حين يبلغ سن التكليف أن يتفقه في دينه ويتعلم المسائل الشرعية التي يبتلى بها في حياته.

وقد يرغب كثير من المؤمنين في امتثال هذا الواجب بالتفقه في دينهم لكنهم قد لا تتوفر لهم الوسائل والأدوات والظروف المساعدة لتحقيق هذه الرغبة.

فالكتب الفقهية وبالذات الرسائل العملية ليست واضحة غالبًا ولا تستوعب كل التفاصيل والافتراضات التي يحتاج إليها المكلف كما أن كل رسالة عملية تعبر عن آراء وفتاوى المرجع الذي يصدرها.

من هنا كانت الحاجة ماسة للكتابات الفقهية التي تشمل صفتين:

الأولى: وضوح العبارة والاستيعاب لمختلف التفاصيل.

الثانية: الاحتواء على الآراء والفتاوى المتعددة لمختلف المراجع، بالطبع قد يكون الاختلاف في الفتاوى محدودًا بين المراجع لكنه موجود ويهم المكلف أن يطلع على رأي مرجعه.

وهذا العصر تتميز ثقافته ومعارفه بالوضوح وسعة الانتشار، وبالاستفادة من وسائل الإعلام وأدوات التوضيح، كل ذلك يدفع المؤمنين الواعين إلى تدارك هذا النقص في مجال المعارف الفقهية.

والأخ الكريم الفاضل المهذب شفيق محمد المغاسلة ممن توجهوا إلى هذا النقص فبادر مشكورًا للمشاركة في معالجته، لذلك اختار موضوعًا فقهيًا يكثر الابتلاء به عادة، وهو موضوع الشكوك في الصلاة وأتعب نفسه في مراجعة شتى الرسائل العملية الفقهية حول الموضوع، ثم كتب هذا البحث بعبارة سهلة واضحة، محاولًا استيعاب جميع التفاصيل والجوانب في الموضوع ومستعرضًا آراء مختلف الفقهاء المراجع.

بالطبع لم تتح لي الفرصة لمراجعة المصادر الفقهية لأطابق ما احتواه الكتاب من فتاوى عليها لكنني واثق من أن المؤلف حفظه اللَّه قد بذل جهده الكامل للتدقيق في المسائل المنقولة من فتاوى المراجع الكرام.

فجزاه اللَّه خيرًا على ما بذل من جهود طيبة وتقبل اللَّه عمله وجعله موردًا لانتفاع المؤمنين.

وأهيب به وبأمثاله من الشباب المؤمنين الواعين أن يتحمل كل واحد مسؤوليته ويسهم بمايمكنه في نشر المعارف الإسلامية والثقافة الدينية.

وفق اللَّه المؤلف للمزيد من أعمال الخير وبارك في سعيه وكثر في المجتمع من أمثاله والحمد للَّه رب العالمين.

ديوان الغروب

بتاريخ: ٥/ ٨/ ١٤١٥هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

لكل إنسان في هذه الحياة مشاعره وآراؤه. والغالبية العظمى من الناس تبقى مشاعرهم وآراؤهم سجينة محبوسة في صدورهم وعقولهم. والقليل النادر هو من يعرب عما يجيش في نفسه من مشاعر ويدور في فكره من آراء.

والجهر بالرأي وإعلان المشاعر والأحاسيس أمر مفيد ومهم للإنسان كفرد وكمجتمع، حيث أن التعبير عن الرأي والشعور يوفر للإنسان حيوية إنتاج الرأي ونمو المشاعر. وهذا أمر ملحوظ، فمن يبدي آراءه تتجدد لديه الأفكار بينما تكون الحركة الفكرية بطيئة ضعيفة عند من يعاني من الكبت والانغلاق.

وحينما يعبر الإنسان عن آرائه ومشاعره يتعمق عنده الإحساس بالكرامة وتزداد ثقته في نفسه لأنه يمارس شأنا من شؤون إنسانيته المتميزة. أما على صعيد المجتمع فإن طرح الآراء والأفكار ينتج تداول المعرفة وتدويرها، ويساعد على بلورة الأفكار وتنضيجها. وبهذا تمتاز المجتمعات المتقدمة.

والسؤال الآن هو لماذا يكون الإعراب عن الرأي والشعور حالة نادرة وقليلة في أبناء المجتمع؟ والجواب أن ذلك يرتبط بالأمور التالية:

أولًا: نمو المواهب والقدرات المساعدة على التعبير عن الرأي كموهبة الخطابة والكتابة والأدب.

ثانيًا: الثقة بالنفس، فكثيرون من الناس لا يجدون في أنفسهم شأنية طرح الرأي، بل

قد تجد بعض ذوي المواهب والكفاءات يكبتون آراءهم ويجمدون كفاءاتهم لضعف ثقتهم بأنفسهم.

ثالثًا: توفر الأجواء المناسبة والمشجعة، فبعض الظروف الاجتماعية تكبت طاقات الإنسان وتجمد قدراته حينما يتعذر عليه التعبير عن آرائه ومشاعره. وإذا ما رأينا في المجتمع من يبدي آراءه ويظهر مشاعره للرأي العام فذلك يعنى تجاوزه لتلك الأمور السابقة بامتلاكه الثقة بنفسه، وتسلحه بالموهبة والكفاءة، وشجاعته في تحدي الظروف المثبطة.

من هنا يأتي إعجابي وتقديري لشخصية الأخ العزيز الفاضل أبى فؤاد حفظه اللَّه والذي أرى فيه مثالًا للطيب والنبل والخلق الكريم. فقد حباه اللَّه تعالى موهبة أدبية نمّاها وطورها بإخلاصه واجتهاده، وسخر تلك الموهبة لخدمة قضايا المجتمع، حيث يشارك في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية بجرأة وإقدام. وهو اليوم يقدم للمجتمع باقة عطرة من إنتاجه الأدبي تفيض سطورها بالولاء للعقيدة والمحبة للناس فجزاه اللَّه خير الجزاء ووفقه للمزيد من العطاء والإنتاج وكثّر في المجتمع من أمثاله.

معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية

بتاريخ: ٢٠/ ١٢/ ١٤١٥هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

العلم والمعرفة ميزة منحها اللَّه تعالى للإنسان ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾، ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

وبالعلم يتبوأ الإنسان مكانة خلافة اللَّه في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾ ويقوم بدور تسخير الإمكانات والطاقات لإعمار الحياة ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾

والعلم والمعرفة حق مشاع للبشرية جمعاء لا يصح لمن حاز شيئًا منه أن يكتنزه لنفسه ويمنعه على الناس، وكلما ازدادت أهمية ما لدى الإنسان من علم ومعرفة واشتدت الحاجة إليه، كلما عظمت مسؤوليته وواجبه في بذل ذلك العلم ونشره.

من هنا وردت في القرآن الحكيم آيات عديدة تحذر ذوي العلم والمعرفة من كتمان معارفهم والبخل بعلومهم وتحملهم مسؤولية بث العلم وبذل المعرفة للناس.

يقول تعالى:

- ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ورد عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «أيما رجل آتاه اللَّه علمًا فكتمه وهو يعلمه لقي اللَّه عز وجل يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار».

«كاتم العلم يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء».

ولنشر العلم وبثه وسائل وطرق متعددة لكن التأليف والكتابة هو من أبرزها وأهمها.

أولًا: لأن الكتابة والتأليف هي الأسلوب الأكثر دقة وحفظًا لحقائق العلوم، فالعلم

حينما يكتب يكون في العادة أكثر تركيزًا ذهنيًا منه حينما يخطب أو يتحدث، وفرصته في الإتقان والتحقيق أكثر كما هو واضح.

ثانيًا: لأن الكتاب يخاطب الأجيال القادمة بينما تقتصر الوسائل الأخرى غالبًا على مخاطبة الجيل المعاصر للعالم.

من هنا جاءت النصوص والأحاديث الدينية تشجع على ضبط العلم بالكتابة وحفظه للأجيال القادمة عبر التأليف.

فعن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «قيدوا العلم بالكتابة».

وعنه ﷺ أنه قال لأصحابه: قيدوا العلم. قالوا: وما تقييده؟ قال ﷺ: كتابته.

وعنه ﷺ: «المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترًا فيما بينه وبين النار».

والعالم الذي يؤلف ويكتب في مجال علمه يكون مصداقًا للاستجابه لهذه الدعوة النبوية، وأنموذجًا على صعيد بذل العلم ونشر المعرفة.

بينما العالم الذي لا يحرك قلمه بالكتابة ولا يكلف نفسه عناء التأليف مع قدرته عليه قد يكون مصداقًا لحالة كتم العلم والبخل به.

إن العلماء الذين ألفوا الكتب والمصنفات لهم الفضل الكبير في توارث العلم والمعرفة وفي حفظ التجارب الفكرية والمكاسب العلمية، كما أنهم بذلك قد خلدوا شخصياتهم وأسماءهم وعكسوا للأجيال اللاحقة صورة ما كان يدور في عصورهم من أوضاع وأحوال وأفكار.

ومن المؤسف جدًا أن بعض العلماء وذوي المعارف الفكرية والأدبية يتكاسلون ويمتنعون عن التأليف والكتابة فيحرمون الناس من الإطلاع على ما يجيش في صدورهم

من معارف وأفكار تبقى حبيسة في عقولهم حتى يفارقوا هذه الحياة دون أن يتركوا أثرًا علميًا يذكرون به ويورثونه لمن يأتي بعدهم.

وحركة التأليف والكتابة في كل مجتمع هي مرآة تعكس المستوى العلمي والفكري في المجتمع بل وتكشف عن المستوى النفسي لعلماء ذلك المجتمع ومفكريه، فكلما كانت نفوسهم معطاءة، وهمتهم عالية، وشعورهم بالمسؤولية كبيرًا، كان نشاطهم في مجال الكتابة والتأليف متقدمًا.

بالطبع للظروف السياسية والاجتماعية تأثير كبير على حركة الكتابة والتأليف فكلما كانت مستقرة إيجابية أفسحت المجال أكثر لنمو حركة العلم والتأليف، بينما الظروف القاسية تعرقل مسيرة العلم وتضعف حركة الكتابة والتأليف.

لكن العلماء الأفذاذ كانوا يتحدون قساوة الظروف وصعوبة الأوضاع السياسية والاجتماعية، ويستمرون في تحمل مسؤولياتهم ويقدمون لأجيال البشرية مكنونات أفكارهم ونتاج عقولهم مهما كلفهم ذلك من ثمن وتضحيات، وإن نتاج تلك الأقلام الشجاعة هو مصداق لقول رسول اللّه ﷺ: «مداد العلماء خير من دماء الشهداء».

وفي هذه المنطقة المنسية المجهولة من العالم (المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية) كانت ولا تزال حركة علمية أدبية أنجبت الكثير من رجالات العلم والمعرفة والأدب وقد أسهم العديد من هؤلاء الأعلام بأقلامهم في إثراء المكتبة العلمية والأدبية، لكن أسبابًا عديدة جعلت هذه الأقلام شبه مغمورة وغير معروفة.

وقد وفق اللّه الأخ العزيز الفاضل الشيخ حبيب آل جميع ليقوم بمهمة رصد وتعريف المؤلفين من أبناء هذه المنطقة الطيبة عبر إعداد معجم رائع استعرض فيه أسماء جميع من ألف وكتب من أعلام هذه المنطقة عبر قرون التاريخ كما يسجل عناوين كتبهم ومؤلفاتهم بتصنيف جميل مرتب.

وكنت أنتظر مثل هذه المبادرة من الأخ المؤلف العزيز لما أعرفه من اهتمام بتراث هذه المنطقة ومتابعة لإنتاجها وعطائها.

فمنذ حوالي العشر سنوات رافقت مسيرة الشيخ حبيب في مؤسسة البقيع لإحياء التراث فوجدت لديه شوقًا عميقًا وإخلاصًا كبيرًا وهمة عالية ونشاطًا دائمًا لخدمة تراث المنطقة لذلك تحمل أعباء إدارة المؤسسة طوال هذه الفترة جزاه اللَّه خير الجزاء.

وسبق للمؤلف الفاضل أن كتب عدة بحوث تتناول أعلام المنطقة ونشر بعضها في بعض المجلات.

وإذ أرحب اليوم بصدور مؤلفه الجميل معجم مؤلفي المنطقة لآمل أن يوفقه اللَّه للمزيد من الإنتاج والعطاء، وأن يكون ذلك دافعًا للغيورين من أبناء المنطقة على تاريخهم وتراثهم لدعم هذه الجهود الخيرة في إحياء التراث والتجاوب معها.

وفق اللَّه الجميع للخير والصلاح والحمد للَّه رب العالمين.

تعال معي لنقرأ

بتاريخ: ١٢/ ١/ ١٤١٦هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

حينما نرى أن سورة من سور القرآن الكريم تعنون بالقلم هي سورة (القلم) الثامنة والستون في ترتيب سور القرآن، ونرى أن اللَّه سبحانه وتعالى يقسم في مطلع السورة بالقلم وبنتاج القلم ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

وحينما نجد أن الباري جل وعلا يتحدث عن نعمة تعليمه للإنسان الكتابة بالقلم وفي أوائل الآيات التي أنزلها على النبي محمد ﷺ بعد حديثه عن نعمة خلق الإنسان مباشرة حيث يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

فإن ذلك يعني توجه أنظار أبناء هذه الأمة إلى أهمية (القلم) ودوره في حفظ معارف الإنسان وتداولها وتوارثها عبر القرون والأجيال.

فبالقلم يحفظ العلم، وتسجل التجارب، وتتناقل المعلومات، وتبين الحدود والحقوق.

وكان يفترض في أبناء هذه الأمة التي أعطى كتابها الإلهي المقدس للقلم هذه القيمة والمكانة، أن تكون لكل واحد منهم علاقة وثيقة بالقلم، ليس في مجال تعلم الكتابة فقط، وإنما باستخدام القلم في مجال تسطير العلم والمعرفة.

إن أكثرية الناس الذين يجيدون الكتابة، ويحملون الأقلام في جيوبهم لا يكادون يستخدمون أقلامهم إلا بشكل محدود ولمقتضيات حياتهم الوظيفية أو المعيشية.

أما كتابة ما يدور في نفوسهم من آراء وأفكار، وما يمرون به من أحداث وتجارب، وما يتوفر لهم من حقائق ومعلومات، فذلك قليل وقليل جدًا.

بينما نرى أبناء المجتمعات المتقدمة كيف يحرصون على كتابة مذكراتهم وذكرياتهم وانطباعاتهم ومعلوماتهم بشكل ملفت للنظر.. ولعل الكثير منا قد شاهد السياح الأجانب حينما يزورون معلمًا تاريخيًا أو مكانًا أثريًا كيف يهتمون بالكتابة عنه والتقاط الصور له في مقابل مرورنا نحن على تلك الآثار والمعالم مرور الكرام!!

إن تحقير الذات، أو الاستهانة بما يتوفر للشخص من معلومات، أو الكسل أو ما أشبه من الصفات السلبية هي التي تجعل الكثيرين منا يغادرون هذه الحياة دون أن يتركوا

أثرًا أو ذكرًا علميًا أو أدبيًا يسهمون به في نقل التجارب وتطوير المعارف في مجتمعاتهم.

من هنا يأتي احترامي وإكباري لجهود الأخ الفاضل الجليل الحاج عبد القادر نجل الحجة المرحوم الشيخ علي أبو المكارم حفظه اللّٰه.

فهو أنموذج طيب وقدوة صالحة لحملة الأقلام حيث بذل أقصى جهده لكي يقدم ما يمكنه من خدمة لمبدئه ومجتمعه عن طريق الكتابة والتأليف.

والكتاب الذي بين أيدينا أحد مصاديق جهوده الطيبة إذ سعى فيه لتسجيل أكبر قدر ممكن من المعلومات عن أرحامه وأفراد أسرته العلمية الكريمة. ولو نال هذا التوفيق واحد من كل أسرة من الأسر الكبيرة المعروفة في مجتمعنا لتوفرت لنا وللأجيال القادمة حصيلة هامة من المعلومات والتراجم عن رجالات المجتمع وأحداثه التاريخية.

وأسرة آل أبي المكارم وجه مشرق من وجوه تاريخ هذه المنطقة وهذا المجتمع فقد أنجبت كوكبة من العلماء الأجلاء، والأدباء الفضلاء والخطباء الصالحين، رحم اللّٰه الماضين منهم وحفظ الباقين، وأدام لهذه الأسرة الكريمة عطاءها الاجتماعي ودورها العلمي المرموق.

وجزى اللّٰه (أبا عدنان) خير الجزاء على صلته لرحمه، وخدمته للمعرفة بتأليف هذا الكتاب الشيق وزاده اللّٰه توفيقًا وتسديدًا والحمد للّٰه رب العالمين.

النفحات الولائية في العقيلة الهاشمية

بتاريخ: ١٦/ ٥/ ١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

واضح جدًا تأثير الصاحب والصديق على نفس الإنسان وسلوكه ومكانته الاجتماعية، حيث يكتسب الإنسان غالبًا من صفات صاحبه وصديقه وتنتقل إليه بعض أفكاره وعاداته، إما لاقتناعه بتلك السمات التي يأخذها من صاحبه، أو بفعل تطبعه وتكيفه النفسي من خلال المعاشرة.

وصورة الإنسان في أنظار الآخرين ومكانته عندهم تتأثر أيضًا بنوعية من حوله من الأقران والأصحاب.

لذلك ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «اختبروا الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجل من يعجبه نحوه»، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «جالس العلماء يزدد علمك، جالس الحلماء تزدد حلمًا».

وإذا كان أثر مصاحبة الصالحين وهم على قيد الحياة واضحًا، فهل لصحبتهم بعد مغادرتهم الدنيا وموتهم أثر...؟

نعم... وأكبر الأثر؛ فمن صحب وليًا من الأولياء المفارقين للحياة اكتسب من صحبته الخير الكثير.

إن كل واحد منا يتمنّى لو كان معاصرًا لأحد من أهل البيت عليهم السلام أو لأحد من الأولياء من أبنائهم وتلامذتهم ليحظى بمصاحبتهم ومجالستهم. ولكنّ الفرصة لا تزال سانحة، والمجال موجود. فالأولياء لا تنقطع حياتهم بالموت بل هم أحياء خالدون عند ربهم يرزقون ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فحياتهم المعنوية مستمرة، وبركات وجودهم دائمة، وآثار فضلهم باقية.

إن مصاحبة الأولياء بعد وفاتهم تكون بالعيش في أجواء سيرتهم وتاريخ حياتهم. ولذلك تأثير وانعكاس كبير على نفسية الإنسان وسلوكه.

كما إن مجاورة مراقد الأولياء تعتبر من أرقى سبل وألوان مصاحبتهم فالعيش بالقرب من حرم وضريح أحد الأئمة والمعصومين أو أبنائهم الطيبين يتيح للمجاور فرصة التتلمذ على يد صاحب المرقد، والانتهال من منهله العذب، والاغتراف من خيراته وبركاته.

إن جوار المرقد المقدس يجعل صاحب المرقد نصب العين، وملء النفس، ومرأى القلب، ولا يخفى أثر ذلك ودوره في صياغة الوجدان وتوجيه السلوك.

وتشاء حكمة الله تعالى جريان الكرامات وظهور البركات عند المراقد المقدسة؛ حيث يلتجئ المحتاجون، ويتوسل إلى الله تعالى بأوليائه المضطرون، وذلك على مشهد ومرأى من المجاورين، مما يؤكد في نفوسهم الثقة بالله، والانشداد إلى أوليائه.

من ناحية أخرى؛ فإن المراقد المقدسة تجتذب المؤمنين وتستقطب الخيِّرين من كل بقاع الأرض، فيأتون لزيارتها أو مجاورتها، مما يوفّر فرص التلاقي والتعارف والتواصل مع شبكة واسعة من المؤمنين الأخيار والصالحين الأبرار على امتداد رقعة الأرض.

ولا شك إن وجود الروح المقدسة والجسد الطاهر لصاحب المقام له إشعاع من البركة، وطيف من الرحمة بفضل الله تعالى وكرمه يغمر قلوب ونفوس مجاوريه، ويهيّئ لهم أسباب الخير في حياتهم.

تلك هي بعض عطاءات الجوار لمراقد الأولياء.

وقد يُشكل إنسان على هذه الحقيقة بما يرى من وجود عناصر غير صالحة ولا طيبة حول بعض المراقد المقدسة، لكننا لا نتحدث عن نتائج حتمية بل عن فرص ونفحات لا تلتقطها إلا النفوس المهيّأة، والقابليات المستعدة.

وكم عاش مع الأنبياء والأئمة والأولياء أناس لم ينالوا شرف الاستفادة من تلك الصحبة، ولا توفقوا للارتشاف من ذلك النمير الصافي بل كان حظهم الحرمان والشقاء.

فهنيئًا لمن يسعد بجوار مرقد مقدس، ويمنحه الله تعالى قابلية الاستفادة والاستثمار للأجواء المعنوية التي يعيشها، ويتوفق للتتلمذ في مدرسة القيم والمثل، ويكون في مستوى التقاط النفحات الإلهية من البركة والرحمة.

والأخ الفاضل الدكتور عصام عباس أراه نموذجًا بارزًا ومثلًا حيًّا لهذا التوفيق الكبير؛ فقد أنعم الله عليه بجوار مرقد الحوراء زينب عقيلة الطالبيين وبطلة الهاشميين عليها وعلى آلها أفضل الصلاة والسلام.

إنه يعيش ذكر السيدة زينب في كل حين، ويستحضر شخصيتها كل آن، ويملأ بصره وبصيرته برؤية قبة حرمها الطاهر في كل لحظة من نافذة مكتبه المطلّة على المقام المقدس.

فهو متخصص في طب الأجسام، لكنه يستثير الإيمان والثقة في نفوس مراجعيه ليعطي العلاج والدواء مفعوله في أجسامهم، وقد حدثني الكثيرون من مراجعيه عن مهارته الطبية، وقدرته العلاجية، لكنه يُرجع كلَّ ذلك إلى لطف الله وبركة السيدة زينب ؛ فالشفاء من الله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ والبركة من السيدة الطاهرة، والعلاج والدواء وسيلة وأداة تؤتي مفعولها بإذن الله تعالى.

لقد تعرفت على الدكتور عصام قبل عدة سنوات ببركات السيدة زينب ورأيت آثار جوار السيدة زينب واضحة بارزة في حياته وسلوكه.

وهذه النفحات الولائية التي يقدمها في مدح العقيلة الهاشمية واحد من تلك الآثار حيث يتجلى في كلماتها ومقاطعها صدق الولاء، وعمق المحبة، والتصميم على الإتباع والإقتداء. كما تبرز هذه النفحات موهبته الأدبية لتتكامل مع كفاءته العلمية الطبية، مُتَوْجَةٌ بحسن خلقه وجميل تعامله الذي امتلك به قلوب عارفيه.

فحيَّى الله الدكتور عصام عباس أديبًا وشاعرًا وطبيبًا حاذقًا وصديقًا وفيًا، وزاده الله

توفيقًا ونشاطًا وعطاءً في جميع المجالات، وكثّر في رجالات الأمة أمثاله. والحمد لله رب العالمين.

الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيع

بتاريخ: ١٤/ ١٢/ ١٤١٩هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين وصلى اللَّه على رسوله الأمين محمد وآله الطاهرين

إن من أجلّ وأهم نعم اللَّه تعالى على الإنسان المؤمن أن يرزقه ولدًا صالحًا يكون قرة عين له في حياته واستمرارًا لعمله الصالح وذكره الطيب بعد وفاته لذلك ورد في الحديث عن رسول اللَّه ﷺ: «من سعادة الرجل الولد الصالح».

وجاء في حديث آخر عنه ﷺ: «الولد الصالح ريحانة من ريحان الجنة».

كما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﵇ قوله: «ميراث اللَّه من عبده المؤمن الولد الصالح يستغفر له».

ومن يحظى بهذه النعمة يعيش السرور والارتياح في أعماق نفسه، ويكون محاطًا بالاحترام والتقدير في حياته الاجتماعية، إضافة إلى الرصيد الكبير من الحسنات والأجر بثواب اللَّه ورضوانه.

وقد حبا اللَّه الأخ العزيز والصديق القديم الكريم الحاج عبد القادر نجل المرحوم الحجة الشيخ علي أبو المكارم بهذه النعمة الكبيرة فللّه الحمد والشكر حيث أقر عينه بأولاد صالحين يتبارون في ميادين الأدب ويتسابقون في ساحة الخير والمجد أبقاه اللَّه تعالى لهم وحفظهم له عونًا وذخرًا.

إن إخلاص أبي عدنان وطيب قلبه من جهة، وحسن تربيته من جهة أخرى أنتجا هذه الثمرة الطيبة.

ومن أساليب أبي عدنان في حسن التربية والأدب إشراكه لأبنائه في اهتماماته المعرفية والاجتماعية، وقد كنت ألحظ منه هذا التوجه الجميل من بداية معرفتي به وعلاقتي الإيمانية معه فهو يصطحب أبناءه في زياراته وخاصة للعلماء والخطباء والأدباء، ويوثق علاقة أبنائه بمعارفه وأصدقائه، ويحرص على حضور أبنائه عندما يزوره أي شخص له مكانة عنده، ويتداول مع أبنائه الآراء والأخبار والانطباعات في المجال الديني والاجتماعي.

كما زرع في نفوس أبنائه حب الكتاب ومن وقت مبكر في حياتهم حيث كان حريصًا على اقتناء الكتب الإسلامية والأدبية مع شحتها وقلة توفرها في الفترات الماضية ومع محدودية إمكانياته المادية، فنشأ أبناؤه في رحاب الكتب والمعرفة، يساعدون أباهم في تنظيم مكتبته وفهرستها، ويشاطرونه مطالعتها وقراءتها.

وفي خطوة لاحقة وحينما اهتم أبو عدنان بالكتابة والتأليف أشرك أبناءه معه في هذا الاهتمام، في تبييض مسودات كتاباته وتنضيدها بالآلة الكاتبة والكمبيوتر والبحث عن المصادر المناسبة والمساعدة في جمع المادة الأدبية المطلوبة كما هو الحال في مشروعه الأدبي الكبير حول المدائح النبوية والذي أنجز منه أكثر من عشرة مجلدات.

هذه الأجواء التربوية الثقافية ومع روح الإخلاص وسلامة النية والقلب أثمرت لأبي عدنان هذه الثمار الطيبة وسُعد بأولاد صالحين مؤدبين تفجرت مواهبهم الأدبية وكفاءاتهم الثقافية، زادهم اللّٰه صلاحًا وتوفيقا وكثّر في أبناء المجتمع أمثالهم.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم يشكل نموذجًا لطريقة أبي عدنان في التعامل مع أبنائه ونتاجًا لتربيته الصالحة حيث اشترك الوالد مع ولده في إعداد وتأليف هذا الكتاب الممتع المفيد المختص بالصلاة على نبي هذه الأمة وشفيعها الحبيب

المصطفى محمد ﷺ.

والكتاب كنز من كنوز الولاء ونبع من ينابيع المودة فيه إحاطة جيدة للموضوع واستقصاء شامل لأطرافه، وكل صفحة من صفحاته تطفح بالمحبة والتقديس، وتؤكد الارتباط والانشداد بين الإنسان المسلم ونبيه المنقذ الأعظم ﷺ.

أبارك لأبي عدنان ولولده أديب إنتاجهما الجديد الرائع وأسأل اللَّه لهما المزيد من الأجر والثواب، والاستمرار في العطاء وخدمة المبدأ والفكر، وأرجو أن ينفع اللَّه بكتابهما ويكتبه في دفتر حسناتهما. وأن يجعلنا اللَّه جميعًا من المشمولين ببركات الصلاة على النبي وآله والفائزين بشفاعتهم يوم القيامة إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين. والحمد للَّه رب العالمين.

ما يريده الشباب: الطعم والبديل

بتاريخ: ٩/ ٨/ ١٤٢٠هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين وصحبه الطيبين.

يواجه شبابنا في هذا العصر تحديات خطيرة على صعيد تكوين شخصياتهم وتشكيل أفكارهم وسلوكهم.

فهم ليسوا متروكين لفطرتهم وعقولهم ليتبينوا عبرها الرشد من الغي.

وآباؤهم يعيشون صدمة التغيّر والتطور الهائل الذي أصاب حياتهم، فأفقدهم القدرة على استيعاب مستجدات العصر إلى جانب الحفاظ على القيم والمبادئ.

والجهات الدينية لا تمتلك وسائل الجذب والاستقطاب، كما لا تنطلق من واقع منظم قائم على البرمجة والتخطيط في الأعم الأغلب.

أما الأجواء المحيطة بالشباب فإنها تمتلئ بأساليب الإغراء والإغواء، فهناك فضاء مفتوح يهيمن عليه إعلام الشهوات والرغبات، وثقافة مادية كالسيل الجارف تريد إذابة كل الشعوب في بوتقة الحضارة الغربية تحت شعار العولمة.

وظروف الحياة التي تزداد قساوة وصعوبة في مجالات التعليم والعمل وسائر مستلزمات المعيشة تجعل الشباب في قلق واضطراب على مستقبل وإمكانيات بناء حياته.

إنهم في حاجة ماسة إلى من يقف معهم، يتفهم ظروفهم، ويدرك حجم التحديات التي تواجههم، ويمدّ لهم يد العون ليتجاوزوا مخاطر هذه المرحلة الحساسة الحرجة من أعمارهم.

إنّ بعض الشباب ينهارون أمام هذه الأزمات وبعضهم يتساقطون على طريق التحدي.

وبعضهم يتخبط في سيره، ويتعثر في مشيه.

ونتيجة لذلك تسود مجتمع الشباب ظواهر غير مريحة، وتصدر من بعضهم ممارسات ليست لائقة، تستدعي انزعاج الآباء وغضب المتدينين..

لكن هذا الانزعاج أو الغضب لا يحل المشكلة بل قد يزيدها تعقيدًا ويعمق الهوة بين الأجيال، وينفر الشباب من الدين.

والمطلوب هو فهم أعمق لواقع الشباب ومشكلاتهم ومن ثم مساعدتهم على تلمس الحلول، واكتشاف سبل الإنقاذ والخلاص.

وعلينا جميعًا أن نهتم بمناقشة هذا الأمر والتفكير فيه وتقديم المقترحات ووضع البرامج.

وقد سررت بمحاولة الأخ الفاضل الأستاذ الحاج عبدالمحسن أبو عبداللّه للإسهام في هذا الشأن، حيث تناول بعض هموم شبابنا المعاصر وما يتعرض له من مكائد للتضليل والإغواء، وسعى في تقديم ما يراه مناسبًا من المقترحات والبرامج.

إن اهتمام الأخ الأستاذ عبدالمحسن بقضايا مجتمعه لَيَكْشِفُ عن وعي بمسؤوليته الدينية والاجتماعية، كما يدل بحثه الجميل على متابعته الفكرية والثقافية.

أسأل اللّه أن يوفقه للمزيد من العطاء في خدمة الدين والمجتمع.

وأرجو أن يكون قدوة لسائر الإخوة المؤمنين الواعين في أن يتحملوا مسؤولياتهم، ويشاركوا في معالجة قضايا الدين والوطن عن طريق الكلمة الطيبة والعلم الصالح..

وفّق اللّه الجميع لما يحب ويرضى إنه ولي التوفيق..

أعلام من أسرتي

بتاريخ: ١٢/ ١٠/ ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تبرز وسائل الإعلام المختلفة والمنتشرة الكثير من الأشخاص والشخصيات وتتحدث عن حياتهم ونشاطاتهم وانجازاتهم لكن ذلك يقتصر غالبًا على رجالات السياسة والمال والرياضة والفن.

أما الحديث عن الأتقياء المؤمنين الذين يكرسون حياتهم لتهذيب أنفسهم ولرعاية أسرهم وتنشئة أبنائهم على الخير والصلاح والذين يتحلون بمكارم الأخلاق وجميل الصفات.

ويقومون بخدمة دينهم ومجتمعهم... هؤلاء الأشخاص عادةً ما لا تتحدث عنهم وسائل الإعلام ولا تبرزهم وهم بطبعهم لا يفتشون عن الدعاية والإعلام ولا يحبذونها ويرون أن ما يقومون به واجب إنساني ووظيفة شرعية يبتغون عليها الأجر والثواب من الخالق جل وعلا.

لكن إبراز هؤلاء الأشخاص الطيبين الناجحين في حياتهم العائلية والاجتماعية له فوائد ومنافع عديدة:

- فهو تعظيم وتعزيز للقيم والمثل السامية التي اتشحوا بها.
- كما هو أداء لحق التكريم لهم والتخليد لسيرتهم الطيبة.
- وأيضًا ليكونوا قدوات ونماذج لأبناء وطنهم ومجتمعهم.

من هذا المنطلق سررت بتوجه الأخ الكريم علي المحمد علي للكتابة عن رجالات أسرته وهي أسرة طيبة عريقة ورجالاتها أخيار صالحون.

وقد انجبت العديد من ذوي الفضيلة والإصلاح الذين خدموا الدين والمجتمع بجهودهم الخيرة المشكورة.

والأخ الكريم المؤلف الاستاذ علي المحمد علي عرفته شابًا مؤمنًا يقظًا واعيًا يهتم بمجالسة العلماء والفضلاء ليقتبس من معارفهم ويقتني كتب العلم والأدب ليرتشف من نميرها.

وكتاباته هذه بشائر خير بمستقبل واعد أرجو له المزيد من التوفيق والتقدم وأن يكون أنموذجًا وقدوة لسائر شباب الوطن لينخرطوا في سلك رواد المعرفة وعشاق الأدب والطامحين للفضيلة والمجد وفق الله الجميع للخير والصلاح والحمد لله رب العالمين.

رعشة الحروف الثملة

بتاريخ: ١٠/ ٢/ ١٤٢١هـ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

ما هي اهتمامات شبابنا اليافعين وفي أي عالم يعيشون؟

تتمزق ألمًا حين تجد نسبة كبيرة من هؤلاء الشباب وهم في ربيع العمر، وأوج القوة والنشاط، وفترة البناء والتأهيل، واكتساب المعرفة والخبرة، لكنهم يهدرون طاقة شبابهم التي لا تعوّض، ويضيعون أثمن فرصة تتيحها لهم الحياة، يتعاملون مع ساعات شبابهم الغض وكأنها فضلة من الوقت، وفراغ من الزمن، يبحثون لها عن ملاءٍ وتفاهات يبددون فيها رصيد حيويتهم، وغالي ساعات حياتهم.

ترى كيف يقبلون لأنفسهم أن ينشغلوا باللهو واللعب ويعيشون على هامش الحياة؟

مع أن بإمكان أي واحد منهم أن يصبح رقمًا صعبًا، وعنصرًا فعالًا مؤثرًا، في الواقع الذي يحتضنه، والمجتمع الذي ينتمي إليه، إن تاريخ الحضارة البشرية في الماضي والحاضر مدين لكفاءات وإبداعات شباب فاتحين، سجلوا أروع الصفحات، وحققوا أخطر الإنجازات، في مجال العلم والأدب، والاختراع والاكتشاف، والقيادة والعمل.

ولكي يأخذ شبابنا مواقعهم الريادية المأمولة، يحتاجون شيئين:

الوعي بأهمية هذه المرحلة من حياتهم، وما يواجههم فيها من تحديات.

توفر القدوات والنماذج التي تشجعهم على سلوك طريق العطاء واستثمار المواهب والقدرات.

وإنه ليسرني أن أقدم الأخ العزيز الأديب منير علي آل نمر من خلال عطائه الأدبي

كنموذج لسائر شبابنا الأعزاء في اهتماماته الأدبية والاجتماعية، وفي العالم الذي اختار أن ينتمي إليه ويتواصل معه.

لقد عرفته شابًا جادًا يهتم بالثقافة والأدب، ويقرأ لعمالقة الشعر والفكر، ويحضر مجالس العلماء، ونوادي الأدباء، ويتحلى بالجرأة واللباقة، وبهما يناقش ويحاور، في مختلف الأجواء ومع مختلف الاتجاهات.

إنه يريد الارتباط بعالم الأدباء الكبار كالمتنبي والجواهري وجمال الدين، يستشهد بروائع شعرهم، ويتابع قراءة تفاصيل حياتهم، ويستقي في إنتاجه الأدبي من نميرهم.

وإذ أحييّ فيه هذه الروح الوثّابة، والصفات الطيبة، لأرجو له مستقبلًا وضاءً مشرقًا، وأرجو منه المثابرة ومضاعفة الجهد في تلقي العلم، واستيعاب فنون الشعر والأدب، وتوثيق العلاقة أكثر مع فحول البلاغة والبيان في تاريخنا العربي.

امتثالًا لأمره تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وآمل أن يكون قدوة ومحفزًا لأنداده وأترابه من الشباب الأعزاء، ليسيروا في طريق الإبداع والعطاء، وليفجروا طاقاتهم الكبيرة المخزونة، في بناء مستقبلهم، وخدمة مجتمعهم.

نوّر اللَّه قلب منير بالخير الدائم. ورعاه شعلة منيرة في طريق الصلاح.

العودة إلى القرآن

بتاريخ: ٢٥/ ٢/ ١٤٢١هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

العودة إلى القرآن هو خلاص البشرية من البؤس والشقاء الذي تعنيه رغم تقدمها المادي التكنولوجي الهائل.

والعودة إلى القرآن هو سبيل الأمة الإسلامية للعزة والكرامة وتجاوز حالة التخلف الحضاري الشامل.

تلك حقيقة ثابتة واضحة تكفلت فصول هذا الكتاب القيم بتجليتها وتبيينها بأسلوب شيق جذاب، لكن ما أحببت إضافته والتأكيد عليه، هو الحديث عن جيل العودة إلى القرآن. وقد أوحي إلي بهذا الحديث كون المؤلفين الفاضلين ينتميان إلى جيل الشباب الصاعد.

فمن أين تنطلق رحلة العودة إلى كتاب اللَّه؟ ومن هي الفئة التي تقود مسيرتها؟

حينما هبطت آيات الذكر الحكيم لأول مرة على نبينا الأعظم محمد ﷺ فإن قلوب الشباب هي التي احتضنت القرآن، وألسنتهم هي التي أوصلته إلى المسامع، وسواعدهم خاضت معارك الجهاد لتثبيت منهج القرآن في الحياة.

فأول من شنفت آيات القرآن سمعه من رسول اللَّه كان شابًا يافعًا في أول سنوات شبابه وهو علي بن أبي طالب، والذي استوعب القرآن آية آية وحرفًا حرفًا كما يقول عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيما نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكّيها من مدنيها».

ويقول عليه السلام في كلمة أخرى: «إني لأعرف ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وفصاله من وصاله، وحروفه من معانيه، واللَّه ما حرف نزل على محمد ﷺ إلا وأنا أعرف فيمن أنزل، وفي أي يوم نزل، وفي أي موضع نزل». وإلى أن انقطع الوحي بوفاة رسول اللَّه ﷺ واكتمل نزول القرآن، كان علي لا يزال في مرحلة الشباب، حيث لم يتعد

عمره الثالثة والثلاثين.

وأول صادح بالقرآن في ملأ قريش كان شابًا اسمه عبد اللَّه بن مسعود، وهو سادس ستة سبقوا إلى الإسلام، ويتحدث عن موقفه البطولي أحد أصحابه قائلًا: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول اللَّه ﷺ بمكة عبد اللَّه بن مسعود ﷺ إذ اجتمع يومًا أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقالوا: واللَّه ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟

فقال عبد اللَّه بن مسعود: أنا.

قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلًا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه.

قال: دعوني فإن اللَّه سيمنعني.

فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، فقام عند المقام، ثم قرأ: بسم اللَّه الرحمن الرحيم رافعًا بها صوته الرحمن. ثم استقبلهم يقرؤها.. فتأملوه قائلين: ماذا يقول ابن أم عبد؟ إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد.. فقاموا إليه وجعلوا يضربون وجهه، وهو ماض في قراءته، حتى بلغ منها ما شاء اللَّه أن يبلغ..

ثم عاد إلى أصحابه مصابًا في وجهه وجسده، فقالوا له: هذا الذي خشيناه عليك..

فقال: ما كان أعداء اللَّه أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا.

قالوا له: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون.

كان الشاب ابن مسعود يقرأ القرآن بتفاعل صادق حتى روي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «من أحب أن يسمع القرآن غضًا كما أُنزل فليسمعه من ابن أم عبد».

وأول من حمل آيات القرآن الكريم إلى المدينة، وعلّم أهلها القرآن، وهيأها لتكون مهجر الرسول ﷺ ودار الإسلام، هو الشاب المجاهد مصعب بن عمير، والذي اعتنق الإسلام في نضارة شبابه، حيث أخذت آيات القرآن التي سمعها لأول مرة من رسول

اللَّه ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم بمجامع قلبه، وأحدثت تحولًا فوريًا في وجوده ونظرته للحياة.. فتخلى عن حياة الدلال والترف والرخاء، حيث كان أرفه شاب بمكة، كما يقول عنه رسول اللَّه ﷺ: «لقد رأيت مصعبًا وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حبًا للَّه ورسوله».

لقد انجذب بكله إلى القرآن، وتشربت نفسه مفاهيمه ومعانيه، وارتكزت في ذهنه وقلبه آياته وسوره، فاختاره الرسول ﷺ أول سفير للإسلام خارج مكة، وانتدبه ليعلم أهل المدينة القرآن، ويفقههم في الدين.

كان في أصحاب الرسول ﷺ يومئذ من هم أكبر منه سنًا، وأكثر جاهًا، وأقرب من الرسول ﷺ قرابة.. ولكن الرسول ﷺ اختار مصعب الخير، وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة، ويلقي إليه بمصير الإسلام في المدينة، التي ستكون دار الهجرة، ومنطلق الدعوة.

تلك كانت أمثلة ونماذج من جيل شاب وعى القرآن بدء نزوله وحمله رسالة ومنهج حياة، وأرسى على ضوء هديه أساس الحضارة الإسلامية الشامخة..

أما لماذا كان الشباب هم جيل الاستجابة للقرآن أكثر من غيرهم؟

فذلك للأسباب التالية:

١. أنهم كانوا في مرحلة تفتح الفكر، وتشكيل الوعي، ووجدوا أمامهم أسئلة ملحة عن سر الحياة، وسبب الوجود، وغاية الخلق، ورأوا في القرآن الكريم الهدي والهداية إلى الإجابات الشافية المقنعة، التي تنسجم مع الفطرة وتتوافق مع المنطق وبديهيات العقل.

٢. وكشباب مرهفي المشاعر والأحاسيس، كانوا يتحسسون مساوئ الواقع الجاهلي المعاش، من عبادة أصنام، وفساد أخلاق، ونشوب حروب وفتن،

لكنهم لا يعرفون طريقًا للخلاص والعلاج، وجاءت آيات القرآن الحكيم، لتمنحهم البصيرة والنور، ولتضع أقدامهم على طريق النجاح والسلام، فاستقبلوها بإخلاص واندفاع.

٣. كانت قلوبهم أنقى وأصفى من الآخرين، فلأنهم شباب حديثو عهد بالحياة لم تتمكن المصالح من نفوسهم، ولم تسيطر السلبيات على أذهانهم، ولم تتكرس المساوئ والمفاسد في سلوكياتهم.. فانشدادهم للواقع الفاسد كان ضعيفًا ومحدودًا، مما جعلهم أكثر قدرة على التحرر منه، والإفلات من هيمنته، والانطلاق نحو أفق جديد.

٤. ومرحلة الشباب تخلق عند الإنسان ثقة بالذات، ورغبة في المغامرة، وتطلعًا لمستقبل أفضل.. وذلك ما يتناغم مع هدي آيات القرآن الحكيم، ويخلق الأرضية المناسبة للتفاعل معها.

٥. وتوجه الرسول ﷺ لهم وإقباله عليهم، وما كان يفيضه عليهم من حب وحنان، ويبديه لهم من تقدير واحترام، في مجتمع كان السن والمال فيه مناط المكانة والزعامة، كل ذلك جذبهم إلى رسول اللَّه ﷺ، واستقطبهم إلى رسالة اللَّه تعالى، فالخلق العظيم الذي تحلى به المصطفى ﷺ، وغمر به أولئك الشباب التائهين المهملين في مجتمعهم، هو الذي صنع شخصياتهم القيادية، وفجّر مواهبهم وكفاءاتهم وطموحهم نحو العزة والتقدم.

وكما بدأت مسيرة القرآن الكريم على أيدي الشباب، فإن رحلة العودة إلى القرآن ستكون على أيديهم المباركة إن شاء اللَّه.

فمن ينهل من القرآن في فترة شبابه، ويرتشف من نميره العذب، فإن بناءه النفسي، وتشكيله الفكري، وممارسته السلوكية، ستصاغ على هدي الوحي، فشخصية الإنسان تتبلور معالمها، وتتحدد سماتها في فترة الشباب، فإذا كان فيها قريبًا من القرآن، متتلمذًا

على آياته، فسيكون قرآنيًا في توجهاته ومسارات حياته.

ورد في حديث عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن، اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله اللَّه عز وجل مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزًا عنه يوم القيامة».

إن مؤشرات كثيرة تلوح في الأفق تبشر بمستقبل واعد لأمتنا الإسلامية على أيدي شبابها الأعزاء المؤمنين، فهذه الصحوة الإسلامية المباركة، والأنشطة الدينية المنتشرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، والبرامج القرآنية في تلاوة القرآن وتحفيظه وتعليمه وتفسيره، التي يقبل عليها الشباب الطيبون، كلها بشائر خير على نهضة حضارية قادمة.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم هو من بشائر الخير، وبواعث الأمل المشرق، نمؤلفاه الكريمان الأستاذ فاضل أحمد البحراني وأخوه الأستاذ بشير مثل ونموذج للشباب الرساليين القرآنيين، عرفتهما منذ طفولتهما بالصلاح والأدب، وهما يقدمان الآن كتابهما الثاني (العودة إلى القرآن) بعد كتابهما الأول (نفي التنافي في القرآن الكريم).

وقد قرأت الكتاب، واستمتعت بالاطلاع على بحوثه، ورأيت فيه جهدًا طيبًا، وإنجازًا مباركًا، حيث عالج الموضوع من أبعاده المختلفة، بموضوعية ووضوح، وبتعبير سلس شائق، بالاعتماد على المصادر المتخصصة والعامة.

كما أن تعاونهما كأخوين في مجال البحث والتأليف بادرة رائعة أرجو أن تدفع سائر الأخوة الشباب إلى مثل هذه التجربة الجميلة، والتي هي مصداق للتعاون على البر والتقوى، وتكريس لمبدأ العمل الجمعي في مختلف المجالات وخاصة في المجال العلمي والثقافي.

أرجو اللَّه لهما التوفيق والمزيد من العطاء والبذل في خدمة المعارف القرآنية، وأن

يكتب اللَّه لهما السعادة والنجاح والاستقامة على طريق الخير والصلاح.

وآمل أن يكونا قدوة حسنة..

والحمد للَّه وسلام على عباده الذين اصطفى

ديوان المدائح المنظومة ج١١

بتاريخ: ٢٥/ ٥/ ١٤٢١هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه الذي خلق الإنسان علمه البيان.

والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الأنبياء طرًا الذي قال: إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا.

وعلى آله الأطهار عدل الكتاب وحماة السنة الذين بشّروا من قال فيهم بيتًا من الشعر بأن اللَّه يبني له بيتًا في الجنة.

أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام ليسوا مجرد علماء ذوي نظريات علمية حتى ينحصر الاهتمام بحياتهم وتاريخهم في حدود النخب من أهل الاختصاص العلمي.

بل هم قبل ذلك وبعد ذلك أئمة هدى وقادة رشاد، تحتاج جماهير البشرية وعامة أبنائها إلى قراءة سيرهم، والتعرف على حياتهم وتاريخهم، لتشدّ إليهم النفوس، وتهوي الأفئدة والقلوب، وليكونوا للناس في موضع القدوة والأسوة، من حيث الالتزام بقيم الحق والعدل، وتجسيد مكارم الأخلاق، والوفاء للمبادئ، والثبات على خط الرسالة والدين، والجهاد والتضحية في سبيل اللَّه.

وكما نحتاج إلى أهل الاختصاص لدراسة العطاء الكبير والتراث الغني لأهل البيت ﷺ في مختلف حقول المعرفة والعلم، من الفقه والتفسير والعلوم الطبيعية والإنسانية كالفلك والكيمياء والطب والنفس والاجتماع.

فإننا نحتاج أيضًا إلى ذوي المواهب الفنية والكفاءات الأدبية الذين يجيدون عرض سيرة أهل البيت ﷺ وتصوير مواقفهم الرسالية المشرقة بلغة جماهيرية، لتكون مفهومة لعامة الناس، قادرة على التخاطب مع وجدانهم ومشاعرهم وأحاسيسهم.

من هنا أشاد رسول اللّه ﷺ وكذلك الأئمة الهداة ﷺ بدور الشعراء المبدئيين المخلصين.

فالشعراء وذوي المواهب الفنية المختلفة كالرواية والقصة والمسرحية والرسم والنحت وما أشبه يستطيعون القيام بدور عظيم في تكريس المبادئ وتخليد رموز الدين وشخصيات قادته في أوساط جماهير الأمة وأعماق نفوس أبنائها.

إن العلماء يخاطبون العقول والأفكار، وليس كل الناس يقبلون على الخطاب العملي أو يستوعبونه، لكن مخاطبة القلوب والمشاعر لغة يتجاوب معها ويتفاعل معها الجميع.

كما أن بعض القضايا والجوانب تحتاج إلى إثارة العاطفة وتحفيز الضمير والوجدان، لتأخذ موقعها في فكر الإنسان، وتشق طريقها إلى التأثير في شخصيته وسلوكه.

وإذا ما تأملنا رقعة الولاء لأهل البيت ﷺ في جماهير الأمة، وعمق الارتباط والانشداد النفسي والعاطفي الذي تزخر به ساحة شيعة أهل البيت ﷺ لأئمتهم، فإننا سنجد أن الفضل الأكبر في ذلك يعود إلى الجهود العظيمة الجبارة التي بذلها العاملون في مجال التوجيه الجماهيري عبر الخطابة والأدب والشعائر الحسينية والبرامج الولائية.

صحيح أن هناك بعض الثغرات والخلل ونقاط الضعف في طروحات بعض هؤلاء

الخطباء والشعراء وأمثالهم من حيث الخلط بين الغث والسمين، والحقائق والأساطير، والصحيح والخطأ، فيما يتعلق بالمضامين أو الأساليب.

إلا أن تلك الثغرات والأخطاء لا تقلل من قيمة ذلك الدور الهام، ولا تستعصي على الفرز والمعالجة والتوجيه، وإن احتاج ذلك إلى صبر وزمن.

وأمامنا في هذه المجموعة الأدبية الرائعة التي تحمل الرقم الحادي عشر من سلسلة دواوين الشاعر الولائي المخلص للدين ولأهل البيت ﷺ فضيلة الخطيب الأديب السيد مرتضى السيد محسن الحسني السندي (أبو حسنين) حفظه اللّٰه وأدام توفيقه.

أمامنا نموذج رائع مشرق لذلك الأدب الهادف الذي يتمتع بأفضل خصال البلاغة وسمات البيان، بلغة واضحة سهلة، يفهمها كل سامع، مع عمق المحتوى، وجزالة التعبير، ودقة التصوير للحوادث والموقف.

ولا غرو فالسيد أبو حسنين رعاه اللّٰه نشأ في أجواء العلم والأدب، ولازم مجالس الفضلاء والعارفين، وصاحب الكتب ومنتديات المعرفة، وهو من رواد الخطابة والمنبر.

ويمتاز أدب السيد أبو حسنين كما سيلاحظ القارئ بأنه يطور موهبة التصوير الأدبي والتحليق الخيالي، لتقوم بدور تسجيل الموقف والأحداث التاريخية، حيث تجد أن بعض المقطوعات من شعره هي صياغة أدبية شعرية لسيرة إمام من الأئمة، أو رجل من تلامذتهم وأصحابهم.

بل إنه يرصف ويدمج بعض خطب الأئمة وبياناتهم في مقاطع شعره، فتأتي القصيدة نظمًا لخطبة الإمام الحسين ﷺ أو خطاب السيدة زينب.

وبذلك ينقل الخطاب التاريخي إلى لغة شعبية معاصرة، على شكل مقاطع جميلة ترددها الألسنة، وتعشقها الأسماع، وتهتز بروعة إيقاعاتها المحافل.

وثمة ميزة هامة أرى من المناسب الإشارة إليها وهي تجديد ذكريات بعض حواريي الأئمة وتلامذتهم المخلصين، فغالبًا ما يقتصر الشعراء الشعبيون في محافلنا ومجالسنا على ذكر سيرة أهل البيت ﷺ وفضائلهم ومصائبهم أما من حولهم من خلّص الأتباع وخيرة الأصحاب فنادرًا ما يشار إلى حياتهم وتضحياتهم إلا بشكل عابر.

لكننا في شعر السيد أبي حسنين نقرأ ملاحم أدبية مطولة حول سلمان الفارسي (المحمدي) وأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وحجر بن عدي الكندي، وزيد بن علي بن الحسين وأمثالهم من رواد التضحية والفداء خريجي مدرسة الحق والفضيلة.

فهنيئًا للسيد أبي حسنين هذه الموهبة العظيمة.

وهنيئًا له هذا التوظيف الجيد لموهبته في خدمة الرسالة والعترة الطاهرة.

وأسأل اللَّه أن يطيل عمره في خير وعافية وأن يزيده نشاطًا وهمة ليواصل مسيرة الولاء والعطاء والحمد للَّه رب العالمين.

صلاة الجماعة الطموحات والمعوقات

بتاريخ: ٢٠/ ٧/ ١٤٢١هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

والحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

لصلاة الجماعة فضل كبير وشأن عظيم كما يظهر من النصوص الدينية وفتاوى الفقهاء فقد ورد في فضلها وذم تاركها من ضروب التأكيدات ما كاد يلحقها بالواجبات على حد تعبير السيد اليزدي (رحمه الله) في العروة الوثقى، ولها دور هام في تأكيد الانتماء الجمعي للفرد المسلم مقابل النزعة الفردية الأنانية، وتأثير واضح في تعزيز

التواصل والتماسك الاجتماعي، حيث يلتقي الناس مع بعضهم، ويتعارفون ويتداولون الآراء والأخبار عن أوضاعهم، ويتعاونون فيما بينهم.

كما تتيح صلاة الجماعة فرصة ومجالًا للتفقه في الدين ومعرفة المسائل والأحكام والتعاليم الشرعية عبر توجيهات إمام الجماعة، وإجابته على أسئلة المستفتين والمراجعين.

وهي تظهر قوة الجانب الديني في المجتمع، فترفع معنويات المتدينين، وتجتذب وتستقطب إليهم سائر العناصر والأفراد.

لكن المؤسف جدًا أن يكون الإقبال على صلاة الجماعة ضعيفًا ضئيلًا في مجتمعاتنا، فلو قمنا باستبيان استقرائي لوجدنا أن كثيرين من أبناء المجتمع لم يشاركوا ولا مرة واحدة في صلاة جماعة، وهناك عدد كبير لا تزيد مشاركتهم عن بضع مرات في السنة الواحدة في بعض المناسبات.. أما المواظبون على صلاة الجماعة فهم نسبة قليلة جدًا في المجتمع، وأكبر دليل على ذلك وضع صلوات الجماعة حاليًا من حيث ضعف الحضور وقلتهم.

وإذا كانت هناك بعض المساجد المحدودة يكون الحضور فيها جيد فذلك بالقياس إلى بقية المساجد، أما إذا أخذنا بعين الاعتبار الكثافة السكانية في البلاد، فسنجد أن ذلك الحضور لا يشكل إلا نسبة قليلة من المجتمع.

إن هناك عوامل وأسبابًا وراء هذا الإقبال الضعيف على صلاة الجماعة، لا بد من تدارسها ومعالجتها لنضع حدًا لهذه الظاهرة المؤلمة التي تحرم مجتمعنا من فوائد عظيمة ومنافع جليلة.

ومن أبرز تلك الأسباب: ضعف التوجيه والتعبئة باتجاه صلاة الجماعة، فقلما تسمع خطيبًا من الخطباء وخاصة في المناسبات الحاشدة، يدعو الناس إلى صلاة الجماعة ويرغبهم فيها، ويبين لهم فضلها وفوائدها.

ولا تنتشر في أوساط الناس كتب أو نشرات تدفع نحو صلاة الجماعة وتشجع عليها.

وحتى الدعوة الفردية لصلاة الجماعة من قبل الأب لأبنائه والأخ لإخوانه والصديق لأصدقائه، تراها منعدمة في المجتمع، فمن يتوفق لحضور صلاة الجماعة لا يجد نفسه معنيًا بدعوة الآخرين وتشجيعهم، ويعتبر ذلك شأنًا شخصيًا لا دخل فيه، وهو تصور خاطئ لأن الدعوة إلى صلاة الجماعة مصداق من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعنوان من عناوين الدعوة إلى الخير، ومورد من موارد النصيحة والإرشاد والتواصي بالحق.

ومن الأسباب الهامة: التصورات والآراء المتزمتة حول شرائط إمام الجماعة، حيث بعض الناس يتشددون في هذا الأمر ولا يكادون يصلّون جماعة إلا خلف إمام معصوم، صحيح أنه يشترط في إمام الجماعة العدالة، لكن العدالة لا تعني العصمة، وإنما هي الاجتناب عن الذنوب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، وإذا كان هذا المستوى لا يتوفر إلا في بضع أشخاص من المجتمع فعلى مجتمعنا العفا والسلام!!

إن إمامة الجماعة لا يشترط فيها مستوى علمي، وإنما يكفي فيها صحة الصلاة، فكل إنسان يؤدي صلاته بشكل صحيح وليس مرتكبًا للكبائر ولا مصرًا على الصغائر، يصح الائتمام به، وهذا ما يفتي به جميع الفقهاء والمراجع من السابقين والمعاصرين، والأسوأ من ذلك إدخال مسألة صلاة الجماعة في متاهات النزاعات والخلافات المرجعية والفئوية فيما بين الأصوليين والإخباريين والشيخية، ومقلدي هذا المرجع وذاك المرجع، وأتباع هذه الفئة وتلك الفئة، وهو أمر محزن جدًا ويجب على العلماء والخطباء أن ينبهوا المجتمع إلى أن هذه العصبيات والحساسيات ليست من الدين في شيء، وأنها نتاج للصراعات والخلافات الشخصية، وأن على المؤمن ألا يحرم نفسه من توفيق وثواب صلاة الجماعة خلف أي مؤمن من أبناء مجتمعه، تكون صلاته صحيحة

ويطمئن إلى عدالته، وإن لم يكن من أهل العلم، أو من المتوافقين معه في التقليد.

فكل ما ليس له مستند من الشرع هو نابع من الأهواء الشخصية والفئوية، ومن وساوس الشيطان، وكما يقول السيد اليزدي (رحمه الله): «فمقتضى الإيمان عدم الترك لصلاة الجماعة من غير عذر لا سيما مع الاستمرار عليه، فإنه كما ورد لا يمنع الشيطان من شيء من العبادات منعها، ويعرض عليهم الشبهات من جهة العدالة ونحوها حيث لا يمكنهم إنكارها، لأن فضلها من ضروريات الدين» العروة الوثقى/ فصل في الجماعة.

الكتاب في فكر الإمام الشيرازي

بتاريخ: ١/ ٩/ ١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

يمتاز مراجع الدين للمسلمين الشيعة بميزتين هامتين:

الأولى: التعمق والتبحر في علوم الشريعة وخاصة الفقه وأصوله.

الثانية: النـزاهة الشخصية.

وتتشكل الميزة الأولى من خلال الاستغراق في الدراسة العلمية لسنوات طويلة تقاس بالعقود، حيث تقرأ في سير حياة المراجع أن أغلبهم توجه للدراسة من نعومة أظفاره وحداثة سنه، وأصبح مرجعًا وهو في مرحلة الكهولة إن لم تكن الشيخوخة، فالسيد أبو الحسن الأصفهاني (١٢٨٤هـ ١٣٦٥هـ) بدأ دراسته العلمية وهو في نهاية العقد الأول من عمره، وبدأت مرجعيته بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي سنة ١٣٣٨هـ، حينما أصبح عمره ٥٤ سنة، أي بعد ٤٤ سنة من الاستغراق في الدراسة

العلمية، لكنه لم يصبح مرجعًا أعلى إلا سنة ١٣٥٥هـ بعد وفاة الميرزا حسين النائيني وقد ناهز عمره السبعين عامًا.

السيد محسن الحكيم (١٣٠٦هـ ١٣٩٠هـ) بدأ دراسته وهو في السابعة من عمره وظهرت مرجعيته بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني سنة ١٣٦٥هـ وعمره ٥٩ سنة، وقد مضى عليه في الدراسة العلمية ٥٢ سنة وأصبح مرجعًا أعلى سنة ١٣٨٠هـ وقد وصل عمره إلى ٧٤ عامًا.

السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧هـ-١٤١٣هـ) بدأ دراسته في الثالثة عشر من عمره، وأصبح مرجعًا بارزًا سنة ١٣٩٠هـ، بعد ستين سنة من الدراسة والتدريس والاجتهاد.

ولا تكاد تجد في حياة أحد من المراجع أنه وصل إلى سدة المرجعية قبل أقل من أربعة عقود ٤٠ سنة استغرقها في الدراسة والبحث العلمي.

ولا ينقطع بعد تصديه للمرجعية عن مواصلة التدريس والبحث بل يبقى ذلك جزءًا أساسًا من برامجه في الغالب.

وعادة ما تكون تلك السنوات والأوقات مستغرقة مستهلكة في الاهتمام العلمي، حيث لا يزاحمها أي اهتمام آخر، حتى أن أكثرهم ينقطع خلالها حتى عن التواصل مع أسرته وبلده فهو يأتي إلى الحوزة العلمية في النجف أو كربلاء أو قم، ويبقى فيها، دون أن يفكر في العودة إلى بلاده أو زيارة أهله.. كما أن بساطة الحياة، ومنهج الزهد والتقشف، يوفّر عليه الوقت فلا يصرف منه على تسيير شؤون حياته وعائلته إلا القليل الضئيل.

ولا يكفي في الفقه الشيعي نيل مرتبة الاجتهاد والتمكن من الاستنباط للوصول إلى موقع المرجعية الدينية، بل يرى أكثر فقهائهم وجوب تقليد الأعلم، أي الأكفأ والأقدر علميًا.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار استقلالية الحوزة العلمية، وضعف المؤثرات الخارجية في أوساط علمائها وطلابها، حيث يتعاملون مع المسألة تعاملًا شرعيًا دينيًا فلا يمنحون

ثقتهم في التقليد والشهادة بالأعلمية إلا لمن أثبت ذلك عبر التدريس والبحث والمناقشة فينتج من ذلك أن لا يصل إلى موقع المرجعية إلا من امتلك مستوى رفيعًا من الكفاءة والعمق العلمي.

أما الميزة الثانية فتتشكل من خلال كون المرجع منحدرًا من أسرة علمية صالحة، وهذا وإن لم يكن شرطًا من شروط المرجعية والتقليد، لكنه حاصل في الأعم الأغلب، فنادرًا ما تجد مرجعًا لا ينتسب إلى سلسلة من الآباء والأجداد العلماء الفضلاء. مما يعني نشأته في أجواء العلم والصلاح، وتأثره الوراثي والتربوي بتلك النشأة.

كما أن طبيعة الحياة ضمن الحوزة العلمية تكرّس في وعي المنتمي إليها ولا وعيه، أخلاقيات النـزاهة ومبادئ الاستقامة، وخاصة من يتقدم في سيره العلمي، ويقترب من حياة العلماء الكبار والمراجع الأفذاذ، حيث يلحظ سلوكهم الملتزم، ويسمع منهم توجيهاتهم وانطباعاتهم عن أسلافهم الصالحين.

بالطبع لا يعني ذلك منح صك النـزاهة والعدالة لكل من في الحوزة العلمية، فإمكانية الفساد والانحراف، وتغلغل العناصر السيئة، ونمو الحالات السلبية أمر وارد وملحوظ.

لكن الحديث هو عن قمة الهرم الحوزوي، طبقة الفقهاء المراجع، والذين يشهد تاريخهم بأنهم كانوا على درجة عالية من الطهر والنـزاهة، فكم حاولت حكومات وسلطات أن تستدرج بعض المراجع إلى جانبها بالترغيب أو الترهيب، فباءت أغلب محاولاتهم بالفشل والخيبة.. وكم سعت بعض مراكز القوى الاقتصادية والاجتماعية إلى استمالة بعض المراجـع لخدمة مصالحهم فاصطدم سعيهم بالرفض والنفور.

ومع ما يتمتع به المراجع من نفوذ ويكون تحت تصرفهم من ثروات من الحقوق الشرعية، إلا أن السيرة العامة لهم تتصف بالزهد والقناعة والعزوف عن مباهج الحياة وترفها وكمالياتها.

وإذا كانت هاتان الميزتان تشكلان سمة غالبة لمراجع الشيعة، فإن المراجع يتفاوتون في قدراتهم القيادية، ومستويات تصديهم لقضايا الأمة وشؤونها، وهذا التفاوت ناشئ من اختلاف التوجهات الفكرية، وتحديد الوظيفة والتكليف في عصر غيبة الإمام المعصوم، ومن اختلاف الرأي والنظر في تقويم وتشخيص الواقع الخارجي، وكذلك من تفاوت المواهب والقدرات الذاتية.

فالكثير من المراجع يقتصرون على العطاء العلمي في مجالي الفقه والأصول، وتنقيح وبلورة النظريات العلمية الفقهية والأصولية، وإصدار الفتاوى الشرعية للمقلدين، وما يتصل بذلك من المهام في إطار الحوزة والنشاط العلمي والإفتائي.

ويتحلى بعض المراجع بقدرات إدارية جيدة تمكنهم من استيعاب أوضاع الحوزة العلمية وتطويرها في بعض الأحيان، وتقوّي ارتباطهم بجماهير الأمة وفاعلياتها، وتسمح لهم بصنع علاقة مناسبة مع القوى المحيطة من حكومات وطوائف أخرى.

وهناك مراجع يمتازون بأن لديهم مشروعًا وبرنامجًا لإصلاح واقع الأمة، والنهوض بها من حالة التخلف، لتضع أقدامها على طريق الحضارة والتقدم.

وبحمد اللّه فإن عصرنا الحاضر قد حظي ببروز عدة مراجع من هذا النمط الأخير، ممن يحملون همّ التفكير في تغيير واقع الأمة، ويكرسون حياتهم وموقعهم المرجعي لخدمة مشروع النهوض والإصلاح.

والإمام السيد محمد الشيرازي يأتي في طليعة هؤلاء المراجع الإصلاحيين إلى جانب الإمام الخميني والإمام السيد محمد باقر الصدر.

فإضافة إلى غزارة علمه، وسعة معارفه، وإضافة إلى زهده وتقواه، فهو مسكون بهم إنقاذ الأمة، عميق التحليل والملاحظة لأسباب تخلفها وانحطاطها، دائم التفكير في برامج ومناهج الخلاص والإنقاذ.

واهتمامه بـ(الكتاب) تأليفًا وطباعة ونشرًا، هذا الاهتمام الكبير الذي يتحدث

عنه هذا الكتاب الماثل بين يدي القارئ، إنما هو حلقة من منظومة فكرية، ومفردة من مشروع حضاري، كرّس الإمام الشيرازي حياته وجهوده في بلورته وخدمته.

وقد تعرفت على الإمام الشيرازي منذ ثلاثين عامًا تقريبًا، وعايشته بعض الفترات فما جالسته مرة، إلا وكان يتحدث بجدّية وحماس عن مأساة تخلف هذه الأمة، وضرورة التحرك السريع والعمل الدائم من أجل إنهاضها وإنقاذها. بل وحتى خلال المحادثات الهاتفية طالما أصغيت إلى توجيهاته ووصاياه في التذكير بالمسؤولية تجاه قضايا الإسلام والمسلمين.

والإمام الشيرازي حينما يكتب لا يستهدف عرض عضلاته العلمية، ولا الاستغراق في طرح النظريات المعرفية ومناقشتها، وإنما ليسهم بكتابته في توعية جماهير الأمة، وبلورة مشروع الإصلاح والتغيير، لذلك جاءت أغلب كتاباته لتصب في هذا الاتجاه، وحتى حينما يكتب أبحاثًا في الفلسفة أو الأصول أو الفقه، فإنه يتحين الفرصة أثناء الموضوع لطرح هموم الأمة، وقضايا الرسالة. وفي توجيهه للكتابة والتأليف يدعو المفكرين والكتاب إلى التركيز على معالجة مشاكل الواقع المعاش للأمة، وجذور التخلف والانحطاط الذي تعانيه، ومن ثم تناول أساليب العلاج وطرق الخلاص.

وكما أشرت سابقًا فإن هذا الجانب يعتبر مفردة من مشروع إصلاحي متكامل يتبناه الإمام الشيرازي لإنقاذ الأمة، وإلى جانبه مفردات أخرى لا تقل عنه أهمية وخطورة، كمسألة التأسيس والمؤسسات حيث يدعو سماحته إلى المأسسة في مختلف المجالات، فكل شأن من الشؤون يجب أن تتشكل له مؤسسات ترعاه، وتجمع الطاقات والجهود التي تخدمه، وتحتل هذه المسألة حيزًا واسعًا من تفكير سماحته وكتاباته وتوجيهاته، كما أنه ومن خلال نشاطه العملي يقدم نموذجًا رائعًا في إنشاء المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فقد تصدى بشكل مباشر لإشادة الكثير من المؤسسات في العراق والكويت وإيران، كما رعى وبارك إنشاء المئات من المؤسسات المختلفة في بقاع شتى من العالم.

وأرجو أن يوفق اللَّه تعالى أحد الباحثين لتناول موضوع المأسسة والتأسيس في فكر الإمام الشيرازي، ومسيرته الإصلاحية، كما بادر الأخ العزيز الشاب الطموح الأستاذ حسن حمادة لبحث موضوع الكتاب في فكر الإمام الشيرازي. وهي مبادرة طيبة ومتوقعة من الأخ الكريم، لما يتحلى به من نباهة واهتمام ثقافي، ولما ينطوي عليه من تطلع واندفاع نحو بث الوعي وتفعيل الحركة الفكرية الهادفة في المجتمع. أخذ اللَّه بيده إلى المزيد من التوفيق والعطاء في خدمة الدين والمجتمع، ووفق اللَّه سائر شبابنا الأعزاء للاقتداء به في اهتماماته وإنجازاته الثقافية، وحفظ اللَّه الإمام الشيرازي علمًا هاديًا ومرجعًا مصلحًا وذخرًا للإسلام والمسلمين، وحفظ كل مراجعنا المصلحين وعلمائنا العاملين.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

سياحة في الدعاء والمناجاة

بتاريخ: ٣/ ٩/ ١٤٢١هـ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

يجد الإنسان نفسه ضعيفًا أمام هذا الكون الهائل العملاق، بأجرامه الضخمة، وموجوداته الكبيرة، وخاصة حينما تعصف به بعض الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والإعصارات وما أشبه.

كما يشعر بالقلق والاضطراب تجاه مشاكل الحياة المختلفة، التي تحاصره من كل جهة وجانب، من مرض وفاقة، وشدائد وصعوبات.

وطبيعة حياته الاجتماعية تنتج له تحديات وأزمات، فهو لا يستغني عن محيطه، لكنه قد يعاني من الانسجام معه، حيث تتصادم المصالح، وتختلف التوجهات، وتحدث حالات النزاع والخصام.

وهو في داخل نفسه يعيش معركة حامية الوطيس، بين عقله وأهوائه، بين ميول الخير ونوازع الشر، وبين شهواته المتعددة المختلفة.

وإذا كان من أهل الإيمان باللَّه والدار الآخرة فإنه معني بالتفكير في مستقبله الأخروي، ومصيره بعد هذه الحياة، وكيف ينقذ نفسه من غضب اللَّه تعالى ونار جهنم الحامية؟ وكيف يتجنب المعاصي والذنوب، ويتلافى الإسراف والتقصير تجاه ربه الخالق؟

هكذا يجد الإنسان نفسه أمام هذه التحديات العظيمة الخطيرة، التي تواجهه منذ اللحظات الأولى لوعيه وإدراكه، ويرى نفسه عاجزًا ضعيفًا، لا يستطيع بقدراته الذاتية، مقاومتها وتجاوزها، كما لا يستطيع الآخرون وهم بشر ضعفاء مثله أن يمنحوه الأمن والنجاة، والإنقاذ والخلاص.

والملجأ الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يلوذ به، وأن يعتمد عليه، ويطمئن إليه هو خالقه ورازقه، ومن بيده أمره وناصيته، هو اللَّه سبحانه وتعالى، وهو نعم الملجأ والملاذ، لأنه الرحمن الرحيم، ولأنه المهيمن القادر.

لذلك من الطبيعي أن تدفع الإنسان فطرته، ويوجهه ضميره، للاستغاثة بربه، ولطلب عونه وحمايته.

وكلما كان وعي الإنسان بالتحديات والمخاطر التي تحيط به أعمق، وكانت معرفته بعظمة ربه ورحمته أكبر، أصبح أكثر التجاءً إلى ربه، وأشد إلحاحًا في استمداد العون والدعم من فيض كرمه وفضله.

والأنبياء والأئمة والأولياء، هم طليعة البشر، والخيرة والنخبة، في وعيهم ومعرفتهم

بالخالق جل وعلا، من هنا كانوا الأكثر اتصالًا باللَّه تعالى، وتضرعًا إليه، ودعاءً له.

وقد انعكس عمق وعيهم، وصدق معرفتهم، على مضامين ومحتويات أدعيتهم ومخاطباتهم للَّه سبحانه وتعالى، وهذا ما يتجلى لكل باحث متأمل في الأدعية والمناجاة الواردة عن الأنبياء والأئمة عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

إنها تسلط الأضواء على زوايا وخبايا نقاط ضعف الإنسان، وتصور معاناته وحاجاته في أبعادها المختلفة بشكل واضح صريح، كما تذكر الإنسان بحقائق العظمة الربانية، وفيوضات الرحمة الإلهية، وترسم أروع الصور والأشكال لنعم اللَّه المتدفقة على الإنسان، مما يشيع في النفس أملًا وثقة واطمئنانًا.

وهي بعد ذلك كنوز لمعارف الشريعة، ومفاهيم الدين، تستعرض حقائق العقيدة، ومناهج الرسالة، وبرامج الأخلاق، بلغة وجدانية شفافة، وأسلوب شيق جذاب.

ومن توفيق اللَّه تعالى للأخ الكريم الأستاذ حسن علي أبو حسين أن اختار الكتابة في هذا المجال العرفاني الهام، فقام بجولة سياحية روحية، في ربوع بعض الأدعية والمناجاة، التي سجلها القرآن الكريم عن لسان أنبياء اللَّه وأوليائه، أو نقلها الرواة عن أهل بيت الوحي والعصمة صلوات اللَّه عليهم، وذلك لإلفات الأنظار إلى هذه الكنوز الثرية، والمنابع العذبة، وتبيين بعض مقاصد هذه الأدعية الشريفة، وتبيين شيء من معاني ألفاظها وعباراتها الجلية.

بارك اللَّه للأخ الكريم في جهده الطيب، وشكر له سعيه، ونفع المؤمنين بكتابه، ووفقه للمزيد من العطاء والإنتاج في خدمة الدين والمجتمع إنه ولي التوفيق والحمد للَّه رب العالمين.

تقرير مؤسسة الأعمال الخيرية بحلة محيش

بتاريخ: ٢٣/ ١٢/ ١٤٢١هـ

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

هنالك أكثر من منطلق ودافع يدفع المواطن الواعي للتصدي لخدمة مجتمعه والارتقاء بالوضع العام فيه نحو الأفضل.

الدافع الأول: هو تفعيل المشاعر الإنسانية النبيلة التي يحتضنها الإنسان بفطرته، هذه المشاعر التي قد تنمو وتتطور إذا ما وجدت لها برنامجًا عمليًا وساحة فعالة تتجسد فيها، أو قد تضمر وتكبت إذا ما طغت عليها أمواج الذات والأنا، من هنا تجد المشاعر الطيبة عادة ما تكون ظاهرة على أصحاب النشاط والخدمة الاجتماعية، كيقظة الضمير، والإحساس بالآخرين، واستشعار المسؤولية عن الغير. والوصول إلى هذا المستوى الإنساني أمر يهتم لأجله الواعون، حيث يحققون لأنفسهم من خلال ذلك السعادة والرضا واللذة الروحية الفريدة.

الدافع الثاني: تنمية الكفاءات والقدرات الذاتية عند الفرد حيث يصبح تراكم الخبرة والتجربة عنده أكثر من الآخرين، كما تصبح معرفته التفصيلية بالشأن الاجتماعي أدق وأعمق.. فضلًا عن ما يوفره له موقع الخدمة هذا من قدرة على بناء علاقات وارتباطات وثيقة مع أبناء المجتمع، أما الذين ينطوون على أنفسهم فإن كفاءاتهم وقدراتهم تضمحل أو تتلاشى وتنشأ هوة كبيرة بين تفكيرهم وتوجهاتهم وبين توجهات الناس وقناعاتهم.

الدافع الثالث: إن الإسهام في تقدم المجتمع ينعكس إيجابًا على تقدم الفرد نفسه، فهو جزء من المجتمع، والمجتمع إنما يتكون من أفراد، وحل مشاكل المجتمع العامة يعني إعطاء الفرد فيه فرصة أكبر للتقدم، إضافة إلى التأثير المتبادل عادة بين الفرد والمجتمع حيث يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به.

الدافع الرابع:هو الشعور بالمسؤولية الدينية نحو الواقع والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان. فإذا كان الإنسان مسؤولًا في نظر الدين (حتى عن البقاع والبهائم) أفلا يكون مسؤولًا عن الناس من حوله؟ وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» ولولا الاندفاع استشعارًا لهذه المسؤولية لما كان يمكن تسمية الفرد المتدين بأنه صادق في عقائده وتدينه، من هنا فإن القرآن الكريم يسمي العطاء الذي يساهم به الإنسان في حل مشاكل الآخرين يسميه بـ(الصدقة) لأنه يكشف عن صدق وتصديق المعطي بالشعارات والمبادئ التي يؤمن بها.

وضمن هذا السياق يعتبر القرآن الكريم من لا يهتم بأمور الضعفاء والمحتاجين كاذبًا في تدينه وإن ادعاه أو تظاهر به يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

الدافع الخامس: تلك الظروف الصعبة التي قد يعيشها المجتمع. فالمشاكل كثيرة، والتحديات خطيرة، والحاجات لا تكاد تنتهي، والظرف الاقتصادي ضاغط، وللتقدم التكنولوجي ضحايا بشرية وانعكاسات أخلاقية وسلوكية، وللكوارث والابتلاءات الطبيعية أضرار ومخلفات، فأيتام هنا ومحتاجون هناك ولا بد من وجود جهات تتصدى وتأخذ على عاتقها المشاركة في رفع هذه المعاناة وإزالة هذه الصعوبات والتحديات بالقدر الممكن والمناسب.

وقيام مؤسسة الأعمال الخيرية في الحلة للمساهمة في هذا المجال والاضطلاع بهذه المهمة وهذا الدور أمر يستحق الثناء والشكر والتقدير من كل مواطن غيور وواع، ولا شك أن ذلك يكشف عن عمق النوازع والسجايا الخيرة، ويكشف عن أصالة الدوافع الكريمة والنبيلة في نفوس أعضاء ومسؤولي هذه المؤسسة الخيرية الناجحة.

وهؤلاء الشباب العاملون في المؤسسة كان من الممكن أن يكرسوا أوقاتهم لمصلحة ذواتهم الشخصية أو أن يكونوا من أولئك الشباب اللاهين وغير المبالين

بقضايا مجتمعهم، ولكنهم اختاروا أن يقوموا بهذا الدور الرائد وهذا العمل البناء، رغم أن كل واحد منهم له وضعه الخاص به الذي كان من الممكن أن يتعذر به فكل منهم له طموح شخصي على الصعيد العلمي أو المادي وكل منهم له أسرة وعائلة وارتباطات مختلفة إلا أنهم آثروا الاهتمام بهذه المؤسسة وتطويرها طيلة هذه السنوات، وكما تشير تقاريرها فإنها قد حققت خلال هذه الفترة إنجازات طيبة وكبيرة، نأمل أن تتواصل في المستقبل إن شاء اللّه.

إنني أدعو الأخوة الأعزاء في مؤسسة الأعمال الخيرية إلى مضاعفة الجهد وتكثيف النشاط من أجل تطوير عملهم وأن لا يبقى ضمن مستوى محدود، وأن يسعوا لتوسيع رقعة التفاعل مع محيطهم الاجتماعي باستقطاب المزيد من العناصر والأعضاء الجدد للمؤسسة.

كما أرجو من أبناء مجتمعنا الكريم في الحلة أن يمدوا يد العون والتعاون لهذه الفتية الطيبة، وأن يقابلوهم بتجاوب وتشجيع واحترام يدفعهم إلى المزيد من العطاء ويرفدهم بالكثير من التفاعل ففي ذلك خدمة للمصلحة العامة وتعاون على البر والتقوى وتحقيق لرضا الرب سبحانه.

وفق اللّه الجميع للخير والصلاح وجزى اللّه العاملين خير جزاء المحسنين.

من فيض الولاء

بتاريخ: ٢/ ٩/ ١٤٢٢هـ

من طبيعة النفس البشرية السويّة أنها تحب الخير والجمال، وتعشق الفضيلة والكمال، فإذا ما جسّد شخص من الناس، شيئًا من مبادئ الخير والقيم السامية، فإنه بنفس الدرجة يتبوأ مكانة من الحب والتقدير في النفوس، وتنجذب نحوه القلوب.

ولعل ذلك هو ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ فالإيمان والعمل الصالح، يعني التحلي بمكارم الأخلاق، وجميل الصفات، وذلك يزرع لهم المحبة والودّ، والإجلال والإكبار في نفوس الأسوياء. ولم يحفل التاريخ البشري بسيرة أقدس وأطهر من حياة نبي الإسلام محمد ﷺ، وعترته الطاهرة عليهم السلام فقد جسدوا قيم الخير والفضيلة بأرفع درجاتها، وتكاملت في شخصياتهم مكارم الأخلاق بأجلى معانيها، حيث توفّروا على أرقى مستوى من العلم والمعرفة، وكانوا المثل الأعلى في الأخلاق، والتزام تقوى اللّه عز وجل. لذلك من الطبيعي أن تهوي إليهم الأفئدة، وتهيم بحبهم القلوب، وتعشق سيرتهم النفوس.

ومن توفيق اللّه تعالى للمجتمعات الموالية لأهل البيت عليهم السلام، أن تأصلت وتجذرت في أوساطهم تقاليد وشعائر لتخليد ذكر أهل البيت عليهم السلام، واستعادة قراءة سيرهم العطرة، وإحياء أمرهم، بالحديث عن فضائلهم العظيمة، ومواقفهم النبيلة، وتعاليمهم النافعة.

وذلك استجابة لتوجيهات أئمة الهدى عليهم السلام، الذين أمروا شيعتهم وأتباعهم بإحياء أمرهم، وشجعوهم على التفاعل مع ذكرياتهم السارّة والمحزنة، كما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (فأحيوا أمرنا، فرحم اللّه من أحيا أمرنا). وروي عن الإمام علي الرضا عليه السلام أنه قال: (إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا).

إن ناشئة وأبناء الموالين لأهل البيت عليهم السلام، يتفتق وعيهم وهم في أحضان آبائهم وأمهاتهم، على ذكر أهل البيت عليهم السلام، وتمتلئ أسماعهم وأبصارهم بأخبار سيرتهم العطرة، وتنطبع في أعماق نفوسهم ومشاعرهم صور التقديس والتعظيم لأولئك الأئمة الهداة.

وموسم عاشوراء، ومناسبات ذكريات مواليد الأئمة ووفياتهم، خير شاهد على برامج تكريس الولاء والارتباط بأهل البيت عليهم السلام في أوساط المجتمعات الشيعية.

هذه البرامج الولائية المتجذرة والمتطورة عبر مسيرة زمنية طويلة، بدأت من عصور

الأئمة ﷺ أواخر القرن الأول للهجرة، أنتجت ثقافة واسعة، متعددة الألوان والأشكال، من الشعر والنثر، تُعنى بتاريخ أهل البيت ﷺ، والإشادة بمواقفهم، والتفجّع لمآسيهم ومصائبهم.

ويأتي الشعر في طليعة ذلك الإنتاج الثقافي الولائي، حيث تراكمت ثروة كبيرة من الأدب، انصبّ قسط وافر منها على التذكير بالمصائب والآلام التي حلّت بالعترة الطاهرة، من قبل أعدائهم الظالمين، والغاصبين لحقهم. وهي تستهدف إذكاء مشاعر التعاطف مع أهل البيت كأصحاب حق مظلومين، وترسيخ التباعد والنفور من الظلمة المعتدين، كما أنها تبرز صور البطولة والثبات على المبدأ في حياة أهل البيت ﷺ، رغم ما وقع عليهم وأصابهم من فجائع ونكبات.

بدأ هذا الأدب الولائي باللغة العربية الفصحى، في أرقى مستوياتها البلاغية، متمثلًا في شعر الكميت والسيد إسماعيل الحميري ودعبل الخزاعي وغيرهم، واستمر مع أجيال الأدب الصاعدة، في مستوياتهم المتفاوتة والمختلفة. ولما انتشرت اللغة العامية في أوساط المجتمعات العربية، على تنوع لهجاتها، أصبحت هناك طبقة من الشعراء الولائيين الذين ينظمون الشعر باللغة الدارجة في مجتمعاتهم، باعتبارها أقرب إلى فهم الجمهور، وأقدر على تحريك عواطفه ومشاعره.

بالطبع يتفاوت مستوى هذا الشعر الولائي بقسميه الفصيح والدارج، من حيث قيمته الأدبية، ورصانة محتواه، فبعضه لا يخلو من الضعف والركاكة في الأسلوب، ومن الغلو والمبالغة في تصوير بعض المواقف والأحداث، انطلاقًا من طبيعة الشعر الخيالية، واستجابة لما يتداول في أوساط الجمهور الشعبي، من حكايات وأحاديث لا يستند بعضها إلى تدقيق وتحقيق.

وهذا الديوان الذي بين يدي القارئ الكريم، (من فيض الولاء) هو نموذج وعيّنة من أدب الولاء لأهل البيت ﷺ، حيث ترسم قصائده، وأغلبها باللغة العامية الدارجة،

صورًا عميقة التأثير في المشاعر والعواطف، حول مصائب أهل البيت وآلامهم، كما تسجل أروع المشاهد من بطولاتهم ومواقفهم الرسالية الصامدة.

شخصية الناظم:

ناظم قصائد هذا الديوان هو والدي الكريم الحاج موسى بن الشيخ رضي بن علي بن محمد بن حسن بن فردان الصفار الهمداني، انتسابًا إلى قبيلة همدان اليمنية المعروفة.

ولادته:

ولد حفظه اللّه بتاريخ ٢٠/ ٧/ ١٣٤٥هـ حسب ضبطه شخصيًا عن والديه، لكن تاريخ ولادته في الوثائق الرسمية هو سنة ١٣٤١هـ وهو خطأ بسبب التساهل في التعاطي مع الوثائق الرسمية عند بداية تكوّن أجهزتها في البلاد، وفي بعض الأحيان كان يستفاد من زيادة العمر في الوثائق، لتسهيل إجراءات فرص التوظيف، التي تستلزم سنًا معينًا.

وكانت ولادته في موطن عائلته (تاروت) وهو الولد الثالث لأبويه بعد أخيه الشيخ عبد الحميد (١٣٢٥ ١٤/ ٨/ ١٣٩٨هـ) وأخته فاطمة توفيت سنة ١٣٩٨هـ رحمهما اللّه. وهناك أخ رابع اسمه (عيسى) لم يمهله الأجل، حيث مات بتاريخ ٨/ ١٠/ ١٣٥٤هـ وله من العمر خمس سنوات.

والدته:

الحاجة زهراء بنت الحاج أحمد بن قاسم الحجاج، توفيت بتاريخ ٤/ ١/ ١٤٠٠هـ، وكان والدها الحاج أحمد من كبار نواخذة الغوص في المنطقة، وله مكانة مرموقة في مجتمعه.

والده:

الشيخ رضي بن علي بن محمد بن حسن بن فردان الصفار (١٢٩٥هـ ١٣٧٤هـ).

تلقى علومه في النجف الأشرف العراق، حيث هاجر إليها سنة ١٣١٧هـ وحضر البحث الخارج في الفقه والأصول على كبار الفقهاء المراجع منهم:

- الإمام الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني (توفي ١٣٢٩هـ).
- الإمام السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي (توفي ١٣٣٧هـ).
- الإمام الشيخ فتح اللَّه المشتهر بشيخ الشريعة (توفي ١٣٣٩هـ).
- الإمام الشيخ الملا هادي الطهراني.
- الإمام الشيخ أحمد كاشف الغطاء (توفي ١٣٤٤هـ).

وكانت علاقته وثيقة بالإمام السيد محمد كاظم اليزدي (كان من أخص الناس بهذا الزعيم بل كان له كيده ولسانه) حسب تعبير الشيخ فرج العمران.

وبعده توثقت علاقته بالإمام الشيخ أحمد كاشف الغطاء فكان (تلميذه الخاص ووكيله العام).

عاد من العراق بعد إنهاء دراسته العلمية سنة ١٣٣٥هـ مزودًا بشهادات وإجازات من كبار العلماء من أساتذته تشيد بمكانته العلمية وتدعو الناس للالتفاف حوله والاستفادة منه، فقد جاء في شهادة الإمام السيد محمد كاظم اليزدي: (وهذا عمدة العلماء وزبدة الفضلاء وصفوة الأتقياء البر التقي الشيخ رضي بن الحاج علي آل فردان الصفار رضي اللَّه عنه وأرضاه، وأسعده بتقواه، قد هاجر إلى النجف الأشرف برهة من الزمن ولم يزل طول إقامته في ذلك المكان الشريف مواظبًا على تحصيل العلوم الشرعية الشريفة، مع هدى وصلاح، وتقوى ونجاح، حتى بلغ وللَّه الحمد المراتب العالية، والمنازل السامية، ونال ما فيه بلاغ لطالب، وكفاية لراغب، فعلى إخواننا المؤمنين وفقهم اللَّه تعالى لمرضاته الاقتباس من أنواره، والاقتداء بآثاره، والملازمة له في تعلم الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام، وأخذ المسائل الشرعية منه).

وجاء في شهادة الإمام الشيخ أحمد كاشف الغطاء: (وقد صرف شطرًا وافرًا من عمره الشريف في تحصيل العلوم الدينية وتحقيق الأحكام الشرعية، فكرع من نمير حياضها، واقتطف من أزهار رياضها، ما يروي الغلة، ويشفي العلة، وينقع الصدى، ويقمع العدى، ويثلج الصدر، ويحصل به زاد الطالب، ومناخ الراكب، وبغية السائل، وري الناهل، وفيه لمن اختبره شواهد واضحة، وأنوار لائحة، ومخائل صادقة، وأعلام ظاهرة، فعلى إخواننا المؤمنين أيدهم اللّٰه تعالى بروح منه الاستضاءة بأنواره والاقتفاء بآثاره).

في وطنه كان يمارس دور الإرشاد الديني متنقلًا بين بلدته تاروت ومدينة القطيف ومدينة صفوى.

(ولم يزل طيلة حياته في أي بلاد سكن، وفي أي محل قطن، يقيم الصلاة جماعة، ويبث المسائل الشرعية الفقهية، والمواعظ الإرشادية، مؤديًا رسالته العملية على أحسن وجه وقلَّما حضر مجلسًا لم يروج فيه المسائل الدينية، وكان كثيرًا ما يفتتح إرشاده ووعظه بقوله: أيها الناس اسمعوا وعوا).

- له بعض الحواشي على جملة من الكتب المنطقية والفقهية والأصولية والكلامية والحكمية وبعض الحواشي والشروح والتحقيقات على جملة من الرسائل والتأليفات المدونة في بعض الفنون كعلم الأوقاف والحساب والكيمياء وغير ذلك.
- توفي صبيحة يوم الأحد ٤/ ٢/ ١٣٧٤هـ في طريقه من إيران إلى العراق في منطقة كرمانشاه ودفن في الكاظمية ببغداد بجوار الإمامين موسى بن جعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام.
- درس على يديه عدد من العلماء الفضلاء منهم:

١. الشيخ علي بن يحي المحسن (١٣٢٦هـ ١٤٠١هـ).

٢. الشيخ منصور بن علي آل غنام (١٣١٣هـ ١٣٧٢هـ).
٣. الشيخ علي بن إبراهيم الفليتي التاروتي (١٣١٥هـ ١٣٧٧هـ).

تعليمه:

تعلّم القرآن الكريم عند المعلمة بنت سلمان بن مفتاح زوجة ابن عمه الحاج عبداللّٰه بن علي الصفار. وتعلّم الحساب عند ابن عمه الحاج محمد صالح الصفار. وتعلّم القراءة والكتابة ومبادئ العربية والفقه على يد الشيخ علي ابن يحيى المحسن. وتعلّم الخطابة الحسينية على يد خاله الملا عبداللّٰه بن أحمد الحجاج، والملا علي بن حسن الطويل، والملا مكي بن قاسم الجارودي، والملا باقر المدن. ومارس الخطابة مساعدًا لمعلميه المذكورين، لكن ظروف الحياة صرفته إلى العمل الوظيفي.

وحينما افتتحت مدرسة للتعليم الابتدائي المسائي في القطيف على يد مدرسين متطوعين، انظم إليها، ولمعرفته الجيدة بالقراءة والكتابة والحساب، ألحق بالصف الثالث، وبعد فترة وجيزة نقل إلى الصف الخامس.

عمله ومهنته:

بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها أسرته، دخل ساحة العمل والكسب في وقت مبكر من حياته، حيث اشتغل بالبيع والشراء وعمره أربعة عشر سنة، في بلده تاروت، وبينها وبين القطيف، مع صعوبة توفّر وسائل المواصلات آنذاك، لعدم وجود طريق بري بين القطيف وجزيرة تاروت المحاطة بالبحر، فكانت الدوابّ هي وسيلة المواصلات، حينما ينحسر الماء، وهي غير متوفرة دائمًا وفي حالات كثيرة كان يضطر للسير على قدميه عبر المقطع الفاصل بين تاروت والقطيف، وهي رحلة شاقة محاطة بالأخطار، وخاصة في فصل الصيف اللاهب.

ثم انتقل إلى القطيف سنة ١٣٦٢هـ وتوظف كاتبًا عند الحاج عبد الجليل الزهيري، وشريكه الحاج حسن الشيخ علي الخنيزي، في متجرهما لبيع المواد الغذائية.

واشتغل بعد ذلك كاتبًا عند الحاج محمد صالح النهاش، في متجره لبيع الأقمشة، ثم عند الحاج مهدي الأسود وشركاه أبناء الحداد، في تجارتهم بالمواد الغذائية.

وبعد ردح من الزمن استقل بعمله وفتح له متجرًا لبيع الأقمشة في صفوى، واستمر فيه ثم انتقل بعدها إلى القطيف وأنشأ مؤسسة تجارية للخدمات العامة، وامتهن تخليص معاملات الجوازات والإقامات، لبعض المؤسسات والشركات. إلى أن تقاعد عن العمل سنة ١٤١٩هـ لتقدم سنه وإصابته ببعض أمراض القلب.

إلى جانب تلك المهن كان يقوم بكتابة الوصايا، وإجراء مراسيم عقود الزواج، وتقسيم تركات الإرث، وقراءة سير الأئمة في الحسينيات لمناسبات مواليدهم ووفياتهم، وإرشاد الحجيج في بعض السنوات ضمن حملات الحج.

هكذا عمل في مجالات مختلفة، واتخذ مهنًا متعددة، لكسب لقمة العيش الشريف، ورعاية أسرته وعائلته، وتحمّل في كدّه وكدحه الأتعاب والمشاق، كما هو شأن الكثيرين من أبناء جيله.

حالته الاجتماعية:

من حداثة سنّه تحمل مسؤولية إعالة والدته، لأن والده الشيخ رضي رحمه اللَّه كان يتنقل للإرشاد الديني في مناطق مختلفة، وكان وضعه المادي ضعيفًا، كما كانت له زوجة أخرى.

وإضافة إلى والدته فقد ترملّت أخته فاطمة بوفاة زوجها وانضمت إلى رعايته.

ولاستقراره في القطيف من أجل العمل والكسب، فقد تزوج فيها بتاريخ ٢٠ ذوالحجة ١٣٦٥هـ، واقترن بالوالدة الكريمة (زهراء بنت الملا محمد بن الشيخ عبد اللَّه بن الشيخ عبد العزيز بن الشيخ حسين آل سيف)، والتي رافقته في رحلة كدحه وعنائه، فاتخذت من بيتها متجرًا تبيع فيه للنساء الأقمشة، وبعض المواد الغذائية، والاحتياجات المنزلية إضافة

إلى تحملها أعباء المنزل، وتربية الأطفال. واستمرت على ذلك لفترة من الزمن. توفيت رحمها اللَّه في دمشق بتاريخ ١٩ رمضان ١٤١٤هـ ودفنت بمقبرة السيدة زينب ﷺ بعد صراع مع أمراض القلب لعدة سنوات. تغمدها اللَّه تعالى برحمته واسكنها فسيح جناته.

وقد رزقهما اللَّه تعالى ثلاثة أولاد ذكور، وابنتين:

١. عبد الكريم: ولد في ١١ رجب ١٣٦٨هـ.

٢. طيبة: ولدت في ٢ ذو الحجة ١٣٧٠هـ.

٣. حسن (كاتب هذه السطور): ولد ٢٢ ربيع الثاني ١٣٧٦هـ.

٤. ميمونة: ولدت في ١٠ صفر ١٣٧٨هـ.

٥. محمد: ولد في ١٦ ربيع الثاني ١٣٨٥هـ.

وبعد وفاة الوالدة (رحمها اللَّه) تزوج من امرأة مقاربة له في السن هي الحاجة زينب بنت حسن البابا في ٢٩ صفر ١٤٢٠هـ.

شعره وأدبه:

نشأ محبًا للعلم والأدب، بتربيته في أحضان والده الشيخ رضي، ثم بتتلمذه على بعض العلماء والخطباء الأفاضل.

وكانت صحبته لأهل العلم والأدب، وعلاقته المستمرة معهم، حافزًا على مواصلة اهتماماته المعرفية والأدبية، ومن طليعة أصدقائه الفضلاء: الشيخ علي الشيخ منصور المرهون، وأخوه الخطيب الملا سعيد المرهون، والشيخ سعيد أبو المكارم، والخطيب السيد هاشم السيد شرف الصفواني، والذي كان يجالسه يوميًا تقريبًا في دكانه بصفوى، فترة تجارته هناك، وبعد وفاته كان لولده الخطيب السيد عبداللَّه نفس البرنامج في المرور بدكان الوالد وقضاء فترة من الوقت معه لتبادل أطراف الأحاديث الدينية والأدبية، بشكل شبه يومي.

ومن اهتماماته الدائمة مطالعة الكتب، حيث يقتني كتب المعارف الدينية والأدبية، ويصرف قسطًا من وقته في قراءتها.

وقد بدأ مشواره الأدبي في نظم الشعر من أيام شبابه في تاروت، حيث كان ينشد اللطميات في مواكب العزاء، وحينما انتقل إلى القطيف، مارس نفس الدور مع مواكب العزاء، أيام عاشوراء، وخاصة في منطقة سكنه (الدبابية).

وبعد ذلك صار ينظم القصائد الملحمية ذات النفس الطويل، باللغة الدارجة، كقصيدته في بطولة علي الأكبر عليه السلام وشهادته، وبطولة القاسم بن الحسن عليه السلام وشهادته، وبطولة مسلم بن عقيل عليه السلام وشهادته، حتى توّجها بملحمته الحسينية الشاملة التي بلغت مئتين وتسعة أبيات.

ولازلت أتذكر أيام طفولتي وأنا في حوالي الرابعة والخامسة من عمري، حيث كان يدور بي على سطح منزلنا الذي انتقلنا إليه من (الدبابية) في منطقة (الدوبج) ليالي الصيف ليلقنني ويحفظني منظوماته في مراثي أهل البيت عليهم السلام.

وقد رسخت تلك القصائد في ذاكرتي من فترة الصغر، وحينما بدأت الخطابة الحسينية، كانت رصيدًا وزادًا لي عند ذكر المصيبة والعزاء، وكانت تلفت نظر المستمعين لطولها واستيعابها لتفاصيل وقائع السيرة، بحيث لا حاجة لسرد الأحداث نثريًا، ولأنها كانت مليئة بالصور الوجدانية والعاطفية المؤثرة، وكانت جديدة على الأسماع، تختلف عما يتداوله الخطباء من الفائزيات والنصاريات والجمرات.

وقد سألني العديد من الخطباء والأدباء، في المناطق المختلفة التي قرأت فيها، كالقطيف، والأحساء، والكويت، وخوزستان إيران، وسوريا، عن ناظم هذه الملاحم، وعن المصادر التي تحتويها، فأخبرهم أنها لوالدي الكريم، فيحثوني على طبعها ونشرها، وبعضهم طلب مني نسخة من بعض مقطوعاتها.

واقترحت على الوالد (حفظه الله) عدة مرات أن يجمعها ويهيئها للطبع، فكان

يعتذر عن ذلك، بعدم مناسبة الظروف، وباشتغاله، وعند إلحاحي عليه كان يقول إنها لا تستحق النشر، وذلك لتواضعه.

ولاستمرار مطالبتي له وافق أخيرًا على جمع ما لديه من القصائد والمنظومات، لإعدادها للطبع والنشر، مضيفًا إليها ما نظمه بالفصحى في بعض المناسبات الدينية والاجتماعية.

فتألف هذا الديوان (من فيض الولاء) والذي أقدمه بين يدي القراء الكرام، وخاصة إخواني الخطباء المهتمين بهذا اللون من الأدب الولائي، راجيًا أن يجدوا فيه ما يفيدهم لإحياء مناسبات ذكريات أهل البيت ﷺ.

اسأل اللّه تعالى لأبي طول العمر، وكمال الصحة والعافية، وأن يتقّبل اللّه منه هذا الجهد الولائي في خدمة العترة الطاهرة، وأن يجعله في ميزان أعماله وحسناته، وأن يحشره في زمرتهم، ويرزقه شفاعتهم.

كما أسأله تعالى أن يوفقني لبره وخدمته أداءً لحق أبوته كما رباني صغيرًا، وأن ينفعني ببركة دعواته الصادقة الحانية.

والحمد للّه رب العالمين.

الآجام بين الأمس واليوم

بتاريخ: ٥/ ٩/ ١٤٢٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين

شعرت بكثير من الغبطة والسرور وأنا أتصفح هذا الكتاب الجميل (الآجام بين

الأمس واليوم) وكان مبعث سروري وغبطتي أمران:

الأول: أن الكتاب يعتبر تأسيسًا لتاريخ جزء عزيز من بلادي، لم يسبق أن دوّن له تاريخ ولا كتب حوله بحث توثيقي، عدا بعض الإشارات والسطور المختصرة في كتابات شاملة عن المنطقة.

هذا الجزء العزيز وهو منطقة (الآجام) يستحق أن تخصص له أكثر من دراسة تتناول مختلف جوانب الحياة فيه، ومعالم الطبيعة في محيطه وسجّل الأحداث والتطورات في تاريخه، أسوة بالكتابات التوثيقية التي ظهرت عن سائر أجزاء هذا البلد الغالي.

لكن هذه المهمة بقيت شاغرة تنتظر رائدًا يقتحم آفاق البحث للقيام بها، وظلت أُمنية تراود النفوس والأذهان على أمل التحقيق والإنجاز، لذلك سررت بهذا الكتاب لما يشكله من استجابة لتلك المهمة، وتلبية لتلك الأمنية، أنه جهد تأسيسي لتاريخ منطقة مغمورة التاريخ، ومن الطبيعي أن تكون هناك نواقص وثغرات في أي محاولة جديدة، لا تتوفر لها المصادر والمراجع الكافية، لكن هذا الجهد يكتسب أهمية من رياديته في مجاله. على أمل أن يسعى الكاتب لمتابعة جهده وتطويره وأن يقتفي أثره آخرون.

أما المبعث الآخر لسروري بهذا الكتاب فهو تفاؤلي بمستقبل واعد لمؤلفه الكريم، فهو شاب أدرك أن عليه أن يستغل فترة شبابه في تقديم العطاء والخدمة لبلده ومجتمعه، وكم في بلادنا من شباب يختزنون الكثير من القدرات والطاقات، لكنهم لا يسعون لاكتشاف طاقات أنفسهم، ولا يجتهدون في تفعيلها وتنميتها، من أجل بناء مستقبلهم، ورفعة شأن وطنهم ومجتمعهم. إن مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والنشاط، وباستثمارها في الجد والاجتهاد يحقق الإنسان لنفسه التقدم، ويأخذ موقعه المناسب في الحياة.

وهي في نفس الوقت مرحلة تفجّر الأحاسيس والعواطف، وأوج ظهور الغرائز والشهوات، مما يجعل الكثيرين من أبناء هذه المرحلة يستغرقون في الاستجابة لعواطفهم والاسترسال مع غرائزهم وشهواتهم، فتضيع عليهم أفضل فترات حياتهم

ونشاطهم في اللهو واللعب، ثم يصبحون أفرادًا عاديين لا يمتلكون تميزًا، ولا ينالون مكاسب متقدمة. بل قد يصعب عليهم توفير أدنى متطلبات الحياة، وخاصة مع التعقيدات التي أصبحت تحيط بمجالات الدراسة والعمل.

إن آفاق التقدم مفتوحة أمام شبابنا الأعزاء، فبلدنا فيه خير كثير، وأبناؤنا يتمتعون بقدرات وكفاءات جيدة، لكن المطلوب هو الجد والاجتهاد، وتجاوز أهواء الميوعة والكسل، فالحياة ساحة كدح وعناء قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ﴾، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾

أرجو أن يكون المؤلف الكريم بهذا الجهد الذي يقدمه نموذجًا لشبابنا الأعزاء، في أن يوجهوا طاقاتهم ويستثمروا شبابهم في مجالات المعرفة والعلم؛ فيبرز منهم العالم والأديب والمؤرخ والباحث والكاتب، وتتبلور في أوساطهم مختلف القدرات والكفاءات العلمية والعملية.

لقد تصفحت هذا الكتاب الجميل، وأدركت مدى الجهد الذي بذله مؤلفه الكريم الأخ وجدي عبد العظيم آل مبارك، أسأل الله تعالى أن يثيبه على جهوده الطيبة، وأن يوفقه للمزيد من العطاء والإنتاج، وأن يكون هذا الكتاب باكورة لنشاط مستمر في الكتابة والتأليف، وأن يوفق الله سائر شبابنا الأعزاء ليحتذوا حذوه، ولينسجوا على منواله في تنمية وتطوير قدراتهم المعرفية والثقافية.

وفق الله الجميع للخير والصلاح والحمد لله رب العالمين.

من ألحان الزهور

بتاريخ: ١٠/ ٩/ ١٤٢٢هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

يتحفزّ الطفل منذ نهاية السنة الأولى من عمره إلى التعرف على العالم من حوله، وفي السنة الثانية يبدأ محاولة التخاطب مع المحيطين به، حيث تصل حصيلته اللغوية في سن السنتين إلى حوالي ٥٠ كلمة، وفي منتصف السنة الثالثة يتوفّر على ٤٠٠ كلمة، وعند إكمال الثالثة يصل رصيده من الكلمات إلى ١٠٠٠ كلمة، وتبدأ محاولاته لتركيب الكلمات، ويصبح كلامه مفهومًا بنسبة ٨٠٪ وفي الرابعة من عمره يتقن اللغة.

إنه يتأمل الوجوه والأشياء، وتستثير ذهنه الأحداث والوقائع التي تجري في محيط إدراكه، ويزداد اندفاعه الذاتي للتعرف على ما حوله، ولاستكشاف الأمور التي يلاحظها.

فينهال على والديه والقريبين منه بالأسئلة، عن كل شيء وأي شيء، وينجذب نحو من يحدثه ويتفاعل معه، مما يوفر أفضل فرصة لتربيته وتنمية مداركه وقدراته، فإذا نشأ في أحضان عائلة واعية، تدرك أهمية هذه الفترة في تأسيس شخصية الطفل وبناء كيانه النفسي والعقلي والسلوكي، فإنها ستحرص على استثمار هذه المرحلة، الاستفادة من حالة الفضولية وحب الاستطلاع عند الطفل، باتجاه تفجير مواهبه وطاقاته، وتنشيط مواهبه الذهنية، وتوجيه سلوكه وميوله النفسية، وغالبًا ما يترعرع الأطفال النوابغ والموهوبون في مثل هذه الأجواء التربوية المشجعة.

بينما يتضايق بعض الكبار من أسئلة أطفالهم، ويقمعون لديهم هذه الحالة الطبيعية، أو يستهينون بها، وقد يكون انشغال الوالدين سببًا رئيسًا في عدم التوجه لتنمية قدرات الطفل ومواهبه.

إن التخاطب مع الأطفال ومحادثتهم بالإضافة إلى دوره في تنمية كفاءاتهم فإنه يوفر لهم زخمًا معنويًا كبيرًا، فالطفل عندما تقبل عليه وتحادثه يشعر بالثقة والاعتزاز والاحترام، بينما تجاهلك له وإعراضك عنه، يمزّق مشاعره، ويجرح أحاسيسه.

من هنا يحتل أدب الأطفال مكانة هامة لدى المجتمعات المتحضرة، ويلفتنا القرآن الكريم إلى أهمية التخاطب مع الأبناء عبر نقله لحديث لقمان التربوي المفصّل الذي

وجهه لإبنه. كما تنقل لنا السيرة النبوية حرص الرسول ﷺ على السلام على الأطفال والتعاطي معهم بكل محبة واحترام، والتخاطب معهم حسب مستوى إدراكهم كما في وصيته ﷺ لابن عباس يوم كان غلامًا صغيرًا.

وفي عالم اليوم أصبح أدب الأطفال والثقافة الموجهة لهم مكتبة واسعة مترامية الأطراف، وبوسائل متعددة، وألوان مختلفة، من القصة والشعر، والرسوم المتحركة، والألعاب التعليمية، والأفلام، والمسارح.

وكل مجتمع يهتم بتنشئة أبنائه ضمن نظامه القيمي، وأخلاقه الاجتماعية، لا بد وأن يهيأ الوسائل والأساليب التربوية التي تجتذب الطفل، وتزرع في نفسه عادات الخير، وتوجهات الصلاح.

وقد سررت كثيرًا حينما قدّم لي الأخ الكريم الأستاذ عقيل المسكين، عمله الأدبي الجديد، الموجه للأطفال، تحت عنوان (من ألحان الزهور). ورأيت فيه استجابة لحاجة ملّحة نعيشها في مجتمعنا، وهي توفير وسائل التثقيف والتوجيه للجيل الناشئ، بأن نقدم لأطفالنا مفاهيم الدين، ومكارم الأخلاق، بلغة سهلة واضحة شيقة.

والأستاذ عقيل المسكين عرفته من حداثة سنه باهتمامه الثقافي، ونبوغه الأدبي، ونشاطه الاجتماعي، وخلقه القويم، وهو نموذج للمواطن الصالح المخلص لهموم مجتمعه ووطنه.

فحيّاه الله في نتاجه الجديد (من ألحان الزهور) والذي يمثل عملًا أدبيًا هادفًا ناجحًا، وأسأل الله له المزيد من التوفيق والعطاء في خدمة دينه وأمته، وأن يكون قدوة لأبناء جيله من الشباب الذي نعقد عليهم آمال التغيير والتطوير.

والحمد لله رب العالمين

معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف

بتاريخ: ٢٤/ ١١/ ١٤٢٢هـ

غالبًا ما ينحصر عطاء المرجعيات الدينية للمجتمعات الشيعية في بعدين رئيسين:

الأول: العطاء العلمي التخصصي في مجال الفقه وأصوله والعلوم الوثيقة الصلة بهما عبر التدريس، وكتابة البحوث، ورعاية الحوزة العلمية، لتربية طلاب العلوم الدينية الذين يفدون إلى الحوزة من مختلف المجتمعات الشيعية. مما يعني أن جميع العلماء في مناطق الشيعة إنما يتربون ويتأهلون علميًا برعاية المرجعية الدينية.

الثاني: تقديم الفتاوى الشرعية وما يحتاجه المكلفون من مسائل دينية في أحكام العبادات والمعاملات، حيث يحرر كل مرجع ديني آراءه وفتاواه ضمن كتاب يطلق عليه (رسالة عملية). وغالبًا ما تكون الفتاوى متقاربة بين المراجع، إلا في نسبة قليلة من المسائل، لذلك يكتفي العديد منهم، بالتعليق على فتاوى مرجع سابق، في موارد اختلافه معه، وتبني نفس رسالته العملية كما هو الحال بالنسبة لـ(العروة الوثقى) التي وضعها المرجع الديني السيد محمد كاظم اليزدي (١٢٤٧ ١٣٣٧هـ)، كرسالة عملية تشتمل على فتاواه لمقلديه، ثم تعاقب العلماء بتعليقاتهم عليها، وقبلها كانت رسالة (نجاة العباد) محل تعليقات المراجع، والتي أصبحت في عهد المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني، تحت عنوان (وسيلة النجاة) وتبناها بعده مراجع آخرون.

وفي الفترة الأخيرة تبنى العديد من المراجع الرسالة العملية المشتملة على فتاوى المرجع الديني السيد محسن الحكيم (١٣٠٦ ١٣٩٠هـ) (منهاج الصالحين) مع دمج التعليق بالمتن.

بهذين البعدين يتمثل عطاء أغلب المراجع الدينيين للمجتمعات الشيعية، لكن عددًا محدودًا من المراجع كان يجمع إلى هذين الأمرين ممارسة دور اجتماعي سياسي، أو

الاهتمام بالمجال الفكري الثقافي.

وعادة ما يحصل ذلك في مركز الثقل الشيعي كالعراق وإيران، أما الأطراف وبقية المناطق الشيعية، فهي وإن كان جمهورها مقلدًا للمرجعيات المركزية وخاصة في الفترات الأخيرة، بعد غياب المراجع المحليين، إلا أن دور المرجعية وتأثيرها في أوضاعهم السياسية والاجتماعية والثقافية محدود، وذلك لطبيعة الظروف السياسية، وعدم امتلاك المرجعية لمؤسسات وأجهزة إدارية.

نعم قد تكون هناك تأثيرات عامة غير مباشرة ناتجة عن تواصل هذه المرجعيات مع بعض الوكلاء، أو تفاعل نخبة من الجمهور مع آرائهم ومواقفهم.

لكن مرجعية الإمام السيد محمد الشيرازي تكاد تكون متميزة على هذا الصعيد، في التفاعل والتعاطي مع جمهور المقلدين في مناطقهم المختلفة، إذا استثنينا مرجعية الإمام الخميني من خلال ما أُتيح له من فرص التخاطب العام مع جماهير الأمة، بعد قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وما توفّر له من نفوذ وتعاطف شعبي كبير.

تجربة رائدة

تمثل مرجعية الإمام الشيرازي تجربة رائدة، ينبغي دراستها والاستفادة منها بتلافي الثغرات وتطوير الإيجابيات، لتشكل منهجًا في العلاقة بين المرجعية وجمهور المقلدين في الأطراف والمناطق المختلفة، من أجل تفعيل هذه العلاقة، وتوظيفها في خدمة الحالة الدينية والمعيشية لهذه المجتمعات، وإخراجها من حالة الارتباط المحدود بأخذ الفتاوى ودفع الحقوق الشرعية.

ومن خلال معايشتي لهذه التجربة يمكنني الحديث عن بعض معالمها:

تربية الكفاءات العملية:

تهتم الحوزات العلمية تحت إشراف المراجع بتربية الكفاءات العلمية المتخصصة

في الفقه وأصوله، دون أن يصحب ذلك برنامج لتربية الكفاءات العملية، بل ولا العلمية في سائر جوانب المعرفة كالتفسير والتاريخ والاجتماع، والاقتصاد وما أشبه، مما له وثيق صلة وارتباط بالفكر والتشريع الإسلامي.

والطاقات التي قد تنمو في هذه المجالات تعتمد على التثقيف الذاتي، والمبادرة الشخصية،وليس ضمن برنامج عام مقرر.

لذلك تظل الغالبية من طلاب الحوزات العلمية لا تمتلك كفاءات عملية تعينها على أداء رسالة التبليغ وقيادة المجتمع، كالخطابة والكتابة والإدارة، والبعض قد لا يكون له اهتمام وإلمام بالثقافة العامة المساعدة على التخاطب مع الجمهور في مستوياته المختلفة.

وقد حصلت في الفترة الأخيرة محاولات لتطوير برامج الحوزة بهذا الاتجاه، وخاصة في حوزة قم العلمية يؤمل منها معالجة هذا النقص الخطير.

كان الإمام الشيرازي من المهتمين جدًا بهذا الجانب، فهو يشجع كل طالب علم في حوزته على الخطابة والتأليف والتأسيس والعمل الاجتماعي، وحين كنت منتسبًا لمدرسة الرسول الأعظم التي أنشأها سماحته للدراسة العلمية في الكويت، كانت له محاضرة أسبوعية عصر كل خميس، خاصة بطلاب العلوم الدينية، كلها دفع وتوجيه وتشجيع على تحمل المسؤولية، باستعراض الأخطار التي تحيط بالأمة، وذكر تجارب الآخرين وأساليبهم في العمل، وتأكيد الثقة بالنفس، ومعالجة الإشكالات التي قد يواجهها العاملون في المجتمع.

كانت تلك المحاضرات بمثابة برنامج تربوي، ومنهج عملي، ووقود نتزود منه الهمة والنشاط والفاعلية والصمود.

وإلى جانب تلك المحاضرات كان في حوزة الإمام الشيرازي دروس لتعليم

الخطابة والكتابة، وتكليف بمهام اجتماعية وتبليغية، وقد تطورت هذه الدروس فيما بعد ضمن حوزة القائم في طهران، التي أنشأها تلميذه آية الله السيد محمد تقي المدرسي برعاية وتشجيع من الإمام الشيرازي.

بهذه المنهجية أصبح أغلب المتخرجين من مدرسة الإمام الشيرازي أصحاب كفاءات عملية بين كاتب وخطيب وصحفي وإداري وما أشبه.

وقد يكون ذلك عند بعضهم على حساب تقدم المستوى العلمي التخصصي، في الفقه وأصوله. لكن الإمام الشيرازي كان يرى أولوية جانب الكفاءات العملية في هذه المرحلة من حياة الأمة، على أساس أن الاهتمام العلمي له رواده والمتوجهون له بشكل طبيعي في الحوزات، والفراغ والنقص هو في الجانب العملي الحركي.

التثقيف والتوعية الجماهيرية:

ليس من عادة مراجع الشيعة أن يتخاطبوا مع الجمهور بشكل مباشر عبر الخطابة أو الكتابة، وإنما يلقون أبحاثهم العلمية التخصصية في الفقه والأصول، التي يطلق عليها (بحث الخارج)، على نخبة الطلبة من ذوي المستوى العلمي المتقدم، وكتاباتهم تنحصر في هذا المجال.

ويقتصر تخاطبهم مع الجمهور في حدود الإجابة على الأسئلة والاستفتاءات المقدمة إليهم شفهيًا أو كتبيًا.

وقد يكون من أسباب ذلك ما يلي:

١. إن أغلب المراجع في حوزة النجف العلمية لغتهم الأم هي الفارسية أو التركية والحديث باللغة العربية للجمهور ليس ميسورًا لأكثرهم.

٢. ممارستهم الدائمة للغة العلمية بمصطلحاتها وعباراتها صعّبت عليهم استخدام لغة الخطاب العام.

٣. تحفظهم ومراعاتهم للظروف السياسية حيث كانوا يبتعدون عن إبداء أي موقف أو رأي في الشأن العام.

٤. وجود رؤية في الوسط الحوزوي تدفع للاستغراق العلمي، والعزوف عن الانشغال بالناس، والنظر إلى الممارسات الاجتماعية كالخطابة والكتابة، باعتبارها لا تليق بالرتب العلمية المتقدمة.

٥. والعامل الأهم هو عدم وجود مشروع اجتماعي يتبناه المرجع فيتخاطب مع الجمهور من خلاله.

لهذه الأسباب وربما لعوامل أخرى، قلّ أن تجد لمرجع ديني اهتمام بالتخاطب المباشر مع الجمهور، ومن تلك القلة كان الإمام الشيخ محمد الخالصي والذي كان يقيم الجمعة في الكاظمية ويلقي خطبتيها، إضافة إلى إلقاء الخطب والمحاضرات في مختلف المناسبات، وإصدار الكتب والنشرات التثقيفية العامة.

وكذلك الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والذي كانت له خطابات جماهيرية، وكتابات توعوية عامة.

كما أن موقعية الإمام الخميني في قيادة الثورة والحركة الجماهيرية في إيران جعلته من أكثر المراجع تخاطبًا مع الجمهور، بالتحدث إلى الناس مباشرة، وعبر وسائل الإعلام، وبإصدار البيانات، واللقاء بمختلف الشرائح والمستويات.

ومن بين المراجع المعاصرين تميّز الإمام الشيرازي باهتمامه بالتخاطب الدائم مع الجمهور، ففي كربلاء وحيث انطلق بنشاطه ومرجعيته كانت له خطابات كثيرة شبه يومية، ولقاءات مكثفة مع مختلف الطبقات الاجتماعية، وفي الكويت طوال فترة وجوده حوالي تسع سنوات، كان يلقي خطابًا عامًا ليليًا في تفسير القرآن، إضافة إلى خطابه الأسبوعي كل جمعة في المسجد. وفي قم كان له برنامج دائم في إلقاء الخطب على الوفود والمجموعات التي تزوره، من داخل وخارج إيران.

و في بعض الفترات كان يلقي المحاضرات دون حضور جمهور لتسجل بالفيديو والكاسيت وتنشر بين الناس، فكتابه (السبيل إلى إنهاض المسلمين) مثلًا كان في الأصل خمسين محاضرة ألقاها بهذه الطريقة.

ويعرف كل من زاره من الناس كيف أنه يستثمر كل لحظة في مجلسه للتوجيه والإرشاد والتوعية والتثقيف، ويتكلم مع كل زائر بحسب مستواه، وضمن موقعيته، وظروف بلده.

وعلى مستوى الكتابة والتأليف فإنه إلى جانب كتاباته العلمية التخصصية، حيث صنّف أكبر موسوعة فقهية في (١٥٠) مجلدًا وكتب دورة في أصول الفقه، وشرحًا على كفاية الأصول، ورسائل الشيخ الأنصاري، والمكاسب، ومنظومة السبزواري، وتفسيرًا للقرآن الكريم، وتوضيحًا لنهج البلاغة، وشرحًا للصحيفة السجادية، وغير ذلك من الكتابات العلمية.. إلى جانب ذلك أصدر كمية كبيرة من الكتب التوعوية التثقيفية الموجهة إلى جماهير الأمة، تقدر بالمئات، بين كراسات صغيرة، ومجلدات كبيرة، بعضها موجه للنخب المثقفة، وبعضها يخاطب الناشئين والعاديين، كسلسلة قصص الأنبياء، وسلسلة الفرائض الإسلامية، وسلسلة التعريف بالشيعة..

ومنهجيته في الكتابة تعتمد الوضوح وبساطة التعبير، دون تكلّف أو تنميق، وكثافة الاستشهاد بالنصوص الدينية من آيات وروايات، وحشد القصص والأمثلة الواقعية.

وما كان اهتمامه يقتصر على تأليف الكتب وطبعها، بل كان يهتم بالتوزيع والنشر، فلا يزوره أحد إلا ويقدّم له مجموعة من الكتب، ويشجع من حوله على التوزيع والنشر الدائم للكتب، وخاصة في المناسبات، حيث كان يأمر بتوزيع آلاف الكتب على الزائرين للإمام الحسين ﷺ في كربلاء أيام المناسبات، كما يجتهد في إيصال أكبر قدر من الكتب التوجيهية للتوزيع على الحجيج، وكذلك أيام عاشوراء وسائر المناسبات.

وفلسفة السيد الشيرازي في الاهتمام بنشر الكتاب هي حاجة جمهور الأمة إلى

الوعي، وضعف الاندفاع الذاتي من قبل الناس لتحصيل الكتاب، فلا بد من توفيره وبذله لجميع الناس لضمان أعلى نسبة ممكنة من القارئين والمستفيدين.

وقد تربى تلامذته واتباعه على هذه المنهجية، فأحدثت مدرسته موجًا ثقافيًا فاعلًا في أوساط الأمة، حتى أنه يمكن القول أن جماعة السيد الشيرازي هم أنشط جهة في مجال العمل الفكري الثقافي، من خلال كثرة مطبوعاتهم كتبًا ومجلات، وكثافة نشرهم وتوزيعهم في مختلف المناطق والبقاع.

المأسسة والعمل المؤسساتي:

ينظر الإمام الشيرازي إلى جمهور الناس بكثير من التفاؤل والثقة، فالناس عنده طيبون، يختزنون في أعماقهم الولاء لدينهم، والاستعداد لعمل الخير وخدمة الدين، وعندهم إمكانات وطاقات هائلة، لكنهم بحاجة إلى الوعي الصحيح، والقيادة المخلصة الفاعلة.

ويرفض التصورات السائدة في بعض الأوساط من التقليل من شأن الناس، وانعدام الثقة بهم، وضعف الاعتماد عليهم، باعتبارهم عوامّ جهلة، لا يستجيبون ولا يبذلون ولا يثبتون.

ويستشهد لنظرته الإيجابية بالكثير من النصوص والروايات، والقصص والشواهد، التي تحكي عن ما حققته قيادات دينية وسياسية من إنجازات ضخمة، وأعمال كبيرة، عن طريق كسب الجمهور، وتفعيل حركته. ويتساءل سماحته دائمًا! كيف يستطيع الآخرون من ذوي الأفكار المخالفة أن يحركوا جمهورنا، ويستقطبوه، ويدفعوه إلى الحركة والبذل بينما نعجز نحن المتدينيين عن ذلك؟

إن الإشكال قد يكون فينا وليس في الناس، فعلينا أن نغيّر نظرتنا، ونجدّد أساليب عملنا، وأن تتسع صدورنا لتحمل المشاكل والعقبات، وسنرى بعد ذلك تجاوب الناس

معنا، وإقبالهم علينا، والتفافهم حولنا.

ويؤكد الإمام الشيرازي أن نقطة البدء والانطلاق هي المأسسة، لتشكل نواة للحركة والعمل، تحت اسم هيئة أو لجنة أو أي عنوان آخر، فالإنسان بمفرده لا يستطيع أن يحقق شيئًا هامًا، لأن العمل الفردي محدود مبتور، والبديل هو العمل المؤسساتي، فالفرد ينتهي أو يتراجع، بينما المؤسسة تبقى وتتواصل.

ضمن هذا السياق قدم الإمام الشيرازي رؤية شرعية تأصيلية لانبثاق التنظيمات والحركات، وأقام الكثير من المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية، وشجع تلامذته وأتباعه على تشكيل الهيئات والتجمعات والمراكز في مختلف المجالات السياسية والثقافية، وفي مختلف البلدان والمناطق.

لأنها تشكل أُطرًا لاستيعاب الطاقات وتفعيلها، ولأنها تصبح بؤرًا ومحاور في وسط الجمهور، وجسورًا بين المرجعية الدينية والناس.

هذه أبرز قنوات التعاطي والتفاعل التي شقها الإمام الشيرازي لانفتاح مرجعيته على الجمهور، ولتوظيف موقعيته كمرجع ديني في مشروع نهضة الأمة، ورفع مستواها العام.

دراسة رائدة:

ومنطقة القطيف هي من المناطق التي تفاعلت مع مرجعية الإمام الشيرازي، حيث اتسعت رقعة مقلديه في مجتمعها، خلال ربع قرن من الزمن، كانت هي الأهم في تاريخ المنطقة ثقافيًا واجتماعيًا.

وقد انفتحت مرجعيته على هذه المنطقة عبر القنوات الثلاث السابقة، فتخرج من مدرسته مجموعة من الكفاءات والطاقات العلمية والعملية من أبناء المنطقة، من الشباب والشابات، بين عالم وخطيب وكاتب وإداري ورجال سياسة وإعلام.

ولأن سماحته كان مقيمًا في الكويت قرب المنطقة، فقد كانت كتاباته ومحاضراته تتوالى على المنطقة، لتؤسس لوعي ديني رسالي، يدفع نحو الفاعلية والنشاط، ويتطلع نحو الإصلاح والتغيير.

كما تشكلت بتشجيعه وتوجيهه العديد من اللجان والمؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية.

هذا الامتداد لمرجعية الإمام الشيرازي وانعكاساته على مجتمع المنطقة، هو موضوع بحث هذه الدراسة القيمة التي أنجزها الأخ الأستاذ جهاد عبد الإله الخنيزي رعاه الله. وهو شاب طموح، وطاقة واعدة، وفكر منفتح، يعيش هموم مجتمعه، ويسعى لخدمة دينه ووطنه.

وتشكل هذه الدراسة التفاتة هامة إلى بحث الحالة الدينية والثقافية في المجتمع بحثًا ميدانيًا ورصد الظواهر والاتجاهات الأساسية ضمنها. وأملي أن تشجع هذه المحاولة الرائدة مثقفين آخرين لبحث سائر الجوانب والظواهر الاجتماعية الثقافية.

ومن ميزات هذه الدراسة أنها تأتي من خارج دائرة أتباع السيد الشيرازي ومقلديه حسب التصنيف الاجتماعي، مما يعطيها مصداقية أكثر، ويبعدها عن مسار امتداح الذات، والإعلام الفئوي.

وقد أختلف مع الأستاذ جهاد في بعض النقاط والاستنتاجات، لكني أقدِّر جهده المعرفي، وإنصافه وجرأته في طرح ما يؤمن به من أفكار، إثراءً للساحة الثقافية، وتشجيعًا على حرية التفكير والبحث.

وفقه الله تعالى للمزيد من العطاء والتقدم وكثّر في شباب مجتمعنا أمثاله.

مناهل الأدباء وحديقة الخطباء

بتاريخ: ٩/ ٥/ ١٤٢٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

نهض المنبر الحسيني في مجتمعاتنا ولا يزال بدور هام كبير، على صعيد تركيز الحالة الإيمانية الدينية، وتكريسها في نفوس أبناء المجتمع، وتوثيق الولاء والارتباط بالدين، ومناراته الهادية من أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وكان المنبر الحسيني هو المصدر الأساس للتوجيه والإرشاد الديني والأخلاقي، فمن عطائه يأخذ المؤمنون معالم دينهم، من معتقدات وأحكام وآداب.

كما كان منبعًا للثقافة العامة، حيث يسمع الناس من على أعواده أحداث التاريخ، وسير العظماء، وطرائف الحكمة، ونوادر الشعر والأدب. وخاصة بالنسبة لأجيال مجتمعاتنا السابقة، والتي كانت تفتقد قدرات وأدوات التثقيف الذاتي، لانتشار الأمية وغياب وسائل المعرفة.

إلى جانب ذلك كان المنبر الحسيني محورًا لاجتماع الناس والتفافهم، وتأكيد ترابطهم وتماسكهم الاجتماعي، حيث يحتشدون في المناسبات الدينية، كأيام عاشوراء، وذكريات وفيات الأئمة ﷺ ومواليدهم، من مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية، حول منبر الحسين ﷺ، ويصغون إلى ما يلقيه الخطيب.

وحتى في أتراحهم وأفراحهم يكون المنبر الحسيني محورًا لاجتماع الناس وتلاقيهم، حيث تقام مجالس العزاء والفاتحة على المتوفى، ومجالس المواليد والمدائح للمتزوج واحتفالات الأفراح.

من هنا أصبح لخطيب المنبر الحسيني دور اجتماعي مميز، وموقعية دينية محترمة، لارتباطه الواسع بأفراد المجتمع وعوائله وشرائحه، ولتأثيره الفكري والعاطفي على النفوس، ولما يمثله من حالة رمزية على المستوى الديني والاجتماعي. بالطبع تتفاوت موقعية الخطيب وتأثيره تبعًا لتفاوت مستويات الخطباء، في معارفهم وإتقانهم لفنون الخطابة، وامتلاك الخصال الشخصية، وأخلاقيات التعامل السلوكي.

ومع تطور أوضاع المجتمع، وتقدم مستوى المعرفة والوعي، والانفتاح على وسائل الإعلام والتثقيف والمعلومات، فإن دور الخطيب والمنبر الحسيني، أصبح أكثر خطورة، وأكثر صعوبة إنه يواجه الآن تحديًا كبيرًا، في المحافظة على موقعيته وتأثيره، فجمهور المستمعين لم يعد حشدًا من الأميين البسطاء، بل أصبحت أكثريته متعلمة، من بينها نخبة مثقفة واعية، وهي تتوقع من خطيب اليوم طرحًا علميًا موضوعيًا، وليس مجرد إثارات عاطفية، كما تتطلع إلى الجديد والتجديد، فلا تقبل من الخطيب اجترار موضوعاته وتكرارها.

وجمهور المستمعين اليوم في أذهانهم تساؤلات فكرية وثقافية، حول معارف الدين وأحكامه، بسبب الاحتكاك بالثقافات الأخرى، وتطورات قضايا الحياة.

وبانفتاحهم على آفاق العلم والمعرفة، عبر وسائل الاتصال المتقدمة، كقنوات البث الفضائي، وشبكة الإنترنت العالمية، فإنهم يقارنون بين مستوى طرح الخطيب وما يطلعون عليه في تلك الآفاق.

وأصبح المجتمع يواجه مشاكل وتحديات عديدة، على مختلف الأصعدة الحياتية والمعرفية والسلوكية، والمتوقع من المنبر والخطيب الإسهام في معالجة هذه المشاكل، ومواجهة التحديات القائمة.

وذلك يتطلب من الخطيب وعيًا شاملًا، وثقافة واسعة، ومتابعة للتطورات، والتزامًا بالمسؤولية الدينية والاجتماعية.

لقد نهض الجيل السابق من خطباء المنبر بمسؤولياتهم، وقاموا بأدوارهم، حسب الإمكانات والقدرات المتاحة لهم، ووفق المستوى الفكري والاجتماعي الذي كانوا يعايشونه، فحفظوا للمجتمع هويته الدينية، وحافظوا على أجواء الخير والصلاح، جزاهم الله خير الجزاء على جهودهم ودورهم الولائي الكبير.

والأمانة الآن بيد الجيل الجديد من الخطباء في ظرف صعب، وأوضاع معقدة، وأمام تحديات خطيرة، تجعل مجتمعاتنا على مفترق طرق، بين تمسكها بقيمها الدينية، وأصالتها المبدئية، أو الضياع في متاهات الانحراف ونزعات التوجهات المادية، والسقوط الأخلاقي، وتدهور الأمن الاجتماعي.

***

ومن الخطباء الرواد الذين كرسوا حياتهم ووجودهم في خدمة المنبر الحسيني، وتوجيه المجتمع وإصلاحه، الخطيب الفاضل السيد محمد بن السيد علي بن السيد علوي آل إدريس حفظه الله.

فقد ولد سنة ١٣٤٢هـ في مدينة صفوى إحدى مدن القطيف من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية.

وسلك طريق الخطابة في وقت مبكر من حياته، وهو في العاشرة من عمره، حيث تتلمذ على يد خاله الخطيب السيد هاشم بن السيد طاهر آل المير (توفي سنة ١٣٩٧هـ).

درس قواعد اللغة العربية على يد الخطيب السيد هاشم بن شرف آل المير (١٣٢٧ـ١٣٨٧هـ). وهاجر إلى النجف الأشرف لدراسة العلوم الإسلامية سنة ١٣٨٢هـ إلى سنة ١٣٨٩هـ حيث تتلمذ على يد نخبة من الفضلاء كالشيخ علي المرهون والشيخ محمد تقي المعتوق والشيخ حبيب الظالمي والشيخ حبيب الطريفي والشيخ محمد آل عطية الأحسائي.

عرفته مجالس القطيف والأحساء، بمختلف مدنهما وقراهما، خطيبًا واعظًا، يمتاز برقة الصوت، وإثارة عواطف الولاء لأهل البيت ﷺ، كما تتسم مواضيع خطابته بالحيوية والتنويع، التي تشدّ المستمع وتهيؤه للتأثر بالموعظة والإرشاد.

فهو حينما يطرح موضوعًا أخلاقيًا مثلًا يثريه بالقصص التاريخية، ويزينه بالنصوص الدينية، ويستشهد له بطرائف الحكم والأمثال، ويستعين بمقتطفات من أقوال العلماء والأدباء، وذلك ناتج عن اهتمامه بالمطالعة الدائمة، والتحضير الجيّد لموضوعاته.

ويضم هذا الكتاب (مناهل الأدباء وحديقة الخطباء) الذي بين يدي القارئ الكريم، مجموعة من الخطابات والمجالس، التي كتبها خطيبنا الفاضل السيد أبو ياسين، كتحضيرات لإلقاءاته، ضمن سنوات ممارسته الخطابية الطويلة، التي امتدت سبعين عامًا حتى الآن، حيث بدأ الخطابة سنة ١٣٥٢هـ، ولا يزال يعتلي أعواد المنابر رغم تقدم سنه، وابتلائه ببعض الأمراض، لكن جمهور المؤمنين لا يسمح له بالتقاعد عن هذه الخدمة الدينية الجليلة، أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية.

وإلى جانب دوره الخطابي، يملأ السيد أبو ياسين فراغًا كبيرًا في بلده صفوى، بالتصدي لقضايا الناس الدينية والاجتماعية، فهو إمام جماعة يواظب على إقامتها، وهو مأذون شرعي من قبل محكمة الأوقاف والمواريث في القطيف، لإجراء عقود الزواج، وهو وكيل مجاز من المرجعية الدينية، (سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني)، لاستلام الحقوق الشرعية، وصرف قسط منها في مواردها المقررة، وهو وجه اجتماعي بارز، يُقصد في إصلاح ذات البين، ومشاكل المجتمع، وقضايا البلاد.

ولديه موهبة أدبية وظفها في مدح أهل البيت ﷺ ورثائهم، وفي خدمة المجتمع، والإشادة بأعلام الدين، لكن أكثر شعره باللغة الدارجة، وقد طبع جزءًا من ديوانه تحت عنوان (الذخيرة المحمدية) في النجف الأشرف قبل ثلاثين عامًا.

وإذ أقدم لهذا الكتاب استجابة لطلب مؤلفه الكريم، لأرجو أن يستفيد منه إخواني

وزملائي الخطباء والواعظون، في الاهتمام بتحضير موضوعات خطاباتهم، وإثرائها بالمعلومات المختلفة المتنوعة، وإعطائها سمة الحيوية والجاذبية، لتحقق أهدافها في التأثير على النفوس والقلوب.

شكر الله سعي سيدنا المؤلف، وأجزل له الثواب، ومتعه بالعمر المديد، وكمال الصحة والعافية، ووفق الله جيلنا الجديد من الخطباء لتحمل مسؤولياتهم الخطيرة في هذا العصر، وللارتقاء بالمنبر الحسيني إلى مستوى التحديات المعاصرة.

والحمد لله رب العالمين

أم البنين عليها السلام رسالة المرأة المسلمة

بتاريخ: ٢٤/ ٥/ ١٤٢٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله الطاهرين

تواجه العائلة في المجتمعات المعاصرة تحديات كبيرة من قبل الحضارة المادية الزاحفة، فهي آخر حصن وقلعة للمبادئ والقيم الإنسانية، بعدما حطمت النزعات المادية والتوجهات الأنانية المصلحية، كل حصون المبادئ والمثل، من النظام السياسي، إلى النظام الاجتماعي العام، إلى وسائل الإعلام، وبرامج التعليم، ومؤسسات الاقتصاد.. حيث أصبحت كل هذه الميادين ساحة للكسب المصلحي والتنافس المادي، وخدمة الذات والأنا على حساب المبادئ والقيم، ودون أي اعتبار لها أو مبالاة بها. مما صيّر الحياة غابة وحوش، وميدان صراع، لا مكان فيها للعواطف والمشاعر، ولا رعاية فيها للقيم والمبادئ.

وبقيت العائلة كحصن أخير لأنها بطبيعتها تنبثق من حالة فطرية وجدانية، وتقوم على أساس إنساني، وتعتمد لغة العواطف والمشاعر، ومعادلة البذل والعطاء والتضحية في مقابل الأنانية والمصلحية.

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن يودع قلوب الأمهات والآباء العطف والحنان على أبنائهم،بحيث يؤثرونهم على أنفسهم، ويضحّون بوجودهم من أجلهم، ويسخرون كل إمكاناتهم لخدمتهم وإسعادهم.

وفي المقابل يكون الأبناء ملتصقين بالوالدين وخاصة في فترة طفولتهم والتي تمتد لسنوات، متأثرين بهما، تابعين لهما، وضمن أجواء الحنان والعطف والانشداد والانجذاب، ينشأ الإنسان ويتربّى وتنمو عواطفه ومشاعره، فيستقبل الحياة كإنسان سويّ، مشبَّع العواطف، مرهف الأحاسيس، يعرف قيمة التضحية والعطاء، ويقدّر جهود الإحسان والبذل.

هكذا شاءت الحكمة الإلهية أن ينشأ الإنسان ويتربّى، ضمن أجواء العائلة والأسرة، والتي لا يحتاج إليها لتنميته جسميًا وماديًا فقط، بل لإعداده نفسيًا وروحيًا كذلك.

ومن هنا تأتي أهمية الأسرة فهي أرضية بناء إنسانية الإنسان، ومركز تنمية مشاعره وعواطفه، ومدرسة تربيته على القيم والمثل.

والحضارة المادية التي تعمل على (تشيّي) الإنسان، وتحويله إلى شيء من الأشياء، تحكمه معادلة المصالح والمكاسب، ويدور في طاحونة الأنانية والذاتية، غايته اللذّة، وهدفه إشباع الشهوة، وتحقيق المصلحة العاجلة، أما القيم والمثل والمبادئ والأخلاق، فهي في معادلة الحضارة المادية أساطير وخرافات وأوهام.

ولإنجاز هذا الهدف الخطير تزحف الحضارة المادية على كل منابع القيم والأخلاق لتجفيف روافدها، وتحطيم قنواتها، وقد وصلت حشودها الغازية إلى آخر الحصون،

هو حصن العائلة الإنساني، لتدكّ كيانه العريق.

وترى الآن في المجتمعات الغربية عزوفًا واضحًا تتسع رقعته يومًا بعد آخر عن الرغبة في الزواج، وتكوين العائلة، وتحمّل مسؤولية الأسرة، ولماذا يتحمل الإنسان المادي الغارق في أنانيته، اللاهث خلف شهواته، أعباء تكوين العائلة وإدارتها ورعايتها؟ إنّ ذلك يستلزم منه العطاء من ذاته، والتنكّر لأنانيته، والتضحية برغباته من أجل زوجته وأبنائه، وهو ليس مستعدًا لذلك.

ونسمع الإحصاءات والتقارير عن شيوع العلاقات الجنسية خارج الإطار العائلي، وعن الأرقام القياسية لإنتشار حالات الطلاق وانهيار العلاقات الزوجية.

لقد اهتزّت العلاقات الأسرية العائلية تحت وطأة ضغوط الحضارة المادية، وأنماط السلوك المادي الأناني.

وما عاد كل من الزوج والزوجة مستعدًا للتنازل عن شيء من رغباته لصالح العلاقة مع الآخر واستقرار الكيان العائلي، فالمصلحة الذاتية، والنزعة الأنانية، مستحكمة غالبة، والتحريض الخارجي إعلاميًا وثقافيًا ومعلوماتيًا في تصاعد مستمر، يدفع كلًا من الزوجين إلى التخلّص من التقيّد بالآخر، والركض خلف المصالح واللذات والشهوات.

أما الأبناء فقد أصبحوا عبئًا ثقيلًا يبحث الوالدان عن فرص التخلّص منه عبر مؤسسات الحضانة والرعاية، أو بتلهيتهم بالإنشداد إلى الأفلام التلفزيونية والألعاب الكمبيوترية، أو أي شيء آخر، يريح الوالدين من أعبائهم. مع الاتجاه إلى تقليل النسل وتحديده، تجنبًا لمسؤولية التربية والرعاية.

هكذا تعيش الأسرة والكيان العائلي تحدّيًا مصيريًا خطيرًا أمام زحف الحضارة الغربية.

وفي ظل العولمة فإن مجتمعاتنا الإسلامية تواجه ذات الخطر، وتقابل ذات التحدي

على صعيد البناء الاجتماعي ومستقبل العائلة.

ولمواجهة هذا الاجتياح الزاحف نحتاج إلى إعلان حالة طوارئ لتحصين مجتمعاتنا، وللحفاظ على النظام العائلي الأسري، والذي هو الخيار المتوفر لحماية القيم والمبادئ ونقلها إلى أجيالنا القادمة.

وذلك يستدعي خططًا شاملة تتضمن محاور عديدة من أبرزها ما يلي:

١. تيسير مشروع الزواج وبناء الأسرة والتشجيع على ذلك.

٢. مساعدة ودعم الحالة الأسرية في مواجهة الضغوط الاقتصادية.

٣. إنشاء المؤسسات لمعالجة المشاكل التي تطرأ على الكيان الأسري.

٤. بث الوعي والثقافة الإنسانية والاجتماعية لمواجهة الثقافة المادية ونمط السلوك الغربي.

وفي تراثنا الديني والمعرفي رصيد ثقافي كبير يمكننا تفعيله والاستفادة منه في هذا المجال على مستوى الأحكام والقوانين الشرعية، وعلى مستوى الآداب والسنن والأخلاق، وعلى مستوى الفكر والطروحات الثقافية.

وكنموذج من المخزون الديني المعرفي الذي ينبغي بعثه وإثارته على هذا الصعيد، هو سير الأولياء الصالحين في بُعد حياتهم العائلية، وتعاملهم الأسري.

وهو ما نستلهمه من القرآن الكريم في حديثه عن الأنبياء والأولياء حين يستعرض جوانب من حياتهم العائلية الأسرية.

ضمن هذا السياق قرأتُ هذه الصفحات الجميلة الرائعة التي خطّتها أنامل أخينا وصديقنا الفاضل المجاهد سماحة الشيخ عبدالعظيم المهتدي (حفظه الله).

حيث قدّم سيرة إحدى النماذج الرسالية العظيمة، سيّدتنا أم البنين ﷺ التي حباها

الله تعالى الكثير من الفضل والكرامة باقترانها بأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبإنجابها لأربعة أقمار مشرقة، في طليعتها أبو الفضل العباس بن علي قمر بني هاشم عليه السلام.

إنّ هذه السيرة العطرة لأم البنين عليها السلام تقدّم نموذجًا لحياة عائلية أسرية صالحة، بهدف التأسي والإقتداء، وبعْث هذا النموذج وبثّه ونشره على أوسع نطاق يعتبر مفردة هامة في برنامج التوعية والتثقيف بأهمية الحياة الأسرية، وأساليب نجاحها.

وليس هذا الطرح والعطاء غريبًا على سماحة الشيخ المهتدي (حفظه الله) فقد نذر نفسه، ووظّف جهده، من حداثة سنّه لخدمة الدين والمجتمع.

ومن توفيق الله تعالى له أن منحه قلمًا سيّالًا أنتج به العديد من المؤلفات والكتب التي تستهدف إصلاح المجتمع، وتوعية أبناء الأمة، ونشر معارف الدين، أسأل الله تعالى له المزيد من التوفيق والتقدم، وأن يكثّر في رجال العلم والدين أمثاله، وأن ينفع بكتابه هذا وسائر كتاباته القيّمة، ويجعلها في سجّل أعماله وحسناته، إنه وليّ الصالحين. والحمد لله رب العالمين

لقمان الحكيم

بتاريخ: ٢٦/ ٢/ ١٤٢٤هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله الطاهرين.

عالم الدين يمثّل الدين في أوساط الناس، فقربه من الناس واقترابهم منه، يساعد على تركيز الحالة الدينية وتعميقها في المجتمع، وهذا لا يتحقق إلا إذا امتلك عالم الدين خلق التواضع، والشعور بالمسؤولية تجاه قضايا الناس.

إن تواضع العالم يعني تواصله مع جميع طبقات المجتمع وشرائحه، كبيرهم

وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، متعلمهم وجاهلهم. تواصلًا طبيعيًا من شاكلة علاقات الناس ببعضهم، حيث لا يكون في نفس العالم أنفة ولا تعاليًا على أحد من الناس، ولا يشعر من يتعاطى معه برهبة أو كلفة، كما وصف ضرار الضبابي أمير المؤمنين ﵇: «كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استفتيناه».

أما شعوره بالمسؤولية تجاه الناس، فيتجلى في اهتمامه بتوعيتهم وتثقيفهم، باللغة المناسبة لإدراكهم، والأسلوب المؤثر في نفوسهم وأفكارهم، عبر الخطابة والكتابة والمحادثة.

وكذلك الاهتمام بشؤونهم الحياتية، بتفقد حاجات الفقراء والمساكين، ومعالجة القضايا والمشاكل الاجتماعية.

فإذا اتصف العالم بهاتين الصفتين: التواضع والاهتمام بقضايا الناس، كسب محبتهم، ونال ثقتهم، وكان خير ممثل للدين بينهم، حيث يكون سببًا لإقبالهم على التدين، والتزامهم بشعائره، ومراعاتهم لأحكامه، وبذلك يدرك رضا الله سبحانه وتعالى، والذي يجب أن يكون الهدف الأساس، والغاية المقصودة من طلب العلم، ومن تقمص شخصية عالم الدين.

وسماحة العلامة الشيخ علي المرهون حفظه الله، هو مثل بارز، ونموذج رائع، لتلك الشخصية الدينية العلمية المحبوبة في قلوب الناس، القريبة من نفوسهم، لما اتصف به من خلق التواضع والبساطة مع الناس، والسعي لخدمتهم وقضاء حوائجهم.

فهو وثيق الصلة بالناس دائمًا وأبدًا، بمواظبته على صلاة الجماعة في الأوقات الثلاثة فجرًا وظهرًا ومغربًا، وبمجلسه المفتوح لكل الزائرين يوميًا، وبمرافقته السنوية للحجاج والمعتمرين وللزائرين للعتبات المقدسة في العراق، وبمشاركته في تشييع الجنائز والصلاة على الميت، وباستجابته لدعوة من دعاه غنيًا كان أو فقيرًا، وبعيادته المرضى، وحضوره لتهنئة المتزوجين، أو العائدين من السفر من أبناء محيطه.

وهو يتعامل مع الناس ببساطة متناهية ودون أي تكلف، يحادثهم، ويمازحهم، ويصغي لهم، ويبادرهم بالسؤال متفقدًا أحوالهم وأحوال ذويهم. ولا يشعر من تعامل معه بأي هيبة أو تميز، إنه يرفض أن يقبّل أحد يده، حيث تعوّد الناس على تقبيل يد العالم، احترامًا له، وإظهارًا لمكانته.

وفي مجال الإرشاد والتوجيه الديني والأخلاقي، فإن سماحته يمارس الخطابة الحسينية في المناسبات المعروفة، حيث يلتزم بعدة مجالس كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، وأيام عشرة محرم، وأيام ذكريات أهل البيت ﷺ، في مدينة القطيف والقرى المحيطة بها، وحيثما يكون، ففي أسفاره أيضًا يحرص على إحياء هذه المناسبات الدينية.

كما يقوم بالخطابة في مجالس العزاء، المعروفة عندنا بـ (الفاتحة) حيث يجلس أهالي المتوفى لاستقبال المعزين لهم ثلاثة أيام، تتخللها القراءة صباحًا وعصرًا.

وأسلوبه في الخطابة يعتمد البساطة والوضوح، ولا أزال أتذكر أحاديثه الوعظية في شهر رمضان المبارك، في المجلس الذي يقيمه الحاج مهدي الأسود رحمه الله في حسينية (ميّاس). وكان والدي حفظه الله يأخذني معه وأنا في السنوات الأولى من عمري، وعلى وقع خطاباته بدأت تتشكل معرفتي بالدين وأحكامه وتعاليمه.

ففي بداية ليالي شهر رمضان يتحدث عن فريضة الصيام وحكمته وأحكامه، ثم يخصص لكل أصل من أصول الدين العقدية (التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد) ليلة من ليالي الشهر الكريم، فيستعرضها بتبيين وتوضيح.

ثم ينتقل إلى الحديث عن فروع الدين، كالصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيبحث كل واحد منها في ليلة خاصة. وهكذا قضايا الطهارة والنجاسة، كالوضوء والغسل والتيمم، وعبر مجالسه هذه والتي هي بحق دروس توعوية للجمهور، كان المستمعون يتعرفون على عقائد الدين وأحكامه، بلغة واضحة

سهلة، وكان يتيح الفرصة للسائلين أثناء الخطابة وبعدها.

ومن برامج الشيخ المرهون في التعليم والإرشاد، أحاديثه مع المصلين بعد صلاتي الظهر والعصر من أيام شهر رمضان، فبعد انتهاء صلاة الجماعة، ومجلس القراءة، يبدأ الشيخ قراءة أدعية الأيام والتسبيحات الواردة، ثم يتحلق حوله الحاضرون ليشرح لهم بعض أحكام الصوم، ويجيب على أسئلتهم واستفساراتهم.

وحينما يرافق الحجيج كمرشد للحملة، يلقي بحثًا ليليًا حول مناسك الحج، ومسائل الطهارة، وأحكام الصلاة، ويستمع من كل فرد قراءته لسورة الحمد والتوحيد وأذكار الصلاة، ليصحح له قراءته.

وقد التحقت بحلقة درس لديه في شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النحو والصرف سنة ١٣٩١هـ في النجف الأشرف، وكان الدرس في مسجد الطوسي، وكان من عادته أن يختم درسه بتوجيه أخلاقي تربوي للطلاب، مستثمرًا نقطة في الدرس كمدخل للتوجيه.

أما عن اهتمامه بقضايا الناس، فذلك مشهود يعرفه الجميع، فهو بمثابة المؤسس الأول للجمعية الخيرية الاجتماعية في القطيف، حيث دعا الأهالي للاهتمام بأوضاع الفقراء والمحتاجين، بشكل منظم، وليس من خلال جمع التبرعات في مجلس التعزية، كما كان متداولًا، واستجاب له مجموعة من أهالي المنطقة، فأنشأ (صندوق البر الخيري بالدبابية) والذي استمر عدة سنوات وكان نواة لجمعية القطيف الخيرية.

وباعتباره وكيلًا معتمدًا من مراجع التقليد فإنه يستلم الحقوق الشرعية، ولكنه لا يصرف شيئًا منها في شؤونه الشخصية، لاكتفائه بموارد القراءة الحسينية، وكان ينفق على الفقراء والمحتاجين، ولعدة سنوات كان يجتمع مطلع كل شهر عند باب مجلسه عدد كبير منهم، ليعطيهم حوالات لصرف المواد الغذائية حسب اتفاقه مع بعض المحلات التجارية.

ثم أحال ذلك على الجمعية الخيرية، وكان مقصدًا للمحتاجين، ولا يرد محتاجًا إذا كان لديه ما يعطيه.

ومن عاداته أن يشجع كل شاب يلقاه على الزواج، ويبدي له الاستعداد لعونه، كما يتفقد أحوال طلاب العلوم الدينية، وخاصة أثناء هجرتهم للدراسة.

هذه الصفات الطيبة زرعت محبته ومودته في قلوب الناس، ووثقت صلتهم به، ومكنته من التأثير في نفوسهم لصالح الالتزام الديني.

ولا بد من الإشارة هنا إلى سائر إنجازاته وخدماته الدينية والثقافية والاجتماعية.

فقد درس على يديه عدد من الخطباء وطلاب العلوم الدينية، أثناء وجوده في البلاد، وحين يكون في النجف الأشرف، حيث كان يمكث هناك حوالي أربعة أشهر أو أكثر كل عام، إلى أن حال ضعف الصحة بينه وبين السفر قبل أربع سنوات تقريبًا.

وألف مجموعة من الكتب النافعة منها:

- شعراء القطيف في جزئين.
- لقمان الحكيم.
- أعمال الحرمين.
- أعمال شهر رمضان.
- الروضة العلية.
- المرهونيات.
- الدرة في أحكام الحج والعمرة.
- مغني القراء.
- قصص القرآن.
- أربح التجارات في الأدعية والزيارات.

وكان يشجع العلماء والأدباء على الإنتاج الثقافي، ويتبنى الاهتمام بنشر تراث البلاد، فقد تصدى لطبع مجموعة من الكتب بمساعدته وإشرافه، ككتاب (الدمعة القطيفية) للشيخ علي المحسن، و(ديوان الشيخ عبد الله المعتوق)، و(ديوان الحاج حسين الشبيب)، و(يوم الأربعين) للشيخ عبد الحي المرهون، و(بشرى المذنبين وإنذار الصديقين) للشيخ ناصر الجارودي، و(الروضة الحسينية) لوالده رحمه الله، وغيرها من الكتب.

كما أسس المسجد الكبير في محلة سكناه (المسعودية) جنوب مدينة القطيف، والذي أصبح يعرف باسمه (مسجد الشيخ علي المرهون)، وساعد في إنشاء الكثير من المساجد والحسينيات في المنطقة.

إن سماحة الشيخ علي المرهون حفظه الله بهذه الصفات الجليلة، والإنجازات الطيبة، يشكل نموذجًا للاحتذاء والإقتداء أمامنا كجيل جديد من طلاب العلوم الدينية، والمتصدين لوظيفة التبليغ والإرشاد الديني، نسأل الله تعالى أن يحفظ سماحته، ويلبسه رداء الصحة والعافية، وأن يضاعف له الأجر والثواب على ما بذل وأعطى لخدمة دينه ومجتمعه.

ولا يفوتني أخيرًا أن أشكر هذه البادرة الطيبة لمجموعة من الشباب الصالحين من أبناء منطقة الشيخ المرهون والذين أرادوا تقديم باقة ودّ ووفاء لسماحته بتبني إعادة طبع كتابه البكر (لقمان الحكيم) وهو كتاب تربوي توجيهي نافع، أرجو أن يستفيد الشباب من قراءته، وتطبيق مضامينه.

والحمد لله رب العالمين.

دماء لا تجف

بتاريخ: ٢٩/ ٤/ ١٤٢٤هـ

كربلاء قصة خالدة لم تستطع القرون المتطاولة أن تنال من غضاضتها، ولم يؤثر توالي الأحداث مع ضخامتها على موقعيتها في الصدارة من قضايا التاريخ.

إنها قصة فريدة من نوعها، فرضت نفسها على ساحة الذاكرة الإنسانية، بما جسدته من أروع مواقف النبل والشهامة والصمود والتضحية، فكانت أرقى مدرسة للمبادئ والقيم، وأثرى تجربة في المقاومة والثورة، وأغنى كنز للمثل والأخلاق.

في أداء كل بطل من أبطالها عبر ودروس عظيمة.

وفي وقع كل حدث من أحداثها دلالات ورموز بليغة.

كُتب عنها آلاف الكتب، وتحدث حولها ألوف الخطباء، وتغنى بها آلاف الشعراء، ولا تزال قصة كربلاء غضة طرية، يُستلهم منها الجديد من الأفكار، ويقتطف من غصونها الشهي اليانع من الثمار، فهي نبع متدفق، وعطاء متجدد، وثراء مستمر.

لا يطرق أبواب مدرستها باحث إلا عاد بكسب معرفي جديد، ولا يرتاد ربوعها مناضل إلا امتلأت جوانحه بعزم وثبات كبير، ولا يحلّق في أجوائها أديب إلا تفجرت قريحته بخيال خصب وأدب بليغ.

وهذه الصفحات بين يدي القارئ الكريم تمثل شاهدًا حيًا ونموذجًا شاخصًا من عطاء كربلاء المتجدد.

إنها تحكي صورًا عن بعض بطولات كربلاء وشخصيات أبطالها، في عرض مشرق جذاب، ضمن أدب القصة القصيرة، يستهدف النفاذ إلى قلوب ناشئة الجيل، أداءً لحقهم على آبائهم في أن ينقلوا لهم أمانة المبادئ والقيم، لينشأوا على حب أولياء

الله الأطهار، وليتربوا في رحاب العقيدة والولاء، وليحفظوا عهد الأصالة والاستقامة.

لقد نسج خيوط هذه القصص عاشق مخلص، لم يحترف الكتابة مهنة، ولا اتجه للأدب خيالًا وهيامًا، وإنما هو إنسان قاده وعيه الرسالي ودفعته عواطفه الصادقة، ليخوض غمار خدمة العقيدة والمبدأ، عبر أدب القصة القصيرة، والذي يجتذب أفكار وقلوب الكثيرين من القراء، خاصة من جيل الشباب الناشئ.

وتعود معرفتي بالكاتب الكريم الأستاذ جمال حسين آل إبراهيم إلى ما يزيد على العقدين من الزمن حيث كان في طليعة الشباب المؤمنين الذين شقوا طريق الصحوة الدينية في المجتمع، وكانت تربيته الصالحة خير حافز له على البذل والعطاء في خدمة الدين والمجتمع، فقد نشأ في أحضان والده الحاج حسين آل إبراهيم (رحمه الله) والذي كان من شخصيات البلاد البارزة ووجهائها المحترمين، وحينما بدأت حركة النشاط الديني ثقافيًا واجتماعيًا أواخر السبعينيات في المنطقة، كان الأخ جمال من المبادرين السبّاقين، وقد أسهم في إدارة نادي الصفا الرياضي سنوات عدة، وكتب عددًا من المسرحيات والمجموعات القصصية، التي طبع بعضها.

إنه من الأخوة الأعزاء الذين أعتز بإخوتهم وصداقتهم ووفائهم. فأهلًا وسهلًا به في عطائه الجديد عن أبطال كربلاء، ووفقه الله للمزيد من العطاء في خدمة الدين والوطن.

والحمد لله رب العالمين

تقديم لمجلة المرشد

بتاريخ: ١٤٢٥هـ

لم يخل عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة من الاهتمام بالدعاية والإعلام للأشخاص أو للأفكار أو للقضايا والأحداث، ولكن أساليب الإعلام وبرامجه تختلف

من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. ويحتل الإعلام في هذا العصر أرقى المراتب وأعلى مستويات الاهتمام. فقد تطورت أساليبه وبرامجه وأصبح علمًا يدرس في الجامعات والمعاهد المتخصصة، وتحول إلى صناعة تعتمد على الخبرة والكفاءة والتجربة ولها مؤسساتها ومطابخها وأجهزتها المتطورة.

فالإعلام اليوم يعتمد التخطيط والبرمجة ويستفيد من تجارب وأبحاث علم النفس والمجتمع ونظم المعلومات. وللتقدم التكنولوجي والعلمي دور كبير في توطيد أركان الإمبراطورية الإعلامية على مستوى العالم، وخاصة بعد استخدام الأقمار الصناعية ومحطات البث الفضائي المباشر. إن الإعلام اليوم عنصر أساسي وفاعل ومؤثر في مختلف مجالات حياة الإنسان.. في عالم السياسة والاقتصاد والفكر وفي جميع الحقول. لذلك فإن أي حكومة أو حزب أو شركة أو مصنع أو أي شركة مادية أو معنوية لا بد وأن تخصص قسطًا كبيرًا من اهتمامها ورأس مالها وجهدها للجانب الإعلامي، وما هذا التسابق الذي نشهده الآن على أخذ المواقع في شبكة الإنترنت من قبل الجهات السياسية والدينية والفكرية والفنية والتجارية إلا مظهر واضح لإدراك الجميع لأهمية الإعلام وتوجههم للاستفادة منه.

ولسنا الآن بصدد الحديث عن أهمية الإعلام ومدى تأثيره فهو أمر واضح مسلم به أولًا، كما أن هناك سيلًا من الكتب والدراسات والبحوث المتخصصة التي تدرس جوانبه المختلفة ثانيًا. لكن ما نريد تناوله في هذه السطور المتواضعة هو تعاطي أوساطنا الدينية مع المسألة الإعلامية.

هل نحتاج إلى الدعاية والإعلام؟

الفكرة السائدة في غالب أوساطنا الدينية أن الأمور الدينية ليست بحاجة إلى الدعاية والإعلام والإعلان حيث يجب أن يقبل الناس على شؤون دينهم باقتناع واندفاع ذاتي، كما أن الدين يؤكد على قيمة الإخلاص لله والزهد في المنصب والبروز والظهور،

ويحذر من الرياء وطلب السمعة. والإنسان المؤمن يجب أن يكون متواضعًا متهمًا لنفسه بالنقص والتقصير، لا يزكي نفسه ولا يمن بعمله ولا يغتر، ولا يتطلب المدح والشهرة. وكل ذلك يدفع الإنسان المؤمن إلى الابتعاد عن الأضواء والنفور من الدعاية والإعلام. ونتيجة لهذه الفكرة السائدة فإن الكثيرين من رجال الدين والعلم يعيشون مغمورين لا يعرف العالم بل لا تعرف الأمة الإسلامية والجماهير المؤمنة شيئًا عن حياتهم ومرقعهم العلمي وإنجازاتهم الفكرية والعملية.

ويحصل كثيرًا أن يفاجأ الناس بالحديث عن فضل عالم أو مكانته ضمن برامج تأبينه (أي بعد وفاته)، أما في حال حياته فلا أحد يعرف عنه شيئًا عدا القلة القريبة منه. إن في حوزاتنا العلمية وأوساطنا الدينية قممًا شامخة من العلم والمعرفة، وكفاءات عظيمة في الفكر والثقافة، ونماذج رائعة في الالتزام بالقيم والمبادئ والخدمة والعطاء.. لكنها مغمورة مجهولة مما يحرم الأمة والعالم من الكثير من فوائدها ومنافعها. وهناك جهود جبارة عظيمة في مختلف ميادين العلم والمعرفة والحضارة لكنها تعيش في ظلام التعتيم والخفاء، إن الإعلام والدعاية للشخصيات العلمية الدينية وللمؤسسات والأنشطة التي يقوم بها المؤمنون أمر ضروري ومهم وذلك للمبررات الآتية:

أولًا: إن الشخصيات العلمية والفاعليات الدينية تجسد القيم الخيرة الصالحة فالإعلام لها وإبرازها يعني نشر وتكريس القيم التي تمثلها فحينما تمتدح العالم وتشيد به فأنت في الواقع تشيد بقيمة العلم وتؤكدها.

ثانيًا: الإعلام والإشهار للجهات الدينية يعني اتاحة الفرصة لجماهير الأمة لكي تتعرف عليها وتلتف حولها وتستفيد منها. فالطبيب المقيم في مكان خاف بعيد عن الأنظار ودون لوحة أو إشارة تدل عليه لا يقصده المرضى، لأنهم لا يعرفون عنه مع حاجتهم إليه.

ثالثًا: إن الإعلام سلاح فعال في معترك الحياة بين الأديان والمبادئ والتوجهات

والأمم والمجتمعات، وكأصحاب دين ومبدأ لا يصح لنا أن نترك ساحتنا تحت تأثير الإعلام للشخصيات والأفكار والجهات الأخرى. بل لا بد وأن نشهر سلاح الإعلام لرفع معنويات جمهورنا ولإرشادهم للبديل الإسلامي الأفضل، ولتأكيد الثقة في نفوسهم بدينهم وقادتهم وشخصياتهم ورجالاتهم. بل إن الإعلام السليم والمتطور يمكننا من التأثير على سائر المجتمعات والأمم، وإلفاتهم إلى قيم الإسلام ومبادئه وعظمته.

رابعًا: من الناحية الدينية فإن الإسلام يربينا على الدعاية والإعلام لأولياء اللّه وإبرازهم واحترامهم. إن اللّه تعالى يأمر نبيه محمد ﷺ بتخليد ذكر الأنبياء والأولياء والتحدث عن صفاتهم العظيمة.. يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

وفي القرآن الكريم مساحة واسعة لقصص الأنبياء والأولياء للإشادة بهم وتقديمهم للبشر كقدوات ولأخذ الدروس والعبر من سيرتهم. والرسول الأعظم ﷺ كان يمدح خيار صحابته ويشيد بفضلهم ومكانتهم، كمدحه الكثير والمكرر لآل بيته الهداة علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام. ومدحه لخيار الصحابة كأبي ذر وسلمان وعمار بن ياسر وأشباههم. وكذلك كان الأئمة المعصومون يثنون على أفاضل أصحابهم ويركزون قيمتهم ومكانتهم في المجتمع.

بل إن النبي وأهل بيته صلوات اللّه عليهم أجمعين كانوا يشجعون على مدح أنفسهم والثناء على صفاتهم الكريمة ومواقفهم النبيلة ومعاناتهم من الظالمين. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس».... وعن أبي طالب القمي قال: «كتبت لأبي جعفر عليه السلام بأبيات شعر وذكرت فيها أباه وسألته أن

يأذن لي في أن أقول فيه فقطع الشعر وحبسه وكتب في صدر ما بقي من القرطاس قد أحسنت فجزاك اللّه خيرًا».

وينقل التاريخ عن رسول اللَّه ﷺ تقديره للشعراء الذين كانوا يمدحونه ويذكرون جميع خصاله كارتياحه لشعر عمه العباس بن عبد المطلب لما قال: يا رسول اللّه أريد أن أمتدحك؟ فقال رسول اللّه ﷺ: قل لا يفضض اللّه فاك..فأنشأ قصيدته التي مطلعها:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

وكارتياحه ﷺ لشعر كعب بن زهير لما أنشده في مسجده الشريف لاميته التي أولها:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ

فكساه النبي بردة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم وكان الخلفاء يلبسونها في العيدين.

ولما أنشد كعب قصيدته وبلغ قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف اللّه مسلول

أشار ﷺ بكمه إلى الناس ليسمعوا منه.

وكان ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبرًا في مسجده الشريف يقوم عليه قائمًا يفاخر عن رسول اللّه ﷺ، وقال ﷺ: «إن اللّه يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول اللّه». ودخل الكميت على الإمام جعفر الصادق عليه السلام أيام التشريق بمنى فقال له: جعلت فداك ألا أنشدك؟ فقال الإمام عليه السلام: إنها أيام عظام. قال الكميت: إنها فيكم. فلما سمع الإمام مقاله بعث إلى ذويه فقربهم إليه وقال: «هات»، فأنشده لاميته من الهاشميات فحظي بدعائه عليه السلام، وأمر له بألف دينار وكسوة.

ما أغنى رسول اللّه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام عن مدح المادحين وثناء الشعراء ولكنهم كانوا يعرفون تأثير ذلك في مجتمعاتهم ودوره في معركتهم ضد الكفار الفاسدين. وما أعظم

درجة الإخلاص والزهد لدى الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته ﷺ، ولكنهم كانوا يرضون بالمدح والثناء ويشجعونه لما في ذلك من خدمة لخططهم الإلهي ولأهدافهم المقدسة.

وربما يتساءل البعض: كيف نوفق بين هذه الحقيقة وهي ضرورة توظيف الإعلام في خدمة الدين عبر الإعلام لرجالات الدين والمؤسسات الدينية والأنشطة الإسلامية وبين التعاليم الدينية التي تحذرنا من طلب الشهرة والتلوث بالرياء؟ والجواب: إن ذلك يكمن في طبيعة الدوافع فإذا كان الإعلام من أجل السمعة والمصالح الشخصية، وإذا كان الهدف من العمل الديني هو التظاهر به، فهنا يكون المحذور وهو ما تنهي عنه التعاليم الدينية.

أما إذا كان العمل خالصًا لوجه اللّه واستفيد من الإعلام لخدمة التوجه الديني، وكان المقصود إعزاز الدين بإبراز رجالاته وتشجيع الخير بتقديم النماذج له، فهو ما يحبذه الإسلام ويرغب فيه. وقد يقال: كيف نستطيع أن نحكم إذًا على صحة هذا العمل شرعًا أو عدمها ما دامت المسألة مرتبطة بالدوافع والنوايا ولا يعلمها إلا اللّه؟ والجواب: إن العمل الإعلامي كسائر الأعمال التي يؤديها الإنسان المؤمن من صلاة وصيام وحج وإنفاق وجهاد، وفي جميعها ترد احتمالات الإخلاص أو الرياء، ولسنا معنيين بالتفتيش على النوايا، وإنما الأصل الحكم بالصحة حتى يتبين العكس. وعلينا أن نرحب بأي عمل إعلامي لصالح جهة دينية، دون أن نبحث أو نناقش في نوايا القائمين بذلك العمل الإعلامي، كما ننظر إلى صلاة أي مسلم أو حجه أو إنفاقه فهل نطلب منه شهادة إثبات على صحة نواياه؟.

الإعلام الديني والحساسيات الداخلية:

من الطبيعي أن تتعدد الجهات والاتجاهات في الساحة الدينية وهناك العديد من المراجع والكثير من العلماء والفقهاء والخطباء والمؤسسات والأنشطة الدينية، وينبغي أن تكون الكثرة والتعدد منبع سرور وارتياح للإنسان المؤمن، لأن ذلك يقوي جبهته

أمام الجبهات المعادية، ويبعث على التنافس الإيجابي والتسابق إلى الخيرات. ومن حق كل جهة، بل قد يكون من واجب كل جهة، أن يكون لها اهتمام إعلامي وسعي لإبراز رموزها وشخصياتها، والإعلان عن أنشطتها وأعمالها.

بيد أن المؤسف حقًا أن تنظر جهة بسلبية وانتقاص لإعلام الجهة الأخرى وكأن الدعاية والإعلام للجهة الأخرى يتم على حسابها، أو أن امتداح هذا المرجع وإبرازه وإشهار شخصيته يتضمن التقليل من المرجع الآخر!!. إنها نظرة سلبية ضيقة فإثبات الشيء لا ينفي ما عداه، وإذا ما رأيت جهدًا إعلاميًا لصالح عالم أو مؤسسة ما فعليك أن تعرف أن ذلك يصب في صالح الحالة الدينية والإتجاه الديني بشكل عام، ولا بأس أن تندفع أنت لإبراز العالم الآخر، وإشهار شخصيته، فالمجال مفتوح أمام الجميع، ولتعرف جماهير الأمة كل المراجع، وليطلع العالم على ما لدينا من قمم علمية وفكرية.

الإعلام للبرامج والمواقف:

لا شك أن لإبراز شخصيات الأمة والإشادة بكفاءات أبنائها أمر مفيد لرفع المعنويات وتأكيد الثقة بالذات ولأداء شيء من حق الفضلاء الأعلام. لكن ما ينفع الأمة أكثر هو تقديم الدروس والعبر من خلال سيرة وتجارب أعلام الأمة وشخصياتها. والأكثر أهمية هو تبيين البرامج والمواقف لكل قائد ديني وزعيم اجتماعي في الأمة، فالأمة تواجه تحديات مصيرية وترتسم أمام أبنائها تساؤلات هامة في شتى مجالات الحياة. ومهم جدًا أن نعرف برامج مراجعنا وقادتنا للخروج بالأمة من هذا المأزق ولمواجهة التحديات الكبيرة، وأن نطلع على آرائهم ومواقفهم وإجاباتهم على التساؤلات المطروحة.

تحية لـ(مجلة المرشد):

لقد أكبرت في الأخ الكريم الفاضل الشيخ حسين الفاضلي همته العالية وطموحه الريادي حينما أخبرني عن عزمه على إصدار مجلة ثقافية موسمية فشجعته على ذلك.

لكني أشفقت عليه من عبء هذه المهمة الشاقة لما أعرفه من أوضاع الساحة الدينية، والتي غالبًا ما تضن بالدعم والتشجيع للمبادرات الطيبة وتستقبل أي مشروع بالتساؤلات والتشكيكات، وتضيق ذرعًا بالمنابر الحرة التي تستوعب مختلف التوجهات، ولاتحترم الرأي والرأي الآخر.

وأتذكر أني أكدت للأخ رئيس التحرير ضرورة الخروج من بوتقة الفئوية والتحيز لمرجع واحد، أو اتجاه واحد أو تيار واحد، وأن تكون المجلة منبرًا للساحة الإسلامية على اختلاف مدارسها ومراجعها ورموزها وشخصياتها. ولقد سرني وأنا أتابع مسيرة هذه المجلة الطيبة المرشد انفتاحها على الجميع وأرجو أن تستمر المجلة على هذه السياسة الحكيمة لتكون ساحة للتعارف، ودافعًا للتقارب، ومنبرًا للوسط الديني بأجمعه.

أكتب هذه السطور وأنا أتصفح مواد هذا العدد الجديد من مجلة [المرشد] الذي يتضمن ملفًا عن أحد المراجع البارزين هو آية اللّه العظمى المرجع الديني الميرزا علي الغروي (دام ظله العالي)، والذي يعتبر اليوم ركنًا أساسيًا للحوزة العلمية في النجف الأشرف، وقد يفاجأ الكثيرون بالمعلومات الواردة في هذا الملف عن حياته المليئة بالعلم والمعرفة والأخلاق الفاضلة، والنشاط المتواصل في خدمة الحوزة العلمية، وتربية أبنائها، وذلك راجع لما سبق ذكره من عوامل وأسباب تقعد بالمؤمنين عن إبراز شخصياتهم والإشادة برجالاتهم.

حفظ اللّه للأمة هذا العالم الفقيه والمرجع البارز وزاد في توفيقه لخدمة الدين والعلم، وجزى اللّه المبادرين لإعداد هذا الملف خير الجزاء، متمنيًا للمجلة الاستمرار والتوفيق والتقدم.

الليل والنهار

بتاريخ: ٧/ ٨/ ١٤٢٥هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

منح الله تعالى الإنسان عقلًا قادرًا على التفكير والنظر ليتأمل به في أرجاء هذا الكون الرحيب، وليدرك أنظمته وسننه، ويكتشف أسراره العميقة، ويستثمر خيراته الوفيرة.

ومن إمكانات هذه الطاقة العقلية الهائلة القدرة على البيان، والتعبير عن الرأي والشعور، وهي نعمة عظيمة يمتن الله تعالى بها على الإنسان، حيث يقول تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

وهي ميزة فريدة لبني البشر يستطيع الإنسان بها أن يتبادل الأفكار والمعارف والمعلومات بين أفراده، وأن يتناقلها عبر أجياله مدى التاريخ.

وبها يفصح عن أحاسيسه ومشاعره وخلجات نفسه ليتفاعل مع الآخرين مؤثرًا ومتأثرًا.

لكن قدرة البيان والتعبير يتفاوت مستواها عند أبناء البشر بحسب ممارستهم لها، وتفعيلهم إياها، وإمدادها بعوامل النمو والتطوير.

إن أكثرية الناس لا يلتفتون إلى هذه القدرة الرهيبة في ذواتهم، ويتركونها معطلة، لا يستفيدون منها إلا بمقدار ضئيل.

وقسم آخر يستثير هذه الطاقة ويحركها فيأخذ ويعطي في عالم المعرفة والفن والأدب. وهم الذين يثرون عالم البشرية بإنتاجهم العلمي والأدبي على اختلاف المستويات والمراتب.

إن التفات الإنسان إلى هذه الموهبة، وتوجهه إلى تفعيلها واستخدامها هو الخطوة الأساس في الطريق إلى ميدان العطاء والإنتاج المعرفي.

من هذا المنطلق أقدر للأخ الكريم الأستاذ حسن علي آل طالب حرصه على المشاركة والإسهام الأدبي لنشر المعرفة في وسط الجمهور.

إنه يعتصر ذهنه، ويسرّح بريد خياله، ويركز مشاعره، ويرصف انطباعاته، ليقدم نتاجًا معرفيًا بلغة جماهيرية شعبية واضحة.

لقد اطلعت على بعض كتاباته المطبوعة كما اطلعت على كتابين جديدين يعتزم تقديمهما للطبع والنشر هما: حوارية (الليل والنهار)، وحوارية (الحسناء والتاريخ)، فاستمتعت برقة التعبير، وحسن الأداء، وتبسيط الأفكار والمعارف ليتناولها الجميع.

فللأخ الكريم كل الشكر والتقدير على جهوده الطيبة، متمنيًا له المزيد من التقدم والعطاء، والحمد لله رب العالمين.

محض الإخلاص

بتاريخ: ٢٥/ ٢/ ١٤٢٦هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

الإخلاص عنوان لسمو الفرد وسبيل لتقدم المجتمع، فالإنسان الذي ينطلق في أعماله ومواقفه من مقصد نبيل، ويتقن أداء مهامه ووظائفه، هو المخلص الذي يحلق في آفاق السمو الروحي والأخلاقي.

والمجتمع الذي تسود أجواءه قيم الخير والصلاح، ويلتزم أبناؤه بمقاييس الجودة

النوعية في نشاطهم وحركتهم، هو المجتمع الذي يشق طريق التقدم ويحقق النمو والرقي.

لقد عرّف اللغويون الإخلاص بأنه: مصدر أَخلَصَ يُخلِصُ، وهو مأخوذ من مادة (خَ لَ صَ) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه.

وتعددت تعريفات علماء الأخلاق لمفهوم الإخلاص، قال النراقي في جامع السعادات: الإخلاص هو تجريد القصد عن الشوائب كلها... فالإخلاص تخليص العمل عن الشوائب كلها، كثيرها وقليلها، والمخلص من يكون عمله لمحض التقرب إلى الله سبحانه، من دون قصد شيء آخر أصلًا.

وقال الكفويّ: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يُعبَدَ المعبود بها وحده. وقيل: تصفية السر والقول والعمل. وقيل: تصفية العمل من التهمة والخلل.

وجاء في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الإخلاص يجمع فواضل الأعمال، وهو معنى مفتاحه القبول، وتوفيقه الرضا، فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وإن قلّ عمله، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وإن كثر عمله».

إن للإخلاص طرفين أساسيين:

الأول: سلامة القصد، بأن ينطلق الإنسان في أعماله وحركاته من مقصد نبيل، يرضي الله سبحانه وتعالى.

والطرف الثاني: أن يُحسن أداء العمل، دون تهاون أو خلل، حتى يكون عمله متقنًا صحيحًا.

وأغلب المشكلات والنواقص في حياة الناس ناتجة من فقدان الالتزام بهذا المفهوم الأخلاقي العظيم، حيث تكون الأغراض الذاتية والدوافع المصلحية هي المحرّك والباعث، بعيدًا عن قيم الحق والخير، والأسوأ من ذلك أن تستغل حتى الممارسات ذات الطابع الإنساني والديني من أجل تحقيق أغراض ومصالح ذاتية مصلحية.

كما تعاني الكثير من المجتمعات من ضعف الأداء وإتقان العمل في أوساط أبنائها. وهو مؤشر واضح لفقدان الإخلاص وغيابه.

إن مهام ووظائف أساسية يعتمد عليها مستقبل المجتمع وإدارة شؤونه الحاضرة تعاني من خلل كبير لأن أكثر القائمين بتلك الوظائف والمهام، يتساهلون في أدائها، ولا يهتمون بإتقانها، بسبب الكسل والإهمال والدوافع المصلحية المختلفة والتي تنبع جميعها من جذر واحد وهو غياب الإخلاص.

إن العاملين في حقل التربية والتعليم مثلًا والذين على أيديهم تتربى الأجيال وتكتسب العلم والمعرفة، كم هم بحاجة إلى الإخلاص في أداء مهمتهم، ليؤدي كل معلم دوره بجدية وإتقان، مخلصًا للمسؤولية الكبيرة التي يتحملها، واعيًا بخطورة المهمة التي يقوم بها في صنع الجيل وتأهيله لخدمة المجتمع والوطن.

وفي المؤسسات الصحية التي تتحمل أمانة الحفاظ على أرواح الناس وحماية صحتهم، كم هي الحاجة ماسة إلى درجة عالية من الإخلاص والاهتمام والإتقان؟

إن ظاهرة التسيب والإهمال في بعض المؤسسات الصحية الحكومية والأهلية أصبحت مرعبة مخيفة، وقد حدثني أحد العاملين في إحدى تلك المؤسسات عن موارد ومواقف مذهلة يندهش الإنسان من حدوثها من قبل إنسان يمتلك ضميرًا ووجدانًا. كما تنقل الصحف ويتحدث الناس عن آثار حالات الإهمال والتسيب في المؤسسات الصحية.

وليست الأمور في بقية المؤسسات والحقول بأفضل حالًا، ولا أقل خطورة من هذين المجالين التعليمي والصحي.

من هنا تأتي أهمية طرح موضوع الإخلاص والتأكيد على ضرورته، فهو ليس شأنًا عباديًا فقط بالمعنى المصطلح للعبادة، بل هو نهج سلوكي ومسار أخلاقي، له ثقافته وبرامجه واستهدافاته.

وقد سررت كثيرًا بتناول الأخ الكريم الأستاذ علي الدرورة لهذا الموضوع الهام، أرجو أن ينفع الله القارئين بما سطره في هذه الصفحات الجميلة المليئة بالحكم والنصوص والأفكار الدافعة إلى الإخلاص في المقصد وحسن الأداء.

إن الأستاذ علي الدرورة نموذج للمثقف المهموم بقضايا مجتمعه، فهو بالإضافة إلى انشغاله بحفظ التراث وتوثيقه عبر كتاباته ومشاركاته، يبذل جهدًا طيبًا في معالجة القضايا الاجتماعية على مستوى التواصل الاجتماعي والإنتاج الثقافي. أرجو له المزيد من التقدم والعطاء وأن يكثّر الله في رجال المجتمع أمثاله.

والحمد لله رب العالمين.

المدارس التفسيرية

بتاريخ: ٢٤/ ٧/ ١٤٢٦هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

من الطبيعي أن لا يتوقف بحث الإنسان وتأمله في موجودات الكون ومعادلاته وأسراره عند حدٍ معين، نظرًا لرحابة هذا الكون العظيم، وسعة أرجائه، وعميق أسرار وجوداته. ونتيجة للقوة العقلية الهائلة التي منحها الله تعالى للإنسان.

فكلما أدرك شيئًا من حقائق الطبيعة والحياة، قاده ذلك إلى البحث عن غيرها، ودفعه إلى استشراف ما وراءها، وهكذا تتراكم معارف الإنسان وتتطور خبرته العملية والعلمية.

إن الكون كتاب مفتوح أمام عقل الإنسان، لذلك تتبارى الأفهام في تفسير أحداثه،

واكتشاف قوانين الحركة فيه، ومعرفة خواص كل كائناته.

فتختلف الأفكار وتتعدد النظريات وتتوالد التخصصات العلمية، وربما تسود نظرية عن جانب من جوانب حياة الإنسان، أو قضايا الكون، لحقبة من الزمن، ثم تنسخها نظرية مغايرة، وتاريخ العلم والمعرفة شاهد على التغيير والتطوير في كل الميادين والحقول.

إن عقل أي إنسان مهما كانت عظمته لا يستطيع الإحاطة بأسرار الكون، ولا يتمكن من إدعاء استيعابها، فهو يستطيع النظر من زاوية معينة، وضمن مساحة محدودة، ليتكامل جهده مع جهود سائر العقول المتجهة إلى سائر الزوايا والمجالات. لذلك تكونت التخصصات المختلفة في العلوم.

وإذا كانت الطبيعة والحياة هي كتاب التكوين الإلهي، فإن القرآن الكريم هو كتاب التشريع الإلهي، الذي أنزله الله تعالى هدى للإنسان، وترشيدًا لفكره، وتقويمًا لسلوكه.

ويتماثل الكتابان التكويني والتشريعي في عظمتهما وإعجازهما، واستهلاكهما لعقل الإنسان وجهده، ليدرك عظمة خالقه، وليستفيد من وجوده في هذه الحياة إلى أقصى حدٍ ممكن.

لذلك اتسعت آفاق البحث القرآني، كما اتسعت رحاب علوم الطبيعة، حيث بدأ اهتمام المسلمين بكتاب ربهم القرآن الكريم، منذ الأيام الأولى لنزول آياته المباركة، فكانوا ينصتون لاستماعه، ويبادرون لتنفيذ أوامره، ويسألون رسول الله ﷺ عما يلتبس عليهم من مقاصده ومعانيه.

كان المجتمع حديث عهدٍ بمفاهيم القرآن، وكانوا يتعاملون مع آياته بعفوية وبساطة، ومع مرور الزمن تطورت ونمت حالة الانتباه والإدراك لأسرار آيات القرآن الكريم، ودقته في استخدام الحروف والكلمات، وللأغراض والمقاصد التي يستهدفها، فأصبحت آيات القرآن الكريم مفاتيح لمختلف توجهات المعرفة والفكر،

وتسابق العلماء في بذل جهودهم واعتصار أفكارهم، لفهم معاني كلام الله، وتشخيص مصاديقها وتطبيقاتها في واقع الحياة.

فتأسست علوم تخصصية لدراسة القرآن في أبعاده المختلفة، ونشأت مدارس لتفسير آياته وسوره، تعددت من خلالها زوايا النظر، وجوانب التأمل لفهم كتاب الله العزيز، والاستفادة من معارفه وعلومه.

هذا التنوع والاختلاف في فهم القرآن وتفسيره إنما يعني الإقرار بحرية الرأي والفكر، والتأصيل لحق الاجتهاد والنظر، والتأكيد لشرعية الاختلاف العلمي المعرفي، وهو ما ميّز الحضارة الإسلامية، وشق أمامها طريق الريادة والتقدم في تلك العصور.

فلا أحد يحتكر حق الفهم لكلام الله تعالى، الذي هو بيان للناس، والذي دعا الله تعالى عباده للانفتاح عليه مباشرة والتدبر فيه، يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، نعم لا بد من الموضوعية والتجرد من الأهواء وامتلاك أدوات المعرفة والفهم ليستطيع الإنسان أن يُبحر في محيط القرآن الواسع، وينهل من نميره الصافي.

صحيح أن المعصوم هو الأقدر والأعرف بمعاني القرآن وأغراض آياته، لكن ذلك لا يعني حرمان العقول من الاستضاءة بنور القرآن، والتلمذة في أرجاء مدرسته الرحيبة. إن كل أحد يمكنه الاستفادة من القرآن بمقدار استيعابه وقابليته، جاء عن الإمام علي ﷺ: «ما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى» .

وورد عن الإمام علي ﷺ أنه قال: «تدبروا آيات القرآن واعتبروا به فإنه أبلغ العبر».

وعن الإمام الحسين ﷺ أنه قال: «آيات القرآن خزائن العلم فكلما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر فيها».

إن الاهتمام بفهم القرآن وإدارك معاني آياته، أنتج للأمة تراثًا معرفيًا كبيرًا، وكرّس في أوساط علمائها حرية الفكر وحق التعبير عن الرأي، كما بعث الحراك العلمي العقلي في مجالات العقيدة والشريعة، ومختلف جوانب العلوم.

والكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم (المدارس التفسيرية) هو سجل توثيقي لجهود علماء المسلمين في تفسير القرآن العزيز، ومحاولات فهمه عبر عصور التاريخ الإسلامي، تتضح من خلاله تعددية المناهج، وتنوع القراءات والمدارس، واختلاف الآراء والتوجهات، في إطار الفكر القرآني والثقافة الإسلامية.

كما يشير إلى حركة التطور في المعارف القرآنية، فكل مفسر قد يشكل إضافة نوعية، وكل جيل قد يقدم عطاءً جديدًا يستلهمه من خزائن القرآن الكريم.

لقد سأل رجل الإمام جعفر الصادق ﷺ: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟

فقال ﷺ: «لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة».

لقد بذل الأخوان الكريمان الأستاذ محمد الشبيب والأستاذ محمد الشملاوي جهودًا طيبة في إعداد مادة هذا الكتاب التوثيقي، باستقصاء مناهج التفسير، وتوجهات المفسرين، وبتعريف مختلف التفاسير بإيجاز مفيد.

إنه جهد مشكور يستحق التقدير، ويشكل خدمةً هامةً على صعيد المعارف والثقافة القرآنية.

ولا يفوتني أن أشيد بالدور الكبير الذي يقوم به المؤلفان الكريمان وزملاؤهما في مؤسسة علوم القرآن بأم الحمام في محافظة القطيف، فهي مؤسسة رائدة في مجال بعث الاهتمام بالقرآن في أوساط الناشئة والشباب، عن طريق دورات التدريس وبرامج

الحفظ، والأنشطة المختلفة التي أحيت معارف القرآن في مجتمع المنطقة.

أرجو للمؤلفين الكريمين التوفيق والتقدم وأن يتقبل الله عملهما وينفع بجهودهما، وأهيب بأبناء المجتمع لدعم هذا النشاط القرآني المبارك، ولمساعدة هذه المؤسسة الهامة، ولتقدير هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدى بخدمتهم للقرآن وتوجههم لمعارفه.

والحمد لله رب العالمين.

الصلاة الفاخرة على النبي وعترته الطاهرة

بتاريخ: ١/ ١٠/ ١٤٢٧هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الالتزام بالمبادئ والقيم، والتمسك بمكارم الأخلاق، طموح كل إنسان سويّ، انطلاقًا من صفاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومن نداء الضمير والوجدان.

لكن طبيعة الحياة البشرية، وحيث تنطوي نفس الإنسان أيضًا على نوازع الهوى والشهوة، وتستقبلها في عالم المادة المغريات والعوائق، تجعل تحقيق طموح الالتزام بالمبادئ والقيم مهمة صعبة شاقة، لاينجزها إلا نسبة قليلة وعدد محدود من أبناء البشر في تاريخ الزمن.

ومن نعم الله تعالى العظيمة على الإنسان أن اصطفى نخبة من عباده، منحهم التوفيق لتجسيد مبادئ الحق في حياتهم، والتحلي بأرفع درجات الأخلاق في سلوكهم، ليكونوا قدوة وأسوة لأبناء الإنسانية، يدعونهم إلى الخير، ويحفزونهم للسير في طريق الصلاح، ويقدمون لهم التجارب الناجحة، والصور الجاذبة، التي ترفع معنويات الطامحين إلى

الرقي والسمو، وتعينهم على مواجهة التحديات من إغراءات وعقبات.

أولئك هم الأنبياء والرسل العظام والأوصياء والأئمة الكرام، الذين اختارهم الله واجتباهم لحمل رسالته إلى عباده، ليبلغوها عن طريق الدعوة والإرشاد، وعبر نموذج التطبيق والالتزام العملي بكل مبادئ الرسالة وتفاصيل أحكامها في مختلف أبعاد الحياة.

ولا شك أن وجود القدوة الصالحة هو خير محفز ودافع لسلوك طريق الهدى والصلاح، فالنماذج الصالحة تثير الشوق والانبعاث في النفوس نحو آفاق الفضيلة والمجد، وتشجّع على تجاوز العقبات والصعوبات، وتحدي الأهواء والشهوات.

لكن ذلك مرهون بتعرف الإنسان على تلك القدوات الرائدة، وتواصله مع شخصياتها وسيرتها الهادية، وحضور تلك النماذج الرسالية على صفحات قلبه، وأمام مرآة عقله، ليتزود منها بوقود العزيمة، وقوة الإرادة، وليستلهم من هديها ومواقفها روح الصدق والإخلاص والالتزام.

ولعل من أهداف الأمر الإلهي للمؤمنين بأن يواظبوا على الصلاة على النبي وآله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هو استمرار حضور هذه النماذج المشرقة النبي وآله الطاهرين في قلب الإنسان وعقله، وأمام وعيه وبصيرته، من أجل تحقيق هدف الالتزام بالقيم التي جسدوها في حياتهم، والتحلي بمكارم الأخلاق التي مارسوها في سيرتهم ومواقفهم.

ولذلك وردّ الحث والتشويق في الإكثار من الصلاة على رسول الله وآله الطاهرين، ليقترب الإنسان من نهجهم، وليتواصل نفسيًا وفكريًا مع هديهم ومسلكهم، فيكون مهيّئًا للتقدم على درب الخير والصلاح، محصنًا من الإنزلاق في مهاوي الضلال والفساد.

من هنا يشير عدد من الأحاديث الواردة في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ إلى

علاقة بينها وبين كسب الحسنات ومحو السيئات. كالحديث الوارد عنه ﷺ: «من صلى علي صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات».

وجاء في حديث آخر عنه ﷺ: «أكثروا الصلاة عليّ فإن صلاتكم عليّ مغفرة لذنوبكم».

وعنه ﷺ: «أتاني جبرائيل آنفًا فقال: يامحمد من صلى عليك مرة كتب الله له بها عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له بها عشر درجات».

إنه وبالإضافة إلى العطاء الآلهي الغيبـي من بركات الصلاة على رسول الله ﷺ، فإن العطاء الآخر يتمثل في الأثر النفسي والفكري الذي يتركه استحضار القدوات الصالحة في القلب والعقل، على شخصية الإنسان وتوجيه مسارات حياته، بحيث يتوجه لكسب الحسنات، ويتلافى الأخطاء والسيئات.

وبين يدي القارئ الكريم بحث قيّم يتناول هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة (الصلاة على النبي محمد وعترته الطاهرة)، بأسلوب أدبي رفيع، وبيان علمي واضح، يؤصل لهذه الشعيرة بذكر النصوص الداعية لها من مختلف المصادر الإسلامية، وبتحديد الكيفية التي أرادها الشارع المقدس لأدائها، حيث لم يترك الشرع الشريف شعائره وعباداته مجملة مبهمة، بل أوضح معالم كل شعيرة وحدّد تفاصيلها.

وقد تعامل الصحابة مع موضوع الصلاة على النبي ﷺ بإعتبارها شعيرة دينية، يحدّد الشرع كيفيتها، كما هو الحال في سائر الشعائر والعبادات، ولذلك توجهوا بالسؤال إلى رسول الله ﷺ حول كيفية هذه الشعيرة التي أُمروا بها.

فقد جاء عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتى رسول الله ﷺ فجلس معنا في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فصمت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال: «قولوا: اللهم صل

على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين...»

والحديث مذكور في صحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن الدارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد، ومستدرك الصحيحين وغيرها. ومثله أحاديث كثيرة.

لكن ما حدث في تاريخ الأمة الباكر من صراعات سياسية، ترك أثرًا على أداء وممارسة هذه الشعيرة، ذلك لأن الكيفية الواردة عن رسول الله ﷺ في الصلاة عليه، تتضمن الصلاة على آله وعترته الطاهرة، مما يثبت فضلهم على غيرهم، ويؤكد كونهم الامتداد لرسول الله ﷺ في دوره الرسالي القيادي، وهذا ما لا يتفق مع الواقع السياسي الذي حصل بعد رسول الله ﷺ خاصة في ظل الدولة الأموية والعباسية.

فكان لا بد من إغفال ذكر آل الرسول، أو إضافة غيرهم معهم لتعويم مكانتهم وجعلهم في مصافهم.

وقد بذل مؤلف هذا الكتاب سماحة العلامة الفاضل الشيخ حسن الراضي حفظه الله جهدًا مشكورًا في بحث جوانب هذه الشعيرة الهامة، معتمدًا على أوثق مصادر الحديث لدى المسلمين، ومستعرضًا لآراء العلماء المحققين، فجزاه الله خير الجزاء ونفع بجهوده روّاد العلم والمعرفة، وعشّاق الجمال النبوي البديع.

إن سطور هذا الكتاب القيم تكشف عن عمق الشعور الديني في نفس المؤلف، وجذور الولاء الخالص للنبي وعترته صلوات الله عليهم أجمعين، فنبرة الصدق، ومسحة الإخلاص جليّة ظاهرة في كل سطور الكتاب وحروف كلماته.

وليس ذلك مستغربًا على سماحة الشيخ الراضي فقد أنجبته أسرة عريقة في ولائها للنبي وآله، حيث كان أبوه الملا علي الراضي رحمة الله عليه من خيرة الصلحاء المؤمنين، ومن خلّص خدمة منبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وقد وفق الله الشيخ الراضي

للانتهال من نمير العلم والمعرفة، في مقتبل عمره وحداثة سنه، حيث هاجر للنجف الأشرف برفقة أخيه الأكبر سماحة العلامة المحقق الشيخ حسين الراضي حفظه الله، وهناك في مدينة العلم اقترب من عمالقة الفكر وحملة الرسالة، حيث كان وثيق الصلة بالمرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر والعلامة المجاهد الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رضوان الله عليهما، وغيرهما من أعلام الحوزة العلمية.

ومنذ تعرفت عليه قبل حوالي ثلاثة عقود رأيت لديه حبًا وتقديرًا عميقًا لجميع العلماء العاملين المصلحين، وسعيًا دائمًا لمؤازرتهم ودعمهم، بعيدًا عن التأثر بالعصبيات الفئوية، أو الإثارات والإشاعات المغرضة التي عادة ما تستهدف قادة الإصلاح ورواد النهضة والتغيير.

أسأل الله تعالى للمؤلف الكريم مزيد التوفيق والعطاء، وأرجو أن ينفع الله بكتابه، ويجعله في ميزان أعماله، لينال به شفاعة النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

صحيفة الإمام زين العابدين

بتاريخ: ٦/ ١١/ ١٤٢٧هـ

التخاطب مع أصحاب القوة والسلطة في المجتمع ليس أمرًا ميسورًا لكل أحد، حيث تحيط بهم فئة محدودة من ذويهم وأعوانهم وأهل القدرة والجاه لديهم، بينما يتعذر على الأشخاص العاديين الاقتراب منهم والتخاطب معهم.

لكن أبواب الاقتراب والتخاطب مع خالق الكون، والمهيمن على كل قدرة وقوة فيه، مشرعة مفتوحة أمام جميع الخلق، كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم.

حيث لا حواجز تحول بين الإنسان وربه، ولا حجب تمنعه عن التقدم إليه.

بل إن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده للاقتراب منه، والتخاطب معه، ويرغّبهم في ذلك، ويشجعهم عليه.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا قال العبد: يارب يارب. قال الله: لبيك عبدي سل تُعطَ).

وجاء عن الإمام علي ﷺ: (وأعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه).

وقد يتساءل المرء عن فلسفة الدعاء ومدى أهميته، فالله تعالى يعلم ما يدور في نفس العبد، ويعرف خلجات أحاسيسه ومشاعره، ويدرك أحواله وحاجاته، فلماذا الدعاء إذًا ؟ وهل هناك ضرورة لتقديم الطلبات والحاجات شفاهة باللسان أمام الله تعالى؟

نعم. إن الله تعالى يريد أن يُعبد، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾والدعاء من أهم مظاهر العبودية لله تعالى، حيث ينطوي على الإيمان بقدرته وهيمنته، ويجسد التطلع إلى رحمته ولطفه، ويعبر عن الإقرار بالحاجة والافتقار إليه، لذلك ورد في الحديث: (الدعاء مخ العبادة).

كما أن الدعاء يوثق الصلة بالله تعالى في نفس الإنسان، ويرفع معنوياته أمام المشكلات والضغوط، ويلهمه الأمل والقدرة على مواجهة التحديات، حين يشعر بالقرب من خالق الحياة، ومدبر الأمور، وحين يطمئن قلبه بذكر الله وسعة رحمته.

ولكن كيف يخاطب العبد ربه؟

وبأي لغة يتحدث؟

وماهو أسلوب التعبير عن المشاعر تجاه الله؟

وماهي طريقة تقديم الحاجات والطلبات بين يدي الخالق جلّ وعلا؟

لاشك أن ما يخرج من قلب الإنسان بعفوية وصدق حين ينفتح على ربه، ويتجه بكله إليه، هو أفضل أسلوب وطريقة في التخاطب مع الله تعالى.

وهنا تتفاوت درجات الصدق وصفاء القلب عند بني البشر، ويتفاوت مستوى التوجه الحقيقي إلى الله تعالى من شخص لآخر، فكلما كان الإنسان أكثر معرفة بعظمة خالقه، واشدّ انقطاعًا إليه، كان أفق انفتاحه على الله تعالى أكبر وأوسع، فينعكس ذلك على نوع وكيفية دعائه ومناجاته لله سبحانه.

لذلك تجد أولياء الله العظام من الأنبياء والأئمة والأصفياء، الذين حازوا أعلى درجات الصدق والإخلاص، تمتاز الأدعية المأثورة عنهم بخصائص فريدة، وعلامات مائزة، تكاد تهديك إلى مصدرها وأصلها، وأنها انطلقت من قلب مشع بنور الله تعالى، متصل بهداه.

وتمثل أدعية الصحيفة السجادية المأثورة عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ نموذجًا مشرقًا على هذا الصعيد.

فهي صحائف ثمينة، تناقلتها أيدي العلماء عبر التاريخ، وتوارثتها أجيال المؤمنين جيل بعد جيل، لتصل إلينا بإسناد معتبر، وقد قام أحد الباحثين المعاصرين، هو العلامة السيد محمد باقر بن السيد مرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني، بدراسة مفصلة لأسانيد هذه الصحيفة المباركة، وإجازات روايتها، ضمن طبقات الرواة المتسلسلة والمتصلة من الإمام علي بن الحسين إلى عصرنا الحاضر، ورتبها بعد ذلك على شكل

شجرة، تتضح فيها أسماء الرواة وعددهم في كل طبقة من الطبقات.

إن الأدعية التي تضمنتها هذه الصحيفة المباركة تمثل مدرسة تربوية عظيمة، تعرّف الإنسان على جوانب عظمة الخالق جلّ وعلا، وتوثق صلته به، وتزرع في قلبه الأمل في رحمته، والرجاء لعفوه، والخوف والرهبة من معصيته وغضبه، كما تنمي في نفس الإنسان التطلّع والطموح لمكارم الأخلاق ومعالي الصفات، وتجذب بعض أدعية هذه الصحيفة المباركة نظر الإنسان وتشد مشاعره نحو نماذج الخير وشخصيات الطهر والكمال في التاريخ البشري، عبر الصلاة عليهم والدعاء لهم، كأنبياء الله العظام، وأصحابهم وأتباعهم الكرام، والأولياء الصالحين، لتذكّر الإنسان بدورهم وفضلهم على المجتمعات البشرية، ولتربط الإنسان بسيرتهم وهديهم.

وفيها أدعية تلفت انتباه الإنسان إلى الأوقات الفاضلة المباركة، ليهتم باستثمارها ونيل نفحات الرحمة والبركة الإلهية فيها، كشهر رمضان المبارك، وأيام الأعياد، وكذلك مختلف مقاطع الزمن ومناطقه، كأدعية الصباح والمساء، وسائر الأوقات.

وبعض الأدعية تعنى بتذكير الإنسان بحقوق الآخرين عليه، وواجب حسن المعاشرة لهم، كالدعاء للوالدين والأولاد والجيران والمدافعين عن حدود الوطن (أهل الثغور).

وهكذا فإن أدعية هذه الصحيفة المباركة ليست مجرد ابتهال ومناجاة، بل هي في ذات الوقت كنز علم ومعرفة، ومدرسة تربية وإصلاح.

وليس مستغربًا أن تكون لهذه الأدعية هذه القيمة العظيمة، والعطاء الكبير، فهي صادرة عن إمام عظيم، وعارف كبير، هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي جسّد في حياته الانقطاع إلى الله، والإقبال على عبادته وطاعته، حتى عرفه الناس بـ (السجّاد) لكثرة وطول سجوده لله تعالى، وكنّوه (زين العابدين) لكمال شخصيته في مختلف الأبعاد.

ويسعدني أن أقدم لأبناء وطني وأبناء الأمة هذه الطبعة الجديدة من (الصحيفة السجادية) مع المقدمة الرائعة التي كتبها الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) فهي على اختصارها تقدم رؤية رائعة عن مضامين هذه الصحيفة، وعن سيرة الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

وإكمالًا للفائدة ألحقنا بها نص رسالة الحقوق للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وهي من أوائل النصوص الإسلامية الشاملة حول حقوق الإنسان وواجباته تجاه الله وأبناء مجتمعه.

أرجو أن يسهم نشر هذه الصحيفة في تعزيز القيم الدينية ومكارم الأخلاق، وفي توثيق صلة أبناء الأمة بنبيهم الكريم وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

مركز البيت السعيد بصفوى

بتاريخ: ٢٩/ ٢/ ١٤٢٨هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

في مواجهة التحديات الكبيرة التي تعصف بمجتمعاتنا، وتهدد قيمها الأخلاقية، وعلاقاتها الإنسانية، وتنذر بتغيير خطير في أنماط السلوك ومستوى التواصل بين أبناء المجتمع حتى ضمن المحيط العائلي.. في مواجهة كل ذلك لا بد من استنفار تربوي ثقافي اجتماعي يحفظ للمجتمع أصالته، ويحمي قيمه الحضارية وترابطه الإنساني، ويقلل من الآثار والانعكاسات السلبية لتطورات ظروف الحياة، والانفتاح الواسع بين

الثقافات والحضارات.

ووجود المؤسسات المهتمة بالقضايا الاجتماعية والمتخصصة في معالجتها هو أفضل وسيلة للارتقاء إلى مستوى التحدي، وخوض غمار مواجهة المشكلات.

من هنا نقدر لمركز البيت السعيد دوره الريادي في المنطقة كأول مؤسسة أهلية تتصدى لهذه المسؤولية. فمطبوعات المركز والدورات التي يقيمها والندوات التي يعقدها تكشف عن إدراك عميق للواقع الاجتماعي، وقدرة واعية في استلهام المعالجات والحلول من مصادر ثقافتنا الدينية.

وإنني إذ أشيد بالجهود الطيبة التي يبذلها الإخوة القائمون على المركز وفي طليعتهم فضيلة الشيخ صالح البراهيم، لأرجو لهم المزيد من البذل والعطاء في خدمة الدين والمجتمع، وآمل أن يتجاوب معهم رجال الخير في مجتمعنا ليتمكنوا من تطوير هذا المشروع الريادي، الذي يلبي حاجة دينية اجتماعية كبيرة.

والحمد لله رب العالمين

الموسوعة الشعرية المهدوية

بتاريخ: ٩/٦/١٤٢٨هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

الإمام المهدي قضية إسلامية كبرى تناولتها مئات الأحاديث والروايات والأخبار إن لم تكن ألوفًا.

وهو عنوان عريض لمستقبل الأمة الواعد حيث سيتحقق على يديه إظهار الإسلام فعليًا على الدين كله.

وهو تجسيد لتطلع الإنسانية عبر تاريخها الطويل لحياة العدل والأمن والرخاء، لأنه سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا.

فمن الطبيعي إذن أن تنشغل العقول والنفوس بموضوع الإمام المهدي، وأن يأخذ مساحة كبيرة وحيزًا واسعًا من عالم الفكر والثقافة والأدب.

فقد أفاض في نقل أخباره المحدثون والرواة، وناقش تفاصيل الاعتقاد به الباحثون وعلماء الكلام، كما تغنى بإشراقة طلعته البهية الشعراء والأدباء.

ولأن الحديث عن الإمام المهدي يعني الحديث عن الألم الموجع الذي تعانيه البشرية من الظلم والفساد، حيث يكون دواؤه وإزالته على يديه الكريمتين، ويعني التطلع إلى الأمل المشرق الذي سينبثق فجره من ظهوره المرتقب، لذلك فالحديث عن الإمام المهدي هو الذي يفجّر قرائح الشعراء، ويخصب خيال الأدباء، لأن الشعر والأدب في جوهره تعبير عن المشاعر والأحاسيس، والألم والأمل هما رافدا تلك المشاعر، وباعثا تلك الأحاسيس.

من هنا تبارى الشعراء في ساحة هذا الإمام العظيم، وتسابقوا على حلبة ميدان قدسه، يعرضون أمامه ملفات الألم، ويستنهضونه لتحقيق الأمل.

وفي الحقيقة فإن هؤلاء الشعراء لا يعبرون عن مشاعر ذواتهم فقط في إبداعاتهم المهدوية، وإنما هم لسان البشرية كلها في التعبير عن أوجاع الآلام وتطلعات الآمال.

وحين يقرأ الإنسان المسلم شيئًا من الأدب المهدوي، أو يصغي له، يجد في نفسه تفاعلًا عميقًا، وتجاوبًا مرهفًا مع وقع كل تفعيلة في النص الأدبي، ومع كل فكرة في مضامينه.

وقد وفق الله أخانا العزيز، وصديقنا الحبيب، صاحب الأخلاق الكريمة، والولاء الصادق للنبي وآل بيته الطاهرين الحاج عبد القادر بن الشيخ علي آل أبي المكارم،

ليقوم بمهمة جمع ما جادت به قرائح الشعراء في ذكر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، بعد أن حالفه التوفيق في جمع المدائح النبوية، والذي صدر كموسوعة أدبية في تسعة عشر مجلدًا أخذت موقعها في مكتبة الثقافة والأدب.

فهنيئًا لأبي عدنان هذا التوفيق الإلهي الكبير، فمن خدمة خاتم الأنبياء إلى خدمة خاتم الأوصياء، أرجو لموسوعته هذه النجاح، وأن يجد فيها الأدباء وعشاق الإمام المهدي المنتظرون لظهوره بلهفة وشوق، أن يجدوا فيها جميعًا ما يرفع معنوياتهم، ويشعل جذوة الأمل والحب في نفوسهم، ويزيدهم إيمانًا وثقة بمعتقدهم، وولاء وإخلاصًا لإمامهم المهدي المنتظر، حتى تقرّ أعيننا وأعينهم بالنظر إلى غرته الشريفة وطلعته الرشيدة.

وأجزل الله لأبي عدنان خير الجزاء والثواب على ما بذل من جهود في جمع هذه القصائد والتراجم، وتقبّل منه بأعلى درجات القبول.

والحمد لله رب العالمين.

على خطى الزهراء

بتاريخ: ١٥/ ١٢/ ١٤٢٨هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

لا شك أن للمعرفة والثقافة دورًا رئيسًا في تقدم المجتمع، فكلما اتسعت رقعة المعرفة، وتصاعدت حركة الثقافة كان المجتمع أسرع خطى على طريق التقدم والرقي.

ومن أهم مقاييس تقويم المستوى المعرفي والثقافي في أي مجتمع، دور المرأة ودرجة مشاركتها في الحركة العلمية، فلا يمكن أن يتقدم مجتمع يغطّ نصفه في سبات

الجهل العميق، ولا يرتقي مجتمع تنعدم فيه الفاعلية الثقافية للمرأة.

والمرأة هي الحضن الذي يمرّ من خلاله كل أبناء المجتمع ويتربون فيه، فإذا كانت جاهلة متخلفة فسينعكس أثر ذلك على تربيتها للجيل، وحين تكون مثقفة واعية يمكن التطلع بثقة أكبر إلى تأهيل المتخرجين من أحضان تربيتها.

ويمكننا القول بجزم وتأكيد أنه لا يكفي أن تكون المرأة مثقفة واعية، بل لا بد من مشاركتها في إنتاج المعرفة وصنع الثقافة، فالعلم والمعرفة ليس حكرًا على الذكور من أبناء البشر، ولا تقل قدرات المرأة الذهنية عن قدرات شقيقها الرجل.

لكن بيئة التخلف وأجواء الهيمنة الذكورية هي التي تجعل مسيرة الثقافة والمعرفة في المجتمع عرجاء، تعتمد على رجل الذكر وحده، وتشلّ دور المرأة.

إن الخطاب الإلهي في الرسالات السماوية موجه لأبناء البشر ذكورًا وإناثًا، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، وقوله تعالى:﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ ومعنى ذلك أن على المرأة أن تستقبل هذا الخطاب الإلهي، وان تتفهمه وتتدبره، وأن تستجيب له، تمامًا كالرجل.

جاء في صحيح مسلم عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر: (يا أيها الناس! وكانت الجارية تمشطها، فقالت للجارية: استأخري عني أي أمهليني حتى أسمع فقالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فأجابتها أم سلمة: إني من الناس).

لذاورد في الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ أنه قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، وورد في إحدى صيغ رواياته إضافة (مسلمة) مع أن كل مسلم موضوعه

الشخص فيشمل الذكر والأنثى على حد تعبير السندي في شرحه لسنن ابن ماجة.

وفي تاريخنا الإسلامي كان للمرأة دور معرفي لا ينكر، فكانت كالرجل طريقًا لسنة رسول الله ﷺ، ومصدرًا لمعرفة أحكام التشريع، حيث أجمع علماء المسلمين على الأخذ بروايات النساء، حينما تتوفر فيها شروط القبول والصحة، قال الشوكاني: (لم ينقل عن أحد من العلماء بأنه رد خبر امرأة لكونها امرأة، فكم من سنة تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة).

وقد أثبت الإمام الخوئي ﵀ في موسوعته (معجم رجال الحديث) في باب (النساء) أسماء ١٣٤ راوية روين الأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة من آله ﵈.

وجاء في كتاب (عناية النساء بالحديث النبوي) لمؤلفه مشهور بن حسن آل سلمان ٣٥٤ من تراجم النساء اللاتي كان لهن دور في مجال الحديث.

لكن عصور التخلف التي توالت على الأمة كان من آثارها تهميش دور المرأة العلمي والثقافي وبالتالي دورها السياسي والاجتماعي.

ومن مقتضيات صحوة الأمة في هذا العصر إحياء دور المرأة في المجتمع بدءًا من دورها المعرفي والثقافي، وخاصة على صعيد المعرفة الدينية بأن تأخذ موقعيتها في الحوزات والمعاهد العلمية، وأن تشارك في الإنتاج الثقافي والحركة العلمية.

وقد سررت كثيرًا باطلاعي على هذا البحث الجميل الذي أعدته الأخت الفاضلة بتول مرزوق رجاء الشريمي أم عمار حفظها الله، حول سيرة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﵍، وترسم خطاها الرسالية.

ولفت نظري سعة اطلاع الأخت الفاضلة، ورجوعها إلى عدد كبير متنوع من المصادر، من بينها موسوعات ومجلات، مما يدل على علاقة وصداقة وثيقة لها بالمطالعة والكتاب.

إن سعة الاطلاع وتنوع مصادر المعرفة تفتح أفق الإنسان وتثري آراءه وأفكاره.

وقد بذلت المؤلفة جهدًا مشكورًا في تقديم صور التأسي والاقتداء من سيرة سيدة النساء، على صعيد بناء الشخصية، والتقدم في طريق المجد والكمال.

جزى الله المؤلفة الكريمة خير الجزاء، ووفقها للمزيد من الإنتاج والعطاء في خدمة الدين والمجتمع، وحقق الله لها ما تأمله في تحفيز أبناء وبنات المجتمع للسير على خطى الزهراء البتول، فإن ذلك هو طريق التقدم في الدنيا والنجاة في الآخرة.

ولا يفوتني أن أشير إلى أن هذا البحث قد كشف لي جانبًا من شخصية زوج المؤلفة وهو الأخ الفاضل الشيخ فهد أبو العصاري حفظه الله، والذي عرفته داعية مخلصًا، ومثقفًا منفتحًا، مسكونًا بهمّ خدمة الدين والمجتمع، حيث يظهر هذا الكتاب نعمة جليلة من نعم الله تعالى على أخينا الكريم الشيخ فهد، إذ تقف إلى جانبه زوجة واعية صالحة، تشاركه اهتمامه بخدمة الدين وإصلاح المجتمع.

أرجو أن تكون هذه العائلة الكريمة قدوة صالحة في تحقيق السعادة والنجاح، وحسن التربية والرعاية، ونشر الوعي والفضيلة، مصداقًا للدعاء القرآني: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

والحمد لله رب العالمين.

المرجان في أحكام الحيتان

بتاريخ: ٢٦/ ٢/ ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

لا شك أن للعلم جاذبية كبيرة في قلوب عاشقيه، تجعلهم مستغرقين في رحابه، متجهين بكل طاقاتهم واهتمامهم نحو ميادينه، يصرفون وقتهم وجهدهم في كسب المزيد منه.

والعلم لوارده مثل ماء البحر لا يزيد شاربه إلا ظمأً، وكذلك هم عشاق العلم كلما اغترفوا منه عظم تعلقهم به، واشتد اندفاعهم نحوه.

فالثراء العلمي ينتج الشعور بالفقر إلى العلم، لأن الإنسان كلما تقدم علمه اتسعت رقعة المجهول أمامه، وأدرك حقيقة قوله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا). وهذا ما يدفعه لطلب المزيد من العلم، فيصبح شعاره وتطلعه هو (رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا). ويكون ذلك هو نهج حياته.

وهذا ما يفسّر استغراق العلماء وتفرغهم لطلب العلم، ودراسته وبحثه بكل وجودهم وعمرهم، واضعين نصب أعينهم مقولة: أعطه كلك يعطك بعضه.

وحين نقرأ في سير العلماء انقطاعهم عن كل ما ينشغل به الناس من جمع المال، وممارسة الملذات، والمخالطة مع الأقوام، وتوفير كل لحظة من حياتهم لحضور درس، أو مطالعة كتاب، أو بحث مسألة، أو تدريس طالب، أو تأليف كتاب، فإننا نعجب من مقاومتهم لإغراءات مختلف الرغبات والشهوات التي يتسابق إليها غيرهم.

أتراهم لا يمتلكون غرائز البشر، أو قدرات الاستمتاع؟

بلى إنهم كسائر البشر في غرائزهم ورغباتهم المادية، لكنهم وقعوا في عشق العلم والمعرفة، فسيطر عليهم غرام البحث العلمي، ولذة الكسب المعرفي.

ولا يمتلك الإنسان العاقل إلا إكبار هذه الذات المنصرفة للعلم، والعاشقة للمعرفة، والمتجهة بكلها إلى البحث والنظر والتحقيق.

لكن هناك إشكالية ينبغي تسليط الأضواء عليها، وخاصة فيما يرتبط بالبحث في ميادين العلوم الشرعية، وعلى الخصوص مجال البحث الفقهي الذي يرتبط بمعرفة الأحكام التكليفية للإنسان المسلم في مختلف مجالات الحياة.

وتكمن هذه الإشكالية في تشخيص الموضوعات الخارجية، لمعرفة انطباق الأحكام الشرعية عليها.

فإن استغراق الحالة العلمية الفقهية في البحث النظري، دون اطلاع مباشر على موضوعات الأحكام، ودون معرفة واضحة للأشياء، وبعيدًا عن الواقع المعاش للمكلفين، ودون رصد ومتابعة لتطورات الحياة وأوضاع المجتمع، قد ينتج إشكاليات في مجال تطبيق الأحكام الشرعية، ومعرفة مواردها ومصاديقها الخارجية.

ولتلافي هذا الإشكال لا بد من تطوير أجواء وبرامج الحوزات العلمية، بما يوفر فرص المباشرة للقضايا والأشياء، التي هي مورد انطباق للأحكام، وأن تتوفر المعلومات الكافية أمام الفقيه وطالب العلم الشرعي حول الموضوعات الخارجية، عبر وسائل المعرفة المتاحة، وبالانفتاح على الواقع المعاش، والمعاشرة للمجتمعات المعاصرة على صعيد أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

إن طرح المسائل الشرعية الفقهية بلغة تجريدية عامة، وعلى شكل افتراضات إذا كان كذا فالحكم كذا، يجعل أكثر المكلفين في موقف الحيرة، وعدم معرفة التكليف، وبالتالي عدم القدرة على الالتزام أو صعوبته.

فمع تقدم العلم والتكنولوجيا تربى إنسان هذا العصر على لغة الوضوح والتبيين، وتيسير الوصول إلى الفكرة وتطبيقاتها، وذلك في مختلف المجالات.

فإذا رأى نفسه أمام وضع آخر، في مجال معرفة الحكم الشرعي في قضاياه المعيشية الحياتية، يجعله في حالة التردد والارتباك، بسبب عدم الوضوح والتشخيص الدقيق

للموضوعات الخارجية، فإن ذلك لا يشجعه على الالتزام بالأحكام الشرعية والأخذ بها.

من هنا تظهر أهمية توجه بعض المشتغلين بالعلوم الشرعية إلى مباشرة الاطلاع، والتعامل مع الأشياء والأمور التي هي موارد لانطباق الحكم الشرعي.

فإن هذا التوجه يوفر أمام المجتمع تشخيصًا دقيقًا لموضوعات الأحكام، يسهّل عليهم مهمة الالتزام بالتكليف الشرعي، ويمنع وقوعهم في الأخطاء والمخالفات، الناتجة من الخلل في التشخيص والتطبيق.

وبين يدي القارئ الكريم تجربة طيبة قيمة، فهذا الكتاب الذي يسعدني التقديم له هو نتاج بحث علمي وخبرة عملية، ومعرفة مباشرة، في موضوع هو محل ابتلاء وحاجة للناس.

فالأسماك مادة غذائية رئيسية، وخاصة في مجتمعاتنا الخليجية، حيث تشكل موردًا اقتصاديًا هامًا، وهي ثروة كبيرة لم تستفد منها بلادنا مع الأسف الشديد بالمستوى المطلوب.

فبلادنا تقع على ضفة أهم مورد بحري للثروة السمكية في العالم، لكنها تستورد أكثر من نصف استهلاكها من الأسماك، في الوقت الذي تمتلك فيه أغنى مجرى مائي بالثروة السمكية في العالم، والذي يكتنز فيه أندر الأنواع وأثمنها.

وكان يجب أن تكون بلادنا مصدرة للأسماك لا مستوردة لها.

وكما يقول الخبراء فإن السعودية أقل الدول استثمارًا للخيرات الكثيرة التي تتوفر في البحر الأحر والخليج العربي.

لقد بلغ إجمالي الإنتاج من الثروة السمكية في السعودية لعام ٢٠٠٥م ٧٤٣٧٥ طنًا متريًا. بينما استوردت في نفس العام ما يلغ ١٤١٢٩٧ طنًا متريًا بقيمة ٧٦٦ مليون ريال

تقريبًا، وأهم الدول التي تستورد السعودية منها المنتجات السمكية هي على الترتيب: اليمن، سلطنة عمان، قطر، مصر، البحرين.

ولسنا الآن بصدد الحديث عن أسباب ضمور وضعف حركة اقتصاديات الأسماك في بلادنا، وهو موضوع يستحق الاهتمام منا جميعًا، في ظل ما تشكو منه مجاميع من أبنائنا من البطالة، وعدم توفر فرص الدخل المناسب، وفي ظل التضخم الاقتصادي وغلاء المعيشة.

إن هناك أسبابًا تتعلق بالأنظمة والقوانين، وأخرى ترتبط بتقصير رجال المال والأعمال، وثالثة ترتبط بضعف الفاعلية والنشاط لدى شباب الجيل.

أما هذا الكتاب فهو بحث جميل واسع، أمضى فيه مؤلفه زمنًا طويلًا من الإعداد والمراجعة، والأهم من ذلك، هو خبرة المؤلف العملية في موضوع البحث، حيث أن المؤلف ومع اشتغاله بطلب العلم منذ سنوات في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف وقم المقدسة، ثم مواصلته للدراسة في الحوزة العلمية ببلده القطيف، إلا أنه من هواة ركوب البحر لممارسة الصيد، في أوقات التعطيل الدراسي والإجازات، مما أكسبه خبرة ومعرفة في هذا الموضوع، إلى جانب دراسته واهتمامه بالقراءة والمطالعة، في النصوص الواردة حول الأسماك، من الأحاديث والروايات وآراء الفقهاء وفتاواهم.

ولا بد لي أن أشيد بما رأيته من المؤلف من انكباب على مطالعة الكتب المختصة بهذا الشأن، حيث يشرفنا في غالب الأيام بالمجيء إلى المكتبة التي أنشأناها في مكتبنا بالقطيف، لتكون مفتوحة للباحثين والقراء، ويظل مستمرًا في المطالعة والكتابة إلى انتهاء دوام المكتبة كل صباح يأتي فيه.

ولخبرته العملية أصبح مرجعًا لدى المتشرعين في مجتمعه في تشخيص كثير من الموضوعات التي تتعلق بها الأحكام في مجال الصيد، ومعرفة نوعية الأسماك، مما يجوز أكله وما لا يجوز.

إنني أبارك للأخ الكريم فضيلة الشيخ محمد فندم هذا الانجاز المبارك، وأرجو أن يأخذ الكتاب موقعه في ساحة العلم والمعرفة، وأن يكون نموذجًا لمقاربة العلماء للموضوعات الخارجية وبحثها على ضوء الخبرة والتجربة.

وأرجو للشيخ المؤلف المزيد من التوفيق في مسيرته العلمية، وفي عطائه المعرفي، وفيما منحه الله تعالى من صفاء النفس وحسن الأخلاق وطيب المعاشرة. آملًا أن لا ينساني من صالح دعواته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مولد أمل

بتاريخ: ١٠/ ٤/ ١٤٢٩هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد واله الطاهرين

كنت في حوالي العاشرة من العمر، حينما كان أبي رحمه الله، يأخذني معه في بعض ليالي شهر رمضان المبارك، إلى مسجد الشيخ رضي المحروس في الشويكة، للاستماع للخطيب الملا علي الطويل أطال الله عمره، وكنت أجد في خطابته نكهة خاصة يمتاز بها عن بقية الخطباء الذين أحضر مجالسهم مع والدي.

كان في غالب كلامه يلتزم بالعربية الفصحى، ويتقيد بقواعد اللغة نحوًا وصرفًا.

وقتها كنت متفاعلًا مع مواد اللغة العربية التي أتلقاها في الصف الرابع والخامس من المرحلة الابتدائية، لكني أشعر بحالة الانفصال بين ما أتلقاه في المدرسة من مواد اللغة العربية وآدابها، وبين اللغة السائدة في المجتمع، وهي اللغة الدارجة شعبيًا، والتي أصبحت في الغالب أيضًا لغة الخطباء على منابرهم، لأن أكثرهم آنذاك لم يدرس قواعد اللغة، وبعض من درس منهم يفضل استخدام اللغة الدارجة نزولا إلى مستوى

الجمهور.

أما خطابة الملا علي الطويل فقد وجدت فيها ما كنت أحبه واعشقه من فصاحة اللغة، وسلامة أداء كلماتها، والحرص على حسن التعبير وتركيب الجمل.

والأمر الآخر الذي شدني إلى أبي حسن كان حسن استقباله وإبدائه الاهتمام والتقدير، فقد كان يمسك بيدي طويلًا حين أصافحه، ويفاكهني، ويذكر لي علاقته بجدي لأبي الشيخ رضي الصفار، وجدي لأمي الملا محمد الشيخ عبدالله آل سيف أحد أساتذته في الخطابة، وكذلك كان يحكي لي عن علاقته مع والدي وهو أحد تلامذته في الخطابة لمدة من الزمن.

فكنت أنتظر لحظات مصافحة أبي حسن بشوق، وأرغب الذهاب إلى مجلس خطابته كل ليلة.

ثم تعرفت عليه أكثر، وانجذبت إليه أكثر، فصرت أحضر مجلسه بعض الأيام في منزله الصغير المتواضع في القلعة، وكانت جدران الغرفة الصغيرة كلها مغطاة برفوف الكتب، وكانت الجلسة تبدأ في وقت مبكر بعد الظهر، وتستمر إلى المغرب، ويواظب على الحضور فيها عدد من الشباب المهتمين بالثقافة والأدب، وكان الشاي الذي يقدم للزائرين مميزًا، حيث يعتني أبو حسن شخصيًا بإعداده بطريقة خاصة، تمنحه مذاقًا خاصًا، وكان أبو حسن يتناول الشاي باستذواق والتذاذ فريد من نوعه.

كان أبو حسن يعرف موقع كل كتاب في مكتبته، مع أنه كفيف البصر، وكان يستثمر حضور الشباب لديه، ليقرأوا عليه، وفي ذلك المجلس يهيئ مادة خطابته، ومما لفت نظري أنه كان يفيد من يقرأ عليه، بتصحيح نطقه بالكلمات، لتلافي مخالفة قواعد النحو والصرف، وعند الاستشكال في أي لفظة، يطلب أبو حسن الرجوع إلى مصدر لغوي كلسان العرب أو مجمع البحرين، أو المغني وأمثالها من كتب اللغة والنحو .

فكان مجلسه مدرسة أدبية ومنتدى اجتماعيًا تتداول فيه الأفكار وأخبار المجتمع.

وهكذا استمرت علاقتي وتواصلي مع أبي حسن، ولقيت منه التشجيع والتوجيه حين بدأت ممارسة الخطابة، وحين غادرت البلاد لظروف العمل السياسي، وأقمت في سوريا لسنوات، كان أبو حسن يطلّ علينا في بعضها أيام الصيف، فيسعدني بزيارته لمنزلي كل مساء مع زوجته الطيبة المرحومة أم حسن، فكانت تلك الزيارات والجلسات منبع سعادة وسرور وفائدة، حيث كنت أقرأ عليه بعض مطبوعاتنا في الخارج التي لا تصله داخل البلاد، فكان يأنس بما يسمع، ويتفاعل، ويثري بعض المواضيع بما لديه من معلومات وشواهد.

ولا زلت أجد في أبي حسن ناصحًا صادقًا وموجهًا مخلصًا، أزوره بعض الأحيان مساءً بعد مجلسه العام، طالبًا منه الحديث عن بعض الجوانب من تاريخ المجتمع، فيحدثني عن قصص وحوادث تتعلق بدور بعض العلماء وشخصيات البلد، وبمسار الحالة الدينية والاجتماعية، إنه أحد كنوز الذاكرة الوطنية، وكم أتمنى تسجيل ما تحفل به ذاكرته من أحداث، وما في نفسه من انطباعات.

اسأل الله تعالى له طول العمر وموفور الصحة والسلامة.

كما أني أراه نموذجًا رائعًا وقدوة حسنة في أكثر من جهة وجانب، أستعرض منها ما يلي:

أولًا: التثقيف الذاتي وعشق المعرفة:

لم يمنعه فقد البصر عن طلب العلم، ولا قلة اليد عن اقتناء الكتاب، فللكتاب في نفسه معزة كبيرة، إنه يضع قطعًا من القماش أعلى الكتب في الرفوف حتى لا يصيبها الغبار، ويتناول الكتاب من الرف بعناية، وينزعج ممن يفتح الكتاب أو يضعه أو يتعامل معه بدون عناية.

إنه حريص على الاطلاع على أي كتاب يقع في يده، ويصغي بانتباه شديد لمن يقرأ عليه، ويحاول أن يفصل نفسه عن الأحاديث الأخرى التي تدور بين الحاضرين، حتى

لا تؤثر على تركيزه، ويطلب من القارئ أن يعيد قراءة بعض السطور والجمل.

كما أنه يهتم باستماع المحاضرات عبر أجهزة التسجيل والمذياع، ويركز في استماعه، وترى التفاعل باديًا على محياه تأييدًا أو اعتراضًا، كما ويبدي رأيه حول الموضوع المطروح.

وبالنسبة لي شخصيًا، تلقيت منه بعض الاتصالات، ليناقشني في بعض ما قرأ من كتاباتي، أو سمع من خطاباتي عبر المذياع، وهو موضوعي في نقاشه، فقد يقبل وجهة نظرك أو يخالفك الرأي فيها.

ثانيًا: احترام المنبر:

المنبر الحسيني في وعي أبي الحسن ليس مجرد مهنة أو حرفة، وليس مجرد مصدر رزق، بل هو مسؤولية ورسالة، لذلك تراه يستعد لخطابته، فلا يقرأ دون تحضير وإعداد، ويحفظ النصوص بإتقان، ويلقيها على المستمع بعناية وذوق، وهو من الخطباء القلائل الذين يتفاعلون مع النصوص الدينية والأدبية التي ينقلونها للجمهور، فهو يعشق النص الذي يختاره ويتذوقه، ويسعى لنقل هذا الإعجاب والتذوق للمستمع، وخاصة حين يقرأ روائع الشعر في مدح النبي ﷺ، في مناسبات ذكريات مواليدهم، إنه يطرب لتلك الصور الأدبية، والمعاني الجميلة، ويريد منك أن تطرب معه، فيعيد المقطع، ويشرح ألفاظه، ويوضح معانيه، ويتفاعل بقسمات وجهه وحركات يده.

وهو يحرص في خطابته على استخدام اللغة العربية الفصحى، ويلتزم بقواعد النحو والصرف، ويختار الكلمات الرصينة، والجمل الواضحة البليغة.

من ناحية أخرى فإنه يرفض كثرة المجالس فلا يقرأ عددًا من المجالس في المناسبات، إنه يقتصر على مجلسين أو ثلاثة في كل موسم، عدا بعض السنوات القليلة التي تجاوز فيها هذا النهج. ولاحترامه المنبر قرر لنفسه التقاعد قبل سنوات، حيث

قلّص التزامه الخطابي، مقتصرًا على مجلس واحد في موسم المحرّم، في حسينية البيات، بضغط شديد من أصحاب المجلس والمستمعين. وقبل ثلاث سنوات اعتذر حتى عن هذا المجلس الوحيد، مبررًا تقاعده بأنه قد كبُر وتعب، واحترامه للمنبر لا يسمح له بأن يقرأ دون أن يجد في نفسه القدرة والحيوية الكافية.

ثالثًا: حب الناس وحسن المعاشرة:

إنه في غاية الشعبية والبساطة، يستقبل زائريه بحفاوة واحترام، ويشدّ على يد مصافحيه، ويسأل من لم يعرفه عن اسمه وعائلته وبلده. ويدعو الناس لزيارته، ويبادل كل أحد الفكاهة والظرافة، ويتواصل مع الناس في أفراحهم وأتراحهم.

وحين عقدت في مجلسي لقاءً أسبوعيًا كل ليلة سبت للعلماء والخطباء وطلاب العلوم الدينية، كان الملا علي الطويل من المواظبين على الحضور أسبوعيًا لمدة ثمان سنوات إلا ما ندر.

وفي بعض الأسابيع كان بعض المشايخ يستضيف اللقاء في مجلسه كالشيخ عبدالمجيد أبو المكارم رحمه الله في سيهات، والشيخ حسن الخويلدي في صفوى، والسيد علي السيد ناصر السلمان في الدمام، فكان أبو حسن يبدي رغبته في الذهاب معنا والحضور في المجلس، تشجيعًا منه لهذه البادرة الطيبة، وتفاعلًا مع أبناء صنفه وطبقته.

يرفض الدخول في الصراعات والخلافات، ويبدي الاحترام لكل المراجع والعلماء، واختلافه مع أحد في الرأي لا يدفعه لمقاطعته أو الإساءة إليه، وقد يناقشه في رأيه لكن بأدب واحترام.

وهذا خلق رفيع وخاصة في الوسط الديني، الذي يعاني من كثرة الخلافات والصراعات، بسبب تعدد الانتماءات المرجعية، واختلاف الآراء والتوجهات، والتي تدفع ببعض عناصر هذا الوسط إلى إظهار العداء لمن يخالفه الرأي، وقد تصل إلى حد التجاوز على الحدود والحقوق، بانتهاك حرمات الآخرين، والسعي لإسقاط

شخصياتهم، وتشويه سمعتهم، والدعوة إلى مقاطعتهم، لا لشيء إلا الاختلاف في التوجه والرأي.

لقد عافى الله أبا حسن من هذا المرض الأخلاقي الوبيل الذي يسخط الربّ، ويثقل النفس بالأحقاد، ويسيء إلى العلاقات الاجتماعية.

لهذه الصفات الطيبة وأمثالها أجد في شخصية الخطيب الملا علي الطويل نموذجًا للاحتذاء، وقدوة للتأسي، لذلك اقترحت على الأخ الكريم الأستاذ علي بن أحمد القبعة حفظه الله، وهو من رواد مجلس أبي حسن، ومن تلامذة مدرسته الأدبية الأخلاقية، أن يكتب سيرته، وتجارب حياته، وسماته الطيبة الكريمة. وفاءً لحقه على المجتمع، وحفظًا لهذه الصفحة من التاريخ الاجتماعي.

فشكرًا للأستاذ القبعة على استجابته لهذا الاقتراح، وعلى الجهود التي بذلها لإخراج هذا البحث الجميل، والذي يضاف إلى جهده السابق في نشر ديوان جده الشاعر محمد بن سلطان القطيفي بعنوان (ودائع السلطان)، وفي انتظار المزيد من عطاء المؤلف وإنتاجه في خدمة الثقافة وتاريخ الوطن، حياه الله وكثّر في أبناء البلاد أمثاله، وجزاه الله خير الجزاء على وفائه وتقديره لرجال العلم والأدب.

وحفظ الله أبا حسن بخير وعافية .

والحمد لله رب العالمين.

شاخصة الأبصار لذوي الاختيار

بتاريخ: ١٧/ ٥/ ١٤٢٩هـ

قد يجد الإنسان نفسه عند اتخاذ قرار أنه في حالة حيرة وتردد، وأنه أمام أكثر من خيار، فهل يقدم على الأمر أو يحجم عنه؟ وهل ينجزه بهذه الطريقة أو بطريقة أخرى.

ورغم أنه لا يكاد يسلم إنسان من الوقوع في حالة الحيرة والتردد عند اتخاذ بعض القرارات، إلا أن مستوى هذه الحالة تختلف من شخص لآخر، من حيث ندرة أو تكرار حصولها، ومن حيث أسلوب التعامل معها.

فأكثر الناس تعتريهم حالة التردد حينما يجدون أنفسهم أمام حدث مفاجئ، أو قضية خطيرة ذات أثر بالغ على حياتهم ومصالحهم، وهذا أمر طبيعي.

لكن هناك من تلازمه حالة التردد في مختلف الأمور والمواقف، وهذا حال غير طبيعي.

إن للحيرة والتردد في اتخاذ القرار أسبابًا من أهمها ما يلي:

أولًا: قصور إحاطة الإنسان بجوانب موضوع القرار، مما يجعله غير واثق من القدرة على انجازه، أو غير مطمئن لسلامة نتائجه، أو لعدم اتضاح أفضل سبل وأساليب تحقيقه.

ثانيًا: تزاحم الرغبات والمصالح في نفس الإنسان، فهو يرغب في شيء لكنه يخشى أن تفوته به رغبة أخرى، ويطمح لمكسب معين، لكن ذلك قد يكلفه ثمنًا لا يريد دفعه. إنه يضطر حينئذ لتقديم مصلحة على أخرى، ولتحمل بعض الخسائر من أجل بعض المكاسب. مما يوقعه في دوامة الحيرة والتردد.

ثالثًا: ضعف الثقة والعزيمة، فهناك علاقة وثيقة بين حالة التردد عند الإنسان وبين مستوى ثقته بنفسه، ومستوى عزيمته وإرادته. فأصحاب الثقة العالية بالنفس، والمتوفرون على قوة العزيمة، تقل عندهم موارد الحيرة والتردد في اتخاذ القرار، بينما يكون ضعفاء العزيمة والثقة بأنفسهم فريسة لتلك الحالة غير السويّة من كثرة التردد والاضطراب في اتخاذ القرار.

وللعادة والممارسة أكبر الأثر على هذا الصعيد، حيث يتمكن الإنسان من تعزيز

ثقته بنفسه، وتقوية عزيمته، حين يعتمد التفكير ويمارس الحزم، ولا يستجيب لحالة التردد.

العقل وإدارة الحياة:

من أوضح الأدلة على وجود الله تعالى وعظمته حاكمية النظام على الكون والحياة، فليس هناك عبث ولا فوضى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾.

إن كل ذرة في الكون وجدت لهدف محدد، وغاية مرسومة، وهي تسير وتتحرك ضمن نظام دقيق ومعادلة ثابتة، يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾.

وحين سخر الله تعالى الكون لخدمة الإنسان، فإنه تعالى منح الإنسان قدرة يعرف بها ويفهم من خلالها السنن الحاكمة على الكون والحياة، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ وتلك القدرة هي العقل العظيم.

فبالعقل يكتشف الإنسان سنن الحياة وأنظمة الكون، ليستطيع الاستفادة من الكائنات والخيرات التي سخرها الله تعالى له، وليتمكن من إدارة حياته وتسيير شؤونه.

وبمقدار ما يتجه الإنسان لعقله، ويُعمل تفكيره، تتقدم معرفته، وتزداد إمكانيات تأثيره، وتتطور حياته.

لذلك فإن الإنسان مدعو للالتفات إلى هذا الكنز العظيم العقل، والثقة به، واستثمار قدراته الهائلة، والاستضاءة بنوره الكاشف في دروب الحياة.

إن على الإنسان أن يرجع لعقله عند أي مشكلة تواجهه، وللإجابة على أي سؤال ينتصب أمامه، وحين يريد اتخاذ أي قرار، أو سلوك أي طريق، أو القيام بأي عمل.

وأخطر شيء على الإنسان، وأسوأ ما قد يقع فيه، هو إعراضه عن عقله، وغفلته عن الاحتكام إليه، والاهتداء بنوره، وحينئذ يكون فريسة الجهل والخرافة، وأسير الشهوة والهوى. وبمقدار غفلته عن عقله يفقد من مستوى تميزه الإنساني، حتى ينحط إلى مستوى البهائم. كما يقول الله تعالى في صفة الغافلين عن عقولهم : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

ولأن الإنسان معرض للوقوع في هذا الخطر العظيم، خطر الغفلة عن العقل، فقد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل لتحذير الإنسان من الغفلة عن عقله، ولإرشاده لأفضل طرق الاستفادة من العقل، بعيدًا عن الحواجز والحجب والمؤثرات المشوشة على التفكير.

لذلك نرى تركيز القرآن الكريم على مسالة العقل والتعقل، وما يرتبط به من مناهج التفكير والعلم والنظر والتدبر، حيث وردت لفظة العقل والتعقل في آيات القران الكريم تسعًا وأربعين مرة كقوله تعالى: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ والتي وردت ثلاثة عشر مرة. وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ والتي وردت سبع مرات.

أما الفكر والتفكر فقد ورد في ثمانية عشر موضع من القرآن الكريم. وجاءت لفظة الفقه والتفقه في عشرين مورد.

أما لفظة العلم والتعلم فقد وردت في مئات الآيات.

إضافة إلى الآيات التي تتحدث عن التدبر والتذكر والنظر.

كما جاء في السنة الشريفة عدد كبير من الأحاديث والروايات التي تؤكد على مرجعية العقل ومحوريته في حياة الإنسان، بشكل مطلق.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما يدرك الخير كله بالعقل».

وعنه ﷺ: «استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا».

وعنه ﷺ: «إذا أردت أمرًا فتدبر عاقبته، فإن كان خيرًا فأمضه، وإن كان شرًا فانته».

ويقول الإمام علي ﵇: «العقل صلاح كل أمر».

وعنه ﵇: «لا يستعان على الدهر إلا بالعقل».

وعنه ﵇: «ولا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ».

وعنه ﵇: «بالفكر تنجلي غياهب الأمور».

هذه النصوص الدينية وأمثالها تؤكد على مرجعية العقل، وإن على الإنسان أن يعود إلى عقله، وأن يُعمل فكره لمواجهة أي مشكل في حياته، فيتخذ قراره بناءً على ما يهديه إليه عقله، ويقوده تفكيره. مع الالتزام بمنهجية التفكير السليم.

وما حققه الإنسان من انجازات علمية وعملية ضخمة في مختلف مجالات الحياة هو أكبر شاهد على عظمة العقل، وقدرته على تجاوز الصعاب ومواجهة التحديات.

إن من أسباب تردد الإنسان في اتخاذ القرار ضعف ثقته بعقله، وعدم اجتهاده في ممارسة التفكير، مما يؤدي إلى ضمور نشاطه الفكري، وقد لا يلتفت الإنسان إلى ضوابط التفكير السليم، فتلتبس عليه الأمور، ويصاب بالحيرة والتردد.

الاستنارة بعقول الآخرين:

قد يفكر الإنسان في موضوع تنقصه الإحاطة ببعض جوانبه، وقد تتعارض الانشدادات والميول داخل نفسه، وقد يعيش أجواء ضاغطة تدفعه نحو خيار أو آخر، فيجد نفسه عاجزًا عن اتخاذ القرار، وأسيرًا لحالة التردد والحيرة.

وهنا عليه أن يلجأ إلى العقل مرة أخرى، عبر الاستنارة بعقول الآخرين ممن يثق بمنهجيتهم السليمة في التفكير، ويطمئن إلى صدقهم وخبرتهم في ذات الموضوع، فيستشيرهم ويستعين بعقولهم، ليشاركوه في التفكير وإعمال النظر. وليتجاوز نقاط

الضعف التي سببت له الحيرة والتردد.

ويشير حديث مروي عن رسول الله ﷺ إلى أن استشارة أصحاب الرأي تساعد الإنسان على الوصول إلى حالة الحزم والحسم، وتجاوز الحيرة والتردد، يقول ﷺ: «الحزم أن تستشير ذا الرأي».

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «ما من رجل يشاور أحدًا إلا هدي إلى الرشد».

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «من شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول».

وعنه عليه السلام: «إذا أنكرت من عقلك شيئًا فاقتد برأي عاقل يزيل ما أنكرته».

وعنه عليه السلام: «حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء».

ويشير الإمام علي عليه السلام إلى أن من أهم مميزات الاستشارة كون الآخر الذي تستشيره خارج تأثيرات الضغوط التي تسبب للإنسان التردد، يقول عليه السلام: «إنما حُضَّ على المشاورة لان المشير صرف، ورأي المستشير مشوب بالهوى».

وعنه عليه السلام: «من شاور ذوي الألباب دل على الصواب».

بالطبع فإن على الإنسان أن يشاور ذوي الاستقامة وأصحاب الخبرة والتجربة يقول علي عليه السلام: «شاور في أمورك الذين يخشون الله ترشد».

وعنه عليه السلام: «خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم».

وعن معلي بن خنيس قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلًا عاقلًا له دين وورع. ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: أما إنه إذا فعل ذلك لم يخذله الله».

دور الاستخارة:

من أجل أن يتكامل الإنسان، ويستفيد من الطاقات التي أودعها الله تعالى في كيانه،

ومن أجل أن تتبلور إرادته وتنصقل شخصيته، منحه الله تعالى حرية التفكير والحركة، فهو يفكر ويقرر، ويعمل ويتحرك، ضمن سنن الكون وأنظمة الحياة، ومن ثم يتحمل مسؤولية قراره وعمله.

ومن لطف الله تعالى بالإنسان، أرشده عبر رسله وأنبيائه إلى المنهج السليم للتفكير، والطريق الصحيح لاتخاذ القرار، والاتجاه الأفضل للحركة والعمل.

وذلك بإرشاد الإنسان إلى عقله، وتحذيره من الخضوع لأهوائه وشهواته، أو التأثر بعوامل التشويش والضلال.

فالعقل هو مرجعية الإنسان في إدارة حياته، كما تؤكد نصوص الشرع، ويؤيده واقع التقدم الذي حققه الإنسان في تطوير الحياة عبر العصور.

لكن مشكلة الإنسان تكمن في مدى استفادته من عقله، والتزامه منهجية التفكير السليم، وفي مستوى إرادته لمواجهة مختلف ضغوط الإضلال والانحراف، وعوامل الضعف والخطأ.

وحين يواجه الإنسان قضية تهمه، وتتعدد أمامه الخيارات، فإنه بحاجة إلى درجة عالية من صفاء النفس، وثبات الفكر، وسلامة النظر، ليتخذ تجاهها القرار الموضوعي الصائب.

وهنا يلجأ الإنسان إلى ربه طالبًا منه التوفيق والسداد، مستلهمًا منه الطمأنينة والثقة، لكي يهتدي إلى أصوب قرار وأفضل رأي.

هذا الإقبال على الله، والتوجه إليه لتجاوز حالة التردد والحيرة في اتخاذ القرار، ولنيل توفيقه تعالى وتسديده، هو ما يطلق عليه في النصوص الدينية مصطلح الاستخارة.

والاستخارة معناها طلب الخير في الشيء، وهذا هو المعنى اللغوي، خار الشيء

على غيره وانتقاه. اللهم خر لي: أي اختر لي أصلح الأمرين، واجعل الخيرة فيه، وعندما يقال: خار الله لك، أي أعطاك ما هو خير لك.

وقال الراغب الأصفهاني (توفي ٥٠٢هـ): استخار الله العبد فخار له، أي طلب منه الخير فأولاه.

وقال ابن إدريس: الاستخارة في كلام العرب الدعاء.

فالمعنى الحقيقي للاستخارة هو الدعاء وطلب الخير من الله تعالى، واستخار الله طلب الخير منه.

والنصوص التي تُرغّب الإنسان في الاستخارة، وتحذر من الإقدام على عمل قبلها، إنما تقصد الاستخارة بهذا المعنى، أي الدعاء وطلب الخير من الله تعالى.

وتوجّه بعض النصوص إلى التقرب إلى الله تعالى بصلاة ركعتين، وقراءة سور أو آيات من القرآن الكريم، ومناجاة الله تعالى ببعض الأدعية المروية عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ.

وهناك فهم آخر ونوع آخر من الاستخارة بمعنى المشورة مع الله تعالى، لكي يرشد الإنسان إلى القرار الصائب عبر بعض الطرق والأساليب الكاشفة، كالاستخارة بالقرآن الكريم، أو المسبحة أو الرقاع أو البنادق. وفي بعض أوساط الإيرانيين يستعملون الخيرة بالديوان المنسوب للإمام علي، أو ديوان حافظ الشيرازي.

وبين يدي القارئ الكريم كتاب جمع شتات المواضيع المتعلقة بالاستخارة، بذل فيه مؤلفه الفاضل الجليل المهذب فضيلة الشيخ محمد فندم حفظه الله جهدًا كبيرًا، حيث اطلع على معظم ما كتب حول موضوع الاستخارة، من القديم والجديد، مضيفًا إلى ذلك بعض قصصه وتجاربه الشخصية، كما اجتهد في الإجابة على التساؤلات المثارة تجاه الاستخارة وأنواعها وطرق التعامل معها.

ويمكن القول أن المؤلف الكريم قد اختصر الطريق للباحثين بتقديم مادة ثرية حول موضوع الاستخارة، توفر الجهد على أي باحث بحيث لا يحتاج إلى سائر المصادر.

إنني أقدر لفضيلة الشيخ المؤلف اهتمامه المعرفي، واجتهاده في أن يقدم شيئًا لخدمة الدين والمجتمع، شكر الله سعيه، وزاده توفيقًا ونشاطًا، وكثّر في أوساطنا العلمية الدينية أمثاله.

وحينما قدم لي الشيخ المؤلف كتابه كنت قد تحدثت في خطاب جماهيري ليلة التاسع من محرم الحرام لهذا العام ١٤٢٩هـ حول الاستخارة، انتقدت فيه المبالغة عند بعض الناس في الاستخارة بالمصحف الكريم والمسبحة، اعتقادًا منهم أنها تكشف عن رأي الله تعالى في الموضوع الذي يستخيرون فيه.

وترتب على هذه المبالغة تجميدهم لعقولهم، فلا يبذلون جهدًا في التفكير وإعمال النظر، ولا يتجهون لاستشارة ذوي الرأي والتجربة، وإنما يبادرون للاستخارة في أي قضية وعند أبسط مشكلة.

كما أن البعض يستعمل الاستخارة في غير موضعها، كالطلاب الذين يستخيرون قرب الامتحانات على فصول المقررات التي يجب أن يركزوا عليها في المذاكرة والمراجعة. وكبعض الآباء الذين عطّلوا زواج بناتهم حتى فاتهم قطار الزواج، لأنهم يستخيرون عندما يأتيهم خاطب كفو.

والسائد في أوساط كثير من المتدينين أن نتيجة الاستخارة بالمصحف أو المسبحة تكشف عن الخير والصواب، لذا على الإنسان أن يلتزم بتلك النتيجة. وربما دار في أذهان بعضهم وجوب الالتزام بنتيجة الخيرة، وأن مخالفتها حرام أو سبب للخطر.

صحيح أن هناك روايات واردة عن الاستخارة بالمصحف والمسبحة لكنها ليست بدرجة الصحة والاعتبار.

وإذا كان العمل بها بناء على قاعدة التسامح في أدلة السنن، وثقة بالتجارب المتناقلة حولها، ولكونها متداولة عند المتشرعة، فإن ذلك لا يبرر الإفراط والمبالغة في استعمالها وغض الطرف عن السلبيات المترتبة على ذلك.

وقد أثار حديثي عن الاستخارة ثائرة بعض العلماء والخطباء وطلبة العلوم الدينية، حيث عدوه تشكيكًا في المعتقدات، وخروجًا على المسلمات، وطعنًا في عمل المتشرعة من المراجع والعلماء.

وفاجأني أن أكثرهم لم يكلف نفسه عناء البحث العلمي في الموضوع، وأن قسمًا منهم لا يعلم أن هناك رأيًا آخر في الوسط العلمي يستشكل في الاستخارة بالمصحف والمسبحة وأمثالها، كالمقدس الأردبيلي الذي يحتمل حرمة الاستخارة بمثل هذه الطرق، ويراها شبيهة بالاستقسام بالأزلام.

وقد أشار السيد اليزدي في العروة الوثقى إلى هذا الرأي بقوله في كتاب الحج في آداب سفر الحج ما نصه: «الاستخارة بمعنى طلب الخير من ربه، ومسألة تقديره له، عند التردد في أصل السفر، أو في طريقه، أو مطلقًا، والأمر بها للسفر وكل أمر خطير أو مورد خطر مستفيض، ولا سيما عند الحيرة والاختلاف في المشورة، وهي الدعاء لأن يكون خيره فيما يستقبل أمره، وهذا النوع من الاستخارة (أي الدعاء) هو الأصل فيها، بل أنكر بعض العلماء ما عداها مما يشتمل على التفؤّل والمشاورة بالرقاع والحصى والسبحة والبندقية وغيرها، لضعف غالب أخبارها، وإن كان العمل بها للتسامح في مثلها لا بأس به أيضًا، بخلاف هذا النوع (الاستخارة بالدعاء) لورود أخبار كثيرة بها».

ومؤسف أن يطرح بعضهم أن نقد الاستخارة هو تشكيك في العقيدة، ومخالفة للمسلمات، مع تصريح مراجع بارزين بعدم ثبوت استحبابها. حيث أجاب السيد السيستاني حفظه الله على سؤال: هل الاستخارة المتبعة عندنا الآن محبذة شرعًا أو واردة؟ بقوله: «يؤتى بها رجاءً عند الحيرة، وعدم ترجح أحد الاحتمالات بعد التأمل

والاستشارة».

كما أجاب الشيخ التبريزي رحمه الله على سؤال: ما هو الثابت استحبابه من أقسام الاستخارة. بقوله : « لم يثبت استحباب الاستخارة، ولكن بها رواية وهي مجربة» .

وأخيرًا فإني أتفق مع العلامة الطباطبائي فيما ذهب إليه من أن وظيفة الاستخارة حسم حالة التردد عند الإنسان فقط، دون أن يعني ذلك أن نتيجتها كاشفة عن مصلحة أو خير، تمامًا كما هو الحال لو حسم الإنسان تردده عبر تفكيره أو استشارته لأحد.

يقول السيد الطباطبائي في الميزان: «إذ لا شأن لهذا العمل (الاستخارة) إلا تعيين الفعل أو الترك، من غير إيجاب ولا تحريم، ولا أي حكم تكليفي آخر، ولا كشف عما وراء حجب الغيب من خير أو شر، إلا أن خير المستخير في أن يعمل أو يترك فيخرج عن الحيرة والتذبذب.

وأما ما يستقبل الفعل أو الترك من الحوادث فربما كان فيه خير، وربما كان فيه شر، على حد ما لو فعله أو تركه عن فكر أو استشارة، فهو كالتفكر والاستشارة، طريق لقطع الحيرة والتردد في مقام العمل، ويترتب على الفعل الموافق له ما كان يترتب عليه لو فعله عن فكر أو مشورة» .

وأترك القارئ مع فصول هذا الكتاب ليقرأه قراءة واع منفتح الذهن، شاكرًا للمؤلف الكريم جهده، راجيًا له وللقارئ كل خير وتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

أخلاقنا ومهمة توحيد الأمة

بتاريخ: ٢٠/ ١/ ١٤٣٠هـ

يثير هذا البحث القيِّم (أخلاقنا ومهمة توحيد الأمة) الذي قدمه الأخ الكريم

المهندس مراد غريبي، للمؤتمر الذي أنعقد في المنامة عاصمة مملكة البحرين بتاريخ ٦ ٥ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ، تحت عنوان (أخلاقنا بين النظرية والسلوك) يثير مسألة في غاية الأهمية وهي دور الأخلاق في العلاقات الداخلية بين قوى الأمة وشرائحها المختلفة في اتجاهاتها المذهبية والسياسية.

إن واقع التنافر والصراع الذي تعيشه ساحة الأمة، على صعيد التنوع السياسي والمذهبي واقع مؤلم مرير، يدفع كل غيور على الدين، وكل حريص على مصلحة الأمة، إلى التفكير والعمل من أجل تجاوز هذا المأزق الخطير، ولتصل المجتمعات الإسلامية إلى حال الاستقرار، وإدارة الاختلافات الداخلية بروح حضارية خلاّقة، أسوة ببقية الأمم المتقدمة في العالم.

وقد اتجه أكثر المهتمين بمعالجة موضوع الخلافات الداخلية بين المذاهب والمدارس العقدية والفقهية، نحو منهج الجدل والحوار في مسائل الخلاف، ليدلي كل طرف بحجته وبرهانه على ما يذهب إليه، في مقابل الطرف الآخر.

وصرف كثير من علماء الأمة القسط الأكبر من أعمارهم وجهودهم في سبيل الانتصار لمذاهبهم ومدارسهم الكلامية والفقهية.

ولا تزال المحابر تمدّ أقلام الباحثين والكتاب في مجال الخلافات المذهبية، بعرض الأدلة والحجج، لتصويب هذه الجهة وتخطئة الجهة الأخرى.

ومع تطور وسائل الإعلام والاتصالات، اتسع المجال أكثر، وتكثفت جهود الحوار والجدل المذهبي عبر الفضائيات وعلى الشبكة العنكبوتية، حيث أنشئت مواقع متخصصة، وافتتحت غرف محادثات (بالتوك) معنية بالجدل والتبشير المذهبي.

ولا يمكن تجاهل العامل السياسي في إذكاء معارك الخلاف والجدل المذهبي، ولكن هل هذا هو ما تحتاجه الأمة؟ وإلى أين سيؤدي بنا هذا الصراع والجدل المحتدم؟

يرى البعض أن هذا الحوار والجدل ضروري ليتعرف كل طرف على ما عند الطرف الآخر، ولتتضح الحقائق، فيتبين ما يوافق الكتاب والسنة وما يخالفهما، فهما المرجع والحكم الذي يجب أن يخضع لهما الجميع، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

لكن القضية أعمق وأعقد من أن تنحصر في البعد العلمي، حتى نراهن على حلّها بالبحث والمناظرة والجدال.

فالمشكلة ليست في اختلاف الآراء، ولا في تعدد المذاهب والمدارس والاتجاهات، فتلك طبيعة بشرية لا يمكن تجاوزها، ولا ترفضها العقيدة والشريعة الإسلامية، بل تستوعبها وترشدها، حيث أقرّت حرية الرأي، وفتحت باب الاجتهاد، وشرّعت حق الاختلاف، فالمجتهد مأجور وإن أخطأ، ما دام طالبًا للحق ملتزمًا بضوابط الاجتهاد وقواعده.

لقد أقرّ رسول الله ﷺ اختلاف الرأي والاجتهاد بين أصحابه، كما هو موقفه من اختلافهم في أداء صلاة العصر في غزوة بني قريظة، حين أمرهم بأن لا يصلي أحد منكم إلا في بني قريظة، فالتزم بعضهم بحرفية النص، وأخّر أداء الصلاة خارج الوقت حتى يصل، بينما بادر آخرون لأدائها في وقتها متأولين لأمر رسول الله ﷺ، فلم يعنّف رسول الله ﷺ أحد الطرفين، ولم يغضبه اختلاف اجتهادهما.

واختلف الصحابة بعد رسول الله ﷺ في مسائل عقدية وفقهية وسياسية، وتعددت الاتجاهات السياسية والفكرية في عهد الصحابة، ثم تكرست وتمظهرت أكثر في عهد التابعين، واستمرت حالة التنوع الفكري والفقهي والسياسي في تاريخ الأمة.

إنه ليس مطلوبًا أن تتحد الآراء وتتوافق الأفكار في تفاصيل الشؤون الدينية والحياتية، فذلك أمر غير ممكن لتعارضه مع طبيعة البشر، وما منحهم الله تعالى من قدرة على التفكير، تنتج تنوعًا وتعددًا في الآراء، لتفاوت المستويات واختلاف البيئات،

وتضارب المصالح.

لكن المشكلة تكمن في منهج التعامل مع الاختلاف، وأسلوب إدارته، وهنا يأتي دور المسالة الأخلاقية، التي تناولها بحث المهندس مراد غريبي حفظه الله.

إن الصراع والتنافر المذهبي بواقعه المرعب الخطير يكشف عن أزمة أخلاقية عميقة تعاني منها ساحة الأمة، ولا بدّ من وضع خريطة طريق، للعبور من مأزق هذه الأزمة.

خريطة الطريق هذه كما يراها الباحث، وأنا أتفق معه في ذلك، يجب أن تنبثق من وعي أخلاقي حضاري، نجد أُسسه ومعالمه في آيات الذكر الحكيم، وهدي السنة النبوية الشريفة، وتجارب عقلاء البشر.

وأدعو القارئ الكريم للتمعن في هذا البحث الجادّ الشيق، الذي يقدمه الأستاذ غريبي، جزاه الله خير الجزاء على ما بذل فيه من جهد، ووفقه الله تعالى للمزيد من العطاء في خدمة الدين والأمة، فما أحوج الساحة لأمثاله من الشباب الواعين المنفتحين، الذين يحملون هموم الأمة، ويعملون من أجل نهضتها وتقدمها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

في الطريق إلى الإلفة الإسلامية

بتاريخ: ٩/ ٢/ ١٤٣٠هـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

حين أطلق المفكر الأمريكي صامويل هنتنقتون الأستاذ بجامعة هارفارد مقولته التي

نشرها في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية في صيف ١٩٩٣م عن صدام الحضارات، انبرى له عقلاء العالم من مختلف الحضارات، ومن بينهم مفكرون أمريكيون وغربيون، ليردّوا مقولته، وليرفعوا شعار حوار الحضارات، ويدعوا أبناء البشرية للتعارف فيما بينهم، والتعاون من أجل مصلحة الإنسان، وإعمار الأرض.

وكان صوت علماء الإسلام ومفكري المسلمين في طليعة الأصوات الناقدة والرافضة لمقولة صدام الحضارات، انطلاقًا من مبادئ الإسلام الداعية إلى السلم العالمي، والاعتراف بالتنوع في المجتمع الإنساني، على مستوى الأعراق والقبائل والأديان والأفكار، وأن ذلك يجب أن يكون دافعًا إلى التعاون في المشتركات وما يفيد جميع البشر، ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وإلى التعارف والحوار بالتي هي أحسن في موارد التمايز والخلاف، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

لكن في الوقت الذي يرفض فيه علماء الإسلام صدام الحضارات، ويفخرون بأن دينهم وقرآنهم قد دعا إلى حوار الحضارات، نجد في داخل الأمة من يبشّر بصدام المذاهب، ويرفض الحوار والتقارب بين أبناء الأمة التي نص القرآن الكريم على وحدتها، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

إن من المؤلم حقًا أن ترتفع أصوات الداعين إلى الخصام المذهبي، وأن تندلع معارك الاحتراب الطائفي، في أكثر من بلد إسلامي، بينما تواجه الأمة أخطر التحديات والظروف.

من هنا تبرز أهمية هذا البحث الذي خطّته أنامل الأخ الفاضل الشيخ عبدالفتاح بن صالح قُديش اليافعي حفظه الله تعالى. تحت عنوان (في الطريق إلى الإلفة الإسلامية).

إنه بحث علمي نموذجي ينبئ عن إخلاص عميق لوحدة الأمة، ووعي دقيق بمقاصد الشريعة، وأحوال الواقع المعاش.

لقد شعرت بسعادة بالغة وأنا أتابع قراءة صفحات هذا البحث القيّم، وحمدت الله تعالى على وجود مثل هذه الرؤية بين أبناء الأمة، ودعوت للمؤلف بالمزيد من التوفيق في خدمة الإسلام والأمة.

أسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الجهد، وأن ينفع به، ليشكل زخمًا جديدًا دافعًا نحو الإلفة والتقارب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

رسالة في الطهارة من الذنوب

بتاريخ: ٢٧/ ٢/ ١٤٣٠هـ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله الطاهرين وبعد:

من موقع الغيرة والحرص على مستقبل الجيل الصاعد ينطلق كاتب هذا البحث الأستاذ الفاضل طاهر بن علي الخلف حفظه الله، فهو ابن بارّ لمجتمعه، مهتم بمستقبل أبنائه، يلاحظ ويتأمل واقع المجتمع، فيرصد موارد الضعف والخلل، وتستوقفه الظواهر السلبية في السلوك والممارسات، وخاصة في أوساط شريحة الشباب، فلا يرضى لنفسه أن يمر على تلك الحالات مرور الكرام، ويأخذ منها موقف اللامبالاة، فذلك ما لا يسمح له به التزامه الديني، وشعوره بالمسؤولية.

فالمؤمن الصادق في إيمانه يجد نفسه معنيًا بأوضاع مجتمعه، مهتمًا بالتفكير في مستقبله.

ومن أجل اتخاذ الموقف المسؤول تجاه ظواهر الانحراف السلوكي، لا بدّ من الدراسة للأسباب والجذور، في أبعادها المختلفة، ثم الاجتهاد في تقديم أساليب العلاج والمواجهة.

وهذا ما قام به المؤلف الكريم، فقد دفعته غيرته على الدين والمجتمع إلى التفكير في وقاية أبناء الأمة من الانزلاق في مهاوي الذنوب والمعاصي والموبقات.

ولأنه معلم للمرحلة الثانوية يتعاطى مع شريحة من الطلاب في مرحلة المراهقة، وهي أخطر المراحل وأدقها، لذلك تكونت لديه من واقع الملاحظة والمعايشة، تصورات وانطباعات عن خلفيات الظواهر السلوكية المنحرفة، كما تشكّلت لديه من وحي ثقافته الدينية، رؤية حول برامج الخلاص والإنقاذ من براثن المعاصي والذنوب.

لقد اطلعت على صفحات هذا الكتاب الجميل، فوجدت سطورها تفيض بالولاء للدين، والإخلاص لأبناء المجتمع، تحشد النصوص الدينية الهادية، وتستشهد بنتائج البحوث العلمية والتربوية، وتلامس واقع شباب العصر.

جزى الله المؤلف الكريم خير الجزاء، وأثابه على ما بذل من جهد كبير، وجعله الله في موقع الفائدة والنفع، وكثّر في أبناء الوطن أمثاله، من الواعين المبادرين.

والحمد لله رب العالمين.

المباهلة

بتاريخ: ٢٨/ ٢/ ١٤٣٠هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

الولاء للنبي محمد وعترته الطاهرة قديم عريق في نفوس أبناء هجر، منذ دخولهم الطوعي في الإسلام، في السنة السادسة للهجرة، وحيث أقيمت في الأحساء ثاني جمعة في الإسلام بعد المدينة المنورة، في مسجد جواثى.

فقد لمعت في تاريخ مدرسة أهل البيت أسماء بارزة لامعة من رجالات هجر كرشيد الهجري وزيد بن صوحان وأخيه صعصعة بن صوحان العبدي، وخلاس بن عمر الهجري، وسفيان بن مصعب ويحيى بن بلال.

والولاء لأهل البيت ﷺ في الأحساء ليس مجرد انتماءٍ عاطفي يتوارث، بل هو التزام عقدي مؤسس على العلم والمعرفة، ومن أجلى شواهد ذلك تواصل مسيرة العلم والعلماء الشيعة، والتي لم ينقطع في تاريخ هجر، وكذلك التراث العلمي والثقافي الذي أنتجه أعلام وأدباء هذه المنطقة الطيبة، من مؤلفات الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي (٨٩٧هـ) إلى الثروة الضخمة من الكتب والرسائل التي خلّفها الشيخ أحمد بن زين الدين (١٢٤١هـ) إلى أبحاث الشيخ محمد أبو خمسين (١٤١٣هـ) وصولًا إلى النتاج العلمي والمعرفي الرائع للدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله.

مرورًا بالكثير من العلماء والباحثين والأدباء من أبناء هجر ممن أثروا المكتبة الإسلامية بعطائهم الوفير.

ويطيب لي هنا أن أشيد بالحراك الثقافي والأدبي في أوساط جيل الشباب المعاصر في الأحساء، حيث برز منهم أدباء ومثقفون سجلوا حضورهم المشرق على المستوى الوطني والعالمي.

وبين يدي القارئ الكريم بحث كتبه أحد شباب الأحساء النابهين، ممن تشربوا الولاء للنبي وعترته الطاهرة، ثم عززوا هذا الولاء الذي رضعوه ونشأوا عليه بالوعي والمعرفة.

يتناول الأستاذ الفاضل طاهر بن علي الخلف في كتابه القيّم قصة (المباهلة) التي خلدها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[سورة آل عمران:الآية٦١].

وسجّلها كل كتّاب السيرة النبوية الشريفة، وروت تفاصيلها الأحاديث والروايات في المصادر المعتمدة لدى المسلمين.

وقد بذل الكاتب جهده للتأمل في أبعاد هذه القضية ودلالاتها على مقام العترة الطاهرة، وما يفيده النص القرآني من أن عليًا نفس رسول الله ﷺ، وأن الصديقة الزهراء هي التي تمثل نساء الأمة، دون أيٍّ من زوجات النبي ﷺ، وأن الحسنين أبناء رسول الله ﷺ.

واعتمد الكاتب على مختلف المصادر من كتب التفسير والحديث وعلم الكلام، منتقيًا منها ما يعطي للقارئ صورة واضحة جلية عن ذلك المشهد العظيم في موقف المباهلة، مركزًا على بعض الزوايا واللقطات المهمة من تلك الصورة، من أجل تعزيز الولاء للعترة الطاهرة، صلوات الله وسلامه عليها.

فشكرًا للأخ الفاضل على ما بذل من جهد، ووفقه الله تعالى للمزيد من العطاء في خدمة الدين والمجتمع، وضاعف له من الأجر والثواب.

والحمدلله رب العالمين

تعليم الصلاة

بتاريخ: ٣٠/ ٢/ ١٤٣٠هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

نحن نتمتع بنعمة الوجود في هذه الحياة، ونعيش مباهجها ولذاتها، ونرفل بالخيرات التي تغمرنا فيها، ولا يستطيع أحد منا أن يدعي أنه أوجد نفسه في هذه الحياة، أو أنه هو الذي يمنح نفسه النعم فيها، فهناك خالق منعم أوجدنا من العدم، وأفاض علينا

كل النعم، وهو الله سبحانه وتعالى.

وبذلك يستحق منا الشكر، ويجب علينا الخضوع له وعبادته.

كما أننا بحاجة لدوام التواصل معه تعالى، لحاجتنا الدائمة الشاملة له في جميع جوانب حياتنا، وإليه مصيرنا بعد الحياة.

لذلك شرّع الله تعالى (الصلاة) وهي بمثابة تحيّة شكر نؤديها لربنا وخالقنا والمنعم علينا ومن بيده أمورنا.

و(الصلاة) فرصة تواصل مع الله تعالى، حيث نتجه إليه بقلوبنا، ونكبّره ونحمده ونسبّحه ونستغفره ونذكره بألسنتنا، ونجسّد الطاعة والخضوع له عبر ركوعنا وسجودنا.

إن (الصلاة) تمثل وقفة تأمل في محطات قطار الزمن اليومي، عند انبثاق الصباح ووسط النهار وبداية الليل.

إنها بضع دقائق يقتطعها الإنسان من وقته، خارج سيطرة الاهتمامات المادية الضاغطة، ليتزود بالوقود الروحي الإيماني، وليستحضر في نفسه القيم والمبادئ العليا، فلا ينساها في غمرة انشغالات الحياة.

وهيئة (الصلاة) إعداد إلهي، فقد أراد الله تعالى أن نعبده بهذه الطريقة، والتي ترمز كل حركة من حركاتها، إلى جانب من جوانب العبودية، كما تؤكد مختلف الأذكار فيها حالة الارتباط مع الله تعالى والإقرار بوحدانيته وعظمته.

إن تعلم أحكام الصلاة وطريقة أدائها، وهي سهلة يسيرة، من أول الواجبات على كل مسلم عند بلوغه سنّ التكليف والالتزام.

وهذه الصفحات عرض ميسّر، لكيفية الصلاة، مع صورة توضيحية، بما يشمل الواجبات والمستحبات، جزى الله من أعدها خير الجزاء.

العملات المتداولة في القطيف والأحساء

بتاريخ: ٣/ ٣/ ١٤٣٠هـ

لا يستغني مجتمع يتوثب للنهوض عن دراسة تاريخه، للمساعدة في اكتشاف الذات، ولتعزيز الثقة بالنفس، ومعرفة خلفيات الواقع الحاضر، والاستفادة من التجارب والعبر.

وفي الحراك من أجل النهضة تكون دراسة التاريخ مظهرًا من مظاهر الحيوية والنشاط.

بينما تكون دراسة التاريخ لمجرد التغني بأمجاد الماضي، لون من ألوان الترف، وإفراز لواقع التخلف.

وأرى في أفق مجتمعنا في القطيف والأحساء ملامح نهضة واعدة، لصناعة حاضر متقدم، واستشراف مستقبل زاهر، حيث الإقبال على الثقافة والمعرفة، والاهتمام بالشأن الاجتماعي، والعطاء في ميدان السعي والعمل.

وضمن هذا الأفق المشرق يأتي اهتمام نخبة من أبناء المجتمع بالتراث وتاريخ المنطقة، حيث تأسست بعض المؤسسات الثقافية المهتمة بتحقيق تراث المنطقة ونشره، كانت في طليعتها (مؤسسة البقيع لإحياء التراث) التي وفقنا الله تعالى لتأسيسها سنة (١٤٠٧هـ) بهمة وتعاون عدد من الإخوة الأعزاء، ثم انطلقت مجلة (الواحة) قبل خمسة عشر عامًا، وهي مجلة فصلية تعنى بشؤون التراث والثقافة والأدب في الخليج العربي، لتكون محورًا ومنبرًا رائدًا على هذا الصعيد.

وقد سبق هذه الأعمال المؤسساتية جهود كبيرة لشخصيات اهتمت بالكتابة عن تاريخ المنطقة وتراثها، كالشيخ علي البلادي(١٢٧٤هـ ١٣٤٠هـ) مؤلف (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين)، والأستاذ محمد سعيد المسلم(١٣٤١هـ ١٤١٤هـ) مؤلف كتابي (ساحل الذهب الأسود) و(واحة على ضفاف الخليج)، والشيخ فرج العمران (١٣٢١هـ ١٣٩٨هـ) في مذكراته المفصّلة (الأزهار الأرجية في الآثار

الفرجية).

وبين يدي القارئ الكريم دراسة وثائقية رائعة تتناول زاوية مهمة من زوايا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة، حيث عرضت لـ(العملات المتداولة في القطيف والأحساء من القرن العاشر إلى العهد السعودي).

وكان الاعتماد الرئيس في هذه الدراسة على الوثائق التي هي من أهم مصادر البحث وأدقها، حيث بذل المؤلف الباحث الأستاذ نزار بن حسن العبدالجبار، جهودًا مضنية في البحث عن هذه الوثائق، ومتابعتها، واستنتاج المعلومات والدلالات منها، فقد اطّلع على مئات الوثائق من وصايا ووقفيات ومبايعات وهبات ومصالحات.

وأودع الدراسة صورًا عن عدد من تلك الوثائق، ولم تكن تلك الوثائق مجموعة في مكان واحد، أو لدى جهة معيّنة، حتى يسهل الوصول إليها والاطلاع عليها، وإنما هي في حيازة أشخاص متفرقين من مختلف أنحاء المنطقة، لذا كان البحث عنها والاطلاع عليها، يستلزم جهدًا شاقًا، قام به الباحث الكريم خدمة منه للمعرفة والتاريخ، ووفاءً للمجتمع وللوطن.

فجاءت هذه الدراسة الرائعة بحمد الله لتملأ فراغًا في مجال موضوعها، ولتشكّل إضافة نوعية لبحوث تاريخ المنطقة، وهي تكشف عن سعة اطلاع المؤلف الكريم، وخبرته المتراكمة، وقدرته البحثية الواعدة.

وإني إذ أبارك للأخ نزار باكورة إنتاجه في التأليف، لأرجو الله تعالى له المزيد من التوفيق في العطاء المعرفي، وفي خدمة المجتمع والوطن، حياه الله إبنًا بارًا لمجتمعه، وفيًّا لوطنه، وكثّر الله أمثاله.

والحمد لله ربّ العالمين

أفئدة بلا عاطفة

بتاريخ: ١٠/ ٥/ ١٤٣٠هـ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

كنت أعرف على المستوى النظري أهمية إشباع الجانب العاطفي من شخصية الإنسان، لكنني ومن خلال عملي الاجتماعي، أدركت عمق هذه الحاجة، ومدى خطورة النتائج التي تترتب على الإهمال العاطفي في الحياة العائلية، ولعلي لست مبالغًا حين أقول إن معظم المشاكل الأسرية، وحالات الانحراف السلوكي ناتجة عن فراغ عاطفي، وقصور أو تقصير في إشباع هذه الحاجة.

فقد تابعت معالجة بعض المشاكل العائلية لأفراد ينتمون إلى عوائل تتمتع بإمكانيات مادية كبيرة، تعيش في بيوت فارهة هي أشبه بالقصور، وتحت تصرف أبنائها أغلى السيارات، وعندهم الخدم والحشم، وتتوفر لهم فرص التعليم العالي، ولا ينقص أفراد تلك العائلة أي شيء على المستوى المادي.

لكنهم يفقدون الشعور بالسعادة والراحة في علاقاتهم الداخلية، حيث يعيش كل واحد منهم عالمه الذاتي الخاص، بعيدًا عن أسرته، فالأب منشغل بإدارة ثروته، والأم مستغرقة في اهتماماتها الخاصة، والأولاد متروكون كل حسب محيط صداقاته وهوياته.

يجمعهم بيت واحد كأجسام، لكنهم بعيدون عن بعضهم في الأرواح والاهتمامات، تمامًا كما يجمع الفندق بين نزلائه المختلفين الذين لا علاقة لأحد منهم بالآخر.

ثم لا يلبث هذا الجفاء والجفاف في أجواء هذه العوائل حتى يتحول إلى أرضية تعزز المشاكل والخلافات فيما بينهم، وقد تدفع بعضهم للانتقام من بعض.

وفي اتجاه آخر قد يدفع هذا الجوع الروحي العاطفي إلى الوقوع في مهاوي الرذيلة والفساد. فكم اطلعت على حالات مؤسفة لزوجات أو أزواج أو أولاد من ذكور وإناث،

قد وقعوا في حبائل الشيطان فأدمنوا المخدرات، أو تورطوا في علاقات غير مشروعة وسلوك غير سويّ، بحثًا عن ما يفقدونه من حب وحنان، أو ردّ فعل لذلك الفراغ.

إن كلًّا من الزوجين يحتاج إلى مشاعر الودّ ومظاهر الحب ودفء العلاقة مع الآخر، وكذلك يحتاج الأبناء إلى احتضان عاطفي وإلى أن يُغمروا بالمحبة والحنان من قبل الوالدين.

وحين لا يتوفر القدر الكافي من الحب والعطف في الإطار العائلي، تكون أبواب التأثير الخارجي المشبوه مشرعة مفتوحة.

وهذا ما تعاني منه مجتمعاتنا الحاضرة، التي تكثر فيها مشاكل الخلاف العائلي والانحراف السلوكي.

وهذا الكتاب القيّم بين أيدي القراء الأعزاء يُعنى بمعالجة هذه المشكلة الخطيرة، ويسلّط الأضواء على أسبابها وأعراضها ونتائجها، كما يقدّم البرامج والتوصيات من أجل الوقاية والعلاج.

إنه بحث تربوي اجتماعي، بلغة واضحة، وأسلوب شيّق، يستند في المفاهيم والمبادئ إلى نصوص الدين وتعاليمه، ويعتمد في التحليل والمعالجة نتائج البحوث العلمية في التربية والاجتماع، ويلامس الواقع الاجتماعي عبر الشواهد والأرقام.

وإني إذ أبارك لمؤلفته الفاضلة مريم بنت محمد العيد باكورة إنتاجها في الكتابة والتأليف، لا يسعني إلا أن أشيد بدورها الرسالي في نشر الثقافة والمعرفة ونشاطها الاجتماعي من خلال مركز الأسرة في القطيف، أسأل الله تعالى لها المزيد من التوفيق في خدمة الدين والمجتمع، وأن يكثّر الله أمثالها من الناشطات في العمل الثقافي الاجتماعي، لتأخذ المرأة دورها المطلوب في الإصلاح والتنمية.

والحمد لله ربّ العالمين.

السيد علي السلمان سيرة ومسيرة

بتاريخ: ١٦/ ٦/ ١٤٣٠هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

تتنوع وتتعدد تجليات الدور القيادي لعالم الدين في المجتمع، فمن مهمة البحث العلمي لاستجلاء مفاهيم الإسلام وتشريعاته، بالدراسة والتدريس والتأليف، إلى وظيفة التبليغ والتبيين لمعارف الدين وأحكامه، عبر الخطابة والكتابة، إلى القيام بأعباء الشؤون الدينية الاجتماعية من إمامة الجمعة والجماعة، والقضاء بين الناس، وإجراء عقود الزواج والطلاق، وصولًا إلى التصدي السياسي بالدفاع عن قضايا الدين والأمة.

وقد تتوفر الفرصة لبعض علماء الدين بالقيام بكل هذه الأدوار أو معظمها، حين يمتلك القدرات والمواهب المتعددة، وتساعده الأوضاع والظروف على التصدي المطلوب.

كما قد يتجه عالم الدين، ويركز جهوده على دور محدد، يناسب قدراته، أو يرى أولويته.

لكن الدور الأساس والأهم لعالم الدين، هو دور الرعاية والأبوّة للمجتمع، حيث تلتقي عليه القلوب والنفوس ثقة به ومحبة له، وينهل الجميع من فيض حبه وعطفه، ويكون مصدر نصح وتوجيه لأبناء المجتمع، يسترشدون برأيه في قضاياهم، ويرجعون إليه في مشاكلهم، يحترم الكبير، ويحنو على الصغير، ويساعد المحتاج والفقير، ويصلح ذات البين، ويشجّع الكفاءات، ويحث على عمل الخير وخدمة التكافل الاجتماعي.

إن هذا الدور الأبويّ لعالم الدين يملأ فراغًا روحيًا كبيرًا في المجتمع، ويعزز الشعور بالانتماء إليه، ويخلق درجة عالية من التماسك والتضامن، تساعد على مواجهة التحديات، والصمود أمام المشاكل والأزمات.

ولا يستطيع تبوأ مقام الأبوّة في المجتمع من العلماء، إلا من توفرت في شخصيته عدد من المواهب والصفات، من أبرزها:

أولًا: الوعي الاجتماعي وسعة الأفق:

ليفهم طبيعة المجتمع، والظروف المحيطة به، والتوجهات الفكرية والثقافية في وسط أبنائه. بما يمكّنه من اتخاذ المواقف الصالحة، وإنتاج الخطاب الديني المناسب، والمساهمة في وضع المعالجات والحلول للقضايا الفكرية والاجتماعية.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العالم بزمانه بأهل زمانه لا تهجم عليه اللوابس».

ثانيًا: رحابة الصدر وحسن الخلق:

فأفراد المجتمع يتفاوتون في مستوياتهم وطباعهم وتوجهاتهم، لذلك يحتاج التعامل مع الناس إلى صبر وأناة، وتحمّل واستيعاب.

ولن يمنح الناس حبهم وثقتهم إلا لمن يحترمهم ويخلص لهم، ويرون في سلوكه الصدق والالتزام.

ثالثًا: الإدارة والتدبير:

ففي المجتمع طاقات وكفاءات، وإمكانات وثروات، وهناك فرص ومجالات عمل لصالح الدين والمجتمع، كما أن هناك قضايا ومشاكل تتطلب المعالجة والحلّ، ومن يتصدى لقيادة المجتمع يحتاج إلى ذهنية إدارية، وقدرة على التخطيط والتدبير، لتحديد الأولويات، حتى يستفيد من كل كفاءة في مجالها، ويضع الإمكانات في مورد الحاجة لها.

حين تتوفر مثل هذه الصفات في شخصية عالم الدين، فإنه يتبوأ موقع الأبوة والرعاية للمجتمع، وهذا ما تحقق في شخصية الأستاذ العلامة السيد علي السيد ناصر

السلمان حفظه الله.

والذي هو بحق أفضل أنموذج وقدوة في مجتمع المنطقة لممارسة هذا الدور الكبير.

فهو يؤم الناس في صلاة الجماعة، ويلقي فيهم الخطب والمحاضرات، ويرشدهم في رحلة الحج كل عام لأداء مناسك حجهم، وهو معتمد المرجعية الدينية، ومجلسه مفتوح للناس كل يوم، ويشارك الناس في الأفراح والأتراح، ويتواصل مع مسؤولي الدولة في المناسبات، ويحضر كل اجتماع يدعى إليه لمناقشة شأن عام، وهو الراعي والمشرف على الحوزة العلمية في الأحساء، يدعم تأسيس المساجد والحسينيات والمؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية، ويسعى لإصلاح ذات البين، ويحمل هموم المجتمع، وبثباته وهمته تأسّس وتعزّز كيان المواطنين الشيعة في منطقة الدمام.

وإلى جانب تضلعه في علوم الشريعة، حيث حضر أبحاث كبار المجتهدين في الفقه والأصول كالسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشهيد السيد محمد باقر الصدر، فإنه مواكب للثقافة المعاصرة، ومتابع للأحداث العالمية، منفتح على كل التوجهات، لا يقبل التشدد والتزمّت، ولا يرضى بالانغلاق والانزواء.

تتسم مواقفه بالموضوعية والاتزان، تجاه مختلف المشاكل السياسية الفكرية والاجتماعية، فلا ينفعل ولا ينهزم.

حقًّا إن وجوده نعمة كبيرة على مجتمع المؤمنين في المنطقة.

لكل ذلك كسب القلوب وجذب النفوس، والتف حوله المجتمع، واحتل موقع الأبوّة والزعامة، صان الله مهجته، وأطال عمره، وأدام تأييده.

وأشكر للأخ الكريم الشاب النبيل الأستاذ علي المحمد علي إعداده لهذه الترجمة الموجزة لسماحة السيد الأستاذ، راجيًا له المزيد من التوفيق في خدمة الثقافة والمجتمع،

فهو شاب عاشق للمعرفة، من نعومة أظفاره، يلازم العلماء، ويتواصل مع الأدباء، كثر الله من أمثاله وشكر الله سعيه، وأثابه على جهوده الطيبة.

والحمد لله ربّ العالمين.

العبادة عند المخلوقات

بتاريخ: ١١/ ٩/ ١٤٣٠هـ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وجماله، والصلاة والسلام على النبي محمد وآله وبعد:

ميّز الله تعالى الإنسان في الكون بموقعية السيادة والخلافة، حيث سخر الله له ما في السماوات والأرض، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[سورة لقمان، الآية: ٢٠]، وذلك يتطلب أن يتعرّف الإنسان على ما في الكون من كائنات ومخلوقات، وكنوز وثروات، ليتمكن من الاستفادة منها واستثمارها.

وقد منحه الله تعالى قدرة إدراك هائلة، هي العقل، الذي يتعرف الإنسان به على الأشياء، ويفكر في طرق تسخيرها والإفادة منها.

ولأن الإنسان قد يغفل عن التوجه لمعرفة ما حوله في محيط الكون، توالى الخطاب الإلهي لإلفات نظره للاهتمام لمعرفة ما حوله من عوالم الكائنات.

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٨٥].

ويقول تعالى: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[سورة الغاشية، الآيات: ١٧-٢٠]

إن اهتمام الإنسان بالتعرف على أشقائه في الوجود من سائر المخلوقات يحقق له ما يلي:

أولًا: إدراك جوانب عظمة الخالق جلّ وعلا، ففي كل زاوية من زوايا الكون، وكل مظهر من مظاهر الوجود، وكل نوع من أنواع الكائنات، تتجلى آيات قدرة الخالق، ودلائل عظمته، وروعة إبداعه.

وبمقدار علم الإنسان ومعرفته بما في الكون تكون درجة إيمانه وخشيته لله تعالى، كما يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر، الآيتان: ٢٧ ٢٨].

ثانيًا: معرفة إمكانيات الاستفادة والتسخير، فقد سخّر الله تعالى ما في الحياة لخدمة الإنسان، لكنه بحاجة لاكتشاف كنوز الحياة وخيرات الكون، والتعرف على أسرار الموجودات، ليستفيد منها في إعمار الأرض وتطوير الحياة.

إن توجه العلماء إلى معرفة أنظمة الكون وقوانين الحياة، وسعيهم لاكتشاف المجهول منها، هو الذي أنجز للبشرية هذا المستوى من التقدم، ولا تزال البشرية في بداية الطريق، وأمامها مشوار طويل من العلم والمعرفة، وآفاق هائلة من التطور والتقدم، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة الإسراء، الآية:٨٥] وهو خطاب متجدد للبشرية، فما وصل إليه الجيل الحاضر من العلم قليل أيضًا قياسًا إلى سعة علم الله وعظمة وجوده.

لكل ذلك جاءت الأوامر الإلهية بالتأكيد على التفكّر في مخلوقات الله، والتأمل في مشاهد الخلق والوجود، وحين استجاب المسلمون الأوائل لهذا التوجيه الإلهي، صنعوا حضارة رائدة في العلم والتقدم، لكنهم ومع الأسف الشديد أعرضوا فيما بعد

عن هذا الاهتمام بالعلوم الكونية الطبيعية، وانشغلوا بالجدل الكلامي، والنزاع الفقهي، والصراع حول أحداث التاريخ، فكانت النتيجة هذا التخلف الفظيع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، على مختلف الصعد، مما جعلها عالة على الأمم الأخرى، وسوقًا مستهلكة لما ينتجه الآخرون.

وبين يدي القارئ الكريم كتاب يلفت نظره إلى جانب مهم من جوانب حياة أمم أخرى من الكائنات والمخلوقات، هو جانب خضوعها للخالق البارئ جلّ وعلا، وعمق انقيادها لإرادته، وتجليات ومشاهد تسبيحها بعظمته.

وقد بذل المؤلف الكريم فيه جهدًا كبيرًا لجمع الروايات الواردة في التراث الإسلامي عن مظاهر عبادة سائر المخلوقات لله سبحانه وتعالى، وهي روايات تؤكد بشكل عام على حقيقة ثابتة وهي خضوع الكائنات لله تعالى، وتسبيحها بعظمته، ونطقها من خلال وجودها بإبداعه جلّ وعلا، وإن كان الجانب التفصيلي في كل واحدة من تلك الروايات يحتاج إلى بحث من حيث السند ودلالة المتن.

واستشهد المؤلف ببعض التقارير العلمية وملاحظات العلماء المتخصصين، لتعزيز مفاد تلك النصوص والروايات.

وإني أقدر للمؤلف الكريم الأستاذ علي بن إبراهيم الدرورة اهتمامه المعرفي، وعشقه الثقافي، وحرصه على العطاء والإنتاج، حيث صدر له عدد من الكتب والأبحاث التاريخية والأدبية والثقافية، إنه أنموذج للمثقف الجادّ الذي ينظم حياته، ويستفيد من وقته، ويسعى لخدمة دينه ومجتمعه.

فحياه الله، وبارك في جهوده، ووفقه للمزيد من العطاء والتقدم، وكثّر في أبناء المجتمع أمثاله.

والحمد لله ربّ العالمين.

الشفرة الزوجية

بتاريخ: ٢٤/ ٨/ ١٤٣١هـ

حين يتحدث الخالق جلَّ وعلا في سورة الروم من القرآن الكريم، عن آيات عظمته ودلائل قدرته، فإنه يبدؤها بالحديث عن خلق الإنسان من تراب، واستوائه بشرًا يملأ الحياة حركةً ونشاطًا، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾.

ثم يثني تعالى بالحديث عن الأبعاد العميقة والمعاني العظيمة في العلاقات الزوجية كمظهرٍ وتجلٍّ للقدرة الإلهية والحكمة الربانية. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

بعدها يستعرض الخالق سائر آيات عظمته كخلق السماوات والأرض، واختلاف اللغات والأعراق بين بني البشر، وظاهرتي النوم واليقظة في حياة الإنسان، وثبات النظام الكوني بمشيئته تعالى، وصولًا إلى دعوته الخلق للبعث والنشور.

إن ما يلفت النظر في هذا العرض والسرد لآيات الله تعالى، تبوأ العلاقات الزوجية للرتبة الثانية في الذكر بعد الخديث عن آية خلق البشر، وقبل الحديث عن خلق السماوات والأرض وسائر ظواهر الكون والحياة.

مما يشير إلى أن هذه العلاقة الزوجية تختزن أسرارًا عظيمة ومعانٍ كبيرة، تتجلى بها قدرة الخالق جلّ وعلا، بما لا يقل عن مظاهر القدرة في خلق السماوات والأرض، وظواهر الوجود الأخرى.

وحين تختتم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فهو توجيه ودعوة لإعمال الفكر والنظر في مكنون العلاقة الزوجية، وما تختزنه من حقائق وأسرار.

وكان يجب أن تدفع هذه الآية الكريمة أجيال العلماء والمفكرين لإجراء الأبحاث

والدراسات حول عمق العلاقات الزوجية، ودقة أسرارها، من أجل معرفة مسارات هذه العلاقات، والعوامل المؤثرة فيها سلبًا وإيجابًا، مما يساعد المجتمع البشري على تلمّس أفضل طرق النجاح في الحياة العائلية.

إن تقدّم علم تشريح جسم الإنسان والتعرّف على آليات ووظائف أعضائه، وطريقة عمل خلاياه وكريّات دمه، ساعد كثيرًا في وقاية جسم الإنسان من الأمراض، وعزّز مناعته الصحية، وأتاح معالجة كثير من الأسقام والأمراض الفتاكة، بل رفع من معدلات تقدم العمر في هذا العصر.

وذلك هو المتوقع أيضًا على صعيد إدارة حياة الإنسان النفسية والاجتماعية، فإن بذل الجهود في تشريح النفس البشرية، بما تكنّه من طبائع ومشاعر، وما يحصل لها من تفاعلات في علاقاتها البينية، وارتباطاتها الاجتماعية، إن بذل المزيد من الجهود على هذا الصعيد، سيضاعف من معرفة الإنسان لذاته، ويساعده على النجاح في علاقاته وارتباطاته.

ولا بدَّ لنا أن نعترف بالدور الإيجابي الكبير الذي قدمته الدراسات النفسية والاجتماعية في تطوير وإصلاح حياة الإنسان. لكن أمامها شوطًا لا يزال طويلًا، فطبيعة النفس الإنسانية أكثر تعقيدًا من طبيعة الجسم البشري.

وبين يدي القارئ الكريم جهد معرفي مميّز يشكّل استجابة من قبل الباحث الدكتور تركي العجيان لدعوة الآية الكريمة للتفكر في طبيعة وأسرار العلاقات الزوجية.

وقد عرفت اهتمام الباحث الكريم بالشأن الثقافي والاجتماعي منذ نعومة أظفاره، وها هو يقدم اليوم باكورة أبحاثه الاجتماعية، بعد ردح من الجهد المعرفي والنشاط الاجتماعي.

إنه يقدم في بحثه اجتهادًا يأمل منه المساعدة في تقديم مفتاح ذهبي للمتطلعين

للسعادة في حياتهم الزوجية.

وقد قاده بحثه العلمي وتراكم خبراته الاجتماعية، عبر الدورات التأهيلية التي أقامها أو شارك فيها، إلى ابتكار مصطلح «الشفرة الزوجية» وجعله عنوانًا لبحثه وكتابه.

حقًّا إن هذا البحث يشكل إضافة نوعية في حقل الدراسات التي تناولت العلاقات الزوجية، كما يمثّل جهدًا معرفيًّا ينبغي أن يدفع لمزيد من المناقشة والبحث في أوساط المهتمين بهذا الشأن الاجتماعي الخطير.

أبارك لأخي الدكتور تركي هذا الانجاز المهم، وأرجو منه الاستمرار والمتابعة في إثراء ساحة البحث الاجتماعي، وآمل أن يستفيد أبناؤنا وبناتنا من هذا الكتاب القيّم، في التأمل في ذواتهم، واكتشاف زوايا وخبايا نفوسهم، وامتلاك المعايير السليمة للتعرف على الشريك الأفضل لصناعة الحياة الزوجية السعيدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

على ضوء فلسفتنا

بتاريخ: ١٢/ ١/ ١٤٣٢هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

تمثل شخصية الإمام السيد محمد باقر الصدر أفضل أنموذج للفقيه المسلم المعاصر، حيث قدّم تجربة رائدة في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفي تحمل مسؤولية الدعوة والدفاع عن مصالح الدين والأمة.

فقد استوعب قيم الدين ومفاهيمه وتشريعاته، بقدرة اجتهادية فائقة، وعلى مستوى الاستنباط وتكوين الرأي في المسألة الفكرية والفقهية.

كما انفتح على تطورات الحياة، وقرأ التيارات الفكرية المعاصرة، في عمقها الفلسفي، ومناهجها الاجتماعية والاقتصادية، ودرسها دراسة دقيقة واعية.

واستطاع أن يكشف مواقع الضعف والخلل في تلك التوجهات، وأنها عاجزة عن تحقيق ما يصبو إليه الإنسان من معرفة حقيقية، ونظام اجتماعي صالح.

وفي مقابل عجز تلك المذاهب الفلسفية المادية، والمدارس الاقتصادية الوضعية من رأسمالية وماركسية، قدّم الإمام الصدر رؤية الإسلام الواضحة في منهجية المعرفة، وإدارة الاجتماع البشري، وتنظيم الشأن الاقتصادي.

فكان كتاباه العظيمان «فلسفتنا» و«اقتصادنا» أهم استجابة معرفية إسلامية للتحديات الحضارية المعاصرة من الغرب الرأسمالي والشرق الماركسي. أبانت للمفكرين الآخرين عمق الفكر الإسلامي بصلابته العلمية، وقدرته على مواجهة أصعب التساؤلات وأعقد الإشكالات.

كما وجدت الساحة الإسلامية في كتابي «فلسفتنا» و«اقتصادنا» ما كانت تبحث عنه وتحتاج إليه من مضمون علمي فكري، يساعدها على الثبات والصمود في وجه الحضارة المادية الزاحفة، المدججة بالقوة العسكرية والتقدم الصناعي والتطور التكنولوجي.

فقد تسلل الشعور بالضعف والهزيمة إلى مساحة كبيرة من ساحة الأمة، وظن البعض أن هذا العصر سيشهد نهاية الفكر الديني بشكل عام، والفكر الإسلامي بشكل خاص.

لكن الروح الإسلامية المتجذرة في أعماق النفوس، وما ينطوي عليه الإسلام من قوة الحق كدين إلهي، والدور الذي قام به العلماء المجاهدون، كل ذلك أدّى إلى قلب المعادلة، وتغيير موازين القوة لصالح الإسلام العزيز.

ويأتي السيد الشهيد الصدر في الطليعة من العلماء الربانيين المجاهدين، حيث أمدّ الأمة بعطائه العلمي المميّز، الذي ألهمها الثبات والصمود، وتجاوز بالفكر الإسلامي

مرحلة الدفاع إلى مستوى الهجوم الكاسح على مواقع الفكر الآخر.

وشاء الله تعالى لهذا الفقيه المجدد، أن يكتب بمواقفه الرسالية، وبدمه الزكي ملحمة أخرى للثبات والمقاومة تتوج ملاحمه الفكرية العلمية الرائدة.

لقد مضى أكثر من نصف قرن على صدور كتابي «فلسفتنا» و«اقتصادنا»، وحصلت تطورات فكرية وسياسية واجتماعية كبيرة على الساحة العالمية، لكن الكتابين لا زالا في موقع الصدارة، بل إن التطورات المختلفة جاءت مؤكدة وداعمة لما أورده الشهيد الصدر من نقد متين للمذاهب المادية، فقد تهاوت صروح الماركسية، وتصاعدت أزمات الرأسمالية، واستعادت الأمة الإسلامية ثقتها بدينها، وتألق الإسلام كمشروع حضاري واعد.

وبين يدي القارئ الكريم جهد معرفي مبارك، قدمه أحد تلامذة الشهيد الصدر، المنتهلين من نمير علمه، والذين منحهم الله تعالى فرصة وشرف الاقتراب من شخصيته الفريدة، ومعايشة خصائصه الأخلاقية العالية.

إنه الأخ العزيز العلامة الشيخ حسن الراضي حفظه الله تعالى، والذي يقدم في هذا الكتاب قبسات من فكر الشهيد الصدر، ضمن دراسة موضوعية تحليلية لأبعاد الصراع الفكري بين التيارات والمذاهب الفلسفية المادية، وبين الفكر والفلسفة الإسلامية، على ضوء كتاب «فلسفتنا».

وتتميز هذه الدراسة بوضوح التعبير، وحسن الأسلوب ورشاقة العرض. توّجها الشيخ المؤلف بكتابة سطور مضيئة عن حياة الإمام الشهيد الصدر، رضوان الله تعالى عليه، موثّقًا فيها بعض صور ومشاهد علاقته بالسيد الشهيد، بعبارات وجدانية صادقة، نابعة من أعماق قلبه، تعكس مدى حبه وعشقه وإخلاصه للأستاذ الكبير.

لقد أنعم الله تعالى على أخي العلامة الشيخ حسن الراضي بنعم عظيمة كثيرة، في

طليعتها فرصة القرب من العلماء الصالحين المصلحين، والتزود من فيض علمهم، واقتباس مكارم أخلاقهم، والتعرف على خصوصيات حياتهم، كالشهيدين السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد باقر الحكيم.

وقد رأى هؤلاء العلماء في الشيخ الراضي سمة التقوى والصلاح، والطيب والاستقامة، فأولوه ثقتهم، واعتمدوا عليه في أداء بعض مهامهم الخاصة، التي لا يقوم بها إلا ثقة مخلص مستعد للبذل والتضحية.

ومن خلال معرفتي بالشيخ الراضي منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، لمست انعكاس تربية أولئك العلماء الربانيين على شخصيته وسيرته، فهو حريص على التزام نهج التقوى، حذر من الوقوع في مزالق الأهواء والخلافات والصراعات، مهتم بخدمة الدين والمجتمع، قريب من الناس بتواضعه وأخلاقه، داعم ومشجع لجهود الإصلاح ومواقف المصلحين.

أسأل الله تعالى له المزيد من التوفيق والتسديد، وأن ينفع بكتابه هذا، ويجعله في سجل أعماله وميزان حسناته، إنه تعالى ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

مقالات في الثقافة والاجتماع

بتاريخ: ١٥/ ٢/ ١٤٣٢هـ

مجالات المشاركة في الشأن العام وصناعة المستقبل مفتوحة أمام جيل الشباب في المجتمعات المتقدمة، في مختلف ميادين الحياة، وما على الشاب هناك إلا أن يختار طريقه ويحدّد توجهاته.

فإن كان له طموح علمي فإن أبواب الجامعات مشرعة أمامه، ومراكز الأبحاث ترحب به، وبراءات الاختراع تنتظر إبداعاته وابتكاراته، والشركات والمؤسسات تتنافس على جذبه.

وإن كان له تطلع اقتصادي فإن الأنظمة والقوانين تخدمه، والفرص متاحة له بحدود جده واجتهاده.

وإذا كانت له ميول سياسية واجتماعية فهناك أحزاب ومنظمات بإمكانه أن ينتمي إليها، لصقل شخصيته وتنمية قدراته القيادية، وإثراء تجربته العملية.

ويمكن له أن يتدرج ويتقدم في مسار العمل السياسي ليصل إلى أعلى مواقع السلطة والقرار.

وحين تكون للشاب اهتمامات ثقافية فكرية، فإن آفاق النشاط المعرفي رحبة واسعة، لا تحدها قيود ولا حدود.

لهذا كله يبدع الشباب في تلك المجتمعات، ويحققون الانجازات، وتتواصل مسيرة التقدم والتطور في تلك البلدان.

أما في مجتمعات العالم الثالث فإن طريق الشباب للحياة تزدحم فيه العوائق والعقبات، بدءًا من تعسّر فرص التعليم الجامعي، في كثير من الأحيان، ومرورًا بصعوبات الحصول على مجال العمل والكسب، وانتهاءً بمخاطر التدخل في الشأن السياسي.

وعلى الصعيد الاجتماعي لا تزال الثقافة السائدة تفضي إلى تهميش الشباب، وتحول بينهم وبين أخذ دور المبادرة والتأثير في الشأن العام. فهم لا يزالون صغارًا مراهقين طائشين في نظر الكبار المهيمنين المسيطرين.

وحتى على الصعيد العائلي يعاني بعض الشباب من القهر ومصادرة الحرية في خصوصيات حياته، كاختيار الزوج، أو تبني بعض الأفكار والقناعات.

إن واقع الحصار والتهميش الذي يعيشه الشباب في مجتمعاتنا، هو المسؤول عن وأد كفاءاتهم ومواهبهم، وهو ما يزرع في نفوسهم الإحباط واليأس، فتندفع شريحة منهم نحو المخدرات والإجرام، وشريحة نحو التطرف والعنف.

إن على الحكومات أن تعيد النظر في سياساتها تجاه شعوبها وخاصة شريحة الشباب حتى لا تندفع الأمور نحو الانفجار والدمار.

وعلى قادة المجتمع بذل الاهتمام الجاد لتشجيع الشباب وتحفيز طاقاتهم وقدراتهم، وإزالة العوائق عن طريق مشاركتهم في الحياة العامة، صناعة المستقبل.

ولا بد أن نتوجه للشباب أنفسهم، فنقول لهم: إن عليكم أن تعرفوا قدر أنفسكم، وأهمية المرحلة التي تعيشونها من العمر، وأن لا تستسلموا الظروف التهميش والتجاهل، وانتزعوا دوركم بكفاءاتكم ومبادراتكم.

انفضوا عن إرادتكم غبار الكسل والتواني، واطردوا من نفوسكم داء اليأس والقنوط، واستنفروا طاقاتكم لكسب العلم والمعرفة، وشمروا عن سواعدكم لممارسة الفاعلية والنشاط.

مرحبًا بكل شاب يتحسس مسؤوليته في المجتمع، ويبادر للاهتمام بالشأن العام في الوطن.

من هذا المنطلق يسعدني الاستجابة لطلب الأخ العزيز الأستاذ صادق العلي بالتقديم لكتابه الجميل، فقد تعرفت على الأخ صادق منذ سنوات، ووجدت فيه أنموذجًا للشباب الصالح الذي تعقد عليه الآمال، فهو يتدفق حيوية ونشاطا، ويسعى لكسب الثقافة والمعرفة، ويشارك في الفعاليات المختلفة، ويحرص على صحبة

العلماء والمثقفين، لقد تربى في أحضان عائلة طيبة تقيم البرامج الدينية، وتستضيف العلماء والخطباء، فترعرع في أجواء الخير والصلاح، والتزم نهج عائلته في خدمة الدين والمجتمع.

وبين يدي القراء الكرام مجموعة من المقالات التي كتبها في مناسبات مختلفة، ونشرها على صفحات الانترنت، وهي تكشف عن اهتماماته الاجتماعي والثقافية، أحب أن يجمعها بين دفتي كتاب يقدمه لأبناء جيله من الشباب، تحفيزًا لهم على الفاعلية والعطاء وعلى المشاركة في الشأن العام. أسال الله تعالى له التوفيق والاجتهاد في تطوير ذاته، وتنمية كفاءته، وأن يكون من قادة الخير والإصلاح في المجتمع.

والحمد لله رب العالمين.

الحب والفراق

بتاريخ: ١٣/ ٣/ ١٤٣٢هـ

حينما ترزء بفقد عزيز رسّخت محبته ومكانته في قلبك مشاهد ومواقف نبيلة، فإن استجابة وجدانك ومشاعرك لتحدي ألم المصاب بفقده تأخذ منحيين: الأول منهما الشعور بالحزن والأسى؛ لأن الموت قد أحدث فراقًا أبديًا بينك وبين من تحب، وهذا ما يواجهه المؤمن بالتسليم لقضاء الله تعالى وقدره، وطلب المثوبة بالصبر والاسترجاع كما أمر الله سبحانه بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ❁ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

أما المنحى الثاني فهو استعادة شريط الذكريات، والعودة إلى أعماق الذاكرة والوجدان، وفتح أرشيف الصور والمشاهد المختزنة، التي جمعتك بالفقيد الراحل للتطواف بها، والوقوف أمامها، تعويضًا عما تشعر به من غياب وفراق.

وهذا ما عشته حين بلغني نبأ وفاة الحبيب العزيز الدكتور الشيخ محمد عبده يماني رحمه الله.

فقد ربطتني به علاقة محبة وتقدير، وتشاور وتعاون على البر والتقوى، في إطار تعزيز روح الإخاء والتقارب بين أبناء الأمة والوطن، ونشر ثقافة التسامح والاعتدال بين شرائح المجتمع.

وخلال هذه العلاقة الطيبة التي دامت خمسة عشر عامًا وجدت في تعامله الصدق والإخلاص والأدب الجم وتوخي الحكمة في كل حركة وموقف.

ولست الآن بصدد الكتابة عن شخصيته، أو الحديث عن صفاته، وخدماته للدين والوطن، فإن سيرته وانجازاته هي خير كتابة وحديث عنه.

وقد أشار عدد من الكتّاب ورجالات العلم والفكر في تأبينهم له إلى بعض ما يتحلى به من سمات الخير والفضل ومكارم الخلاق والشيم.

لكنني أحببت التقاط بعض الصور والمشاهد التي استعادتها الذاكرة في غمرة الحزن والأسى عندما تلقيت نبأ وفاته الأليم.

وحين أطلعني الأخ الفاضل الأستاذ كمال عبدالقادر على السيرة الذاتية التي كتبها للدكتور محمد عبده يماني، من خلال مذكرات نشرها عنه في صحيفة المدينة سنة ١٤١٤هـ وجدتها فرصة سانحة لتسجيل انطباعاتي وذكرياتي عن شخصيته الكريمة.

شاكرًا للأخ العزيز الأستاذ كمال عبدالقادر أن منحني شرف التقديم لهذه الصفحات المشرقة بنور تجربة إنسانية وطنية رائدة.

اللقاء الأول:

كنت مشتاقًا للتعرف على الدكتور محمد عبده يماني لما سمعت عن شخصيته

الفاضلة، ولقراءتي بعض كتاباته، وخاصة كتابه الأشهر والأكثر انتشارًا (علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ حيث نفذت الطبعة الأولى منه سنة ١٤١٠هـ قبل أن يمضي على صدورها شهر واحد كما جاء في مقدمة الطبعة الثانية، ثم تعددت طبعات الكتاب وبين يدي منها الطبعة العاشرة لسنة ٢٠٠٦م ولعلّ طبعات أخرى قد صدرت بعدها.

كنت أبحث عن طريق يوصلني إليه، بعد عودتي إلى الوطن سنة ١٤١٥هـ، وحين توفقت لحج بيت الله الحرام، وزرت العالم الجليل السيد محمد بن علوي المالكي رحمه الله بمكة المكرمة، طلبت منه عنوان الدكتور يماني، فبادر للاتصال به، وحدثه عن رغبتي في زيارته، فحيّا ورحب، واتفقنا على موعد اللقاء بعد أيام الحج.

كان اللقاء به في منزله بجدة عصر يوم الرابع عشر من ذي الحجة سنة ١٤١٥هـ، وشاركني في اللقاء الأخ العزيز الشيخ حسين رمضان القريش، فاستقبلنا ببشاشة وترحاب، وابتدأت الحديث بالإشادة بكتابه (علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ، فاستلم دفة الحديث، شاكرًا لله تعالى على توفيقه له في تأليف هذا الكتاب، وعلى سعة انتشاره وعظيم استقبال الناس له، مؤكدًا أن ذلك من بركة الله لأهل البيت ﷺ.

وأخبرني أن له كتابًا سيصدر بعنوان (إنها فاطمة الزهراء)، وأنه خلال تأليفه للكتاب تم العثور على (دار السيدة خديجة أم المؤمنين)، وهي تقع بزقاق الحجر بمكة المكرمة، ويقال له زقاق العطارين، وتعرف بمولد فاطمة، ولم تعد هذه الدار معروفة اليوم، فقد اختفت في باطن الأرض وانهالت عليها الأنقاض، وصادف أثناء الحفريات حول الحرم المكي في إطار التوسعة أن كشفت أجزاء منها، وتم التعرف عليها وتحديدها بدقة، ثم أرانا صورًا عن تلك الدار المباركة، مضيفًا إن اكتشافها في هذا الوقت من توفيق الله تعالى، حيث سيكتب عنها وينشر صورها في الكتاب، وقد طبع الكتاب سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م مزينًا بتلك الصور.

واسترسل رحمه الله في الحديث بألم وأسى عن ضياع معالم وآثار عهد النبوة

بسبب الإهمال والآراء المتشددة التي تمنع من إحياء تلك المعالم والآثار، حتى لا تكون ذريعة إلى التبرك والتوسل المحظور حسب رأيها.

ثم تحادثنا عن ما يعانيه الوطن والأمة من ضعف التواصل بل القطيعة بين أتباع المذاهب والاتجاهات المختلفة، وما ينتجه ذلك من سوء الظنون، وعدم وضوح صورة كل فئة أمام الأخرى، مما يوجد أرضية للفتن والنزاعات والصراعات، وأن على الواعين المخلصين السعي لتجاوز هذه الحواجز المفتعلة بين أبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة.

وأبدى رحمه الله استعداده للتواصل والتعاون من أجل نشر روح المحبة والتسامح، وتقوية عرى الإخاء والمودة بين أبناء الوطن والأمة.

خرجت من اللقاء معه، ونفسي يملؤها السرور والتفاؤل، بوجود مثل هذا الرجل في ساحتنا الوطنية، ممن تعقد عليهم الآمال بتخطي واقع الجفاء والفتور في العلاقات بين أطراف المجتمع، وصنع أرضية جديدة تنمو فيها بذور المحبة والثقة والعمل المشترك لخدمة المصالح العليا للدين والوطن.

وبحمد الله تعالى، كان ذلك اللقاء المبارك بداية تواصل لم ينقطع، حيث لا يكاد يمر عام لا تتكرر فيه اللقاءات كلما توفقت لحج أو عمرة، أو قصدت جدة لمشاركة اجتماعية أو ثقافية. وتفضّل بدعوتي أكثر من مرة في بيته العامر، بحضور نخبة من الشخصيات الاجتماعية والأدبية، كما كان يلبي معظم الدعوات التي حضرتها في مجالس جدة العامرة، ويضفي بحضوره على تلك اللقاءات بهجة وإفادة بمداخلاته القيمة، وتعليقاته الظريفة، وأخص بالذكر مجلس الشيخ عبدالمقصود خوجة، وأثنينيته الأدبية العريقة، ومجلس الأستاذ محمد سعيد طيب واهتماماته الإصلاحية الوطنية.

واغتنم رحمه الله فرصة زيارته للدمام لإلقاء محاضرة عن حقوق الإنسان بدعوة من فرع هيئة حقوق الإنسان، ليشرفني بزيارته للقطيف ظهر يوم الأربعاء ١٩ ذي

الحجة١٤٢٩هـ الموافق ١٧ ديسمبر ٢٠٠٨م، حيث دعوت على شرفه نخبة من الأدباء والمثقفين في المنطقة، ليشاركوني الاحتفاء بزيارته الكريمة، وتخللت اللقاء كلمات ترحيب بمعاليه، كما ألقى كلمة جميلة تناولت الهم الوطني والإسلامي العام.

في الحوار الوطني:

كان الدكتور يماني متفاعلًا ومتفائلًا جدًا بانطلاقة الحوار الوطني، لأنه كان يرى فيه مؤشرًا للاعتراف بالتعددية المذهبية والفكرية، يتجاوز بالوطن هيمنة فكر واتجاه آحادي، لا يرى لغيره شرعية وجود، أو حق تعبير عن رأي، كما كان يجده فرصة لظهور وتشجيع توجهات الاعتدال والتسامح في وسط كل الأطراف، مما يهيئ لتواصل وتعاون يكبح جماح التشدد والتطرف.

رأيته في الحوار الوطني الأول الذي انعقد في الرياض بتاريخ (١٥ ١٨ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ الموافق١٥ ١٨ يونيو ٢٠٠٣م)، يشارك بحيوية وسعادة بالغة، وقد قال لي: إن بعض من تراهم معنا في جلسات الحوار كان يتأثم من إلقاء تحية الإسلام على كثير من الحاضرين، ويرفض أن يجمعه معهم سقف واحد، لأنه يشكك في ديانتهم ويراهم مشركين أو مبتدعة أو علمانيين مناوئين للدين، إن هذا اللقاء يمثل تطورًا كبيرًا إذا أحدث تغييرًا في عقليات وسلوكيات المشاركين، ولم يكن مجرد استجابة صورية تكتيكية.

مضيفًا: علينا أن ننطلق من التفاؤل وحسن الظن، وأن نعين القيادة السياسية على إنجاح هذا التوجه.

أما في الحوار الوطني الثاني والذي انعقد في مكة المكرمة بتاريخ ٤ ٨ ذي القعدة ١٤٢٤هـ الموافق٢٧ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٣م فقد كان الدكتور يماني في قمة السعادة والتفاؤل، حيث نجح في إقناع السيد محمد بن علوي المالكي بالمشاركة، بعد أن كان مترددًا، حتى أنه طلب مني أن أتحدث معه لتشجيعه على المشاركة.

كان الدكتور يماني مرتاحًا جدًا لحضور هذه النخبة الوطنية الواسعة المتنوعة

الاتجاهات، ومغتبطًا بمستوى الصراحة التي سادت أجواء المؤتمر في مناقشة قضية (الغلو والاعتدال).

ولا أنسى له ذلك الموقف النبيل حينما التقى المشاركون في الحوار بخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله في الرياض (كان وقتها وليًا للعهد) حيث تحدث بعض المشاركين في اللقاء، حسب جدول أعدته إدارة المؤتمر، ولما انتهت كلمات المتحدثين وحان وقت حديث الملك عبدالله، توجه الدكتور يماني للملك ملتمسًا إتاحة الفرصة لكلمة من السيد محمد بن علوي المالكي، فوافق الملك على طلبه، وكان على السيد المالكي أن ينهض ليقف أمام مكبّر الصوت، لكن الدكتور يماني بادر للطلب بأن يؤتى بمكبّر الصوت للسيد المالكي، حتى يتحدث وهو جالس في مكانه، فكانت التفاتة احترام وتقدير تنم عن شهامة وعمق أدب ووفاء.

مؤتمر إسلامي في طهران:

تلقيت دعوة للمشاركة في مؤتمر يقيمه مركز الدراسات والبحوث التابع لوزارة الخارجية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ٢٨ ٢٩ شوال ١٤٢٤هـ الموافق ٢٢ ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٣م تحت عنوان (العالم الإسلامي التحديات والفرص) وقد أسعدني حين شاركت في المؤتمر حضور الدكتور محمد عبده يماني، والذي كان مهتمًا بالتعرف على طبيعة الأوضاع في إيران، وعلى التوجهات السياسية والثقافية السائدة لدى الشعب الإيراني، وكان يتحدث أن زيارته لإيران تحقق رغبة عميقة في نفسه للإطلاع عن قرب على أوضاع الشعب الإيراني، بعد كل التطورات التي حصلت منذ قيام الجمهورية الإسلامية، مشيرًا إلى أن الإعلام المسيّس يمنع من رؤية الأمور على حقيقتها.

كان حريصًا على متابعة جلسات المؤتمر، وقد ترأس إحدى الجلسات مفتتحًا بكلمة قيّمة، عما يواجه العالم الإسلامي من تحديات خطيرة تستوجب التقارب والتعاون بين حكومات الدول الإسلامية، وبين الجهات والمؤسسات العلمية والأهلية

في ساحة الأمة.

وكان مهتمًا بالتعرف على الشخصيات الإيرانية العلمية والفكرية، واغتنام أي فرصة للحديث معها في مختلف شؤون وقضايا الأمة.

ولاحظت الحفاوة التي أحاطته بها إدارة المؤتمر، وما كان يبديه العلماء والمفكرون من احترام لشخصيته، واهتمام بمناقشاته وملاحظاته، وبدا لي أنه كان مرتاحًا جدًا لزيارته لإيران، وللحصيلة التي خرج بها من الأفكار والانطباعات.

كان الدكتور يماني ذا شخصية جذابة مؤثرة، يحب الآخرين، فتنفذ إلى قلوبهم محبته، ويحترم الناس فيبادلونه الاحترام والتقدير، يتحدث عن آرائه بثقة وتواضع، ويتعامل مع الأمور ببصيرة وحكمة، لا يبخل بمشورته على أحد، ولا يضن بجاهه وشفاعته، يحرص على المشاركة في أي مناسبة خير يدعى إليها، رغم متاعبه الصحية.

حقًا إن حياته وسيرته منارة إصلاح تستضيء بها أجيال الأمة والوطن.

ومن حق هذه الأجيال أن تتعرف على جوانب سيرة هذا الرجل، وآفاق اهتماماته وانجازاته، وتلبية لنداء هذا الحق، وانطلاقًا من واجب الوفاء، بادر أخونا العزيز الأستاذ كمال عبدالقادر لإعداد هذه السيرة الذاتية، ومن أولى منه بهذه المبادرة، وقد كان على صلة وثيقة بهذه الشخصية الكريمة، وتفيأ ظلال رعايتها ردحًا من الزمن، واجتذبته إليها صفات الخير، ومواقف الإخلاص، ومكارم الأخلاق العالية، فاندفع للكتابة عنها بقلم الحب والوفاء.

أسأل الله تعالى أن يجعل في قراءة سيرة هذا الرجل خيرًا ومنفعة كما كانت حياته مليئة بالخير والنفع.

وجزى الله الأستاذ كمال عبدالقادر خير جزاء الأوفياء المخلصين.

والحمد لله رب العالمين.

في ظل التعايش

بتاريخ: ٤/ ٦/ ١٤٣٢هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

لن تقلع مسيرة مجتمع نحو التنمية والتقدم ما لم يكن معافى في علاقاته البينية، ذلك أن سوء العلاقة بين مكونات المجتمع وطوائفه وشرائحه، تصرف اهتمامات أبنائه عن البناء، وتشغلهم بمعارك النزاع والصراع الداخلي، حيث يتوهّم كل طرف بأن الطرف الآخر ضده وعدو له، ويغفلون عن العدو المشترك وهو التخلف التنموي.

إن معظم مجتمعات الدول النامية أو العالم الثالث، يعانون من التخلف في مختلف مجالات حياتهم السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، كما تؤكد ذلك تقارير الأمم المتحدة للتنمية كل عام. وهم بحاجة ماسّة للتحرك باتجاه النهضة والإصلاح والتطوير.

لكن الصراعات الاثنية من قومية ودينية ومذهبية تستهلك جهودهم، وتمنعهم من التعاون والتكاتف لبناء أوطانهم، وانجاز التنمية لشعوبهم.

من هنا تأتي أولوية الاهتمام بإصلاح العلاقات بين فئات المجتمع، ومعالجة ما تعتريها من علل وأسقام.

والقاعدة التي يجب الانطلاق منها في صنع العلاقات السليمة بين مكونات المجتمع هي قبول التعايش، على أساس من الاحترام المتبادل، والاعتراف بالشراكة الوطنية.

إن العقل والشرع يدعمان هذه القاعدة التعايش ويؤيدانها؛ لأن أي فئة لا يحق لها

أن تلغي الفئة الأخرى، فالوجود منحة الله تعالى لخلقه، والحياة نعمة منه تعالى على الجميع، وثروات الكون وخيراته مسخّرة لكل بني آدم، فلا يحق لأحد أن يستأثر بذلك خلافًا لإرادة الله وحكمته.

يقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [سورة الرحمن: الآية١٠].

ويقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة الجاثـية: الآية١٣].

ويقول تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [سورة الإسراء: الآية٢٠].

وقد أمر الله تعالى أنبياءه بقبول التعايش مع غير المؤمنين برسالاتهم، ونهاهم عن ممارسة أي إكراه أو فرض على الآخرين يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[سورة البقرة: الآية٢٥٦].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: الآية٩٩].

ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[سورة الغاشية: الآيتان٢١ ٢٢].

ولكن قاعدة التعايش مع ثبوت أدلتها الدينية والعقلية، ومع وضوح نتائجها الايجابية في حياة مختلف الأمم والشعوب، إلا أنها لا تزال محلّ أخذ ورد ونقاش وجدال في بعض مجتمعاتنا الإسلامية على مستوى القبول الفكري والتطبيق العلمي.

وذلك لأن تاريخ هذه المجتمعات اتسم في مجمله بسياسة الفرض والقهر، وأنتج ثقافة تشرع الهيمنة والاستبداد، وتدفع باتجاه الاختلاف والنزاع.

إن واجب الواعين من أبناء هذه المجتمعات أن يهتموا بنشر ثقافة التعايش، وأن يقبل الناس بعضهم بعضًا على اختلاف انتماءاتهم العرقية والدينية؛ لأن البديل عن ذلك هو التنافر والنزاع والاحتراب، مما يعوّق التنمية ويهدد أمن الوطن واستقراره.

وهذه الصفحات بين يدي القارئ الكريم، هي مجموعة مقالات كتبها الأخ الأستاذ عيسى العيد، ونشرها في بعض الصحف والمواقع الالكترونية، تهتم بمعالجة موضوع التعايش ونشر ثقافة الحوار والتسامح.

والكاتب الكريم واحد من شبابنا الأعزاء الذين انخرطوا في مسيرة الإصلاح وخدمة المجتمع، والتحق منذ نعومة أظفاره بأجواء العمل الديني والنشاط الثقافي، وكتابته عن التعايش والتسامح تواكب نشاطه العملي في المشاركة في جهود الانفتاح والتواصل مع مختلف فئات المجتمع، ومكونات النسيج الوطني.

أسأل الله تعالى له التوفيق ومواصلة طريق العمل لخدمة المجتمع والوطن.

والحمد لله ربّ العالمين.

قضايا الدين والمجتمع رؤى وقراءات

بتاريخ: ١٧/ ٧/ ١٤٣٢هـ

حين ينتهل الإنسان من معين المعارف الدينية، وينتمي إلى سلك حملة العلم الشرعي، فإنه يتحمل مسؤولية نشر العلم والمعرفة، وواجب التعليم والإرشاد.

وهو مطالب أمام الله سبحانه وتعالى ببث ما تعلمه في أوساط المجتمع، وسيحاسب يوم القيامة عن التقصير في القيام بهذه المهمة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ

اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٥٩]، وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أن الله يسأل العبد عن فضل علمه كما يسأله عن فضل ماله». وعنه ﷺ: «من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار».

وهناك علاقة وثيقة بين بذل العلم للناس وبين تقدم مستوى العالم في معرفته وعلمه، فمن يبخل بالعطاء العلمي، يتوقف عن النمو والتقدم، ويصيبه الركود الفكري، ويتراجع مستواه. وهذا أمر محسوس، فإن ممارسة التعليم، والتصدي للدور المعرفي، يعني استمرار الحركة العلمية في ذهن الإنسان، ومتابعة الانشغال بالبحث والنظر، والاجتهاد في أساليب إيصال الفكرة للمتلقين، والإجابة على تساؤلاتهم واعتراضاتهم، مما يعمق القدرة العلمية، والكفاءة المعرفية، ويفتح أمام الذهن آفاقًا وأبوابًا جديدة في العلم والمعرفة.

وهذا ما تشير إليه النصوص الشريفة من تبيين أثر العطاء على تعميق العلم والمعرفة. يقول أمير المؤمنين ﵇: «العلم يزكو على الإنفاق»، كما أن العالم حين يبذل علمه للناس، فإنه يصبح قريبًا منهم، وتتعزز مكانته ودوره في أوساطهم، فيكون أقدر على خدمة الدين، والارتقاء بشأن المجتمع.

وفي هذا العصر تواجه مجتمعاتنا تحديات خطيرة، تستهدف قيمها الأخلاقية ومبادئها الدينية، في ظل ثقافة العولمة المادية، كما تعاني مجتمعاتنا الكثير من المشاكل في داخلها، كضعف الفاعلية والإنتاج، وداء الاختلاف والتفرق، وانتشار الأفكار السلبية، والعادات الضارة.

مما يضاعف المسؤولية على علماء الدين ليضاعفوا جهدهم، وليرفعوا من مستوى فاعليتهم ونشاطهم، في بث الوعي والمعرفة، وإرشاد الناس إلى ما يصلح أمور دينهم ودنياهم.

وقد أصبحت الفرص متاحة، والآفاق مفتوحة، والظروف مساعدة، أكثر من أي

وقت مضى، وإذا كانت هناك بعض الصعوبات والعوائق فهي في الحدود المقبولة، التي يواجهها أي نشاط في مختلف مجالات الحياة.

كان مجتمعنا في الماضي يشكو من قلة العلماء، وضعف الإقبال على طلب العلم الديني، لكن الصحوة الدينية التي هبت على مجتمعنا وسائر مجتمعات الأمة، تجاوزت بالمجتمع ذلك الواقع، فأصبح لدينا في كل قرية أو مدينة عشرات من المنتمين إلى هذا السلك المبارك، وما يحتاجه المجتمع اليوم هو التفعيل الأفضل لدور هؤلاء العلماء والخطباء وطلاب العلوم الشرعية.

وإذ نفخر بالنماذج المتصدية للقيام بالمسؤولية والواجب الديني الاجتماعي، فإننا نأمل مضاعفة الجهد والنشاط، وشمولية حالة الفاعلية والتصدي لجميع أبناء هذا الصنف من الشرعيين، مع السعي لأكبر قدر من التنسيق والتعاون فيما بينهم، لحفظ الوحدة الإيمانية والاجتماعية.

وممن يُفخر بدوره الديني والاجتماعي أخونا العزيز الفاضل سماحة الشيخ صادق رواغة أدام الله تأييده وتوفيقه، حيث يقيم صلاة الجماعة، ويخطب في المصلين، ويمارس الخطابة الحسينية، ويقوم بالتدريس لمجاميع من الشباب، ويؤدي المهام الدينية المتعارفة، مع التحلي بحسن الأخلاق، واستقامة السلوك، والاتزان والانفتاح في علاقاته الاجتماعية.

وها هو يشهر سلاح القلم للانتصار لقيم الهداية والصلاح، وبث الوعي والمعرفة، وكنت أطّلع على بعض مقالاته التي يدوّن فيها خطبه ومحاضراته، فيلفت نظري حسن اختياره للموضوعات التي يتناولها، بما يلامس حاجة المجتمع وقضاياه، وكذلك أسلوب المعالجة والطرح، بما يجمع بين عمق المضمون ووضوح التعبير، وإذ أبارك له جمع هذه المقالات وإصدارها ضمن دفتي هذا الكتاب، لأرجو أن يكون ذلك فاتحة خير لنشاط متواصل منه في مجال الكتابة والتأليف. كما آمل أن يكون دافعًا ومحفزًا

لسائر أبناء سلك العلوم الدينية، للاهتمام بتوظيف أقلامهم في حركة الثقافة والفكر، خدمة للدين والمجتمع.

والحمد لله رب العالمين.

مدونات مترعة بالأخاديد

بتاريخ: ١٨/ ٨/ ١٤٣٢هـ

الحراك السياسي في كل مجتمع هو مؤشر وعي ودليل عافية وحيوية؛ لأن المجتمع الراكد سياسيًا هو مجتمع مستسلم خانع، ينقصه الوعي بذاته وواقعه، أو يفتقد التطلع وإرادة التقدم، فيعيش اللامبالاة، ويتنازل عن شروط إنسانيته وممارسة حقوقه المشروعة.

فالشأن السياسي يمسّ مختلف جوانب حياة المجتمع، ويؤثر في جميع مجالات شؤونه؛ لأن السياسية هي التي تُدير وتقود الحياة. فالصحة والتعليم والاقتصاد والإعلام والثقافة وسائر الأمور كل شؤونها تخضع للقرار السياسي وتتأثر به.

وكما يقول الدكتور حسن صعب: «فقد تمسّ سلطة التقرير السياسي مصير ينبوع من الماء في حديقة المنزل، كما تمسّ مصير ينبوع الحياة في نفس الإنسان، وقد تتعلق بها حياة الطيور كما تتعلق بها حياة الأمة بكاملها».

والحراك السياسي يعني تفاعل المجتمع ايجابيًا مع الواقع السياسي الذي يعيشه، ضمن موقف القبول أو الرفض، والتأييد أو المعارضة، بغرض المشاركة والتأثير في القرار.

وتعاني المجتمعات التقليدية من مشكلة احتكار الشأن السياسي في دائرة ضيقة

تتمثل في النخبة الحاكمة، والتي قد تتلخص في فرد أو عدة أفراد، وحين يتجرأ أحد من أبناء الشعب للإدلاء برأي سياسي مخالف، أو اتخاذ موقف معارض، فإنه يعرّض حياته ومصالحه للخطر.

ومن الطبيعي أن تترعرع في هذه المجتمعات المقموعة ثقافة تدفع نحو الانكفاء والسكون والاستسلام، حذرًا من تبعات الانخراط في الشأن السياسي، وقد تأخذ صبغة دينية للتبرير، أو انطلاقًا من سياسة التجهيل والتضليل.

لكن المجتمعات قد لا تعدم أفرادًا واعين يتخطون حاجز الخوف والرهبة، ويتجاوزون ضحالة الوعي والإدراك، فيبادرون إلى اقتحام حقل السياسة متحدين ألغام خطره المرعبة. وحين يصمدون ويقدمون التضحيات، فإن رقعة الحراك السياسي تتسع، وينمو الوعي والشعور بالمسؤولية الاجتماعية.

ومن ميزات مجتمعنا القطيفي المعاصر انبثاق طليعة واعية من أبنائه تهتم بالشأن السياسي، وتتصدى لممارسته في الإطار السلمي، مما أوجد حراكًا سياسيًا لا زال مستمرًا منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمن.

حيث تشكلت في المجتمع تجمعات سياسية، ذات توجهات مختلفة، قامت بأنشطة إعلامية وثقافية واجتماعية في المسار السياسي، داخل البلد وخارجه.

وقد انعكس هذا النشاط السياسي على واقع المجتمع، حيث تتجلى بعض مظاهره في انتشار الوعي الوطني، ونمو الفاعلية الاجتماعية، وتعزيز مكانة المجتمع في محيطه، ومعالجة بعض ما يعاني من مشكلات.

في المقابل كانت هناك بعض الخسائر والتضحيات حيث سقط عدد من الشهداء، واستضافت غياهب السجون عددًا كبيرًا من الناشطين، وعانى البعض صعوبات الغربة والهجرة، وتحمّل كثيرون مختلف الضغوط والمشاكل.

لكن هذا الحراك السياسي في المنطقة يفتقد التوثيق والرصد التاريخي، بسبب ما يكتنفه من الملابسات والحساسيات.

ويتحمل الرواد والناشطون السياسيون مسؤولية كبرى في تسجيل تجارب عملهم النضالي، وتوثيق حراكهم السياسي، لتستفيد منه الأجيال الصاعدة.

من هنا تبدو القيمة الحقيقية لكتابات الأستاذ المناضل باقر الشماسي، حيث يقدم للجيل الجديد شيئًا من تجربته النضالية، ويوثق بعض أحداث الحراك السياسي في المنطقة.

والأستاذ باقر الشماسي من الناشطين السياسيين الأوائل الذين تحملوا عناء السجون، وواجهوا مختلف الضغوط والصعوبات، بسبب تعبيرهم عن آرائهم السياسية، ونشاطهم في الدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان.

ولا يزال مهمومًا بقضايا المجتمع والوطن، كما يتجلى ذلك في كتاباته التي ينشرها عبر المواقع الالكترونية، وقد جمع معظمها بين دفتي هذا الكتاب الجميل.

ويمتاز الأخ أبو سلام بتواضعه الجم، وحرصه على التواصل مع مختلف فئات المجتمع، وتفاعله الايجابي في مناقشة القضايا الوطنية في مختلف اللقاءات والمنتديات التي يحضرها، وطالما أصغيت إلى مداخلاته وحديثه حين يسعدنا بحضوره في مجلسنا الليلي في بعض الأمسيات، فيعجبني منه اهتمامه بحديث الآخرين، وتقديره لآراء الشباب، وصراحته في إبداء رأيه بثقة وهدوء.

وذلك ما سيلمسه القارئ عند اطلاعه على مواضيع هذا الكتاب الشيّق، حيث يعبّر الأستاذ الشماسي عن آرائه في مختلف المواضيع والقضايا السياسية والثقافية والاجتماعية، ولك أن تتفق أو تختلف معه في هذا الرأي أو ذاك، في إطار التثاقف، واحترام الرأي الآخر.

شكرًا لأبي سلام على عطائه لمجتمعه ووطنه، ووفقه الله لمزيد من العطاء.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب محفزًا وباعثًا لسائر زملائه ورفاقه من الناشطين السياسيين لتوثيق مسيرتهم وتجربتهم النضالية، بما يثري الحراك السياسي في المجتمع، ويراكم التجارب والخبرات، ويساعد في كتابة التاريخ السياسي للمجتمع، ورصد خلفيات الأحداث والتطورات.

خطباء العوامية من الماضين

بتاريخ: ٢٠/ ١٠/ ١٤٣٢هـ

الخطباء الحسينيون يمثلون صوت النهضة الحسينية، الذي يصك مسامع الأجيال على امتداد التاريخ.

فهم الذين يخلّدون هذه الذكرى العظيمة بنقل أحداث عاشوراء، ويحيون النفوس بما تضمنته من مواقف التضحية والفداء، ويفجّرون المشاعر والعواطف بتصوير مشاهد المآسي والآلام التي حلّت بأهل بيت الرسالة صلوات الله وسلامه عليهم.

وعبر منابر الخطباء الحسينيين تعززت مسيرة الولاء والمودة للعترة الطاهرة، وتواصلت عرى الارتباط والانشداد بسيرة الأئمة الأطهار.

وكلما كان الخطيب أكثر وعيًا ومعرفة بفكر أهل البيت وأمرهم كان أقدر على إحيائه، وأقرب إلى أن يشمله دعاء الإمام علي بن موسى الرضا ﵇: (رحم الله من أحيا أمرنا) وحيث أجاب على سؤال: (كيف يحيي أمركم) بقوله ﵇: (يتعلم علومنا وينشرها بين الناس فإن الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونا).

إن شرف الخدمة للحسين ﵇ لا يناله إلا من كان مخلصًا لله في أدائه لهذه الخدمة

المباركة، ملتزمًا بهدي أهل البيت ﰄ في سلوكه وتعامله مع الناس، هنالك تخرج موعظته من قلبه بصدق فتقع في القلوب موقع التأثير والقبول.

رحم الله خطباءنا الصالحين الماضين الذين أحيوا أمر الحسين في مجتمعاتهم وعصورهم، وأيّد الله خطباءنا الرساليين المعاصرين ليقوموا بالواجب الملقى على عواتقهم في هذا الواقع الذي تحيطه أخطر التحديات.

ووفق الله المجتمع لأداء الشعائر الدينية والحسينية على خير وجه وأكمل صورة تناسب تطورات العصر والحياة.

وجزى الله العبد الصالح الحاج عبدالقادر أبو المكارم خير الجزاء لاهتمامه بإحياء ذكرى الخطباء الحسينيين في بلده (العوامية) فقد اجتهد في جمع المعلومات عن حياتهم، تخليدًا لذكراهم، ووفاءً لحقهم، وتحفيزًا للاقتداء بهم.

وقد أحسن صنعًا حين أضاف إلى تراجم الخطباء تراجم الخطيبات الحسينيات فهن كأشقائهن من الخطباء أحرزن شرف الخدمة الحسينية، وقمن بدور إحياء الشعائر الحسينية، كما أضاف شكر الله سعيه تراجم قراء السيرة الحسينية في مجالس العزاء.

بارك الله لأبي عدنان هذا العمل التوثيقي الرائع وحشره يوم القيامة مع الحسين ﰅ وأنصار الحسين ﰅ وخدام الحسين ﰅ، ووفقه الله للمزيد من العطاء والإنتاج في خدمة الدين والمعرفة.

والحمد لله ربّ العالمين.

أسئلة وإجابات

بتاريخ: ٢٠/ ٣/ ١٤٣٣هـ

تطلع الإنسان للعلم والمعرفة، وبحثه عن الحق والصواب، هو الباعث الأساس لانبثاق الأسئلة في ذهنه.

كما أن حالة المواجهة والصراع في أعماق نفس الإنسان بين وجدانه وعقله من جهة، وبين شهواته ورغباته من جهة أخرى، كثيرًا ما تجعله في موقع الحيرة والتساؤل.

وقد يجد الإنسان نفسه أمام حالة تزاحم وتعارض بين توجهات خيّرة، فكيف يضع سلّم الأولويات؟ وكيف يتبين له الأهم من المهم؟!

وفي جانب الرغبات قد يواجه تدافعًا بين مختلف الميول والانشدادات، فيقف حائرًا متسائلًا.

إن انبثاق السؤال في ذهن الإنسان هو نتاج لخاصيته العقلية، ولما منحه الله تعالى من إرادة يمارس بها حرية الاختيار.

والسؤال دلالة يقظة ومؤشر إدراك، وهو يعني شعور الإنسان بالمسؤولية تجاه ما يتساءل عنه ويفكّر فيه.

بينما يؤشر انعدام السؤال إلى خمول في الذهن، واسترسال ساذج مع مجريات أمور الحياة.

إن السؤال يقود الإنسان إلى المعرفة، ويجعله أقرب للصواب، ولذلك جاءت النصوص الدينية الكثيرة تحفّز الإنسان للتفكير والتساؤل، وتدفعه لسؤال العلماء والمتخصصين في كل مجال من المجالات.

يقول تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وقد تكرر هذا النص مرتين

في القرآن الكريم في سورة النحل آية ٤٣ وفي سورة الأنبياء آية ٧.

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «السؤال نصف العلم».

ومن أجل أن يكون السؤال ثقافة مجتمعية ورد عنه ﷺ أنه قال: «العلم خزائن ومفاتيحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فإنه يؤجر أربعة: السائل، والمتكلم أي المجيب ـ والمستمع، والمحب لهم».

وجاء عن أمير المؤمنين علي ؑ: «القلوب أقفال ومفاتيحها السؤال».

وعنه ؑ: «سل عما لا بد لك من علمه ولا تعذر في جهله».

وفي هذا العصر تيسّرت الأمور، وتهيأت الأسباب، وتوفرت وسائل المعرفة، وبإمكان أي إنسان أن يتواصل مع مختلف العلماء والمتخصصين في شتى مجالات العلم والحياة.

فلا عذر لإنسان في التقاعس عن كسب المعرفة، أو البقاء في حيرة الجهل.

وعلى الصعيد الديني فقد انبرى عدد كبير من العلماء للتصدي لاستقبال الأسئلة التي ترتبط بالأمور الشرعية، وذلك عبر وسائل الاتصال الحديثة، ومن أبرزها افتتاح مواقع التواصل على شبكة الانترنت.

ولأن الله تعالى قد شرفني بالانتماء إلى سلك طلبة العلوم الدينية، رأيت من واجبي أن أسهم في نشر العلم والمعرفة بمقدار حصيلتي المتواضعة وجهدي المحدود. فأنشأت موقعًا على شبكة الانترنت بمساعدة بعض الإخوة الأعزاء حيث تم افتتاحه سنة ١٩٩٩م.

وصارت تردني على بريد الموقع الالكتروني كثير من الرسائل التي تحمل مختلف الأسئلة والاستفسارات بعضها يتعلق بمسائل دينية، وأخرى تعرض مشاكل اجتماعية.

وكنت أستفيد من ورود تلك الأسئلة في رصد بعض المشاكل الدينية والاجتماعية، كما كانت بعض الأسئلة باعثًا لي للبحث والمراجعة من أجل إعداد الإجابة المناسبة.

ولكثرة الرسائل الواردة، مع انشغالاتي المختلفة، طلبت من الأخ العزيز الفاضل الأستاذ مهدي جعفر صليل مساعدتي في القيام بهذه المهمة، لثقتي بقدراته واستقامته وإخلاصه. فكان لي نعم المساعد والمعين، جزاه الله خير الجزاء، وأجزل له الأجر والعطاء.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم، يضم مجموعة مختارة من تلكم الأسئلة والإجابات، أرجو أن يكون في نشرها نفع وفائدة للقراء الكرام.

وفي الختام أجدد شكري للأخ الأستاذ مهدي صليل لقيامه بإعداد هذا الكتاب، ولخدماته المتواصلة للدين والمجتمع، حفظه الله ورعاه، وكثّر في أبناء المجتمع أمثاله.

والحمد لله رب العالمين.

من خطباء المنبر الحسيني بمدينة سيهات

بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٤٣٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

يتبوأ المنبر الحسيني مكانة عالية من الاهتمام والتأثير في المجتمع الشيعي لا يدانيها أي اهتمام أو تأثير آخر. حيث يحتشد الجمهور الشيعي بكل شرائحه وطبقاته حول المنبر وخاصة في مناسبة عاشوراء.

ولا يكاد يخلو يوم من أيام أي مجتمع شيعي من صوت للمنبر الحسيني، فهناك مجالس تنعقد يوميًا في الصباح أو المساء، وهناك مجالس أسبوعية، وهناك مجالس

عرضية، إضافة إلى مجالس المناسبات في ذكريات وفيات أهل البيت ﷺ، ومجالس تقبل العزاء لأي متوفى من أبناء المجتمع، والتي يطلق عليها في مجتمعنا المحلي (الفاتحة)، حيث ينعقد فيها المجلس الحسيني ثلاثة أيام صباحًا وعصرًا، أو عصرًا وليلًا، أو في الأوقات الثلاثة.

وتموّل بعض هذه المجالس الحسينية من وارد أوقاف كثيرة مخصصة للصرف عليها، حيث تشكل الأوقاف الحسينية ما يقارب ٧٠٪ من مجمل الأوقاف في المجتمعات الشيعية.

وقسم من المجالس تمولها التبرعات والنذورات من أبناء المجتمع، وهي كثيرة جدًا، فإقبال الناس على العطاء لما يرتبط بإحياء القضية الحسينية لا يوازيه أي إقبال على التبرع والعطاء في المجتمع الشيعي.

ورغم وجود قاعات مخصصة لإقامة المجالس الحسينية في كل حيّ شيعي يطلق عليها (حسينيات) إلا أن المجالس تعقد في مختلف الأمكنة، كالمساجد والبيوت والمزارع، وبعض الساحات العامة.

هذا الاهتمام المميز، والحضور الدائم للمنبر الحسيني في المجتمعات الشيعية، يقتضي وجود شريحة من الخطباء المتخصصين في ارتقاء هذا المنبر، وإحياء المجالس الحسينية.

إن المؤهل الأساس لخطيب المنبر الحسيني هو حفظه لوقائع مأساة كربلاء نثرًا وشعرًا، وقدرته على تلاوتها بصوت يستثير مشاعر الحزن والأسى في نفوس السامعين.

ومع تطور الوعي الاجتماعي صار مطلوبًا من الخطيب طرح المعارف الدينية، وعرض سيرة النبي وأهل بيته الطاهرين، وبث الفكر والثقافة المفيدة للمجتمع. حيث يتفاوت الخطباء في مستوياتهم المعرفية، وقدراتهم الخطابية.

من هنا أصبح لخطيب المنبر الحسيني تأثير بالغ في المجتمع الشيعي، وتشكيل

شخصيته الدينية والثقافية.

ومدينة سيهات وهي تحتضن مجتمعًا شيعيًا عريقًا في تاريخه وولائه لأهل البيت ﷺ، من الطبيعي أن يشكل المنبر الحسيني معلمًا بارزًا في تاريخها وحاضرها الاجتماعي.

وقد أنجبت هذه المدينة الطيبة أجيالًا من الخطباء الحسينيين الذين كانوا يصدحون بولاء العترة الطاهرة ﷺ، ويربّون المجتمع على هدي سيرة النبي وآله ﷺ، ويعززون الانتماء لهم بالعاطفة الصادقة، والالتزام الديني القويم.

هؤلاء الخطباء الذين نذروا أنفسهم للقيام بهذه المهمة الدينية الولائية، وبذلوا وقتهم وجهدهم لخدمة المجتمع والتفاعل مع أفراحه وأتراحه، يستحقون أن تخلّد ذكراهم، وأن يسجّل تاريخهم في خدمة المنبر الحسيني، وفاءً وتقديرًا لدورهم، وتوثيقًا لجانب من تاريخ المجتمع، بما يمثلون فيه من مكانة وتأثير.

وفي هذا السياق تأتي هذه المبادرة الجميلة من مؤسسة الرسول الأعظم الثقافية بسيهات، حيث انبرى أحد أعضائها وهو الأخ العزيز الأستاذ عبدالفتاح العيد للبحث في تراجم وسيرة خطباء المنبر الحسيني من مدينة سيهات، وبذل جهدًا كبيرًا وفق إمكاناته وطاقته، لتجميع المعلومات عن حياتهم، وخاصة فيما يرتبط بتراجم الخطباء الماضين، من خلال استنطاق بعض أقربائهم ومعاصريهم، حيث لا تتوفر كتابات سابقة عن أكثرهم، جزى الله الأخ المؤلف خير الجزاء، على ما بذله من جهد في إعداد هذا الكتاب الجميل، وزاد الله في توفيق ونشاط مؤسسة الرسول الأعظم ﷺ التي أخذت موقعيتها بجدارة في ساحة العمل الثقافي والاجتماعي.

ورحم الله خطباءنا الماضين، وحشرهم مع سادتهم الميامين، وحفظ الله خطباءنا المعاصرين، ووفقهم لأداء واجب هذه الخدمة المقدسة بأرفع درجات الإخلاص والاجتهاد.

والحمد لله رب العالمين.

العهد .. جاسم سيرة وعطاء

بتاريخ: ٢٦/ ٣/ ١٤٣٣هـ

حين يتجاوز الإنسان ذاته، ويُوقَّ شُح نفسه، فيحمل هموم مجتمعه، ويبذل جهده لخدمة الناس وقضاء حوائجهم، فإن من الطبيعي أن تنجذب إليه النفوس، وأن يحظى بالاحترام والتقدير.

تلك هي الحقيقة التي أكدتها سيرة الفقيد الراحل المهندس جاسم قو أحمد، فقد امتلكت محبته قلوب أبناء مجتمعه بمختلف شرائحهم، وكان موضع الثقة والتقدير لدى جميع الطبقات والأوساط.

لذلك كان يوم تشييع جنازته يومًا مشهودًا، حيث زحفت الجموع من مختلف أرجاء المنطقة للمشاركة في تشييعه، واحتشد الألوف في مجالس عزائه، وكنتَ ترى ملامح الحزن والأسى لفقده على وجوه جميع المشاركين.

تُرى ما الذي كان يميز المهندس جاسم؟

وما سر عشق الناس له وانجذاب القلوب إليه؟

إن صفات الخير ونقاط التميّز في شخصيته كثيرة ومتنوعة، من أبرزها استقامته الدينية، حيث عرفه المجتمع في مختلف أطوار حياته بالالتزام الديني، واستقامة الأخلاق والسلوك، ومنها كفاءته العلمية وخبرته المتميّزة في مجال تخصصه، كمهندس معماري أصبح في موقع الصدارة من المهندسين الأكفاء اللامعين في المنطقة.

إلى جانب تحلّيه بالأخلاق الفاضلة فقد كان متواضعًا وصولًا مشاركًا للناس في أفراحهم وأتراحهم، سخيًا معطاءً، لا يرد محتاجًا، ولا يتردد في دعم أي مشروع خيري.

لكنني أريد التركيز وتسليط الضوء على صفة مهمة أراها أصلًا ومنبعًا للكثير من

التوجهات والسمات الطيبة النبيلة في شخصيته وسيرته.

تلك الصفة المائزة هي: اهتمامه بتنمية المجتمع والسعي لارتقائه وتطويره.

كان المهندس جاسم مسكونًا بهذا الهم، وقد حدثني أكثر من مرة عما يشغل باله من التفكير في إنهاض المجتمع، ومعالجة معوقات تنميته وتقدمه في مختلف المجالات.

ولأن التنمية الاجتماعية تحتاج إلى أسس ومقومات فإننا نلحظ أن جهود الفقيد الراحل وعطاءاته كانت تصبّ في هذا الاتجاه.

فأول أسس التنمية هو الوعي والثقافة الدافعة نحو الفاعلية والعمل، حيث كان للفقيد دور بارز في عقد لقاءات التفكير والبحث حول أوضاع المجتمع، وفي تشجيع نشر الكتب وإقامة المحاضرات التوعوية الهادفة.

والأساس الثاني للتنمية هو وجود المؤسسات الاجتماعية، التي تحتضن الطاقات، وتضع البرامج، وتتصدى لحاجات أبناء المجتمع، ويعرف الجميع دعمه للجمعيات الخيرية، والأندية الرياضية، ومختلف النشاطات الاجتماعية، ومساهمته في بناء المساجد والحسينيات، وقد ختم حياته المباركة بمشروع بناء مسجد على نفقته الخاصة سمّاه (مسجد العهد) وكان يتابع عمليات إنشائه وهو على فراش المرض والمعاناة.

أما الأساس الثالث فهو التماسك الاجتماعي، والتواصل بين مختلف القوى والفاعليات الاجتماعية، فقد كان رحمة الله عليه منفتحًا على جميع فئات المجتمع، يتجاوب مع أي جهد أو نشاط يخدم المصلحة العامة من مختلف الأطراف والتوجهات.

لم يحتكره اتجاه، ولم يتعصب لفئة، ولم يكن طرفًا في أي اختلاف أو نزاع، بل كان داعية تسامح وانفتاح، وجسر تواصل بين مختلف الأطراف، وكان مهتمًا بتنقية الأجواء العامة من أي خلاف يضر بوحدة المجتمع وتماسكه.

ويأتي خلق المناخ المناسب والأجواء المساعدة كأساس رابع من أسس التنمية

الاجتماعية، حيث كان الفقيد يعي أهمية الانفتاح وصنع العلاقات على المستوى الوطني، فكانت له شبكة من العلاقات الايجابية مع الجهات الرسمية، والشخصيات المؤثرة في المحيط العام، حيث كانت تنظر إليه بثقة واحترام، لكفاءته وعطائه وكريم أخلاقه، وكان يوظف تلك العلاقات في خدمة مصالح المجتمع، وتعزيز موقعيته الوطنية، وقضاء حوائج الناس.

هذه إضاءة سريعة على أهم مميزات هذا الرجل النبيل الذي فقدناه وهو في أوج عطائه، لتبقى سيرته العطرة، حافزًا لأبناء الوطن نحو البذل والعطاء، وتحمل المسؤولية تجاه المجتمع، وليكون ذكره الجميل عنوانًا مشرقًا في تاريخ المنطقة الاجتماعي.

وبين يدي القارئ الكريم صفحات نور لتوثيق شيء من سيرة العطاء لهذا الفقيد الراحل، ولتسجيل بعض مشاعر الوفاء نحوه ممزوجة بلوعات الحزن والأسى، من قبل محبيه وعارفيه.

رحمك الله يا أبا أحمد وأسكنك فسيح جنانه، وضاعف لك الأجر والثواب على ما بذلت في خدمة مجتمعك ودينك. ووفق الله أبناء مجتمعك لمواصلة نهجك في التنمية والإصلاح. وشكرًا للإخوة الأعزاء الذين قاموا بإعداد هذا الكتاب الجميل. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بصائر من النهضة الحسينية

بتاريخ: ٢٥/ ٥/ ١٤٣٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

كما الشمس، تشرق ذكرى الثورة الحسينية على مجتمعاتنا كل عام وكل يوم،

لتضيء لها طريق المبادئ والقيم، ولتبث في أرجائها دفء الإيمان والثبات والاستقامة.

وكما تتطور وتتقدم فرص الاستفادة من ضوء الشمس وأشعتها، كلما تطور وتقدم وعي الإنسان وعلمه، فإن استفادة مجتمعاتنا من ذكرى الثورة الحسينية تنمو وتتسع بمقدار نمو وعيها، واتساع مداركها ونضجها الاجتماعي.

كان الإنسان يستفيد من طاقة الاشعاع الشمسي في مجالات محدودة كتدفئة المنازل، وتجفيف المحاصيل الزراعية، إلى جانب الاستضاءة بنورها، ثم أصبحت أشعة الشمس مصدرًا للحصول على النار عن طريق تركيز الاشعاع، وبدأ استخدام الطاقة الشمسية في صهر المواد، وتوليد بخار الماء، وتقطير الماء، وتسخين الهواء، وأنشئت محطات للري بواسطة الطاقة الشمسية، وصولًا إلى توليد الطاقة الكهربائية من الطاقة الشمسية، ويزيد حجم الاستثمار العالمي في مجال الطاقة الشمسية حاليًا على ٢٠ مليار دولار، ويتوقع الخبراء أن يصل إجمالي استهلاك الطاقة الشمسية بحلول عام ٢٠٣٠م نحو ٤٥ مليون طن من المكافئ النفطي.

إن الاشعاع الشمسي كان ولا يزال موجودًا ولم يتغيّر ولم يتطور فيه شيء، لكن وعي الإنسان هو الذي تطور، فمكّنه من الاستفادة الأكثر، ولا يزال في بداية الطريق، ولم يستثمر من هذه النعمة الإلهية المتمثلة في الاشعاع الشمسي إلا الشيء القليل الضئيل، حيث يشير العلماء إلى أن الشمس ترسل في كل ٤٠ دقيقة كمية من الطاقة مساوية للطاقة التي يستهلكها جميع سكان الأرض خلال سنة كاملة، وإنما يستخدم الناس جزءًا محدودًا جدًا من الطاقة الشمسية التي تصل إلى الأرض.

وهنا يكمن وجه الشبه والمقارنة التي أردنا عرضها فيما يرتبط بمستوى الاستفادة من أشعة ذكرى الثورة الحسينية، فالأجيال المؤمنة على مدى الأزمنة والعصور كانت تستضيء بنور هذه الذكرى العظيمة، وتمتار منها حاجتها من الوقود الروحي، والطاقة المعنوية، بمقدار وعيها واستيعابها ومستوى إدراكها.

ومع هذا التقدم المعرفي والتكنولوجي الذي تتمتع به الأجيال المعاصرة، فإن فرصها في الاستفادة والاستثمار من ذكرى الثورة الحسينية فرص عظيمة هائلة، تمامًا كتطور فرص الإنسان في الاستفادة من الطاقة الشمسية، ومهما اقتبسنا من أشعة النهضة الحسينية، وأخذنا من طاقتها المتوهجة، فلن يكون إلا جزءًا يسيرًا مما أودع الله تعالى فيها من نور الهداية، وإشعاع القيم، ومخزون الطاقة الروحية والمعنوية.

إن مجتمعاتنا وقد أصبحت اليوم أكثر وعيًا بواقعها، وأكثر تطلعًا للإصلاح والتغيير، فإن قدرتها على الاستفادة من مخزون النهضة الحسينية، والاستلهام من بصائرها وعبرها ستكون أكبر وأفضل.

إن عملية الإصلاح والتغير تستدعي إحياء منظومة من القيم والمبادئ في نفوس أبناء الأمة، وتستلزم إسقاط الكثير من الأوهام والمفاهيم الزائفة التي أنتجتها عصور التخلف والاستبداد، وكرستها في الأذهان والقلوب.

ولا يمكن لأمة أن تتجاوز واقع الظلم والفساد دون تقديم التضحيات ودفع أثمان التحرر والنهوض، مما يجعل الحاجة ماسّة لضخ ثقافة التضحية والفداء، وبثّ روح البذل والعطاء، وتحفيز إرادة المقاومة والصمود.

كما تحتاج الأمة إلى الرؤية الواضحة التي تضيء لها دروب التحرك والنضال، حتى لا تنزلق حركتها إلى المسار الخطأ، وتتبعثر الجهود والطاقات.

وفي النهضة الحسينية مخزون هائل وثروة كبيرة من الإمكانات الروحية الفكرية، التي يمكنها أن تزود جماهير الأمة بما تحتاجه في معركتها الحاضرة للإصلاح والتغيير.

وهنا يأتي دور الطليعة الواعية من علماء الأمة ومفكريها، لتجديد القراءة للثورة الحسينية على ضوء تطورات الحياة، وحاجات الأمة في هذا العصر.

وفي هذا السياق تأتي مبادرة الأخوين الكريمين: الأستاذ باسم البحراني، والأستاذ

رضي العسيف، لتحفيز همم بعض الباحثين الواعين في المجتمع، لاقتباس شيء من شعاع النهضة الحسينية، وتسليط ضوئه على جانب من قضايا الأمة المعاصرة.

وبين يدي القارئ الكريم إحدى ثمرات هذه المبادرة الطيبة للأخوين الكريمين، حيث ضم هذا الكتاب مجموعة من المقالات القيمة، التي تتناول بعض أبعاد النهضة الحسينية، برؤية جديدة، تلامس هموم الواقع، وتواكب تطورات الوعي الاجتماعي، وتقدم البصائر الهادية من وحي أفكار وأحداث تلك الثورة العظيمة.

أسأل الله تعالى أن يتقبل من الأخوين الكريمين ومن الإخوة العاملين معهما في لجنة الإمام الجواد عليه السلام هذا الجهد المشكور، وأن يوفقهم جميعًا للمزيد من الجود والعطاء في خدمة الدين والمجتمع.

والحمد لله رب العالمين.

قراءة في الخطاب الحسيني .. الربيع العربي نموذجًا

بتاريخ: ٢٢/ ٧/ ١٤٣٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

إن أخطر انحراف وفساد تواجهه الأمة هو انحراف وفساد قيادتها السياسية؛ لأن ذلك ينعكس على جميع جوانب ومجالات حياة الأمة، حيث تمسك السلطة السياسية بأزمّة الأمور، وحين تكون فاسدة فإنها تفسد كل شيء، في السياسة والاقتصاد والدين والأخلاق والتعليم والصحة والبيئة...

من هنا انطلق الإمام الحسين عليه السلام في حركته الإصلاحية باستهداف الطغيان والانحراف السياسي، فقد أعلن الإصلاح هدفًا لنهضته العظيمة كما جاء في أول خطاب

له حين خروجه من المدينة قال ﷺ: (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)، وكان نهجه لتحقيق ذلك الهدف هو مواجهة الفساد والانحراف السياسي، برفض المصادرة الأموية لإرادة الأمة، وتسلّط يزيد بن معاوية عن طريق القوة والبطش، حيث ورّثه أبوه الحكم تحت شعار: (إن الخليفة هذا وإن مضى فهذا ومن أبى فهذا أي السيف ـ).

وقد أشار الإمام الحسين ﷺ بصراحة ووضوح إلى أن مصدر الخلل والفساد في الأمة هو الاستبداد والطغيان السياسي، كما جاء في رسالة منه إلى معاوية نقلتها المصادر التاريخية كالبداية والنهاية لابن كثير، قال فيها: (وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة).

هذه الحقيقة التي أبانتها ثورة الإمام الحسين ﷺ في وقت باكر من تاريخ الأمة، تتردد اليوم أصداؤها في ساحات مختلفة من بقاع العالم الإسلامي فيما أطلق عليه ثورات الربيع العربي، فقد عانت الشعوب العربية والإسلامية من واقع التخلف والظلم والفساد، ولم تُجد محاولات الإصلاح الجانبية التي بذلت في مختلف المجالات شيئًا في تغيير واقع التخلف والفساد، حتى أدركت الشعوب ضرورة التحرك باتجاه إصلاح موقع القرار السياسي، بإسقاط الطغيان والاستبداد كما حصل في تونس ومصر وليبيا وبلدان أخرى تسير شعوبها على طريق الثورة والتغيير.

بيد أن المهمة الأصعب تكمن في إنجاز عملية البناء والنجاح في إقامة حكم رشيد تستند شرعيته إلى إرادة الشعب، ويحترم حقوق الإنسان ويقرّ التداول السلمي للسلطة.

وهنا يأتي دور النخبة الواعية من العلماء والخطباء والمفكرين والمثقفين، لكي يبثوا في أوساط الأمة الوعي الفكري والثقافة السياسية التي تتجاوز بهذه المجتمعات آثار التخلف والاستبداد، وتساعدها على شق طريقها الجديد، ومواجهة تحدّيات مرحلة الانتقال والتغيير.

إن ساحتنا الدينية تعاني كثيرًا من الفراغ والنقص في مجال الخطاب السياسي

المؤصل دينيًا، والذي يستوحي مفاهيمه من نصوص الكتاب والسنة وسيرة النبي ﷺ وآله الأطهار ﷺ.

بل على العكس من ذلك تمامًا، هناك خطاب يوجّه إلى الابتعاد عن الشأن السياسي، ويكرّس انحصار الوظيفة الدينية في حدود المعتقدات القلبية والعبادات، والسلوك الفردي، والاهتمام بقضايا الآخرة.

وقد أحسن الأخ الكريم فضيلة الخطيب الشيخ عبدالمحسن الزوّاد الاختيار حينما اهتم بإسقاطات الخطاب الحسيني على واقع الحراك الذي تشهده الساحة العربية في ربيع جماهيرها الثائرة.

إن صفحات هذا الكتاب القيّم تذكر الأمة بتلك المفاهيم والمبادئ الأصيلة التي يجب أن ينطلق منها الوعي السياسي والممارسة السياسية في حياة المجتمع.

فشكرًا للشيخ الزوّاد على هذا العطاء المتجدد، والذي يأتي في سياق جهوده المستمرة النافعة في خدمة الدين والمجتمع، عبر الخطابة والتأليف والنشاط الاجتماعي.

أسأل الله تعالى له المزيد من التوفيق والتأييد.

والحمد لله ربّ العالمين.

مسيرة عطاء أحمد عبدالنبي الحلال

بتاريخ: ٢٧/ ١١/ ١٤٣٣هـ

يطمح أبناء كل مجتمع أن يكون المجتمع الذي ينتمون إليه قويًا قادرًا على التعبير عن ذاته والدفاع عن حقوقه ومصالحه، لكن قوة المجتمع لا تتحقق بالتمنيات والأحلام، ولا من خلال الصراخ والتشكي وإعلان التذمر، وإنما تبنى قوة المجتمعات

عن طريق بروز الكفاءات والقدرات في أوساط أبنائها، وبقيام المؤسسات الاجتماعية التي تُعنى بشؤون التنمية، وترعى التكافل الاجتماعي، وتعزّز مكانة المجتمع في محيطه العام.

ويحتاج بناء المؤسسات الاجتماعية الأهلية إلى أجواء مساعدة وبيئة حاضنة، تتوفر فيها التسهيلات النظامية القانونية، وتنتشر بين أبنائها ثقافة العمل الجمعي التطوعي لخلق تجاوب وتفاعل في الوسط الاجتماعي.

ومع أن مجتمعنا قد قطع شوطًا على هذا الصعيد، وأصبحت لدينا صروح اجتماعية نفخر بها، حيث تذلّلت بعض العقبات القانونية الرسمية وإن لم نصل بعد إلى قانون يشرّع النشاط المدني الأهلي، وحيث تبذل جهود مشكورة لنشر الوعي الاجتماعي، إلا أن العاملين في هذا المجال لا يزالون يواجهون الكثير من العوائق والعقبات، ويعانون من أن التفاعل والتجاوب الاجتماعي لا يرقى إلى مستوى الطموح.

إن ذلك يجعلنا ننظر بإكبار وإعظام لجيل الرواد الأوائل في مجال العمل الخيري وبناء المؤسسات الاجتماعية، لقد بادروا قبل أكثر من نصف قرن من الزمن للتصدي لهذه المهمة العظيمة، حيث لم تكن الظروف مساعدة، ولا الأجواء مشجعة، لكنهم كانوا جيل التأسيس الذي شق الطريق ببذل الجهود والتضحيات الكبيرة، من أجل نقل المجتمع إلى هذه المرحلة المتقدمة من التكافل والاهتمام بالتنمية عبر العمل المؤسسي المنظم.

وكان فقيدنا الراحل الحاج أحمد بن عبدالنبي الحلال رحمه الله في طليعة هذا الجيل الريادي، حيث انضم إلى جمعية سيهات للخدمات الاجتماعية في السنوات الأولى لتأسيسها، وقبل ذلك التحق بنادي الخليج الرياضي نادي النسر سابقًا ودامت مسيرة عمله الاجتماعي حوالي أربعة عقود من الزمن، حيث تدرج في جمعية سيهات من عضو إلى أمين سر إلى نائب رئيس ثم رئيسًا للجمعية لمدة ثمان سنوات.

طوال حياته وفي مسيرة عمله الاجتماعي، كان يتحلى بالجدية وسعة الصدر، وتتصف شخصيته بالهدوء والوقار، وقد تعرّفت عليه رحمه الله، أثناء رئاسته للجمعية فرأيت فيه أنموذجًا للإخلاص والتفاني في خدمة مجتمعه، والحرص على الإنجاز وحماية مكاسب الجمعية كما زرته بعد ذلك أثناء مرضه فوجدته مطمئن النفس صابرًا على البلاء متطلعًا لعفو الله وحسن ثوابه.

أسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة وأن يجزل له العطاء في الآخرة كما أعطى لعباد الله في حياته، وأرجو أن تكون سيرته ملهمة لأبناء مجتمعه ليتسابقوا ويتنافسوا في عمل الخير والتطوع لخدمة المصلحة العامة، استجابة لأمر الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

فبالعطاء والتصدي للشأن العام، وببناء المؤسسات الاجتماعية نصنع قوة مجتمعنا، ونضمن مستقبلًا أفضل لأبنائنا.

وفق الله الجميع للخير والصلاح.

حوارات في قضايا التعددية والمواطنة

١٣ صفر ١٤٣٤هـ

الواقع المثقل بالأزمات الذي تعيشه مجتمعاتنا، يطرح كثيراً من الأسئلة العميقة المصيرية، حول أسباب تجذّر التخلف في هذه المجتمعات، وتمكّن عوامل التمزق والنزاع، وغياب الإرادة الجمعية للتحرر والنهوض، وما يتفرع عن ذلك من أسئلة مختلفة.

وكان يجب أن تنشغل النخب الفكرية الدينية، ومنتجو الثقافة المؤثرة في الجمهور، بمعالجة هذه الأسئلة، وتقديم الإجابات على ما يواجه الأمة من تحديات.

لكن المؤسف هو انصراف معظم المتصدين لشأن الثقافة الدينية، عن الاهتمام بالتحديات المعاصرة، والمشاكل القائمة، التي تعيشها مجتمعات الأمة.

والتوجه بدلاً من ذلك للاهتمام بالقضايا العقدية المجردة، أو المسائل الفقهية المتداولة، والاستغراق في طرح الحوادث التاريخية ذات العلاقة بالخصوصيات المذهبية.

ولعل من المبررات لهذه الحالة أن مادة هذه المواضيع المتداولة متوفرة جاهزة، لا تحتاج إلى بذل جهد كبير، أو قدرات إبداعية متميزة، بينما يستلزم معالجة القضايا المعاصرة تحمّل عناء البحث بمنظار جديد في التراث، وإمعان النظر في تجارب الآخرين.

كما أن اجترار الأطروحات المتداولة لا يكلف الإنسان ثمناً، ولا يعرضه لتداعيات سياسية أو اجتماعية، بخلاف التناول للمشاكل الحاضرة، والتي قد تسبب مضاعفات وخسائر لا يتحملها إلا رسالي صادق مخلص.

يضاف إلى ذلك أن معظم الجمهور يميل إلى قراءة واستماع ما يتسلى به من قصص التاريخ، وما يدغدغ مشاعر انتمائه المذهبي، أكثر من رغبته في التذكير بمسؤولياته وواجباته، والتوجيه إلى إعمال الفكر، وبعث الإرادة ونقد الذات، واتخاذ الموقف المسؤول.

لهذه الأسباب وأسباب أخرى: ظلّت اهتمامات الثقافة الدينية تراوح مكانها، وكأنها تنتمي إلى عصر آخر. والحديث هنا عن الأعم الأغلب، دون أن نتجاهل المبادرات الشجاعة الرائدة التي قام بها علماءٌ ومفكرون مصلحون منذ مطلع هذا العصر، كالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ عبدالرحمن الكواكبي والسيد محمد باقر الصدر والشيخ مرتضى المطهري ومن سار على دربهم من العلماء والدعاة الرساليين الواعين.

إن على كل مخلص غيور من أبناء الأمة: أن يشارك في استنهاض الهمم، واستثارة الجهود، وتوجيه مسار الفكر والخطاب الديني، نحو معالجة قضايا الأمة المعاصرة،

ومشاكلها القائمة.

وفي هذا السياق تأتي مبادرة أخينا الشاب المثقف الأستاذ حسين زين الدين للتوجه بأسئلة مهمة ترتبط بقضايا التعددية والمواطنة، إلى نخبة من رجالات العلم والفكر، وتبويب وإعداد إجاباتهم ضمن فصول هذا الكتاب الماثل بين أيدي القراء الكرام، وقد تضمنت هذه الإجابات أفكاراً مهمة وطروحات جريئة، تستحق أن تكون مدار بحث ونقاش، لتساعد مجتمعاتنا على صناعة رؤية مستقبلية، تتجاوز بها واقع التخلف والاختلاف.

إن اختيار الأستاذ حسين زين الدين لهذه الأسئلة مؤشر على نضج وعيه، ومستوى اهتمامه بالشأن العام لوطنه ومجتمعه، كما يشير تنوع انتماء الباحثين الذين توجه إليهم بأسئلته، مناطقياً ومذهبياً، إلى إدراكه لضرورة تضافر الجهود الفكرية للمخلصين من مختلف التوجهات، من أجل استكشاف خارطة طريق تنقذ الأمة من التيه والضياع.

وقد عرفت الأستاذ حسين منذ نعومة أظفاره، عاشقاً للثقافة والمعرفة، مهتماً بخدمة المجتمع، مشاركاً في الحراك الثقافي والاجتماعي، بمقالاته التي ينشرها على شبكة الانترنت، وبحضوره ومساهمته في النشاطات المختلفة.

أحيّيه في باكورة إنتاجه وأرجو له مستقبلاً زاهراً في ساحة الثقافة والفكر، وآمل أن يكون قدوة خير لسائر الشباب الأعزاء.

المسألة المذهبية في السعودية

٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ

حينما تكون هناك مشكلة حقيقية تتضرر من وجودها فئة من الناس، فإن تجاهلها وإنكارها لا يؤدي إلى انتفائها وانتهائها بالفعل، بل قد يسبب تفاقمها وزيادة تعقيدها،

مما يجعل المعالجة والحلّ فيما بعد أكثر صعوبة وكلفة، تماماً كما هو الحال في بعض الأمراض التي تصيب الجسم، والتي قد يمكن السيطرة عليها إن أكتشفت مبكراً وتمت معالجتها، بينما تفتك بحياة الإنسان إذا تمكّنت من جسمه وانتشرت في أرجائه.

وقد عانت مجتمعاتنا العربية من هذه السياسة الخطأ، حيث ترفض القوى المتحكمة في هذه المجتمعات الاعتراف بوجود المشكلات، وتصرّ على تجاهلها وإنكارها.

إما لأنها لا تعي بالفعل حجم المشكلات، ولا تدرك عمق معاناة الناس؛ لأنها طبقة تعيش في أبراجها العاجية، منتشية بلذات السلطة وغرور القوة، وترف الثروة.

وإما لأنها لا تريد دفع ما يترتب على الاعتراف بالمشكلات، من انتهاج سياسة الإصلاح والتغيير الذي يحدّ من استئثارها وهيمنتها المطلقة.

ومما يساعد على ترسيخ هذه السياسة ضعف جرأة المتضررين منها، حيث يمنعهم القهر والخوف والشعور بالانكسار والضعف، من الإجهار بمعاناتهم، وإعلان ظلامتهم، وعرضها للمناقشة والتداول على الصعيد العام.

ومن مصاديق هذه الحالة وضع الأقليات المذهبية في بعض دول العالم الإسلامي، حيث لم يعتمد بعد مفهوم المواطنة كنظام ومعيار للعلاقة بين السلطة ومواطنيها.

هذا المفهوم الذي يقتضي المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، ويجعل السلطة على مسافة واحدة من تنوع انتماءاتهم العرقية والفكرية.

لقد أبتليت مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة بلونين من أساليب السلطة في التعامل مع الانتماء الديني، فهناك أسلوب المناوأة للدين الذي اعتمدته الأنظمة اليسارية والعلمانية في البلدان التي كانت تحكمها، حيث ساوت بين الناس في ظلمها لهويتهم الدينية، ومنعتهم بمختلف مذاهبهم من ممارسة حرياتهم المشروعة، أما الأسلوب الآخر فيتمثل في انحياز السلطة لمذهب ديني معين، تجعله عنواناً وشعاراً لشرعيتها

الدينية، وتسعى لفرضه على بقية المواطنين من خلال مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، والأجهزة الرسمية المختصة بالشأن الديني.

وقد لايقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى محاربة الانتماء للمذاهب الأخرى، بتعويق نشاطهم المذهبي، والتعبئة ضدهم، وممارسة التمييز الطائفي تجاههم، حيث لا يتمتعون بالحقوق والامتيازات الممنوحة للمواطنين من أتباع المذهب الرسمي، فهم مواطنون من درجة ثانية.

هذه المعاناة يتحدث عنها مواطنون سنة في ظل سلطات تنحاز للمذهب الشيعي، ومواطنون شيعة في ظل سلطات تنحاز للمذهب السني، بل قد يشكو مواطنون سنة من التهميش في ظل سلطة تنحاز لمذهب بعينه من مذاهب أهل السنة، كما قد يشكو مواطنون شيعة من التهميش في ظل سلطة تنتمي لاتجاه محدد من اتجاهات الساحة الشيعية.

وذلك أمر متوقع حصوله حين يغيب اعتماد مفهوم المواطنة في العلاقة بين السلطة ومواطنيها.

وإذا كانت مجتمعاتنا قد تعايشت من تلك الحالة الخطأ في الزمن الماضي وتحملت تبعاتها السيئة، فإن الظروف الحاضرة تنذر بمخاطر كبيرة على أمن ووحدة الأوطان والمجتمعات، ما لم يحصل التوجه لمعالجة تلك المشكلات.

فقد أصبح الناس أكثر وعياً بواقعهم، وازدادت ثقتهم بذواتهم، وما عادوا يطيقون واقع التهميش والتمييز والإجحاف، الذي حفّز الفئات المتضررة إلى التشبث بهوياتها العرقية والطائفية، مما يهدد بانفجار صراع الهويّات، في الوقت الذي تحيط بأوطاننا ومجتمعاتنا قوى دولية وإقليمية قد ترى مصلحتها في تشجيع حالات التمزق والتشرذم.

هذا الواقع الخطير يفرض على جميع الواعين والمهمومين بمصلحة أوطانهم

ومجتمعاتهم من نخب سياسية ودينية وفكرية أن يتعاملوا مع القضية بجدية وصدق، وأول خطوة على هذا الطريق هي: الاعتراف بالمشكلة، والاهتمام بدراستها دراسة موضوعية واقعية، ومن ثم تلمس المعالجات والحلول التي تنقلنا إلى تجسيد مفهوم المواطنة، وإقامة العدل والمساواة بين جميع مكونات المجتمع دون تمييز أو تهميش.

والكتاب الماثل بين أيدي القراء الكرام هو مساهمة واعية لتسليط الضوء على هذه القضية، وكاتبه الأستاذ محمد الشيوخ باحث وناشط اجتماعي، طالما بذل وقته وجهده لخدمة المعرفة والمجتمع، أرجو أن يكون هذا البحث حافزاً ومشجعاً لاهتمام النخبة الفاعلة في المجتمع بهذه القضية الخطيرة، وأن يحمي الله أوطاننا ومجتمعاتنا من المكاره والأخطار.

والحمد لله ربّ العالمين.

كتاب مراسلات علي أبي السعود

٢٩ ذو القعدة ١٤٣٤هـ

الفاعلية السياسية في أيّ مجتمع، تعكس مستوى الوعي، ومدى الشعور بالمسؤولية تجاه الواقع الذي يعيشه المجتمع.

إن الصمت والركود السياسي، مؤشر على انخفاض درجة الوعي، وكاشف عن تدني الثقة بالنفس، والإحساس بالمسؤولية في الحياة الاجتماعية.

ونقصد بالوعي هنا: القدرة على تقويم أوضاع المجتمع، ومعرفة نقاط قوته، ومكامن ضعفه، وإدراك المشكلات التي يواجهها، والخيارات المتاحة أمامه.

أما الشعور بالمسؤولية فإنه ينطلق من الثقة بالذات، ويقظة الضمير والوجدان،

والاستعداد للتضحية والعطاء من أجل الصالح العام.

وبدرجة تحقق الوعي والشعور بالمسؤولية، تتهيأ في المجتمع أرضية الحراك السياسي، وقد يكون دافع البعض في الممارسة السياسية هو الطموح الذاتي، والتطلع لدور قيادي في المجتمع، وهو طموح وتطلع مشروع ومطلوب.

ففي ظل أنظمة الحكم الديمقراطية تكون أبواب العمل السياسي مشرعة أمام الطامحين، وذوي الآراء والاتجاهات المختلفة، مما يتيح فرص التنافس القيادي، ويوفر مجال تنوع الخيارات، وتعدد البدائل أمام المجتمعات، للوصول إلى ما هو أفضل.

وتلك هي الحالة الصحية، والواقع السليم، انطلاقًا من أن إدارة الشأن العام هي حق عام؛ لأنه يتعلق بحياة الجميع ومصالحهم، فهم فيه شركاء متساوون. وهذا ما أقرته مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وانتهجته المجتمعات المتقدمة.

مشكلات العمل السياسي

وإذا كانت السياسة في تلك المجتمعات أفقًا للطموح، وميدانًا للتنافس، ولتنمية الكفاءات والقدرات، وساحة لبلورة التوجهات، واختبار البدائل والخيارات، فإن السياسة في المجتمعات التي تفتقد الديمقراطية لها طابع مختلف، فهي من الشؤون الخاصة بالحاكم، والاقتراب منها جرم يستوجب العقاب والتنكيل، إلا ما يكون بإذنه وحسب نظره وأمره.

لذا تنخفض أو تنعدم الفاعلية السياسية في المجتمعات الخاضعة للاستبداد، ولا يقتحم متاهاتها إلا مغامر قد وطّن نفسه على تحمّل الأخطار، ومواجهة التحديات، من: ملاحقة، وحصار، وسجن، وتعذيب، وتهجير، وتشويه سمعة، وتجريد من الحقوق، وقد تصل إلى التصفية الجسدية، فهو معرّض لكل ذلك ثمنًا وضريبة لموقفه السياسي.

لكن معاناة الناشط السياسي في المجتمعات التقليدية، لا تقتصر على ما يواجهه

من السلطات القمعية، بل قد يواجه لونًا آخر من المعاناة في محيطه الاجتماعي، غير المؤهل لاحتضان الفاعلية السياسية، وذلك حين تسود المجتمع ثقافة الخنوع والاستسلام، والأفكار السلبية، التي تشكك في جدوى أيّ مسعى للتغيير والإصلاح، وتثير مخاوف الناس من ردّات فعل السلطة، التي قد تطالهم، وتضر بمصالحهم، ضمن سياسة العقاب الجماعي.

وفي حال آخر، وبسبب افتقاد المجتمع للخبرة والتجربة السياسية، قد يجد الناشطون السياسيون أنفسهم أمام مشكلة تعدد الآراء والتوجهات في صفوفهم، التي قد تتحول إلى صراعات شخصية، ونزاعات فئوية، تستنزف جهودهم، وتضعف ثقة المجتمع بهم، وتعطي الفرصة لإضعاف وإفشال حراكهم السياسي، والإجهاز عليه من قبل سلطة القمع.

وحين يلتقي هذان العاملان: سلطة الاستبداد، وتخلّف المجتمع، وبينهما ارتباط وثيق في غالب الأحيان، يصبح العمل السياسي نفقًا مرعبًا، وعالمًا رهيبًا، من المآزق والأخطار والتحديات، كما هو الحال في العالم العربي حيث أصبحت السياسة لعنةً وبؤسًا في الوجدان العربي، على حدّ تعبير الدكتور محمد جابر الأنصاري، الذي نقل شهادات قديمة وجديدة في توصيف هذا البؤس، كقول الشيخ محمد عبده: (أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس)، وقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: (وهل السياسة إلا الكذب والمكر والخداع؟)، وقول الدكتور علي الوردي: (إن السياسة لا تدخل في شيء إلا أفسدته).

ويضيف الدكتور الأنصاري: (إذا تأملنا في التاريخ الحضاري للعرب نجده غنيًّا بعطائه إلا في الجانب السياسي، ففكرنا السياسي التاريخي هو أفقر الجوانب في تراثنا الفكري. كما أن النظم والمؤسسات والتجارب السياسية في تاريخنا العربي بعامة، تجعل من غير المبالغة القول: إن هذا التاريخ مصاب بفقر دم سياسي. وذلك ما جعل

الحاضر العربي يحمل معه أعراض هذه الأنيميا السياسية إلى يومنا هذا.

فلأن السياسة الطبيعية لم تجد قنواتها المشروعة في المجتمع، تحولت احتقانًا في شرايينه نحو مجالات أخرى، وعبّرت عن نفسها بالإسقاط والتعويض، وهذا ما يفسر الكثير من الخلافات المذهبية والفكرية والقبلية في الماضي والحاضر).

الثقافة السياسية

هذا الواقع المأزوم للسياسة في المجتمعات العربية، قلّل من روّادها، وجعلهم عملة نادرة، وأفقر ساحة الخبرة والتجربة فيها، كما أجدب حقل المعرفة والثقافة السياسية، وتكفي مراجعة فهارس المكتبة العربية والإسلامية للتأكد من محدودية المراجع والمصادر المتخصصة في الفكر والشأن السياسي، حيث لا تجد إلا آحاد العناوين بين قرن وآخر على شاكلة كتاب الأحكام السلطانية.

وعند تصفّح تراجم الأعلام والشخصيات، لمعظم المجتمعات العربية، تجد في مقابل آلاف الأسماء من علماء الفقه، والحديث، والتفسير، واللغة، والتاريخ، والأدب، تجد بضعة أسماء ممن يمكن وصفهم بالمفكرين السياسيين، أو الناشطين والقيادات السياسية، خارج الفلك الرسمي الذي يحتكر السياسة في أضيق دائرة وأقل نطاق، تتلخص بشخص الحاكم، وبالكثير ضمن عدد محدود من الأسرة الحاكمة، أو الحزب الحاكم.

وثمة مظهر آخر من مظاهر الفقر السياسي في مجتمعاتنا، يتمثل في انقطاع الاتصال والتواصل بين حلقات وأجيال الناشطين السياسيين، حيث لا توثّق التجارب، ولا تدوّر الخبرات، ولا يستفيد المجتمع من تراكمية العمل السياسي، في تطوير الممارسة والأداء، وترشيد المسار.

إن تجارب العمل السياسي، وخاصة في المجتمعات الفقيرة سياسيًا، تشكل ثروة مهمة، ورصيدًا عالي القيمة، يمكن للأجيال اللاحقة أن تنطلق منه، وأن تستفيد من

معطياته في حراكها الجديد، لتحقيق طموحاتها وتطلعاتها السياسية.

وفي وقتنا الحاضر، حيث تتسع رقعة الاهتمام بالشأن السياسي في المجتمع، وتتحفّز مجاميع من أبنائه الشباب الغيارى، لحمل الهموم الوطنية، والتصدي لخدمة المصالح العامة، في هذا الوقت بالذات، تظهر الأهمية الفائقة لرصد مسيرة النضال في تاريخ المجتمع، وقراءة التجارب والمحاولات السابقة، للاستلهام منها، وأخذ العبر والدروس، والاتكاء على نتائجها الإيجابية، وتلافي الثغرات والسلبيات.

من جانب آخر، فإن علينا واجب التقدير والوفاء، لجهود وتضحيات الروّاد السابقين، الذين تصدوا لمهمة النضال السياسي، في ظروف أصعب وأقسى من الظروف الحاضرة، وتحملوا الصعوبات والمتاعب والآلام، من أجل خدمة المجتمع، والارتقاء بشأن الوطن.

ومن أجلى مظاهر الوفاء لهم إحياء ذكراهم، وإبراز دورهم الاجتماعي البنّاء، وتخليد مواقفهم الوطنية المشرقة.

ويضم تاريخ مجتمعنا القطيفي المعاصر، عددًا من الشخصيات السياسية الوطنية، التي تستحق الدراسة والاهتمام، وتسليط الأضواء على تجربتها السياسية، وأدائها الاجتماعي، لتحقيق الهدفين السالفين، وهما: الاستفادة من التجارب الرائدة، وأداء واجب التقدير والوفاء لمستحقيه.

وإذا كانت الشخصيات العلمية والأدبية من القطيف، قد نالت نصيبًا من العناية، بالحديث عنها، والكتابة حولها، فإن الشخصيات السياسية لم تحظ بذات القدر من الاهتمام؛ لأسباب عديدة سبقت الإشارة لبعضها.

أبو السعود ودوره الوطني السياسي

وتأتي شخصية الزعيم الوطني علي بن حسن أبو السعود (١٩٠٦ ١٩٥٤م) في

الطليعة من الشخصيات السياسية المعاصرة في هذه المنطقة، فهو سليل أسرة عريقة، ذات دور ونفوذ اجتماعي، وقد نشأ في أحضان والده حسن أبو السعود (توفي ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م)، الذي كان شخصية اجتماعية، يقوم بدور التواصل مع الجهات الحكومية، وله اهتمام أدبي ثقافي، فاكتسب من أبيه الخبرة في العلاقات الرسمية والشعبية، والميول الأدبية والثقافية، فمع أن تعليمه كان تعليمًا أوليًّا عبر الكتاتيب، التي تعلّم قراءة القرآن والكتابة، حسب المتاح آنذاك قبل افتتاح مدارس التعليم، إلا أنه صرف جهدًا مميّزًا في التثقيف الذاتي، مقبلًا على قراءة الكتب والمجلات، حيث عرف عنه كثرة القراءة والمطالعة، وتنوع مجالات اهتمامه الثقافي والأدبي، وكان (حادّ الذكاء، ذا عقل متفتح، وفكر متحرر، صريحًا في أفكاره، جريئًا في التعبير عن آرائه ونظرياته..وكان دمثًا لبقًا، قوي الشخصية، حلو الحديث، يجيد التحدث مع مختلف الطبقات والمستويات.. ولديه قدرة فائقة على الإقناع، وكان سريع الألفة مع الناس، وتكوين الصداقات، كما أنه كان متفتح الذهن، يحب أن يعرف ويطّلع على المعتقدات والأديان، ومختلف الأفكار والاتجاهات).

وهكذا أهّلته تربيته الأسرية، وثقافته المنفتحة، ووعيه الاجتماعي، وصفاته الشخصية المتميزة، للاهتمام بالشأن الوطني العام، والتصدي لدور سياسي، بالتواصل مع مسؤولي الدولة المحليين، والقيادات العليا في السلطة، كالملك عبد العزيز وولي عهده الملك سعود، ووزير المالية...

وكان يحمل إليهم هموم مجتمعه، ويطرحها بكل جرأة، مما عرّضه لبعض المضايقات والتهديدات، لكنه كان ينطلق من شعوره بالمسؤولية الإنسانية والوطنية، في الدفاع عن حقوق المواطنين، الذين كانوا يعانون من الإهمال والحيف، والتمييز الطائفي البغيض.

وقد فرض شخصيته بصدقه وإخلاصه على الجهات الرسمية، كما حظي بثقة شعبية

عالية، لم يحظ بقدرها أحد من شخصيات مجتمعه، ويظهر ذلك جليًّا، من الكلمات والقصائد التي قيلت في تأبينه، وفي كتابات المعاصرين له، التي ضمها كتاب (زعيم في ذاكرة الوطن).

وبين يدي القارئ الكريم عمل توثيقي مهمّ، يجمع عددًا من رسائله إلى مسؤولي الدولة، وبعض الشخصيات الاجتماعية، هذه المراسلات تمثّل وثيقة مهمة في التاريخ السياسي المعاصر للمنطقة والمجتمع، فهي تكشف عما كان يعيشه مجتمع المنطقة آنذاك من قضايا واهتمامات، وما كان يعانيه من قصور في الخدمات، وسوء تعامل من قبل أجهزة الدولة، كما تقدم أنموذجًا للغة الخطاب والتعاطي مع القيادات العليا في السلطة والمسؤولين المحليين.

من ناحية أخرى، يمكننا أن نقرأ من خلال هذه المراسلات، مستوى الوعي والتفكير السياسي لهذه الشخصية الوطنية، وما كانت تمتلكه من ثقة بالذات، وشجاعة في الموقف، وما تنطوي عليه من إخلاص واهتمام بالدفاع عن حقوق الناس ومصالحهم، خاصة الضعفاء والفقراء منهم.

خيارات العمل السياسي

وهنا لا بدّ من الوقوف عند منهجية العمل السياسي المعتمدة من قبل أبي السعود وأمثاله من شخصيات القطيف ووجهائها، والمتمثلة في تقديم العرائض والخطابات المطلبية لقيادات الدولة، وذهاب الوفود لمقابلة المسؤولين لمعالجة المشكلات التي يعاني منها المواطنون في المنطقة، ومن أبرزها: سياسات التمييز الطائفي، والمعتقلون السياسيون، ونقص الخدمات.

في الدول الديمقراطية تعالج قضايا المواطنين ضمن الأطر المؤسساتية، كالمجالس النيابية المنتخبة، والجهات القضائية، ووسائل الإعلام الحرة، ومنظمات المجتمع المدني.

أما في الدول غير الديمقراطية، فإن أمام الناس لتحقيق مطالبهم، والدفاع عن حقوقهم أحد الخيارات التالية:

الاصطدام مع السلطة، عبر وسائل الاحتجاج التي ترفضها الدولة، فتقمعها، كالمظاهرات والاعتصامات وما شاكلها.

المراهنة على الضغوط الخارجية، بتحريك الرأي العام العالمي، عبر النشاط الإعلامي والحقوقي والسياسي، وكسب دعم الدول الكبرى، أو القوى الإقليمية.

اعتماد الوسائل المتاحة في الضغط على المسؤولين، وإقناعهم بتلبية المطالب، وحلّ المشكلات، عبر إظهار تضامن نخبة المجتمع ورجالاته مع المطالب، وإيصال صوت الناس لأعلى المستويات في الدولة، بقوة ووضوح.

وفي مجتمعنا المحلي كان لكل واحد من هذه الخيارات الثلاثة من يتبنّاه، حيث شهد تاريخ المنطقة المعاصر حالات من الاعتراض والاحتجاج الصدامي مع السلطة، كان من بينها حركة الشيخ محمد بن نمر سنة ١٣٤٨هـ. وانتفاضة المحرم سنة ١٤٠٠هـ والاحتجاجات التي واكبت ثورات الربيع العربي عام ٢٠١١م، والتي لا تزال امتداداتها قائمة.

كما تشكّلت في المنطقة منظمات وأحزاب سياسية، مارست دور العمل الإعلامي والحقوقي على المستوى الدولي، ومثّلت امتدادًا للتيارات الفكرية والسياسية الفاعلة في العالم العربي والإسلامي، كالماركسية، والبعثية، والناصرية، وأخيرًا التيار الديني الإسلامي.

ولأن الخيار الأول مكلف باهظ الثمن، ولا تتحمله طبيعة المجتمع وأوضاع البلاد العامة، حسب رأي كثير من المهتمين بالشأن العام في المجتمع، فإن رقعته ظلت محدودة، على صعيد الممارسة الفعلية، لكن هناك من يراه ويتبناه.

أما الخيار الثاني فقد حظي بمساحة أوسع من التفاعل والدعم في الوسط الاجتماعي، لكن بروزه وفاعليته كانت بين مدّ وجزر، حيث يتصاعد حين تشتد ضغوط السلطة على المواطنين، أو تكون هناك تجاذبات وصراعات إقليمية محفّزة. ويقلّ وهجه عند الانفراجات الأمنية، وإظهار السلطة الاهتمام بمطالب الناس، وحين تنخفض حدّة التوترات الإقليمية.

مسار التواصل مع الدولة

وقد كان الخيار الثالث هو النهج المتواصل لرجالات المجتمع القطيفي، ممن لم يسكتوا على معاناة مجتمعهم، ولم يقبلوا بسياسات التميز والتهميش ونقص الخدمات، فاستفادوا من هذا المسلك سعياً لخدمة قضايا المجتمع والوطن، ولم تنقطع الوفود وخطابات المطالب، ولقاءات الزعامات الدينية والاجتماعية مع المسؤولين.

وإذا لم تكن نتائج هذه الجهود بمستوى آمال الناس وتطلعاتهم، إلا أنها كانت مفيدة ومؤثرة في الحدّ من سياسات التميز، وتخفيف الاحتقان الطائفي، وتحقيق بعض الانفراجات الأمنية، وتلبية بعض المطالب في مجال التنمية والخدمات.

ومن الطبيعي أن يتفاوت مستوى الأداء والجهد عند المتصدين للقيام بهذا الدور، من زعامات المجتمع، تبعًا لتفاوت مستوى الكفاءات والقدرات، ودرجة الإخلاص والتفاني، ولاختلاف الظروف السياسية، فقد تكون مساعدة على إنجاح المسعى، أو تضفي على المهمة صعوبة وتعقيدًا.

ويواجه السائرون في طريق التواصل مع الدولة، لخدمة قضايا المجتمع، جملة من التحديات والأخطار، حيث يتحملون الضغوط أحياناً من قبل السلطة، التي لا ترضى عن متابعة بعض المطالب، ولا تقبل لغة تستشعر منها التحدي وتجاوز حدود المهابة، وقد تضغط على المتواصلين معها للدفاع عن مواقفها، ولتهدئة غضب الجمهور، كما أن أسلوب المماطلة والبيروقراطية في أجهزة الدولة، تجعل من المطالبة والمتابعة أمراً

بالغ العناء والارهاق.

من ناحية أخرى، فإن توقعات الناس من الشخصيات المتواصلة مع الدولة كبيرة، ويوجّه إليها اللوم والتقريع إن لم تفلح في سعيها، وكأن الأمر بيدها، وهناك من يثير الشكوك والريب تجاهها، ويتهمها بالعمالة والانبطاح، أو التمصلح والبروز على حساب قضايا المجتمع.

وكأيّ مجال من مجالات الاهتمام بالشأن العام، قد ينضم إليه من تنقصه المؤهلات والقدرات، فتستفيد منه السلطة أكثر من نفعه للناس، أو من يستغل هذا الدور للظهور ولكسب المصالح الشخصية، مما يجعل جميع المتصدين في معرض الشبهة والتشكيك.

وهناك التنافس غير الإيجابي الذي قد يحصل بين أفراد هذه الشريحة ومجاميعها، مما ينتج حالات من التشويه والطعن المتبادل لبعضهم بعضًا، أمام السلطة، أو في الوسط الشعبي.

لكن هذه المخاطر والتحديات، لم تقعد بالغيارى المخلصين من رجالات المجتمع، عن الاستمرار في طرق أبواب المسؤولين، وإيصال صوت المواطنين إلى أسماعهم، والاجتهاد في إقناعهم، والضغط عليهم، عبر الأساليب المتاحة، لمعالجة المشاكل التي يعاني منها المواطنون، تنفيذًا لواجبات الدولة تجاه مواطنيها، وخدمة لتقدم الوطن، وحفظ أمنه واستقراره.

في هذا السياق، تأتي مراسلات أبي السعود مع قيادات الدولة، التي ضمّها هذا الكتاب الوثائقي المهم، إلى جانب مراسلاته الأخرى، مع بعض الشخصيات الدينية والاجتماعية.

وقد اقتضت مناسبة التقديم لهذا الكتاب بسط الحديث عن هذا الخيار في العمل

السياسي، وتستحق الخيارات الأخرى الاهتمام بدراستها والمزيد من الحديث عنها وعن روّادها.

جهود السيد العوامي

ولا بدّ من تسجيل وافر الشكر والتقدير، للجهد الكبير الذي بذله الأستاذ الأديب السيد عدنان العوامي، في إعداد هذه المراسلات، ومراجعتها، والتعليق عليها بالمفيد من المعلومات، حول ما تضمنته من الوقائع والمصطلحات، والتعريف بشخصيات الأسماء الواردة فيها. وقد سبق للسيد العوامي أن أشرف على إخراج كتاب عن حياة أبي السعود تحت عنوان (زعيم في ذاكرة الوطن)، وهو يعمل الآن بعد إتمام إخراجه لهذه المراسلات، على إعداد كتاب ثالث يضم كتابات أبي السعود استكمالاً لإحياء ذكرى وتراث هذه الشخصية الوطنية النبيلة.

وليست هذه أول خدمة يقدمها السيد العوامي لتاريخ وتراث وطنه، فقد أنجز عملاً تاريخياً أدبيًا ضخمًا، بتحقيقه لديوان أبي البحر الشيخ جعفر الخطي، في مجلدين كبيرين صدرا عن مؤسسة الانتشار العربي، بيروت سنة ٢٠٠٥م.

كما قام بإعداد ونشر ديوان زميله الأديب عبدالوهاب حسن المهدي (١٣٥٨ـ ١٤٠٦هـ)، بعد وفاته مع عائلته في حريق أصاب منزله، ولم تسلم من الحريق إلا أوراق حوت نزرًا يسيرًا من شعره، بادر السيد العوامي إلى تنسيقها ونشرها تحت عنوان (بقايا الرماد) صدر عام ١٩٩٤م.

وكان له الدور الأساس في نشر ديوان الأستاذ الأديب محمد رضي الشماسي (عنوان الحب) إعدادًا وتحريرًا وإخراجًا كمبيوتريًا، ومراجعة وتصحيحًا، حسبما أثبته الشاعر الشماسي في مقدمته لديوانه.

ومن الجهود المهمة البارزة التي أنجزها السيد العوامي، اهتمامه بإخراج مذكرات

المناضل السيد علي السيد باقر العوامي (١٣٤٣ـ ١٤٢٢هـ) عن الحركة الوطنية شرق السعودية، بمراجعة الكتاب وتصحيحه والتعليق عليه، صدر عن دار رياض الريس عام ٢٠١٢م في جزئين.

إضافة إلى إدارته لتحرير مجلة (الواحة)، وهي مجلة فصلية تعنى بشؤون التراث والثقافة في الخليج والجزيرة العربية، صدر العدد الأول منها في يونيو ١٩٩٥م.

حقًّا، إن السيد عدنان العوامي أنموذج قلّ نظيره في الإخلاص لخدمة المعرفة والتراث، حيث يبذل جهده واهتمامه لنشر نتاج زملائه ورموز مجتمعه، أكثر مما يعطي لنشر نتاجه الشخصي الذي لا يزال مبعثراً، وهو قامة أدبية شامخة، تأتي في الطليعة من قامات الوطن الأدبية الرائدة.

فشكراً للسيد العوامي على هذا العطاء الجديد، وحفظه الله ذخراً للمعرفة والوطن، ورحم الله الزعيم الوطني الحاج علي أبو السعود، وجزاه خير الجزاء على ما قدّم وبذل لخدمة وطنه ومجتمعه.

والحمد لله ربّ العالمين.

كتاب عمرو الأطرف بن علي

٦ صفر ١٤٣٥هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

كان إنتاج المعرفة الدينية في مجتمعاتنا حكرًا على علماء الدين، كشريحة تحترف القيام بوظائف الإرشاد الديني وتتفرغ له، فهم يلقون الخطب، ويؤلفون الكتب، ويمارسون التعليم، ويبثون الأحكام الشرعية، وينشرون الثقافة والمعارف الدينية.

وذلك حين كانت الأميّة سائدة في هذه المجتمعات، وكان أفراد الناس مشغولين بتحصيل لقمة العيش عبر الفلاحة والأعمال الحرفية المختلفة، ولم تكن وسائل العلم والمعرفة متاحة للناس.

لكن مجتمعاتنا اليوم تعيش وضعاً مختلفاً، فقد انحسرت الأمّية والحمد لله، وانتشر التعليم، وارتقت مجاميع من أبناء المجتمع إلى مستويات التعليم العالي، كدرجة الماجستير والدكتوراة والبروفيسور، حيث كشفت إحصائية حديثة أن نسبة الأمية من إجمالي السكان السعوديين في حدود ٥,٥٪ وهي قريبة من معدلاتها في الدول المتقدمة التي تدور في فلك ٥٪ وطبقاً للإحصائية فإن عدد من يحملون درجات الماجستير والدكتوراة في المملكة يزيد على ربع مليون شخص (٢٥٤,٤٤٤) بنسبة تقدر بنحو ١,٢٪ من إجمالي السكان، بينما يبلغ إجمالي من يحملون شهادات من مختلف المراحل فضلاً عمن يجيدون القراءة والكتابة ما نسبته ٩٣,٣٪ من إجمالي السكان.

كما توفرت وسائل تحصيل المعرفة وتدويرها بفضل التقدم التكنولوجي والتقني، حيث أفادت هيئة الإتصالات وتقنية المعلومات في السعودية: أن عدد مستخدمي الانترنت في المملكة بنهاية النصف الأول من العام ٢٠١٣م وصل إلى أكثر من ١٦ مليون مستخدم.

هذا التطور المعرفي الايجابي لا بد أن ينعكس على واقع إنتاج المعرفة الدينية، بأن تتسع رقعة المؤثرين في ساحتها، فلا تكون حكرًا على علماء الدين.

وعلينا أن نشجع هذا التوجه، لزيادة ومضاعفة الجهود في خدمة المعرفة الدينية، ونشر ثقافتها، وللاستفادة من الكفاءات والقدرات، وخاصة الأكاديمية في أوساط أبناء الأمة، لإثراء ساحة البحث والفكر الديني.

صحيح أن استنباط الحكم الشرعي، وإصدار الفتاوى الفقهية، يحتاج إلى تأهيل

خاص، ببلوغ رتبة الاجتهاد، وتحصيل درجة الفقاهة، لكن ذلك لا يشمل سائر مجالات المعرفة الدينية، كالتاريخ والأخلاق والتربية والاجتماع والثقافة العامة.

بل إن بعض الباحثين والأكاديميين المتخصصين في هذه المجالات، قد يكونون أقدر على معالجتها، وتقديم الإنتاج المتميز فيها، من علماء الدين المقتصرين على التخصص الفقهي والأصولي.

ومن بشائر الخير في مجتمعنا بروز نخبة من الأدباء والمثقفين المهتمين بالمعارف الدينية، والمتصدين للشأن الاجتماعي العام، وهم إلى جانب علماء الدين المخلصين الواعين، يشكلون الطليعة التي تعقد عليها الآمال لقيادة المجتمع نحو الرقي والتقدم.

والأخ الفاضل الأستاذ عبدالله بن علي الرستم الأحسائي، هو أنموذج مشرق من تلك النخبة المثقفة الواعية، فقد توفّر على مستوى معرفي رفيع، من خلال المطالعة والقراءة الجادّة، واكتسب خبرة البحث والتتبع في التراث والتاريخ، عبر ممارسة الكتابة والنشر، حيث نشر عدداً من المقالات والأبحاث في مختلف المجلات المتخصصة في التاريخ والتراث، كمجلة العرب، ومجلة الواحة، ومجلة الساحل، وغيرها من المجلات والصحف اليومية.

كما سبق له أن أصدر كتاباً قيّماً عن تاريخ الإمام علي السياسي، ويسعدني أن أقدم للقراء كتابه الجديد، عن شخصية أحد أبناء أمير المؤمنين علي ﷺ وهو (عمرو الأطرف) والذي نقلت عنه مصادر الحديث السنية والشيعية عشرات الأحاديث والروايات، واختلفت الآراء حول تقويم شخصيته، لكن ترجمته لم تحظ باهتمام كاف من قبل الباحثين، لاستجلاء الغموض حول بعض جوانبها.

وقد بذل المؤلف الكريم جهداً كبيراً في تتبع سيرة هذه الشخصية، وجمع شتات أخبارها، من مختلف المصادر التي بلغت مئة مصدر، كما جمع كل ما نقلته المصادر من مروياته، حيث بلغت مئة وثمانية عشر حديثاً في مختلف أبواب المعرفة الدينية.

حيّا الله المؤلف الفاضل باحثاً وناشطاً في خدمة المعرفة والدين، وجزاه الله خير الجزاء على جهوده في إثراء حركة الثقافة والفكر، ووفقه للمزيد من الإنتاج والعطاء من أجل تقدم المجتمع ورقيّه.

والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١- الكتب والبحوث:

- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة. محمد باقر المحمودي. ج٨، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ (بيروت مؤسسة التضامن الفكري).
- لسان العرب. محمد بن مكرم ابن منظور. ج٥، طبعة ١٤٠٨هـ (دار الجيل ودار لسان العرب بيروت).
- الصحاح في اللغة. إسماعيل بن حماد الجوهري. الطبعة الرابعة ١٩٩٠م (دار العلم للملايين بيروت).
- تقريض القريظ. د. حسين الواد.
- شعر البصرة في القرن الرابع الهجري. د. عدنان عبيدالعلي. موقع المكتبة البصرية.
- الفهرست. أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم. ط٢، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، (دار المعرفة بيروت لبنان). تحقيق إبراهيم رمضان.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة. آقا بزرك الطهراني. ج٢، ج٤، ج٢٠. الطبعة الثانية، (دار الأضواء بيروت).

- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. ياقوت الحموي. ج١، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان)، تحقيق الدكتور إحسان عباس.
- فن التقريظ في التراث العماني. ملحق الوطن العمانية أشرعة ٢١ ربيع الآخر ١٤٣١هـ الموافق ٦ ابريل ٢٠١٠م.
- خلاصة عبقات الأنوار. السيد حامد النقوي. ج١، ط ١٤٠٥هـ (مؤسسة البعثة طهران).
- ترتيب المدارك وتنوير المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. القاضي عياض. ١٩/٢
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. أحمد بن يحيى بن أحمد الضّبي. تحقيق إبراهيم الأنباري، ج١، ط ١٤١٠ ١٩٨٩. دارالكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت.
- ذيل كشف الظنون. آقا بزرك الطهراني.
- الرسالة في فقه الإمام مالك. محمد بن أبي زيد القيرواني. ضبطه وصححه الشيخ عبدالوارث محمد علي. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- إسهامات قبيلة بلي في التاريخ والرحلة والعوم الأخرى. سالم رافع العرادي البلوي.
- الصلوات في الإسلام. عبدالقادر أبو المكارم. الطبعة العاشرة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، (مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان).
- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع. ج١، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ٢٠٠٢م،

(مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان).

- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع. حسن موسى الصفار. ج٤، الطبعة الأولى١٤٢٥ ٢٠٠٤، (مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان).
- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع. الشيخ حسن الصفار، ج٧، الطبعة الأولى ١٤٣٠ ٢٠٠٩، (أطياف، القطيف المملكة العربية السعودية).
- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع. الشيخ حسن الصفار، ج٩، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، (أطياف، القطيف المملكة العربية السعودية).
- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع. الشيخ حسن الصفار، ج١٠، الطبعة الأولى٢٠١١، (أطياف، القطيف المملكة العربية السعودية).
- المجموعة الكاملة للمفكر والأديب الناقد الأستاذ عبدالله عبدالجبار. محمد سعيد طيب وعبدالله فراج الشريف. ج٥، ط١٤٢٩هـ (دار الفرقان، الرياض المملكة العربية السعودية).
- فن صناعة التقريظ منهجية الدكتور الفضلي نموذجًا. الشيخ عبدالله أحمد اليوسف. ط١ (١٤٣٠ ٢٠٠٩).
- تقريظ للمفتى ابن عمار ظروفه ونصه. د. أبو القاسم سعد الله. موقع مجمع اللغة العربية الأردنية.
- المقدمات لمطبوعات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. زهير شاويش. ج١، ط١ سنة ١٤١٤هـ١٩٩٣م، (المكتب الإسلامي).
- التقريظ هل يجوز بمقابل أو بغير مقابل؟ د. رفيق يونس المصري. مجلة حوار الأربعاء، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ٢٠٠٩م، (مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة).

- مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي. السيد أحمد زكريا الغوري الندوي. ج١، الطبعة الأولى١٤٣١هـ ٢٠١٠م، (دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق سوريا).
- أعشاش الملائكة. جاسم الصّحيح، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، (دار الهادي، بيروت لبنان).
- التنوع والتعايش بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية. حسن موسى الصفار. الطبعة الأولى ١٩٩٩م، (دار الساقي، بيروت لبنان).

٢ـ مواقع الإنترنت:

- موقع المعاني.
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة العربي.
- الموسوعة الشاملة.
- النيل والفرات.
- دار السادة الأشراف.
- خزانة بني مالك.
- الروضة الحيدرية.
- موقع الألوكة.
- موقع مجمع اللغة العربية الأردنية.
- موقع.patmcnees.com
- موقعscribendi.com
- موقعhttp://en.wikipedia.org

■ الصحف والمجلات:

■ جريدة عين المشاهير.

■ الوطن العمانية.

■ مجلة العربي.

■ جريدة المشرق العراق.

■ جريدة القبس.

المحتويات

الفصل الثاني: الاهتمامات الفكرية والعملية للشيخ الصفار وأثرها على تقريظاته

الفصل الثالث: منهجية الشيخ الصفار في التقديم

الفصل الرابع: صدى الأفكار

الفصل الخامس: نصوص التقديمات

- أديب عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم
- ولد في ١٤/٦/١٣٩٧هـ الموافق ١/٦/١٩٧٧م.
- تخرج في جامعة الملك فيصل بالاحساء تخصص (محاسبة) عام ١٤٢٠هـ
- حصل على ماجستير في المالية التطبيقية من جامعة نيوكاسل بأستراليا عام ١٤٣٠هـ
- كتب الشعر منذ صغره، له مجموعة شعرية في مختلف الاغراض نشر بعضها في الصحف ومواقع الانترنت.
- له مجموعة من المقالات نشرها في الصحف السعودية والخليجية، ومواقع الانترنت من مختلف الدول.
- له مجموعة من المؤلفات منها:

ـ في وجه التحدي (قصة حول مفهوم الحجاب) طبع عام ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، مطابع الرضا ـ الخبر.

ـ بحث بعنوان تطوير التعليم المحاسبي. (رسالة بكالوريوس) رشحت لجائزة أفضل بحث لعام ١٤١٩/١٤٢٠هـ في جامعة الملك فيصل.

ـ عرس الشهداء بين العبرة والعبرة، تأملات في كارثة حريق القديح.

ـ عرس والدعوة خاصة، قصة تحكي بعض ما جرى في كارثة القديح.

ـ الشرف الرفيع في الصلاة على الشفيع، بالاشتراك مع والده الحاج عبدالقادر أبو المكارم. دار المحجة البيضاء ودار الواحة.

ـ في قلوب المؤمنين، إشراقات من حياة العلامة الشيخ عبدالمجيد أبو المكارم.

أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com